

لسنغ والعالم العربي الإسلامي

رؤية الأديب ورائد حركة التنوير الألماني
«غوتهولد أفرام لسنغ» للإسلام والتسامح وحوار
الحضارات والأديان في القرن الثامن عشر

تأليف

الدكتور زاحم محمد الشهيلي - الشمري

الطبعة الأولى

القاهرة ٢٠١٧

الناشر



رئيس مجلس الإدارة

أسامة إبراهيم

المدير التنفيذي

سماح الجمال

المشرف الفني

أحمد جابر

تصميم الغلاف

مصطفى الدناصورى

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية:

2017 /5262

ISBN: 978 - 977 - 6580 - 46 - 6

دار النخبة

للطباعة والنشر والتوزيع

٣٣ شارع السنترال - المجاورة الأولى

- الحي الأول - مدينة الشيخ زايد -

الجيزة - مصر

تليفون: ٣٨٥١١٩٦٩ - ٠٠٢٠٢

٠٠٢ - ٠١٢٨٨٦٨٨٨٧٥

E-mail: alnokhoba@gmail.com

من ثنايا القلب ووجدان الروح أهدي ثمرة جهدي هذه إلى
أعز ناسي؛ أبي الحنون: الحاج المرحوم السيد (محمد مسلم
شلكام الشهيلي - الشمري)؛ سائلا الله العلي القدير أن
يتغمده برحمته الواسعة ويدخله فسيح جناته، وأن يجعل هذا
العمل في ميزان حسناته؛ إنه على كل شيء قدير.

شكر وتقدير

يسرني ويسعدني في هذه اللحظات المباركة؛ وأنا أوقع صدور كتابي الموسوم «لسنغ والعالم العربي الإسلامي» أن أتقدم بفائق الشكر والتقدير إلى السيدات والسادة المحترمين؛ الذين قدموا لي المساعدة من خلال الدعم اللوجستي والاستشارة، والبحث عن المصادر لإنجاز هذا العمل على أكمل وجه، وأخص بالذكر كلا من:

- الأستاذ الدكتور (هايبيل) راينر بازنر - أستاذ الأدب الألماني في جامعة روستوك - ألمانيا.
- الأستاذ الدكتور (هايبيل) هلموت ليتن - أستاذ الأدب الألماني في جامعة روستوك - ألمانيا.
- الأستاذة الدكتورة أندريا بولاشك - أستاذة الأدب الألماني في جامعة هومبولدت في برلين - ألمانيا.
- الأستاذ الدكتور كلاوس هوك - أستاذ علم اللاهوت في جامعة روستوك - ألمانيا.
- الأستاذ الدكتور أكهارد شولتز - أستاذ علم الاستشراق في جامعة لايبزك - ألمانيا.
- الأستاذ الدكتور غوتهارد شتروماير - جامعة برلين الحرة - ألمانيا.
- الدكتورة سيلفيا هورش - أستاذة العلوم الإسلامية - جامعة برلين الحرة - ألمانيا.
- الدكتور نزار محمود - مدير المعهد الثقافي العربي في برلين - ألمانيا.
- الدكتور غازي شريف - أستاذ الأدب الألماني - جامعة بغداد - العراق.
- الدكتور وائل تقي عبد الهادي - أستاذ تاريخ الأدب الألماني - جامعة بغداد - العراق.
- الدكتور محمد إسماعيل شبيب - أستاذ الأدب الألماني - جامعة بغداد - العراق.

• الدكتور رائد الجبوري - المستشار في جامعة الدول العربية - القاهرة - مصر .

• السيد بيرند - كورت غيرود - أستاذ اللغة الألمانية - برلين - ألمانيا .

• السيدة أنجليكا كريغر، والسيد ينس ليبش، والسيدة إيمان إبراهيم، والسيدة ميلاني كاكريه، وكذلك العاملات والعاملين في مكتبة برلين المركزية، ومكتبة جامعة برلين الحرة، ومكتبة جامعة روستوك، ومكتبة جامعة هومبولدت في برلين، للتعاون وتقديم المساعدة.

• شكر خاص إلى زوجتي الحاجة هديل العزاوي؛ المختصة في علوم الحاسبات لجهودها في المراجعة وترتيب النص، والشكر موصول أيضا إلى بقية أفراد عائلتي الذين آزروني في إنجاز هذا العمل.

د. زاحم محمد الشهيلي - الشمري

تمهيد¹

إن الواقع الراهن والصراعات المعاشة تحت مظلة صراع الأديان والحضارات تقتضي الكثير من العقلانية والتسامح في جلسات حوار وتأمل للخروج بخطة طريق نحو البحث عن الحقيقة واحتواء كل الأطياف والانتهاكات البشرية.

ومن أبرز من دعا الى هذا التوجه «غوتهولد أفرام لسنغ (1729-1781)» رائد أدب حركة التنوير على مستوى ألمانيا وأوروبا، وأهم أعمدتها - خاصة بعمله الخالد مسرحية «ناتان الحكيم» - في مرحلة زمنية يمكن تسميتها بعصر «ترجيح العقل والتسامح»؛ الذي كان فحوى مسرحية «ناتان الحكيم».

إن تقبُّل الاختلافات بين الأديان والتعايش السلمي بينها باعتبارها أدياناً سماويةً تدعو إلى الخير والفضيلة صار اليوم ضرورة ملحة في ظل ظاهرة الإرهاب والحرب على الإرهاب، وذلك بترجيح العقل والتسامح وفق ما كان يراه لسنغ الذي كان يتصور أن الأديان سوف تتقارب في عصر التنوير، غير أن الكنيسة تأخرت لأكثر من 150 عاماً في إدراك تصوراتهِ.

فالتسامح ممكن - حسب رأي لسنغ - بالتقرب من الله عن طريق فعل الخير، والتحلي بالأخلاق الفاضلة. فرغم أن هذه الرؤى جاءت بعد انهيار منظومة التعايش الثقافي الديني الجميل بين الإسلام والمسيحية واليهودية، الذي مثلته الأندلس مما شكل صعوبة في مهمة لسنغ آنذاك، لكننا الآن بإمكاننا إكمال مسيرته التنويرية.

1) التمهيد بقلم الروائي الجزائري لخضر بن الزهرة؛ باقتباس وبتصرف من تمهيد لماجد الخطيب - الكاتب المسرحي والناقد والمترجم والصحفي العراقي؛ الذي حرره ب: كولون - ألمانيا؛ 2011/11/13.

المقدمة

تستند هذه الدراسة «لسنغ والعالم العربي الإسلامي» على مئات المراجع ومصادر البحوث والكتب الألمانية والفرنسية والأوروبية الأخرى، حيث تتناول رؤية الأديب ورائد حركة التنوير الألماني في القرن الثامن عشر (غوتهولد أفرايم لسنغ) للإسلام وحوار الحضارات والأديان - Gotthold Ephraim Lessing (1729-1781) -، ويتم من خلالها تصحيح بعض المسارات والأفكار الخاطئة التي نُسبت إلى الأديب الألماني لسنغ، واتهامه جزافاً «بالماسونية» من قبل الباحثين في الأدب الألماني والمسرح العالمي من الألمان والأجانب، متجاهلين بذلك نتاجه الأدبي الديني والفلسفي عن الإسلام؛ والذي لم ير النور منذ عقود طويلة.

الهدف من هذا العمل هو التعريف في الشرق والغرب بجانب من حوار رائد حركة التنوير الأوروبية الألماني لسنغ مع الإسلام؛ الذي يُعد في نظر العديد من المثقفين والقراء الألمان والأوروبيين نموذجاً فريداً للحوار الإنساني الديني والحضاري المتسامح؛ حفظته ذاكرة الأدب الألماني على مر التاريخ.

إن هذا الاصدار يوجه عناية القراء إلى أديب ألماني من القرن الثامن عشر؛ لم يعتن بدراسة الإسلام من النواحي التاريخية والدينية الفلسفية والأدبية والعلمية فحسب، وإنما حاول أيضاً أن يرسم صورة لمجتمع عالمي متسامح وموحد يعيش فيه المسلم والمسيحي واليهودي جنباً إلى جنب بسلام، على خلاف صورة المجتمع الإنساني الذي نحيا فيه في الوقت الحاضر.

يقول الكاتب (توماس دريسلر) في كتابه «دراماتورغي² الإنسانية - لسنغ» 1996: إن حوار لسنغ مع «المسيحية» و«اليهودية» كان «لغز الألغاز وما يزال لغزاً»³، مما يمنح هذا

(2) (دراماتورغ: علم المعرفة والتأثير والبناء القانوني للمسرحية الذي كتبه لسنغ)

(3) Thomas Dreßler: Dramaturgie der Menschheit – Lessing. Weimar 1996. S. 335.

(ينظر إلى توماس دريسلر: «دراماتورغي الإنسانية - لسنغ» فبراير 1996، ص 335).

العمل أهمية أدبية كبيرة في مناقشة حيادية لحوار لسنغ مع الإسلام لفك هذه الطلاسم التي باتت محيرة للكثير من المختصين في مجال المسرح العالمي والأدب الألماني الحديث.

يقودنا موضوع «لسنغ والعالم العربي الإسلامي» الشيق في الرجوع قليلا إلى الوراء لنبحث في ثنايا التاريخ الإنساني وكنوزه العلمية، حيث احتفظ الموروث الثقافي العربي الإسلامي للقرون الوسطى بتقاليد الدعوة الحقيقية للحوار المتسامح مع الثقافات والأديان الأخرى، وذلك حين حدد العلماء المسلمون في التجمع الثقافي المعروف بـ «الأصدقاء الأوفياء» في مدينة البصرة - أحد المراكز الأدبية المشهورة في القرن العاشر الميلادي بالعراق - بعد التفاهم مع التجمعات الثقافية الإسلامية الأخرى - الخصال الإسلامية والمسيحية واليهودية التي يجب أن يتصف بها «الإنسان المثالي» صاحب الخلق الرفيع، ويرونها جزءا من صفات المجتمع الإنساني المتسامح.

لقد أجمعوا على القول بأنه ليس هناك كتاب أو علم أو نمط حياة غريب يحول دون المرء ورغبته في بناء نفسه بناء صحيحا.⁴

وتأسيسا على هذا الرأي أصبح لزاما على العلماء البصريين وضع اللبنة الأساسية الأولى لمشروع «الإنسان المثالي»، وذلك بعد أن أكد كل تجمع ثقافي إسلامي في القرون الوسطى الصفة التي ينشدها، فعكس هذا الرأي الإرادة العظيمة والتصور الرائع غير المنحاز لمجتمع عالمي متسامح؛ يحترم فيه أتباع الأنبياء موسى وعيسى ومحمد (عليهم الصلاة والسلام) بعضهم بعضا، ويعيشون بسلام جنبا إلى جنب على الصورة التي عبر عنهم فيها لسنغ في مسرحيته الشهيرة «ناتان الحكيم» 1779.

وبناء على هذا التصور دون العلماء المسلمون البصريون هذه الصفات، وكما جاء في المجموعة القصصية «الفن يحيا بعقلانية» للأديب والمترجم إلى اللغة العربية الإسباني (بيتروس الفونسي)؛ الذي عاش بين القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، بقولهم:

Petrus Alfonsi: Die Kunst, vernünftig zu leben [Disciplina Clericalis]. Dargestellt und aus (4 dem Lateinischen übertragen von Eberhard Hermes. Zürich und Stuttgart 1970. S. 9. (ينظر إلى بيتروس الفونسي: «الفن يحيا بعقلانية» ترجمة ابرهارد هيرمس، زيورخ وشوتنغارت 1970، ص 9).

«ينبغي أن يكون الإنسان المثالي النزيه صاحب الخلق الرفيع شرقيا ... عربي العقيدة، من أنصار مدرسة الحقوق الحنفية، عراقي الثقافة، واسع المعرفة كالعبراني، شابا كالسيد المسيح في سلوكه، متدينا كالراهب السوري، يونانيا في علومه الشخصية، هنديا في تفسير الأسرار، وأخيرا صوفيا في حياته الدنيوية».⁵

إن هذا التصميم لفهرس صفات «الإنسان المثالي» هو تعبير عن الإدراك والفهم الراقي للعناصر الحقيقية للثقافة الإسلامية، وإشارة واضحة إلى التعايش السلمي في الدولة الإسلامية السابقة بين المسلمين واليهود والمسيحيين، والشعوب من ديانات أخرى، ويبين أيضا أن الاندماج الاجتماعي بين الأقليات آنذاك لم يكن صعبا في إمبراطورية الخلفاء المسلمين.

وكان هذا التعايش الإنساني السلمي الفريد من نوعه محط أنظار المفكرين والفلاسفة الأوروبيين؛ كما يتضح في قول الفيلسوف ورائد حركة التنوير الفرنسي (فولتير) في كتابه «أطروحة التسامح» (1765-63) : «حكم السلطان الكبير بسلام عشرين شعبا من ديانات مختلفة».

إن خاتمة هذا القول تقدم لنا أنموذجا بارزا للجهد الفكري والنفسي الذي قام به الإنسان في المجتمع الجمعي الحديث؛ الذي يتطلب التسامي العقلي العالي عن عدم التمييز في القدرة على تقديم الرعاية وتجاوز الإشكالات كما كان في الماضي.

وبناء على رأي العلماء المسلمين الذي ورد في المجموعة القصصية للإسباني (بيتروس الفونسي) يترتب على الإنسان في المجتمع المنفتح أن يكتسب البديهية في البعد النقدي العقلاني، وأن يوظف هذا الجهد من خلال الموقف في الدور الذي يلعبه.

وإن مصطلح «أنا ناضج» يضع الاجتهاد والملاءمة في المقدمة؛ لذا يجب على الإنسان أن يفهم أولا بعقلية المنتقد ماذا يريد من ذاته في محيطه الاجتماعي، وأن يستشعر تقييم الآخرين له؛ لكي يستطيع التفكير بشكل صحيح، خاصة عندما يدعي العيش في هذا المجتمع الجمعي،

(5) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق)

ويريد أن يعمل على صيانتها ورقيه،⁶ لأن المنجز الاجتماعي الذي يبتغيه المجتمع من الفرد - وكان من الصعب تحقيقه في الماضي بسبب عدم اهتمام الناس به - سيكون مفيدا لمساءلة أولئك الذين أرادوا العيش على مدى تاريخهم الطويل من أجل تحقيق المصالح والمزايا الشخصية فقط.⁷

إن الاعتماد على التطلع التاريخي للعلماء المسلمين لحياة مشتركة يسودها السلام والسعادة في عالم تتحقق فيه العدالة على أساس الحوار الديني والحضاري بين الثقافات الأجنبية المختلفة أصبح ضرورة لا يمكن تجاهلها، وذلك بعد أفول نجم الدولة الإسلامية الحديثة في القرون الوسطى، واندلاع الصراع المستمر والعميق بين الحضارات والأديان، ومذاهب العقيدة الواحدة.

وقد انعكس هذا الصراع في أدب الشعوب منذ الأزل؛ فتعامل (هذا الأدب) بشكل مباشر مع قضاياها التاريخية والحضارية والدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، وعمل على أرشفتها، بحيث أصبح المرأة التي تعكس مشاكل المجتمع وتدعو إلى معالجتها.

ومختصر القول: إن الأدب لا يستطيع أن يحيا بمنعزل عن أي مجتمع إنساني لأنه يعبر عن نشاطات المرء في الحياة اليومية المختلفة ضمن حراكه الاجتماعي الإنساني.

لذا فإن هذه الدراسة العلمية الأدبية تتناول - في إطار رؤية لسنغ وحواره مع الإسلام - التواصل التاريخي والثقافي والسياسي والاقتصادي بين الغرب والعالم الإسلامي؛ ذلك التواصل المرتبط بقضية تفعيل الحوار الحضاري والديني بينهما، مما أصبح ضرورة في حياة المجتمع العالمي في الوقت الحاضر.

إن مفهوم التأثير والتأثر المتبادل بين الثقافات الكبيرة له تاريخ طويل، ويبقى في أفق الأدب العالمي والعلوم الطبيعية والإنسانية مستمرا على مر العصور؛ إذ أدى القادة والعلماء والحقوقيون وعلماء الدين المسلمون دورا رياديا كبيرا في التأثير على الثقافات العالمية ولا سيما الأوروبية منها.

(6) Ebd. S. 10. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 10)

(7) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق)

فحقيقة حوار التسامح الديني الإسلامي مع الآخر - المسيحية واليهودية - تجسدت في تفكير وتصرف القائد الإسلامي صلاح الدين الأيوبي بعد فتح القدس سنة 1187، والذي استطاع، حسب المؤرخ الأوروبي، جمع الناس من ديانات مختلفة على أساس مبدأ التسامح في الإسلام، ويسر لهم العيش معا في مجتمع إنساني موحد يسوده السلام وتعمه المحبة.

وقد اتخذ سلوك هذا القائد المسلم من قبل الأدباء والمفكرين الأوروبيين معيارا لمبدأ التسامح في أدب حركة التنوير الأوروبية في القرن الثامن عشر، إذ عرض الأديب ورائد حركة التنوير الألماني لسنغ هذه الشخصية الإسلامية التاريخية، على خشبة المسرح الألماني، وذلك من خلال محاورته الإسلام في مسرحيته الشهيرة «ناتان الحكيم» سنة 1779، وقدمه رمزا للتسامح والضمير الإنساني الحر المتنور، ومثالا للإنسان الكريم المستعد للحوار مع الآخر، بعد أن تأثر لسنغ بطروحات العلماء المسلمين ومواعظ الإسلام بوصفه ديناً عقلانياً منزلاً،⁸ وقد جسد ذلك في مقدمة إعلانه عن مسرحيته «ناتان الحكيم» بقوله:

«ولكن حين يقول أحدهم عني إنني أردت أن أنصرف خلافاً للاتقان الشعري، ووجدت من بين أولئك البشر ... رجالاً مسلمين، لذلك أقول: أن الرجال المسلمين القدماء كانوا من العلماء الأفاضل، وما يُعاب عليهم أنهم قدموا للبشرية ديناً مُوحى، ولم يُوجد في التاريخ رجل حكيم يجذب الانتباه كالذي برز في تاريخ الحروب الصليبية، ولم تخلُ كتابات التاريخ من الإشارة إليه، إن مثال هذا الرجل الحكيم تجسد في شخص السلطان».⁹

يظهر هذا القول لقارئ المسرحية والمشاهد لها أن لسنغ - ومن خلال دراسته للتاريخ الإسلامي - عثر على علماء أفاضل وأكفاء قادرين على قيادة الدولة وإدارة دفة الحوار الديني مع الآخر استناداً إلى ما جاء به الإسلام من تعاليم معتدلة وعقلانية.

(8) Lessing: Nathan der Weise 1779. (ينظر إلى لسنغ: «ناتان الحكيم» 1779)

Gotthold Ephraim Lessing: Gesammelte Werke, in 10 Bänden. Hrsg. v. Paul Rilla, (9 Bd. 2. S. 322f. Berlin 1954-1958. (Diese Ausgabe wird abgekürzt mit: Lessing GW. Bd.

S.Ähnlich Helmut Göbel: Lessings Nathan. Berlin 2002. S. 63. (ينظر إلى غوتفريد أفرام لسنغ:

«أعمال لسنغ في (12 مجلداً»، المجلد الثاني ص 322. وهلموت غوبل: لسنغ «ناتان»، برلين 2002، ص 63.)

وتأكيدا لما قاله لسنغ بحق المسلمين ودورهم في إرساء دعائم التسامح والحوار في المجتمع الجمعي قبل الأوروبيين؛ كتب الفيلسوف الألماني (موسس مندلسون) في إصداره «ساعات الصباح» قائلا: «لكن قبل لسنغ، إما أنه ما كان تفكير أو وُجد جادا على أعلى المستويات في حوار التسامح لحركة التنوير مع الوثنيين واليهود والمحمديين وأنصار الدين الطبيعي لغرض وضع أسس التسامح المتعسرة».¹⁰

وبناء على ما تقدم دخل موضوع التسامح في أدب حركة التنوير ضمن الحثيات التي عالجها لسنغ في أعماله الأدبية. وقام الباحثون بعد ذلك بدراسة معمقة لحواره مع اليهودية والدين الطبيعي؛ في الوقت الذي لم يراعوا فيه أو يتطرقوا إلى حوارهِ مع الإسلام. كما أشارت إلى ذلك أيضا الدكتورة (سيلفيا هورش) المختصة في العلوم الإسلامية والأدب الألماني في كتابها «العقلانية والتسامح - حوار لسنغ مع الإسلام» 2004.¹¹

ولم يقتصر بحث لسنغ الديني العلمي عن واقع الأديان على دين واحد دون سواه، وإنما تناول تاريخ ومذاهب الأديان السماوية الثلاثة - اليهودية والمسيحية والإسلام - ومدى تأثيرها في المجتمع، وما أنجزته على مر التاريخ.

إن الموقف الايجابي للأديب الألماني (لسنغ) من الإسلام جعله محط أنظار الباحثين في الوقت الراهن، وجعل خبرته المعرفية عن الإسلام ذات أهمية كبيرة من منظور البحث العلمي الأدبي؛ ذلك لأن الصورة التي رسمها عن الإسلام في أدبه أعطت الإجابة في الماضي والحاضر على الكثير من التساؤلات التي تدور في أذهان الأوروبيين عن الإسلام. لذلك أضحت نتاجه الأدبي معيارا للكثير من الباحثين والمهتمين بقضايا التسامح والحوار الحضاري والديني بين الشعوب.

Moses Mendelssohn: Gesammelte Schriften, hrsg. v. Ismar Elbogen, Bd. VIII, (10

Frankfurt am Main 1985-1998. S. 3. (ينظر إلى موسس مندلسون: «جميع المخطوطات»)

Silvia Horsch: Rationalität und Toleranz. Lessings Auseinandersetzung mit dem (11

Islam. Würzburg 2004. S. 1. (ينظر إلى سيلفيا هورش: «العقلانية والتسامح - حوار لسنغ مع الإسلام»،

فوتسبورغ 2004، ص 1.)

فقد تحدث الرئيس الألماني الاتحادي (يوهانس راو) في كانون الثاني من عام 2004 - بمناسبة عيد ميلاد لسنغ - عن العلاقة بين الدولة والدين، وضرورة تطبيق مبدأ التسامح والتعايش السلمي، واندماج الثقافات الأجنبية المختلفة، والتعامل الإنساني مع الأقليات المسلمة في المجتمع الألماني.

ونتيجة لهذا الاهتمام ارتبط النتاج الأدبي للمؤلف المسرحي لسنغ وبشكل كبير بمعالجة القضايا الاجتماعية والسياسية المعاصرة.¹² وهذا يعني أن المرء يستطيع العودة إلى حوار لسنغ مع الإسلام لإغناء مساهماته في الحوار الحضاري والديني المعاصر والمستقبلي.

لكن ليس من المنطق مقارنة الحوار في الوقت الحاضر وحتى في المستقبل بصورته التي كان عليها في القرن الثامن عشر بسبب أن تعامل لسنغ وحواره مع الإسلام - كما تقول (سيلفيا هورش) - لم يكن عملياً فحسب، وإنما اتسم بطبيعة النقاء الفكري للباحث أيضاً؛ مستنداً على المبدأ العقلاني المعتدل لحركة التنوير في تعاملها المباشر مع الثقافات الأجنبية بهدف تحقيق الحوار المتسامح بين ممثلي الحضارات والأديان المختلفة، واكتشاف الحقيقة اللاهوتية لهذه الأديان التي جسدها في نهاية حياته بآخر أشهر عمل مسرحي له «ناتان الحكيم»؛ الذي أعلن عنه قبل وفاته بقليل عام 1779.

ناقشت حركة التنوير الأوروبية في القرن الثامن عشر - ومن خلال وسائل أيضاً جديدة ومبتكرة - وجهة النظر المسيحية تجاه الإسلام في القرون الوسطى، في حين صدرت أيضاً أحكام جديدة مناهضة للإسلام؛ فقد وجد الباحثون في الموروث الأدبي للقرون الوسطى وحركة التنوير الأوروبية في القرن الثامن عشر نماذج وآليات لتشويه صورة الإسلام، والتي ما تزال مؤثرة في الحوار المعاصر بين الغرب والعالم الإسلامي.

Johannes Rau: Religionsfreiheit heute – zum Verhältnis von Staat und Religion in (12 Deutschland: Rede beim Festakt zum 275. Geburtstag von Gotthold Ephraim Lessing in der H. A. Bibliothek zu Wolfenbüttel am 22. Januar 2004. Berlin. S. 29. (ينظر إلى يوهانس راو:

«حرية الدين اليوم» 2004)

ففي الوقت الذي كان يُوصَف فيه الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من قبل المتشددين في الكنيسة الكاثوليكية وبعض المتنفعين والمغرضين من المثقفين الأوروبيين بصفات غير حميدة، ويُنظر إلى القرآن الكريم على أنه كتاب غير ذي معنى؛ فهم لسنغ الإسلام كدين حقيقي وعقلاني مُوحى.

لذا فإن البحث في حوار لسنغ مع الإسلام في إطار هذا الفهم له مدلولات واسعة، وأهمية كبيرة لوقوفه ضد الأفكار السيئة التي كان يروجها الأوروبيون في كتاباتهم ضد الإسلام، وذلك حين قدم صورة إيجابية عن الإسلام لتفنيد هذه الادعاءات. فقد اجتهد في أعماله المسرحية ومخطوطاته الدينية لتجسيد المعرفة الحقيقية بالإسلام والحكم العادل عليه وإزالة الأحكام الأوروبية التي حالت دون تحقيق الحوار الحقيقي المطلوب معه، إذ انبرى على أساس منظوره الديني منتقدا الآليات الأوروبية المعادية للإسلام.

وكان في طليعة الأهداف التي سعى إليها لسنغ في الدفاع عن الإسلام إعادة مد جسور الثقة والتفاهم المحطمة بين الشعوب المسلمة والمسيحية، وتوطيد العلاقة بين العالمين الغربي والإسلامي، وكان تحقيقها في نظر لسنغ معتمدا على حوار اليهود والمسيحيين والمسلمين؛ تحفهم العناية الإلهية ليفهم بعضهم بعضا، ويعملون معا بوصفهم نظراء حقيقيين لا أعداء متخاصمين، لتُحل بذلك المشاكل السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية التي تبدو مستعصية في الوقت الراهن وفي المستقبل، ولتكون مساهمة حقيقية في إرساء دعائم نظام عالمي جديد قائم على السلام والاحترام المتبادل بين الشعوب.

وينبغي هنا تأكيد أن لسنغ ركز في حوارهِ مع الإسلام على الحقيقة الدينية وكيفية فهمها، وأن إدراكه للجدل والنقد الأدبي هو للتقرب من هذه الحقيقة،¹³ وذلك بعد أن اطلع على الموروث الإسلامي مفصلا في التناج الأدبي لعدد كبير من المستشرقين؛ منهم بوكوك، وغوليوس، وبريداوكس، وسيل، وأوكلي، وغانير، وهيربيلوت، وريناودوت وغيرهم.

Eva J. Engel u. Claus Ritterhoff (Hg.): Neues zur Lessing-Forschung, Ingrid (13 Strohschneider-Kohrs Ehren am August 1997. Tübingen 1998. S. 74. (ينظر إلى أنغل ورترهوف:

«الجديد في بحث لسنغ» 1998 توبنغن، ص 74).

ودرس أيضا الأعمال والمخطوطات الدينية المعاصرة لفولتير وكردانيوس ورايباروس. وقرأ ترجمة المحامي الإنجليزي (جورج سيل) للقرآن الكريم، وسيرة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وتاريخ العرب إبان حكم الخلفاء لـ (آوكر دي مارغيس)، وأعمالاً أدبية لشعراء عرب وردت في مؤلفات المستشرق الألماني (رايسكه)، وتاريخ العرب الوثنيين في الجزيرة العربية، وترجم نصوصاً من الفرنسية إلى الألمانية عن تاريخ الحروب الصليبية لـ (فولتير) و (مارين).

واطلع لسنغ أيضاً على طريقة تحنيط الموتى للمصريين القدماء، مما أتاح له الفرصة في التعرف على جزء كبير من الحقائق الثقافية والدينية والعلمية في تاريخ العرب المسلمين، وواقع الإسلام بوصفه ديناً حقيقياً إنسانياً موحداً أولاً، وإبراز هذا الواقع بصورة مباشرة للشعبيين المسيحي واليهودي وبقية شعوب العالم من خلال الأعمال الأدبية ثانياً.

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل يمثل حوار لسنغ مع الإسلام المرحلة الأخيرة من بحثه عن واقع الأديان السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام؛ والذي بلغ ذروته في مسرحيته «ناتان الحكيم»؟ هذا ما سنجيب عنه في خاتمة فصول هذه الدراسة.

لا بد من القول بصريح العبارة بأنه لم يجرؤ أحد من الألمان أو الأجانب المختصين بالأدب الألماني الحديث الكتابة عن رؤية لسنغ للإسلام في حين كُتبت الكثير من البحوث عن موقف لسنغ من الواقع الديني للمسيحية واليهودية، وتم تجاهل الحوار الديني للسنغ مع الإسلام حسب قول (جوزيف - كارل كوشل) - بروفيسور علم اللاهوت الألماني في جامعة توبنغن - و (د. سيلفيا هورش) المختصة في العلوم الإسلامية.

إن هذا التغاضي جعل البحث العلمي في حوار لسنغ مع المسيحية واليهودية لفهم واقعهما الديني غير مكتمل المعالم، ومشوباً بالشكوك حسب ما جاء في كتاب توماس دريسلر «دراماتورغي الإنسانية - لسنغ» 1996 ... لذلك ظهرت الحاجة في الآونة الأخيرة إلى البحث في حوار لسنغ مع الإسلام بالتعمق والحياد، مثلما نُوقِشت الأعمال الأدبية والدينية الخاصة بحوار لسنغ مع المسيحية واليهودية لغرض التوصل إلى حقيقة هذه الأديان الثلاثة دون تمييز.

وحسب إحياء لسنغ الديني يقول كوشل منتقدا: «إن الدعوة إلى التسامح في ألمانيا موجه بالأساس إلى اليهودية، وتم توظيف ذلك في الأعمال الأدبية التي تبحث في البعد الديني لحوار لسنغ مع اليهودية، وعلى النقيض من ذلك فقد عُمد باستمرار إلى إغفال علاقة لسنغ مع الإسلام وعدم التطرق إليها»، مشددا على «إن البحوث الأدبية الأوروبية شرعت في الوقت الحاضر تتناول الإسلام بوصفه عاملا مؤثرا في القرن الثامن عشر. لكنها اقتصرت للأسف الشديد على الأدبين الفرنسي والإنجليزي وأغفلت في الأدب الألماني».¹⁴

إن تعظيم لسنغ وتبجيله للنتاج الأدبي والديني والعلمي للمسلمين جعله يعتمد على الموروث والتاريخ الإسلامي في كتابة مخطوطاته الدينية النقدية ومسرحياته من نحو: «إنقاذ السيد كردانيوس» 1754، ومسرحيته «ناتان الحكيم» 1779.

تقول (سيلفيا هورش): «لعب الإسلام من خلال أعمال لسنغ دوره في حوار التسامح في القرن الثامن عشر عموما، وإنه من الغريب لحد هذه اللحظة أن نجد القليل من العناية بدور الإسلام في أعمال لسنغ الفلسفية والأدبية والدينية».¹⁵ فقد كتب الأدباء والباحثون والمختصون في المسرح والأدب الألمان الشيء الكثير عن شخصية «ناتان» المنحدر من طبقة النبلاء اليهود في مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم»، في حين أغفلوا دور ثلاث من الشخصيات النبيلة المسلمة، وأعني صلاح الدين وسيتا والحافي؛ الذين يقفون إلى جانب ناتان على خشبة المسرح بنفس المستوى أو ما يزيد.

وظل علماء الأدب والمختصون في شؤون المسرح الألماني والعالمي يدورون بحذر في فضاء مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم» إما لعدم موافقة ما يعرضه لسنغ من صورة الإسلام الحقيقية وعظمته وسماحته لهواهم، أو لتجنب المساس - عن قصد أو عن غير قصد - بحقيقة حوار لسنغ مع الأديان السماوية الثلاثة - اليهودية والمسيحية والإسلام -، وذلك على نحو ما

Karl-Josef Kuschel: Vom Streit zum Wettstreit der Religionen – Lessing und die Herausforderung des Islam. Düsseldorf 1998. S. 14. (انظر إلى كارل - جوزيف كوشل: «من جدل إلى

تنافس الأديان - لسنغ وتحدي الإسلام» 1998).

Silvia Horsch: Rationalität und Toleranz. Lessings Auseinandersetzung mit dem Islam. Würzburg 2004. S. 3. (ينظر إلى سيلفيا هورش: «العقلانية والتسامح. حوار لسنغ مع الإسلام»، فورزبورغ

2004، ص 3).

نلمس في المراجع البحثية والدراسات العلمية عن أدب لسنغ، والعروض المسرحية على خشبة المسارح الألمانية ومنها مسرح برشت في برلين Berliner Ensemble، الأمر الذي جعل التحليلات ووجهات النظر الأدبية والعلمية المتكررة تفضي دائما إلى استنتاجات مشكوك بصحتها من قبل المتلقي، وذلك بسبب ابتعادها عن الواقع الدرامي لمسرحية لسنغ «ناتان الحكيم»، رغم أن أحداث المسرحية تدور في القدس إبان الحروب الصليبية، وتصور حاكما مسلما عادلا وحكيما.¹⁶ لذا فإن هذا العمل يقدم للقراء والمهتمين بأدب لسنغ الدليل على أن لسنغ لا يقتصر على التحوار مع اليهودية، بل يتعداها إلى محاورة الدين الحنيف أيضا.¹⁷

أثار تقييم لسنغ وفهمه الصحيح للإسلام تساؤلات عديدة في مجال علم الأدب وعلوم الدين والفلسفة وعلم الاستشراق، وعُدَّت دراسته للأديان السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام، وحواره الديني المتنور بشكل عام ومع المسيحية بشكل خاص، محاولة للمواءمة بين الوعي الفكري والإيمان المسيحي الذي تدعيه الكنيسة آنذاك.

حيث لعب اهتمام لسنغ ودراسته للإسلام دورا مهما في هذا الحوار، فكلما تحدث لسنغ عن الإسلام تطرق إلى هذين الموضوعين.¹⁸ إن قضايا العلاقة بين العقل والإيمان، وموضوع التسامح لم تكن منعزلة عن بعضها، لأن النقد المنطقي لفحوى العقيدة المسيحية الذي يناقش تطلعاتها في الحق المطلق وضع أساسا مركزيا للدعوة إلى التسامح والاستعداد للحوار تجاه أنصار الديانات والثقافات الأخرى.¹⁹

وعلى أساس هذه العلاقة فإنه لم تكن فقط الحضارات والثقافات والأديان مدعوة إلى التسامح والحوار، وإنما الأفراد والمجاميع التي تنتمي إلى أنماط دينية وثقافية مختلفة أيضا،

Karl-Josef Kuschel: Vom Streit zum Wettstreit der Religionen – Lessing und die Herausforderung des Islam. Düsseldorf 1998. S. 15. (ينظر إلى كارل - جوزيف كوشل: « من جدل

إلى تنافس الأديان - لسنغ وتحدي الاسلام » 1998، ص 15)

Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

Silvia Horsch: Rationalität und Toleranz. Lessings Auseinandersetzung mit dem Islam. Würzburg 2004. S. 4. (ينظر إلى سيلفيا هورش: «العقلانية والتسامح. حوار لسنغ مع الاسلام».

2004، ص 4.)

Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

تتصدرهم النخبة المسؤولة عن السياسة والاقتصاد والثقافة. لذا فإن هذا العمل يتناول بالأساس ما طرحه لسنغ في مجال العقل والفكر والإيجاء، ومساهمته في الحوار الديني والثقافي بين الشرق والغرب في الماضي، وتأثيره في الحاضر والمستقبل.

تتألف هذه الدراسة من ستة أبواب؛ يتناول الباب الأول فيها الثقافة المعرفية للأديب الألماني لسنغ حول تأثير الأدب العربي الإسلامي على حركة النهضة الأدبية الأوروبية في القرون الوسطى، ودور المستشرقين الأوروبيين والألمان في نقل العلوم الأدبية والطبيعية للعلماء العرب المسلمين إلى أوروبا من خلال ثورة الترجمة التي شهدتها بلاد الأندلس في تلك الفترة؛ حيث تُرجم القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية سنة 1143 من قبل (روبرت فون كيتون) بأمر من الكنيسة للرد على المسلمين.

ويتطرق أيضا إلى قراءات رائد حركة التنوير الألماني لسنغ للمستشرقين الأوروبيين عن الإسلام، وروح التسامح التي حملتها الرسالة السماوية إلى العالم التي أرسى دعائمها الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتأثير ذلك الإيجابي على حركة التنوير الأوروبية في القرن الثامن عشر؛ التي أخذت من الإسلام الشيء الكثير لتقويم أفكارها.

ويختتم هذا الفصل بدراسة نقدية حول رأي الفيلسوف الفرنسي فولتير عن الإسلام، الذي أراد به نقد المسيحية من خلال رموز إسلامية التي لم ترق إلى زميله الألماني لسنغ؛ الذي انتقده بشدة، ودافع عن الإسلام بشكل مستमित بعد قراءته ودراسته للقرآن في ترجمة الحقوقي الإنجليزي (جورج سيل) في القرن الثامن عشر.

ونعرض في الباب الثاني أعمال لسنغ الأدبية حول الإسلام والثقافة الإسلامية، وشخصية الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتاريخ العرب قبل وبعد الإسلام، وتاريخ الخلفاء الذين حكموا الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

حيث تتجسد هذه الأفكار في أعماله ومخطوطاته الفلسفية الأدبية الدينية كـ «إنقاذ السيد كрдانيوس» Rettung des Hier. Cardanus (1754)، وهي مخطوطة فلسفية دينية

نقدية دافع فيها لسنغ عن الإسلام في القرن الثامن عشر بفكر الإنسان المسلم المؤمن ضد ادعاءات الكنيسة الكاثوليكية آنذاك؛ حيث قارن بين معجزات الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ التي جاءت لتوضح الأمور الغامضة للناس - حسب لسنغ - ومعجزات السيد المسيح التي حُرِّفت من قبل رجال الكنيسة في الماضي - حسب قوله أيضا - واصفا الدين الإسلامي بالدين الطبيعي العقلاني لكل البشرية، وان محمد (صلاة الله عليه) ما هو إلا رسول للسلام وأداة للقضاء على الخالدين في الدنيا، كرد على ادعاء الكنيسة بأن الإسلام نُشر بحد السيف.

وفي هذه المخطوطة وضع لسنغ اللبنة الأولى لـ «حكاية الخواتم الثلاثة» Ringparabel - التي تعني الأديان السماوية الثلاثة - اليهودية والمسيحية والإسلام - في مسرحيته الشهيرة «ناتان الحكيم» (1779) Nathan der Weise، التي أثبت من خلالها بأن «الإسلام» دين حقيقي مُنزل مثل باقي الأديان السماوية الأخرى كـ «اليهودية» و«المسيحية»، وهو خاتم الأديان، والرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) خاتم الأنبياء والرسل، ومن حق البشرية اعتناق هذا الدين.

أما مسرحيته التراجيدية «فاطمة» (1759) Fatime-Trauerspiel فكانت رده السريع على مسرحية الفيلسوف الفرنسي فولتير «محمد» 1741 Mahomet في القرن الثامن عشر؛ التي أساء فيها إلى شخصية الرسول الكريم (عليه الصلاة والسلام)؛ فقد انتقد لسنغ هذه الادعاءات، وفندها على لسان بطلته «فاطمة»، التي وصفت الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنه «أفضل الرجال».

وفي مخطوطته الفلسفية الدينية «برهاني عن العرب، بأنهم خليفة نبي الله إبراهيم وليس اليهود» (ca.1771 bis 1777) Meines Arabers Beweis, dass... أكد لسنغ على أن العرب هم أولاد إسماعيل - الابن الأكبر لنبي الله إبراهيم عليه السلام - أما اليهود فهم أبناء إسحاق - الأخ الأصغر الذي ليس من صلب إبراهيم - وبذلك يكون العرب هم خليفة إبراهيم وليس اليهود حسب طروحات لسنغ الدينية الفلسفية.

أما «قصة القس آدم نويسر» (1774) Die Geschichte Von Adam Neuser فتناقش مسألة اعتناق القس (آدم نويسر) للإسلام في القرن السادس عشر بعد وقوفه ضد ادعاء الكنيسة بأن السيد المسيح ابن الله، عادة ما قام به (نويسر) عملاً حراً تنويرياً قام به أحد رجال الكنيسة الذي خدم ومات مسلماً في البلاط الإسلامي للسلطان التركي في إسطنبول.

ويتناول الباب الثالث ترجمات لسنغ للنصوص التاريخية الإسلامية للفلاسفة والمستشرقين الفرنسيين كـ «تاريخ الحروب الصليبية» Geschichte der Kreuzzüge لفولتير و«تاريخ صلاح الدين سلطان مصر وسورية» Geschichte Saladins Sulthans von Egypten und Syrien لمارين؛ والتي تعرض التاريخ الدموي للحروب الصليبية ضد المسلمين بعد احتلال بيت المقدس عام 1100، وتأسيس الإمبراطورية المسيحية «المقدسة»؛ التي تمت هزيمتها على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي بعد أن فتح القدس عام 1187، والذي آخى بين المسلمين والمسيحيين واليهود، منطلقاً بذلك من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف؛ التي تدعو إلى التسامح والألفة والمحبة بين الشعوب ونبذ العنف.

حيث قام بإطلاق سراح الأسرى ووزع الهبات على الفقراء من مختلف الديانات دون تمييز، وحمى دور العبادة، حسب ما ترجم لسنغ عن هذه المصادر؛ التي أزالَت صفة «البربرية» التي كانت تطلقها أوروبا المسيحية بحق العرب المسلمين. وتجسيدا لروح التسامح في الإسلام اختار لسنغ شخصية صلاح الدين التاريخية ممثلاً للإسلام في مسرحيته «ناتان الحكيم» سنة 1779، إلى جانب رجل المعبد ممثلاً «للمسيحية» وناتان الحكيم ممثلاً «لليهودية».

استغرق العمل في هذا المسرحية - التي تناول فيها لسنغ حوار الأديان السماوية الثلاثة: المسيحية واليهودية والإسلام - ما يقارب الثلاثين عاماً؛ عرض فيها شخصيات إسلامية أخرى كالأميرة «سيتا» - شقيقة صلاح الدين - كرمز للمرأة المسلمة المتنورة في البلاط الإسلامي، و«الحافي درويش» كرمز للزهد والتصوف في الإسلام.

وتطرق لسنغ من خلال الشخصيات الإسلامية في مسرحيته «ناتان الحكيم» إلى العلاقات الاجتماعية والتعايش السلمي بين أطراف المجتمع من ديانات مختلفة، متخذاً من الإسلام والتعاليم الإسلامية نموذجاً لهذه العلاقة.

ومن أجل إعطاء القارئ والمشاهد العربي والأوروبي للمسرحية صورة واضحة عن الخلفية التاريخية والأدبية للشخصيات الإسلامية - سيتا والحافي درويش - وكذلك الشخصية اليهودية ناتان الحكيم وعلاقتها بشخصية لقمان الحكيم في القرآن الكريم؛ تم في الباب الرابع تقديم عرض تاريخي أدبي مفصل عن هذه الشخصيات، وحسب الموروث الإسلامي في مراجع الأدب الألماني والأوروبي؛ التي كانت متوفرة في مكتبة لسنغ الأدبية.

تم من خلال هذه الدراسة التحليلية ربط الأحداث التاريخية والدينية مع الأحداث الأدبية في المسرحية للوصول إلى استنتاجات تين وبشكل لا يقبل الشك حوار لسنغ الإيجابي مع الإسلام؛ التي أبطلت ادعاءات الكتاب والمفكرين المهتمين بأدب «حركة التنوير» الألمانية والأوروبية، وخاصة ما أنتجه لسنغ في هذا المجال منذ أواسط القرن الثامن عشر الميلادي؛ حيث كان لدور المرأة المسلمة في المجتمع المعزز بآيات من الذكر الحكيم وتحجيم هذا الدور في الأدب الأوروبي مساحة كبيرة.

ونظراً لأهمية حكاية «الخاتم» وأصولها الشرقية في مسرحيته «ناتان الحكيم»؛ التي أثبت لسنغ من خلالها - وعلى لسان أحد الحكماء اليهود - بأن «الدين الإسلامي» دين طبيعي واقعي منزل كـ «اليهودية» و«المسيحية»، في الوقت الذي رفض فيه المعبد والكنيسة هذه الفكرة، واختاره ليكون الدين الأصلح للبشرية في نهاية المسرحية عندما جعل جميع ممثلي الأديان ينظمون إلى عائلة مسلمة واحدة.

بحث الباب الخامس في تأثير «ألف ليلة وليلة» على الأعمال الأدبية القصصية الألمانية والأوروبية كـ «Gesta Romanorum»؛ التي ظهرت في القرن الرابع عشر في فرنسا و«Disciplina Clericalis» في القرن الثاني عشر للكاتب الإسباني بيتروس الفونسي، التي

ترجم فيها الكثير من قصص «ألف ليلة وليلة» و«Decamerone» في القرن الرابع عشر للكاتب الروائي والمستشرق الإيطالي بوكاشيو وغيرها؛ التي قرأها لسنغ بعد أن قرأ «ألف ليلة وليلة» وتأثر بها.

ويشير أصل حكاية «الخواتم الثلاثة» إلى الحكايات الشرقية التي كانت تُروى بشأن الحوار وعلاقته بالتسامح بين الأديان في البلاط الإسلامي ببغداد، وإلى مفهومها الديني في القرآن حسب الموروث الأدبي الإسلامي والأوروبي ... وعليه فقد تم في نهاية هذا الفصل تقديم تحليل تفصيلي جديد من وجهة نظر إسلامية معاصرة لمسرحية لسنغ الشهيرة «ناتان الحكيم»، التي يشاهدها على خشبة مسرح برشت في برلين فقط أكثر من «خمسة ملايين» شخص سنوياً، أغلبهم من الأكاديميين والطلبة والمختصين في شؤون المسرح، والناس العاديين المولعين بأدب لسنغ والمهتمين بالحوار الحضاري وحوار الأديان.

نتيجة لما تقدم؛ وباعتبار لسنغ أول رائد من رواد حركة التنوير الأوروبية الذي طرح فكرة حوار الأديان والثقافات في مسرحيته «ناتان الحكيم»، وأهمية هذا الحوار في الوقت الحاضر؛ فقد تناول الباب السادس حوار لسنغ مع الإسلام مقترنا بالحوار الحضاري المعاصر بين الغرب والعالم الإسلامي الذي ارتبط بمقولة لسنغ الشهيرة: «ليس التوافق في الآراء، وإنما التوافق في الأعمال الفاضلة، ما يجعل العالم أكثر سلاماً وسعادة»؛ التي جسدها في أعماله الأدبية في القرن الثامن عشر.

يتخلل ذلك عرض نقدي أدبي علمي لأفكار لسنغ التي عرضها في مسرحيته «ناتان الحكيم»، وما تتعرض له هذه الأفكار الداعية للتسامح والحوار الديني والحضاري بين الأمم اليوم من تحريف وتسويق من قبل النقاد ومخرجي المسرحية على خشبة المسرح الألماني بعد أن سُيِسَتْ هذه المسرحية وأُفرِغت من محتواها، خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، واتهام الغرب للإسلام بالإرهاب.

وعليه فقد جاء هذا العمل ليصحح بعض الأفكار والتصورات الخاطئة لدى المواطن الأوروبي عن الإسلام، ويعرض في ذات الوقت حجم التحديات التي تواجه الاعتدال

في العالم الغربي والإسلامي، من أجل الوصول إلى عالم يسوده السلام من خلال الحوار البناء، الذي يعكس روح التسامح للأديان التي أنزلها الله جل جلاله على أنبيائه (عليهم السلام).

الباب الأول

معرفة لسنغ بالحضارة الإسلامية

لكي يكتسب موضوع «لسنغ والعالم العربي الإسلامي» صفة الكمال لا بد في بادئ الأمر أن نلقي نظرة قصيرة على العلاقة التاريخية الجدلية بين الحضارتين الإسلامية والأوروبية؛ التي أثرت بشكل ملفت للنظر على أفكار رائد حركة التنوير الألمانية والأوروبية المعروف في القرن الثامن عشر: الأديب الألماني (غوتهولد أفرام لسنغ)؛ الذي وُلِدَ في مدينة كامنز بألمانيا عام 1729 م، وتربى وترعرع في كنف عائلة دينية دعت على مر تاريخها إلى التسامح بين الأديان، وجاء ذلك على لسان القساوسة جده وأبيه.

درس لسنغ علم اللاهوت والتوراة والإنجيل والطب والفلسفة وعلوم اللغة والأدب والمسرح، وأتقن اللغة الفرنسية إلى جانب اللاتينية، وقرأ ترجمة القرآن الكريم ومؤلفات كثيرة للمستشرقين الألمان والأوروبيين عن التاريخ الإسلامي والعلوم والآداب العربية.

التقى لسنغ وقرأ للكثير من الفلاسفة والمفكرين أمثال فولتير ورايسكه وسيل، ودعا منذ صغره إلى التسامح بين الأديان - اليهودية والمسيحية والإسلام - ومن أبرز مؤلفاته في هذا المجال مسرحيته الشهيرة «ناتان الحكيم» 1779، التي سنتناولها بشكل تفصيلي في هذه الدراسة. وكان من أقرب أصدقائه وأعزهم إلى نفسه المستشرق وأستاذ علم اللغة العربية المعروف (يوهان يعقوب رايسكه) من مدينة لايبزك.

عاش لسنغ فقيراً طوال حياته، وتزوج عام 1776 من السيدة (أيفا كونش) أرملة أحد رجال الأعمال في مدينة هامبورغ؛ التي أنجبت له طفلاً عام 1777، وتُوُفِّيَ بعد 24 ساعة من مجيئه إلى الدنيا، ولم يهنأ به والداه مما أثر كثيراً في نفس أبيه، وآلم أمه التي تُوُفِّيَتْ بعده عام 1778.

عاش لسنغ بعدها وحيداً بين أوراقه وكتبه، وتُوُفِّيَ بعد هذه المأساة بستين عام 1781 في مدينة براونشفايغ لينتقل إلى جوار ربه، ولم يترك وراءه شيئاً سوى ذكره الطيب. لكنه لم يعد

ميتا، إنما بقي خالدا في ضمائر الكثيرين من قراءه ومحبيه، وأمسى حاضرا معهم من خلال نتاجه الأدبي الذي تحتفظ به ذاكرة الأدب والمسرح الألماني بفخر على مدى أكثر من (200) عام. هذا الأدب الذي دعا وما زال يدعو إلى التسامح الإنساني والحوار البناء والتعايش السلمي بين الثقافات والأديان والأمم.

أولا: الإسلام في أدب الاستشراق وأدب حركة التنوير الأوروبية

يعود التأثير الكبير للموروث الثقافي للحضارة الشرقية الإسلامية على الثقافة والحضارة الأوروبية عامة إلى ما بين القرنين الثامن والثاني عشر الميلاديين، وفي المجالات المختلفة كالأدب وعلم الجمال وفن العمارة والعلوم الطبيعية للقرون الوسطى. وفي ضوء هذا التأثير؛ يقول المستشرق وأستاذ اللغة العربية الألماني (يوهان يعقوب رايسكه) - (1716 - 1774) - صاحب لسنغ الحميم، في معرض تعليقه حول تقييم تاريخ الأدب العالمي:

«من يقيم تاريخ الأدب، سيدهشه عدد الرجال الكبير الذين حملوا لنا من الشرق العلوم الأدبية المختلفة في تلك الفترة، حين كانت أوروبا مثلها كمثل ليلة حالكة الظلام، غارقة في التخلف والبربرية، وسيعرف مدى مساهمة كل واحد من هؤلاء الرجال في النهضة الثقافية العالمية، ومن يدرس هذه الثقافة، فإنه يقوم بعمل مبجل نابع من القريحة الإنسانية وشغف الروح الممتع الجميل».²⁰

كان للحروب الصليبية دور كبير ومهم في التقارب الحضاري بين الشرق والغرب؛ الذي أصبح فيما بعد حقيقة لا يمكن العدول عنها أو تجاهلها سواء في الماضي أو الحاضر أو المستقبل. وفي هذا الصياغ يقول الكاتب الألماني (غيرهارد أندرسن): إن الحملات الصليبية عرفت

Johann Jacob Reiske: Prodidagmata ad Hagji Chalifa librum memorialem rerum a (20 Muhammedanis gestarum exhibentia introductionem generalem in historiam sic dictam orientalem [verf. 1747]. In: J. B. Koehler: Abulfedae tabulae Syriae. Lipsiae 1766 S. 239f., auch Endreß: Einführung in die islamische Geschichte. München 1982. S. 13.

يوهان يعقوب رايسكه: «ابو الفداء»، لايبزك 1766، ص 239. وغيرهارد أندرسن: «مقدمة في التأريخ الإسلامي»، ميونخ 1982، ص 13

الأوروبيين «بحضارة عمل الفكر فيها».²¹ وقدم التقارب والتواصل مع المسلمين في إسبانيا وصقليا لأوروبا المسيحية المنسوج الثقافي العربي وإمكانية الاستمرار بدراسة موروثة العلمي القديم».²² فرغم أن أعمال الترجمة في «القرن الحادي عشر الميلادي أثمرت عن دراسات في العلوم الطبيعية والطب والفلسفة»، لكنها لم تقدم من خلال هذا التقارب «الفهم العميق للإسلام وتاريخه».²³ فالضربات الموجعة التي تلقاها الصليبيون على يد القائل صلاح الدين الأيوبي عام 1187 - عند فتح القدس - أيقضت لدى «رجال الكنيسة المتنورين الشعور» بأن «الصراع مع المسلمين يحتاج إلى الاستعداد روحيا من خلال الفهم الدقيق للقرآن».²⁴

وعلى أساس هذا التصور؛ حث الأب (بيتر فون كلوني) - بيترس فينراييليس - بعد أن أعلم بصراع المسلمين والمسيحيين في إسبانيا - على إصدار أول ترجمة للقرآن الكريم باللغة اللاتينية عام 1143 لـ (روبرت فون كيتون)، وأمر - من خلال التصرف بعقلانية واستخدامه لصلاحياته كسلطة عليا - بترجمة عدد من المخطوطات العربية المسيحية الجدلية والتبريرية حول شخصية الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والقرآن الكريم؛ التي كانت في متناول اليد بمدينة توليدو الإسبانية، وأرسل ترجمتها إلى (بيرنهارد فون كلايرفاوكس) في كتابه «مذهب الكفر للمسلمين».

ومن الأعمال المتكاملة للحوار الجدلي الذي «ثبتت فيه مثل هذه المغالطات» حمل عنوان: «الوقاية المسلحة» للإيطالي (ريكولودو دا موني كروسي) من مدينة فلورنس، الذي درس لغة العرب ودينهم في بغداد بما يقارب العام 1290 م، بعدها تُرجمت هذه المخطوطة الجدلية من قبل رجل الدين المعروف (مارتن لوثر) إلى اللغة الألمانية عام 1542.

ورغم ذلك بقيت مصادر المعلومات عن الإسلام شحيحة؛ حيث استُخدمت ترجمة القرآن لـ (روبرت فون كيتون) - التي يحتفظ بها الأب (بيترس فينراييليس) - مرجعا للقرآن

Gerhard Endres: Einführung in die islamische Geschichte, München 1982. S. 14. (21)

(ينظر إلى غير هارد اندرس: «مقدمة في التاريخ الإسلامي»، ميونخ 1982. ص 14.)

Ebd. S. 17. (22) (ينظر إلى المصدر، ص 17.)

Ebd. (23) (ينظر إلى المصدر السابق.)

Ebd. S. 14. (24) (ينظر إلى المصدر السابق، ص 14.)

حتى القرن السابع عشر الميلادي، والنموذج الذي تمت على أساسه ترجمة القرآن إلى اللغات الأوروبية المختلفة، وكذلك لترجمة رحالة الشرق الألماني (سالمون شفاغر) عام 1616، حتى تم استبدالها لأول مرة بترجمة الإيطالي (لودفيكو موراش) ونُذِت عام 1698.²⁵

وكان الرد الحاسم على الافتراءات الغربية بحق الإسلام على لسان (كوسانر الكبير) في مخطوطته الدينية «مطالعة القرآن» (1461) Cribration Alchoran، بقوله: «يجب الدعوة إلى الاحترام وتجنب الجدل الحاد، والكتابة على أساس المطالعة وعرض ما جاء في كتاب محمد، وما افترض في إنجيل المسيح على أنه موجود في هذا الكتاب أيضا، وتأكيد هذا الادعاء من خلال الإنجيل إذا كانت هناك حاجة للاستشهاد به».²⁶

فأزاد الاهتمام بالموروث العربي الإسلامي بعد انسحاب آخر سلطة عربية إسلامية من غرناطة عام 1492، وتشجيع الكنيسة الرومانية على إدانة التواصل مع الكنيسة المسيحية في الشرق الأدنى، وتم إنشاء مطبعة من قبل الكاردينال (فيرديناند فون ميدسي)؛ التي ساهمت ولأول مرة - وللفترة من 1586 - 1610 بطباعة أعمال عربية مهمة في مجلدات وطبوغرافيا عربية جميلة؛ والتي كان من ضمنها مخطوطات دينية لرجال الدين العرب و«موسوعة ابن سينا الطبية» وكتب قواعد اللغة التعليمية وخلاصة من جغرافية «شهادات الإدريسي» للاهتمام العلمي في روح النهضة.

اقتدى بذلك - في حينه وفي الفترات التي تلتها - المستشرقون ورواد حركة التنوير الأوروبية أمثال رايסקه ولسنغ وغوته وفولتير وغيرهم، في فرنسا وهولندا وألمانيا. وأرسل ملك فرنسا (فرانس الأول) عام 1543 أيضا العالم (غويلاوم بوستل) مع بعثة إلى هوهن بفورد أثناء المفاوضات مع تركيا؛ الذي اشترى - لدى تواجده في الشرق - مخطوطات عربية، حيث أنجز مخطوطته حول القواعد الأولى للخط العربي القديم، وأصدر دراسة مثالية بعنوان «جمهورية تركيا».²⁷

(25). Ebd. S. 15. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 15).

(26) Cusaner: Sichtung des Alkoran, I. Buch, übersetzt v. Paul Naumann. Hamburg 1943

(26) S. 83. Ähnlich Endreß 1982. S. 16. (ينظر إلى كوسانر: «رؤية القرآن»، ص 83، واندرس: «مقدمة في التاريخ

الإسلامي» 1982، ص 16).

(27) Gerhard Endres: Einführung in die islamische Geschichte, Munchen 1982. S. 17.

(ينظر إلى غير هارد اندرس: «مقدمة في التاريخ الإسلامي» 1982، ص 17).

واستطاع تلميذه (جوزيف سكاليجير) - (1540 - 1609) - أن يعرض من بعده في دراسة متكاملة وشاملة بعنوان «مرات التعديل» (1583) *emendatione temporum*، الترتيب الزمني الذي يوثق الأحداث التاريخية، استنادا إلى المصادر العربية المستخدمة في الماضي ومراجع الاستشراق والتقويم الإسلامي الهجري.²⁸

وأغنت المخطوطات الإسلامية لـ (بوستل) مكتبة كورفورستن فون بفالز والدراسات العربية الإسلامية في ألمانيا وهولندا. أما (توماس أربنيوس) (1584 - 1624) - أستاذ العلوم الإسلامية في مدينة لايدن - فدرس وترجم «السيرة الذاتية لأبي الفداء»؛ التي قرأها من بعده رايסקه ولسنغ، وكان «تاريخ الفرس» لـ (ميرهواند) - الذي وجده ضمن مجلد باللغة التركية لـ «تاريخ الطبري» - المصدر الرئيسي للتاريخ الإسلامي القديم، الذي كان في متناول يده.

وبتحرير للنص وترجمته إلى اللغة اللاتينية لـ «تاريخ العالم» للقبطي المكين أعطى (أربنيوس) نظرة شاملة حول التاريخ الإسلامي منذ بداياته وحتى زمن الحروب الصليبية مستندا بذلك على مراجع إسلامية أصلية.²⁹ وخلف (أربنيوس) في مجال علوم اللغة والتاريخ الإسلامي المستشرق (يعقوبيوس غوليوس) - (1596 - 1667) - الذي تتلمذ على يده، وألف معجمه في اللغتين العربية واللاتينية سنة 1653؛ الذي عد من المراجع القيمة على مرقنين من الزمن تقريبا، والذي استخدمه لسنغ في بحوثه الإسلامية في القرن الثامن عشر.³⁰ وجلب (غوليوس) معه من الشرق - حسب أندرس - مخطوطات عربية مهمة إلى مدينة لايدن. وأوصى تلميذه (ليفينيوس فارنر) لمكتبة مدينة لايدن بألاف المخطوطات.

يقول (أندرس): «وبذلك أصبحت لايدن قبلة علوم الآداب العربية الأوروبية، وباتت تحتفظ، إلى يومنا هذا، بالكثير من الكنوز».³¹ لفتت الدراسة العلمية للإسلام، ولغته وآدابه

(28) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(29) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(30) Hendrik Birus: Poetische Namensgebung zur Bedeutung der Namen in Lessings «Nathan der Weise». Göttingen 1978. S. 124. (ينظر إلى هندرک بیروس: التسميات الشعرية لمعاني الاسماء

في مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم»، غوتنغن 1978، ص 124.)

(31) Gerhard Endres: Einführung in die islamische Geschichte, München 1982. S. 17.

(غير هارد اندرس: «مقدمة في التاريخ الاسلامي»، ميونخ 1982، ص 17.)

في إطار الإصلاح الديني نظر الباحثين الأوروبيين إلى نص الإنجيل ورواياته الشرقية، في حين بدأ تقييم دراسات اللغة العربية في شرح أصول الكلمات السامية المستخدمة في اللغة العبرية للتوراة القديمة.³²

وأول من حصل على مقعد لدراسة اللغة العربية في جامعة أكسفورد كان رجل الدين (إدوارد بوكوك) - (1604 - 1691) - الذي لم تنج أعماله من نقد لسنغ؛ حيث عُدَّ ما كتبه عن تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام والعقيدة الدينية للإسلام في إصداره «عينة من تاريخ العرب» (1650) *Historiae Specimen Arabum* وتحريره للنص العربي اللاتيني «تاريخ العالم الملخص» 1663 لـ (بارهييرايوس) أفضل ما نُشر، ومن المصادر المهمة التي تحتوي على موجز غني بالمعلومات المهمة عن التاريخ الإسلامي إلى فترة الغزو المغولي لبغداد، وعن الآداب والعلوم الإسلامية المنقولة عن أفضل المؤرخين العرب.³³

وبعد أن تلاشت قوة الإمبراطورية العثمانية في نهاية القرن السابع عشر بدأت أوروبا تتعامل مع الإسلام ببصيرة حية، بعد أن فتحت حركة التنوير في فرنسا الطريق إلى الحوار غير الجدلي مع عالم الشرق.³⁴ وشجع الشغف الأوروبي تجاه القارة الآسيوية بشكل عام على نقل الدراسات الفقهية الإسلامية إلى القارة الباردة. فقد نشر المستشرق الفرنسي (بارتهولوم لـ هيريلوت) - (1625 - 1695) - مؤلفه «مكتبة الشرق» *Bibliothèque orientale* بشكل سري سنة 1697، بعد أن جمع مادتها وترجمها عن مصادر عربية وفارسية وتركية؛ والتي عُدَّت فيما بعد الموسوعة الأولى لتاريخ وثقافة البلدان الإسلامية وللكتاب وأعمالهم الأدبية التي رسمت الطريق لمعالم مرحلة جديدة في علم الاستشراق³⁵، والتي اطلع عليها لسنغ في دراسته للثقافة والتاريخ الإسلامي.

ظهرت بعد هذه الموسوعة بقرنين تقريبا الترجمة الحرة للمجموعة القصصية «ألف ليلة وليلة» للفرنسي (أنطوان جالان) بصياغة ولغة فرنسية؛ والتي تُرجمت في حينها إلى اللغتين

(32) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(33) Ebd. S. 17. (ينظر إلى أندرس 1982، ص 17).

(34) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(35) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

الألمانية والإنجليزية، وقرأها المستشرقون ورواد حركة التنوير الأوروبية من بينهم لسنغ. حيث يقول الكاتب الألماني (فيكه فالتر) في خاتمة كتابه «قصص من ألف ليلة وليلة»، للمترجم (ماكس هنينغ)، الصادر في مدينة لايبزك سنة 1980، ص 333؛ «إن الأدب القصصي الشرقي لـ«ألف ليلة وليلة» أشغف - وبنفس المستوى - الأدباء والقراء الأوروبيين، وكذلك الصغار والكبار؛ الأمر الذي جعل حركة التنوير الأوروبية تنظر إلى الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والإسلام بإيجابية، نعم؛ وباحترام وإجلال».³⁶

وفند المستشرق (أدريانوس ريلاندوس) - الذي عاش في مدينة أولرشت - في مخطوطته «دين محمد» 1705 - والتيقرأها لسنغ - المغالطات القديمة التي أساءت إلى الإسلام. ووضع الحقوقي الإنجليزي (جورج سيل) في كتابه «ترجمة القرآن» 1734 - التي درسها لسنغ أيضا - القاعدة الأساسية الجديدة لدراسة القرآن³⁷ الكريم. وأنجز المستشرق الألماني - وصاحب لسنغ الحميم - في مدينة لايبزك (يوهان يعقوب رايسكه) - الذي أثنى في مقدمة هذا الباب على التاريخ الإسلامي والرسول محمد (صلاة الله عليه) - وبعد جهد جهيد - القاعدة الفقهية لعلم اللغة العربية. ووظف معلمه (ألبرت شولتنس) - في مدينة لايدن - دراسة اللغة العربية في شرح وتفسير الإنجيل.

وبعد أن اقتنع (رايسكه) بدراسة الموروث العربي الإسلامي ولغة القرآن من خلال سنوات دراسته في هولندا استطاع أن يستفيد من كنوز المخطوطات العربية في مكتبة مدينة لايدن في فتح بوابة جديدة لفقه اللغة العربية وتأسيس علم مستقل بها. وتحدث مؤلفاته الكبيرة عن الشعر العربي، والأمثال، والطب، والقوانين والمؤرخين المسلمين. حيث أصدر المجلد الأول لترجمته اللاتينية لـ«تاريخ أبي الفداء»؛ التيقرأها لسنغ أثناء تواجده في لايبزك، وكان التاريخ الإسلامي في زمنه النموذج الأول للتاريخ العام؛ لذلك فقد احتفظ التاريخ العلمي بذاكرة (رايسكه) كشاهد للأدب العربي.³⁸

(36) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(37) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(38) Ebd. S. 20. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 20)

ونتيجة لهذا التأثير؛ بدأت الثورة الأدبية الأوروبية المبكرة في القرون الوسطى التي استفادت منها طبقات اجتماعية محددة؛ حيث قادت - وبشكل مباشر - إلى استغلال وظلم الطبقات الاجتماعية المعدومة من قبل الطبقة الدينية والسياسية الحاكمة في عموم أوروبا، والتي استخدمت الدين منذ القرن الحادي والثاني عشر الميلادي كوسيلة أو حجة لإدامة «صراع الحضارات» بين الغرب والشرق من جهة، وفرض هيمنتها على المجتمع المسيحي من جهة أخرى. مما أدى إلى ظهور حركة روحية فكرية أدبية تُسمى «حركة التنوير» في فرنسا وإنجلترا، وأخيراً ألمانيا؛ حيث وجهت هذه الحركة أفكارها ضد سلطة الكنيسة التي كانت تسيطر على عقول الناس، وعقائدها المتشجعة تجاه الديانات والشعوب الأخرى. وكانت مهمة رواد حركة التنوير الأوروبية - من بينهم لسنغ - ومن خلال الأعمال الأدبية للمسرح الأوروبي الجاد - تنمية العقل والتربية الفكرية، وتوسيع المعرفة، ومحاكاة العقل البشري للوصول إلى طريقة التفكير المنطقية في التصرف، التي تجعل الإنسان يقود نفسه بنفسه في الحياة الدينية والدينية، وبما يوفر له الحياة الحرة الكريمة دون الحاجة إلى الآخرين بعد سن القوانين التي تنظم حياة المجتمع، ودور الفرد فيه، وما له وما عليه.³⁹

أعاد الأديب الألماني لسنغ - ولأول مرة - مبدأ حركة التنوير؛ القاضي بتلقائية الفهم للإنسان إلى ما حدث في القرون الوسطى، وقال عبارة جميلة: «ليرى بعينه من يريد».⁴⁰ وبذلك هيأت حركة التنوير الأرضية المناسبة لاهتمام الأوروبيين غير المنحاز تجاه تاريخ وثقافة البلدان الإسلامية في الوقت الذي كان ينظر إلى الإسلام في أوروبا، وبسبب تأثير المظللين من رجال الدين اليهود والمسيحيين في القرون الوسطى، بأنه نوع من أنواع البدع والزندقة، وإن الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم)؛ الذي جدد ما جاء به إبراهيم

Viktor Žmegač: Kleine Geschichte der deutschen Literatur von den Anfängen bis zur (39 Gegenwart. Wiesbaden 2004. S. 78-98. (ينظر إلى فكتور: «ملخص لتاريخ الأدب الألماني منذ بداياته وإلى

الوقت الحاضر»، فيسبادن 2004، ص 78 - 98).

Hans W. Liepmann: Lessing und die mittelalterliche Philosophie. Studien zur (40 wissenschaftlichen Rezeptions- und Arbeitsweise Lessings und seiner Zeit. Stuttgart

1931. S. 106. (هانس ليبمان: «لسنغ وفلسفة القرون الوسطى»، شتوتغارت 1931، ص 106).

(عليه السلام)؛ ليطم الدين الإسلامي الحنيف ليس بنبي مرسل.⁴¹ ونتيجة لهذا الاتهام اتسمت العلاقة الجدلية بين المسيحية والإسلام منذ قرون بالتهديد والوعيد والصراع الحربي.

لكن الانفتاح الفكري الذي حصل في أوروبا في القرنين السابع والثامن عشر لعب دورا مهما في تخفيف حدة الاحتقان في هذه العلاقة، وأصبح أدب حركة التنوير قضية صريحة لا يمكن تجاوزها، خاصة بعد أن اشترك فيها الفلاسفة والأدباء بهدف تحقيق التربية الشاملة للإنسان، والذين ناقشوا - بشكل مستفيض وصريح في كتاباتهم وإصداراتهم الأسبوعية والشهرية - القضايا الجوهرية للمجتمع الأوروبي.

وبدأ عصر حركة التنوير الأوروبية كفترة أدبية في القرن السابع عشر مع تطور النظم الأدبية الفلسفية للعقلانية والتجريبية. وكان القول المأثور للفيلسوف الفرنسي (رينيه ديكارت) - (1596 - 1650) - «أنا أفكر، إذا أنا موجود» الأساس الذي بنت عليه حركة التنوير أفكارها. ولم تكن حركة التنوير كيانا أدبيا مجردا، إنما تعاملت بقوة، ومن خلال أنصارها من الأدباء والفلاسفة والمفكرين مع الأديان والثقافات الأخرى كالدين والثقافة الإسلامية لتقويم أفكارهم. يقول (فيلهيلم غروسه) عن التأثير المستمر لحركة التنوير على النتاج الأدبي الأوروبي: «إن حركة التنوير لم تنته بنهاية القرن الثامن عشر، وإنما على عكس ذلك، فقد استمرت كسلوك روحي إلى يومنا هذا، إنها الأساس لفكرنا الحديث».⁴²

قام نقاد الأنظمة الدينية والدينيوية المهيمنة على السلطة والمجتمع في أوروبا، من أنصار حركة التنوير، ومن أجل تحقيق أهدافهم من خلال اصطلاح «التقليد أو إعادة إحياء التراث القديم» بإعادة صياغة الأفكار التاريخية والأدبية والفلسفية المؤثرة للمستشرقين

Gerhard Endres: Einführung in die islamische Geschichte, München 1982. S. 14. (41)

(ينظر إلى غير هارد اندرس: «مقدمة في التاريخ الإسلامي»، ميونخ 1982 . ص 14.)

Wilhelm Große: Stundenblätter. Lessings «Nathan» und die Literatur der Aufklärung. (42)

Stuttgart/ München/Düsseldorf/ Leipzig 1996. S. 9. (ينظر إلى فيلهيلم غروسه: «ساعات الصحف.

لسنغ (ناتان الحكيم) وأدب حركة التنوير»، ميونخ 1996، ص 9.)

الإغريق والرومان والأوروبيين من جديد في آدابهم. وكان من بين أبرز هؤلاء الفيلسوف الفرنسي (رينيه فولتير) - (1694 - 1778) - والمؤرخ الفرنسي (فرانكوس لويس كلاوديه مارين) - (1721 - 1809) - والمستشرق الألماني (هيرمان صمويل رايياروس) - (1694 - 1768) - الذي نشر له لسنغ مخطوطات دينية فلسفية بعد وفاته؛ تناول فيها واقع الأديان السماوية الثلاثة: اليهودية والمسيحية والإسلام، وقضية التسامح بينهما. وأعدت جهود هؤلاء الكتاب، ومن بينهم المستشرق الألماني (يوهان يعقوب رايسكره)، التأثير الكبير لثقافة الاستشراق الإسلامية على الفكر الأوروبي المعاصر بعد أن اعتاد الإنسان الأوروبي على حالة الصمت لعقود طويلة، وأرهقته القوانين الداخلية والصيغ في تصرفه، حيث ارتبط الفكر والعمل بالشعائر والطقوس الدينية، وابتعد عن الالتزامات الأساسية للإنسان.⁴³

تُوّج الحراك الفكري لحركة التنوير الأوروبية بقيام الثورة الفرنسية سنة 1789؛ التي كانت تهدف إلى تغيير وجه العالم وروح العلم، حيث أوجدت أنصارا - وبنفس المستوى - للبحث في العلوم الإسلامية - قادرين على إضافة شيئا جديدا على ما أنجزه (رايسكره) في مجال ثقافة الاستشراق لغرض تحقيق هدف حركة التنوير؛ التي شجعت في القرن الثامن عشر على ثقافة التسامح بين الأديان. لذلك كان لمصطلح «التسامح» في مفهوم حركة التنوير أهمية كبيرة لدى لسنغ؛ الذي عمل جاهدا لتجسيده في أعماله الأدبية ومسرحياته الشعرية ومخطوطاته الفلسفية الدينية، حتى أصبح اليوم معيارا للعلاقات الإنسانية والتعايش السلمي في المجتمع الأوروبي.⁴⁴

ثانيا: قضية التسامح ولسنغ «المحمدي» ذو الحادي عشر ربيعا

رُبَّ سائل يسأل، أو يتبادر سؤال إلى أذهان القراء: ما معنى التسامح في زمن لسنغ بشكل عام؟ للحصول على الإجابة الشاملة والمقنعة لهذا السؤال أو التسائل نستطيع أن نقرأ الآتي

(43) Ebd. S. 31. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 31).

(44) Lessings «Nathan der Weise» 1779 (ينظر إلى مسرحية لسنغ: «ناتان الحكيم» 1779).

عن موضوع التسامح في «المعجم العالمي» لـ(تسيدرلس) سنة 1745، ومقارنة ما يعنيه مصطلح «التسامح» هذا في ماضي الإنسانية بأوروبا، وما آل إليه في حاضرها، والذي جاء فيه:

«... لكننا لم نعرف شيئا آخر في مصطلح التسامح سوى أن يبحث المرء عن التعايش السلمي مع الآخرين في الحياة العامة، وليس لأحد أن يجرمه من واجباته في الحق الطبيعي، وأن يفند بكل هدوء الآراء الخاطئة المكتوبة التي تُتلى على المنابر، وهذا يعني أن يجهد المرء نفسه ليعلم الآخرين بعقلانية وتواضع ما هو أفضل...»

إن الأساس للتسامح - وهذا يشمل المظلّل بهم أيضا - يجب أن يُوضّع بكل حب وحنان، وأن يكون الهدف مجردا لتحقيقه بأن يحاول المتسامح مرة ومرات ومن خلال العناية الإلهية إقناع الذين يُضللّ بهم للعدول عن طريق الخطأ، تارة باستخدام الطرق التي جاء بها الإنجيل دون إكراه، وإزالة العقبات عن الطريق لكي يتسع المكان للحقيقة تارة أخرى».⁴⁵

كان هذا مبدأ التسامح في القرن الثامن عشر؛ الذي يستطيع من خلاله أنصار الديانات المختلفة العيش مع بعضهم البعض بسلام، دون تمييز عرقي أو ديني أو طائفي، والذي يعطي صورة مغايرة للصراع القديم الذي جرى بين الطوائف الدينية المسيحية من الكاثوليك والبروتستانت في أوروبا، وللصراعات الطائفية والسياسية التي حدثت مؤخرا، وتحدث اليوم بين الطوائف في العالم العربي والإسلامي لتحقيق - وللأسف الشديد - مآرب سياسية على حساب الدين وأهله ليس إلا.

لكن لسنغ لم ير في تعريف «التسامح» هذا ذاك الكمال في المحتوى أو المصطلح التام في المعنى الذي يستطيع من خلاله الوصف والتعبير عن موقفه تجاه الثقافات الإنسانية الأخرى، ليكمل ما جاء به القساوسة المتسامحون: جده وأبوه؛ ليكون خير خلف لخير سلف، حيث كتب جده القس (تيوفيلوس لسنغ) مخطوطته الشهيرة «دين التسامح» سنة 1669، وسار

Zedlers Universal-Lexicon 1745. Bd. XLIV. S. 1116. Zitiert von Karl S. Guthke: (45 Lessings Horizonte, Grenzen und Grenzenlosigkeit der Toleranz. Göttingen 2003. S. 10.

(ينظر إلى تسيدرلس: «المعجم العالمي» 1745، ص 1116).

على خطى جده أبوه القس (يوهان غوتفريد لسنغ)، الذي كتب أطروحته في مدينة فتنبرغ سنة 1717 حول «التسامح والفضائل».⁴⁶

وكخليفة ووريث لتقاليد جده وأبيه؛ كتب لسنغ - الذي كان يبلغ من العمر ما بين أحد عشر وإثني عشر ربيعاً - أي لم يبلغ الحلم بعد - في الاختبار الذي أجراه للقبول في مدرسة فورستن بمدينة ماينز حول المنظور الديني للتسامح متعدد الأطراف، جاء فيه: «ينبغي أن لا يُلعن المحمديون أيضاً».⁴⁷ بعدها جسد لسنغ أفكاره ومشاعره تجاه الإسلام بتفاصيلها المملة في مخطوطته الدينية الفلسفية «إنقاذ السيد كрдانيوس» 1754، وفي مسرحيته الشهيرة «ناتان الحكيم» 1779؛ لتكون واضحة وبشكل جلي للعيان، بحيث يرى القارئ للنص أو المشاهد للمسرحية وكأن الكاتب يتحدث عن نفسه، ويعبر عما يجول في خاطره.

يجب التسليم هنا بأن لسنغ ظهر في العديد من أعماله النقدية الأدبية والدينية الفلسفية محامياً فذا ومدافعاً بطلاً عن «التسامح» في مجتمع أبعد ما يكون عن هذه اللغة في تلك الفترة؛ لذلك اعتُبر لسنغ المؤسس الأول والمعلم صاحب الخبرة لمدرسة التسامح في القرن الثامن عشر، الذي «توج عمله قبل مماته بمسرحية التسامح» «ناتان الحكيم»⁴⁸ 1779. إن الموقف الشجاع عن مبادئه والخبرة العريضة، التي كان يمتلكها في حقل التسامح، جعلته يحظى باحترام معاصريه من الكتاب والفلاسفة، ومن بينهم الأديب الألماني الكبير (فريدريش شلر)؛ الذي قال بحقه بمناسبة يوم وفاته: «قدسناك قبل مماتك كما نقدر الآلهة».⁴⁹

لم يكن الأديب لسنغ يمتلك من المال أو الدعم ما يمكنه من العيش كسائر الأدباء من أبناء عصره؛ فقد عانى من العازة والفقر في فترة إقامته بمدينة «براونشفايغ» و«فولفنبوتل» الألمانيتين بسبب دفاعه الشجاع وبلا خوف عن الحرية الفكرية، وتبنيه قضية الإنسانية والتسامح؛ حين كتب مسرحيته الشعرية «ناتان الحكيم» التي أراد من خلالها مساواة

(46). Horsch 2004. S. 53. (ينظر إلى هورش 2004، ص 53).

(47) Karl S. Guthke: Lessings Horizonte, Grenzen und Grenzenlosigkeit der Toleranz. Göttingen 2003. S.10. (ينظر إلى كارل غوتكه: «أفق لسنغ، حدود ولا نهائية التسامح»، غوتنغن 2003، ص 10).

(48) Dieter Hildebrandt: Lessing, Biographie einer Emanzipation. München/ Wien 1979. S. 9.

(ينظر إلى ديتر هيلدبراند: «لسنغ، سيرة للتحريير»، ميونخ/ فيينا 1979، ص 9).

(49) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق)

التسامح مع شعار الحرية الذي رُفِع في ألمانيا، ونصه: «يجب أن تكون الحرية بلا حدود».⁵⁰ وطالب بالاحترام المتبادل والاعتراف بالآخر، وبسلوك الانفتاح على الثقافات المختلفة، ونبذ الانغلاق والانطوائية الفكرية؛ حيث ظهر هذا الانفتاح جليا في استعداده للاعتراف بالإنجازات الثقافية والدينية للإسلام والمسلمين، وتعامله بجدية معها.⁵¹

وهنا يطرح الكاتب الألماني وأستاذ الفلسفة التاريخية (فريدريش نيفونر) في مقالته الشهيرة «الإسلام البعيد والمسيحية القريبة - أفكار حول قصة الخواتم للسنع» 2002، مبدأ جديدا؛ يستطيع المرء من خلاله فهم - وبشكل دقيق - المصطلح الإنساني للتسامح الذي حمل لوائه رائد حركة التنوير الأوروبية لسنع، ومفاده: «لا يمكن فهم مصطلح التسامح للسنع دون الاعتراف غير المنحاز بالدين الإسلامي، والذي لا يتم إلا بالخطاب المنبري والحماس للموروث الشرقي».⁵²

لذا فإن «التسامح» في القرن الثامن عشر كان يفهم «أكثر من كونه مصطلحا»، فهو «واجب الغاية منه المساهمة في الحياة العامة»، حسبما يقول الكاتب (هارالد شولتز)، الذي يضيف على ما صرح به بأن قانون التسامح يعني دائما «الصراع المتجدد في المجال الحيوي للتعايش الإنساني لمعرفة المعتقدات الأخرى، والذي يهدف إلى فسخ المجال أمام حرية الأفكار الجديدة»، ويستطرد (شولتز) بقوله، «أن التسامح يعني الحرية المدنية».⁵³

وفي ضوء هذا المفهوم حقق رواد حركة التنوير نتائج ملموسة في حراكهم الثقافي بالعالم الغربي؛ بحيث استند مبدأ التسامح الإنساني لحركة التنوير على قاعدة «مساعدة الآخرين

Herbert Roch (Hg.): Der Junge Lessing. Briefe, Gedichte, Schriften. Berlin 1948. S. (50

112. (ينظر إلى هيربرت روك: «الشباب لسنع، رسائل، قصائد، مخطوطات»، برلين 1948، ص 112).

Silvia Horsch: Vortrag; Lessing, der Islam und die Toleranz, Berlin 29.08.2003. (51

(ينظر إلى المحاضرة التي ألقاها سيلفيا هورش في الجامعة الحرة في برلين عام 2003 حول: «لسنع، الإسلام والتسامح»).

Friedrich Niewohner: Artikel; Der ferne Islam und das nahe Christentum – Gedanken (52

nach Lessings Ringparabel, 2002. (ينظر إلى فريدريش نيفونر: مقال، «الإسلام البعيد والمسيحية القريبة -

أفكار حول قصة الخواتم للسنع» 2002).

Harald Schultze: Lessings Toleranzbegriff. Eine Theologische Studie. Göttingen 1969. S. 12. (53

(ينظر إلى هارالد شولتز: «مصطلح التسامح للسنع. دراسة دينية»، غوتنغن 1969، ص 12).

لتثقيف أنفسهم على الإنسانية»⁵⁴... وعلى أساس هذا الفهم الإنساني لمبدأ التسامح استطاع لسنغ - كرائد من رواد حركة التنوير المعروفين - أن ينتج لعقيدته الدينية والأدبية الفلسفية علاقة وثيقة مع تاريخ الإسلام والمسلمين، والتي وجدها أيضا في أعمال المستشرقين.

هنا أقول؛ يجب علينا كمسلمين أن نستوقف أنفسنا أمام هذه المعاني النبيلة لمصطلح التسامح وما يحمله من مزايا إنسانية لتأمل - ولو قليلا - بماضيها الجميل وحاضرنا المريع لنستخلص العبر، ونعمل متسامحين فيما بيننا من أجل عالم أو مجتمع إسلامي مزدهر؛ تتحقق فيه العدالة والحرية الإنسانية التي أوصى بها الإسلام ورسوله، وتسود فيه المحبة والوئام والتعاون بعد قبول الآخر، ونبتد العنف والتناحر الطائفي والعنصرية المقيتة؛ الذي لا يخلف سوى دمار المجتمعات والأمم وتحلفها الثقافي والحضاري والعلمي كما حصل في أوروبا القديمة ويحصل اليوم في عالمنا الإسلامي، والقضاء على مستقبل الأجيال المتعاقبة، ونصرة أعداء هذه الأمة الإسلامية المجيدة، التي شرفها الله سبحانه بخاتم الأديان والرسول، لتكون قدوة للأمم الأخرى بأخلاقها، التي أكد عليها الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

ثالثا: لسنغ ومراجع الاستشراق

عمل الأديب غوتهولد أفرام لسنغ منذ نعومة أظافره على تحقيق حلم حركة التنوير على المستويين الألماني والأوروبي بعد أن أغنى بإنجازاته الأدبية الرائعة المسرح الشعبي الألماني بالكثير من الأعمال المسرحية؛ التي عاجلت القضايا الدينية والسياسية والاجتماعية المتعلقة بحياة الفرد ورغباته ودوره في الحياة العامة. حيث قادت أبحاثه في العمل الفني الأدبي الفلسفي - التي بُنيت على أساس المذهب التجريبي - إلى تطوير معايير الأحكام لصفة الأدب حين تطابق نشاطه النقدي مع مقاييس الأدب العالمي.⁵⁵

(54). Ebd. S. 44. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 44).

(55) Viktor Žmegač: Kleine Geschichte der deutschen Literatur von den Anfängen bis zur

Gegenwart. Wiesbaden 2004. S. 78-98. (ينظر إلى فكتور: «ملخص لتاريخ الأدب الألماني منذ بداياته إلى

الوقت الحاضر»، فيسبادن 2004، ص 78-98).

يقول الأديب الألماني الكبير (يوهان فولفغانغ غوته) في حديث له مع الكاتب (أكرمان): «أراد لسنغ رفض لقب «عبري»، لكن التأثير المستمر لتناجه الأدبي يشهد ضده بذلك».⁵⁶ ونتيجة لسلوكه العقلاني المتسامح فقد بُجِّل في ذاكرة الثقافات، طالما تناولت نتاجاته الأدبية قضية العدالة الإنسانية في المجتمع الجمعي.

كثيرا ما تمت الإشارة في أدب لسنغ إلى أن «الشهوة هي التي تصنع الظلم».⁵⁷ وهذا الأمر لا ينطبق فقط على تأثير لسنغ الفكري الأدبي داخل المجتمع الألماني، وإنما على الثقافات الأخرى في المحيط الأوروبي والعالمي، بعد أن بحث في القوانين والأفكار المستنيرة للأديان السماوية الثلاثة: اليهودية والمسيحية والإسلام، وعمل على عولمتها إنسجاما مع المبادئ الإنسانية التي جاءت بها حركة التنوير ومبدأ التسامح الذي يبتغيه، وعرضها بشكل حر ومباشر أمام الملأ لغرض التوصل إلى الحقيقة اللاهوتية لهذه الأديان.⁵⁸

ونتيجة للرغبة الكبيرة في تغيير الواقع السياسي الديني للمجتمع الأوروبي بدأت النظرة إلى الإسلام تتغير في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر بعد أن كان يُنظر له كقوة معادية للمسيحية. لذلك بدأ المستشرقون الأوروبيون من جديد بإعادة تقييم الإسلام كواقع ديني وثقافي من ناحية الأهمية التاريخية العالمية. ولعب ظهور علم الاستشراق الأوروبي في تلك الفترة - كعلم مستقل - دورا بارزا في هذا المجال⁵⁹؛ الذي حاول الباحثون من خلاله التحرر من تأثير علم اللاهوت المسيحي في دراساتهم الإسلامية، حيث أبدعت فيه تجمعات ومدارس الاستشراق الأدبية الأوروبية في مدن لايدن وباريس وأوكسفورد ولايزك.

Goethes Gespräch mit Eckermann vom 11. März 1827. (Edward Dvoretzky: Lessing (56 Dokumente zur Wirkungsgeschichte, Bd. I. Göttingen 1971. S. 170). (ينظر إلى حديث غوته

مع أكرمان في 11 آذار 1827.)

Sibylle Bauer (Hg.): Gotthold Ephraim Lessing. Darmstadt 1968. S. 79. (57

(ينظر إلى سيبيله باور: «غوتهولد أفرايم لسنغ»، دارمشتات 1968، ص 79.)

Ludwig Jäger: Gotthold Ephraim Lessing «Nathan der Weise», Salzburg 1984. S. 66ff. (58

(ينظر إلى لودفيش يäger: «غوتهولد أفرايم لسنغ «ناتان الحكيم»، زالتسبورغ 1984، ص 66.)

Karl- Josef Kuschel: Jud, Christ und Muselmann vereinigt – Lessings Nathan der (59

Weise. Düsseldorf 2004. S. 38. (ينظر إلى كوشل: «اليهودي والمسيحي والمسلم متحدون - لسنغ «ناتان

الحكيم».) دوسيلدورف 2004، ص 38.)

واستقى المختصون الأوروبيون بعلم اللغة العربية كـ(سيل) و(رايسكه) أفكارهم من المخطوطات الأصلية للعلماء والكتاب والمؤرخين العرب من أجل إيصال الصورة الحقيقية عن تاريخ الإسلام والمسلمين إلى القارئ الأوروبي؛ الذي أصابه التضليل على مر العصور... وعليه فقد قرأ لسنغ أعمال صفوة المستشرقين الأوروبيين الذين درسوا العلوم الإسلامية بشكل معمق، وقيم محتواها. ومن أهم ما درس لسنغ «ترجمة القرآن» (1734) الحديثة للحقوقي الإنجليزي (جورج سيل) - (1697-1730) - التي استهلها بـ «خطاب تمهيدي» Preliminary Discourse اعتمد في كتابته على المصادر الإسلامية، التي حصل عليها من أعلام العرب بعد أن عاش بينهم فترة طويلة وتعلم لغتهم.⁶⁰

كانت «ترجمة القرآن» لـ (سيل) من الترجمات الموثوق بها بلغة غربية؛ لذلك تُرجمت في الحال إلى اللغتين الهولندية والفرنسية، وبعدها إلى اللغة الألمانية عام 1746، وأصبحت في نظر لسنغ لا تقل أهمية من أعمال المستشرقين (ريلاندر) و(دي هيريلوت)، واعتمدت كمصدر رئيسي من قبل الباحثين لقرن من الزمن في دراسة جميع القضايا المتعلقة بالإسلام والقرآن الكريم؛ حيث أشار (سيل) في مقدمتها إلى المزايا الكثيرة للإسلام منطلقاً من روح التسامح لحركة التنوير الأوروبية.⁶¹ وناقش لسنغ إصدار هذه الترجمة مع عدد من المستشرقين، من بينهم صديقه الحميم (رايسكه)؛ حيث يقول (كوشل): «ما عرفه لسنغ عن القرآن عرفه من سيل».⁶²

وبناء على هذه المعرفة والخبرة الدينية التي اكتسبها قارئ لسنغ بين معجزات الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعجزات السيد المسيح (عليه السلام) بإشارة واضحة إلى الآيات القرآنية في مخطوطته الدينية الفلسفية «إنقاذ السيد كрдانيوس» 1754 بقوله أن

Katharina Mommsen: Goethe und die arabische Welt. Frankfurt am Main 1988. S. (60) 161. (ينظر إلى كاتارينا مومسن: «غوته والعالم العربي». فرانكفورت أم ماين 1988، ص 161).

Katharina Mommsen: Goethe und der Islam. Stuttgart 1964. S. 6. (61) 6. (كاتارينا مومسن: «غوته والإسلام». شتوتغارت 1964، ص 6).

Karl- Josef Kuschel: Jud, Christ und Muselman vereinigt – Lessings Nathan der Weise. Düsseldorf 2004. S. 40. (62) 40. (ينظر إلى كوشل: «اليهودي والمسيحي والمسلم متحدون – لسنغ «ناتان الحكيم»». دوسيلدورف 2004، ص 40).

محمد (صلاة الله عليه) علمنا في قرآنه الطيور الأبايل التي ترمي حجارة من سجيل، وتعبده في غار حراء، وإنه أُسْرِي في الليل من مكة إلى القدس، وأُعْرِج إلى السماء، وانشقاق القمر، وكل ذلك لا يحتاج إلى شهود عيان؛ مشيراً إلى الوصف القرآني الجميل للجنة بقوله أن محمد (سلام الله عليه) وعد بقصور مُشَيَّدة في الجنة جزاء العمل الصالح، وفيها يتزوج المرء من حور العين، يُخَدَّم من غلمان مبجلين، ويأكل اللحم وفاكهة التفاح ويشرب الماء فراتاً عذبا، وينام على فراش من حرير تحت ظلال الأشجار، له جمان منضد وأسرة من حرير.⁶³ وأضاف لسنغ في نقده لـ (كردانيوس) قائلاً:

«يا له من عقل سليم هذا الذي تتم الإساءة إليه؟ وكيف له أن يكون تافها ما جاء ذكره في القرآن؛ إن الله وملائكته يصلون على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ وما ذُكر في القرآن أن الله أعرج به من الأرض إلى السماء ليقسم بالملائكة، الذين سخرهم الله لخدمته».⁶⁴

وبهذا العرض أكد لسنغ وبما لا يقبل الشك بأنه قرأ القرآن ودرسه وتمعن في آياته العظام. وشدد (سيل) في مقدمته لـ «ترجمة القرآن»؛ التي افتتحها بالجميل الآتية على صون العقيدة الإسلامية لوحدة ووحانية الله:

«إن الموعضة العظيمة للقرآن هي وحدانية الله التي كانت الهدف الرئيسي لدعوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتم إحيائها من خلاله كأساس لحقيقة أنه لا يوجد هناك أكثر من دين واقعي واحد، ولن يكون هناك دين آخر بديل عنه».⁶⁵

تركزت دراسة (سيل) على القيمة المعرفية للقرآن؛ التي استطاع المسلمون من خلالها محاججة الآخرين وتفنيد ادعاءاتهم بشكل ملفت للنظر. وكان ذلك دافع لترجمة القرآن في القرون الوسطى.⁶⁶ تقول (هورش) أن (سيل) كان يمتلك السريرة التي جعلته يتناول

(63) Lessing: Rettung des Hier. Cardanus. S. 262. (ينظر إلى لسنغ: «إنقاذ كردانيوس» 1754، ص 262)
(64) Lessing: Rettung des Hier. Cardanus. (ينظر إلى مخطوطة لسنغ الدينية الفلسفية: «إنقاذ السيد كردانيوس» 1754.)

(65) Karl- Josef Kuschel: Jud, Christ und Muselmann vereinigt – Lessings Nathan der Weise. Düsseldorf 2004. S. 40. (ينظر إلى كوشل: «اليهودي والمسيحي والمسلم متحدون – لسنغ «ناتان الحكيم»». دوسيلدورف 2004، ص 40.)

(66) Sale: Der Koran, Vorrede (unpaginiert). (ينظر إلى سيل: «القرآن»، مقدمة غير مرقمة)

في مقدمته الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والإسلام بحيادية وعدالة مطلقة؛ بحيث حمى الإسلام من الاتهام بالوثنية حين انتقد الدراسات الجدلية لبعض المستشرقين الأوروبيين، بقوله:

«إن أول ما جاء به محمد (صلاة الله عليه) هو تعريف العرب الوثنيين بالإله الحقيقي الواحد، وكان متيقنا بأن يرتقي ذلك إلى النبل والتقدير العالي، ذلك لأنني لا أتفق مع ما كتب حديثا بأنه جعل الأمة أن تغير عبادتها للأصنام إلى دين آخر هو أسوأ مما كانوا يعبدون».⁶⁷

وجد لسنغ لدى (سيل) تركيزه العالي على الموعظة المركزية لعقيدة الإله الواحد في الإسلام التي تناولها وأثنى عليها في الكثير من المواضيع في دراسته للقرآن:

«إن محمد (صلى الله عليه وسلم) وخلفاءه أو أصحابه - الذين تحدث عنهم الأورثوذكس - لديهم المفاهيم الدينية الحقيقية والصحيحة - مع الاستثناء المشروط والثابت لرفضهم الشديد لوحدة التثليث - عن الله ورمزه أو صفاته التي دل عليها القرآن ذاته وعلماء الدين المسلمون بشكل لا يقبل اللبس، وإنه لمضيعة للوقت أن أقوم بتفنيد ما يقوله أولئك الذين يدعون بأن إله محمد (صلاة الله عليه) يتميز عن الإله الحقيقي».⁶⁸

وبناء على ما وجدته في مراجع المستشرقين؛ توصل لسنغ - حاله حال غيره من رواد حركة التنوير والمختصين بالتراث الأدبي الشرقي القديم ومن بينهم (غوته) - إلى قناعة تامة بأن الإسلام دين عقلاني تتفق موعظه وأفكاره مع المبدأ العقلاني لحركة التنوير في أوروبا. كما عرف لسنغ أيضا من خلال قراءاته الصورة السيئة - التي رسمتها الكنيسة الأوروبية لتشويه صورة الإسلام - «والتي كان له منذ البدء رأيا مغايرا فيها»⁶⁹، بأن تاريخ المسلمين لا يقل أهمية ويزخر بالعلوم كما هو تاريخ الإغريق والرومان. وبرهن بأن المسلمين لم

(67) Sale: Der Koran. S. 49. auch Horsch 2004. S. 15. (ينظر إلى سيل: «القرآن»، ص 49. وهورش:

«العقلانية والتسامح» 2004، ص 15).

(68) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق)

(69) Karl- Josef Kuschel: Jud, Christ und Muselman vereinigt - Lessings Nathan der Weise. Düsseldorf 2004. S. 36.

(ينظر إلى كوشل: «اليهودي والمسيحي والمسلم متحدون - لسنغ «ناتان الحكيم»». دوسلدورف 2004، ص 36).

يصبحوا معروفين من خلال قيادتهم للحرب، وإنما على أساس قيمهم الأخلاقية التي لعبت دورا كبيرا في تاريخ الإنسانية.

عبر لسنغ عن رأيه بالعرب المسلمين في إحدى مخطوطاته عندما ترجم بنفسه أحد المراجع «تاريخ العرب تحت حكم الخلفاء» في أربع أجزاء أصلية للمؤرخ الفرنسي (أوغير دي مارغني) - توفي سنة 1762 - التي تم الثناء فيها على الإنجازات التاريخية والثقافية للمسلمين؛ حيث طُبع الجزء الأول لترجمة لسنغ، ونُشر عام 1753 من قبل دار النشر (فوس) في برلين وبوتسدام تحت عنوان «تاريخ العرب تحت حكم الخلفاء للأب مارغني» بدون ذكر اسم المترجم.⁷⁰ احتوى هذا الجزء بالإضافة إلى نص الترجمة مقدمة المؤلف، فقد رأى لسنغ في (مارغني) نموذج عمل لـ (جارلس رولين) «من التاريخ الروماني» الذي يخلو من ذكر المزيد من التفاصيل العلمية عن الطبقة الوسطى وجيل الكتاب الشباب.⁷¹

يقول (أرش شمت) بأن (مارغني) اتبع في عمله الأسلوب النقدي التنويري تجاه مؤلفات أدباء الجزيرة العربية التي تناولت الشعر والخيال؛ حيث كان مفعما بالحيوية والنظم بشكل درامي، ويظهر من أول جملة كتبها بأنه وثيق الصلة بحب الواقع.⁷² يقول لسنغ في مقدمته:

«لقد قمت بهذه الترجمة لكي أقرأ عن شعب عظيم، جعلتنا أحكامنا المنحازة لا نعرفه لحد الآن».⁷³

قرأ لسنغ، وترجم كذلك في الجزء الأول من مؤلف (مارغني) تاريخ الرسول محمد (صلاة الله عليه)، والخصال الحميدة للقائد صلاح الدين الأيوبي.⁷⁴ وثبت (مارغني) رأيه في مقدمة عمله، الذي أزال الأحكام المنحازة للغرب ضد العرب، بقوله:

Johan Vasile Pătrăscanu: Lessings Übersetzungen aus dem Französischen. Berlin (70) 1929. S. 14. (ينظر إلى يوهان فازيل باترسكانو: «ترجمة لسنغ من الفرنسية»، برلين 1929، ص 14.)
Erich Schmidt: Lessing. Geschichte seines Lebens und seiner Schriften, Bd. I. Berlin (71) 1884. S. 185. (ينظر إلى أرش شمت: «لسنغ. تأريخ حياته وكتابات»، الجزء الأول، برلين 1884، ص 185.)
Ebd. (72) (ينظر إلى المصدر السابق)
Ebd. S. 185. (73) (أقتبس عن أرش شمت، المصدر السابق، ص 185)
Ebd. (74) (ينظر إلى المصدر السابق)

«لقد أشرت في مقدمة هذا العمل إلى حقيقة أننا كنا مخطئين في نظرنا إلى هذه الشعوب، وأن تسمية البربر التي نسبناها إليهم كانت بفعل تأثير انحيازنا، وسيرى المرء في هذا المؤلف بأننا خدعنا أنفسنا كثيراً».⁷⁵

استطاع لسنغ أن يترجم (300) صفحة فقط من الجزء الثاني لعمل (مارغني)، ونشره لدى دار النشر (فوس) في برلين وبوتسدام سنة 1754. وأعلن لسنغ عن الجزء الأول منه في صحيفة «برلينر بريفييلغيرتن تساتونغ» الصادرة في 15 شباط 1753 بعشرين صفحة استهلها بقوله: «إنها الآن تحت الطباعة، وسيُنشر الجزء الأول منها كاملاً في مكتبة فوس».⁷⁶

وبعد فترة قصيرة كتب لسنغ رأيه النقدي حول الجزء الأول في 31 مايس 1753 بـ (65) صفحة، والتي ضمنها مقارنته بين العرب والإغريق والرومان.⁷⁷ ومن أجل أن يعبر عن إعجابه بتاريخ العرب المسلمين كتب لسنغ ذو الرابعة والعشرين ربيعاً عبارات جميلة بحقهم لم تتعود أوروبا على سماعها من قبل، والتي استخدمها كدعاية ترويج لكتاب (مارغني)، بقوله:

«إذا كان هناك شعب فيه عقول كبيرة تمكنت من أحداث تغييرات عظيمة، فهم العرب في الماضي، وإنه من غير الممكن أن يصلوا بفتوحاتهم إلى هذا المستوى لو لم يكن فيهم ذلك الجندي البطل. ويتوهم من يقول أنهم مجرد بربر، عرفوا بالفضيلة أكثر مما هي عليه في المسيحية، والتي سنقرأ عنها في هذا العمل أمثلة باندهاش ممتع».⁷⁸

(75) Marigny: Geschichte der Araber. Vorrede (unpaginiert). Auch Horsch 2004. S. 22. (ينظر إلى مارغني: «تاريخ العرب» (المقدمة غير مرقمة). كذلك هورش: «العقلانية والتسامح» 2004، ص 22.)
(76) Johan Vasile Pătrăscanu: Lessings Übersetzungen aus dem Französischen. Berlin 1929. S. 14. (ينظر إلى يوهان فازيل باترسكانو: «ترجمة لسنغ من الفرنسية»، برلين 1929، ص 14.)
(77) Ebd. S. 14. (ينظر إلى المصدر السابق)
(78) Gotthold Ephraim Lessing: Werke und Briefe in zwölf Bänden, hrsg. von W. Barner, Bd. II. Frankfurt am Main 1989-2001. Vgl. dazu auch Kuschel 2004. S. 39. (ينظر إلى لسنغ: «أعمال ورسائل في اثني عشر جزءاً»، فرانكفورت أم ماين 1989-2001، الجزء II. وكشل 2004، ص 39.)

أثنى لسنغ في تقييمه الأدبي الديني لـ «تاريخ العرب» للكاتب (مارغني) على العرب بوصفه إياهم بأنهم شعب حي، ورأى بأنهم أصبحوا مشهورين في تاريخ الإنسانية، وهذا من حقهم. ويقول أيضا «إن ما قام به هذا الشعب في فترة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يقارن بالأعمال الحميدة التي قام بها الإغريق والرومان».⁷⁹

ويرى لسنغ بأن العرب وحدهم ممن توصلوا إلى الكثير من المعارف والعلوم، لكن لغتهم كان من الصعب تعلمها، لذلك بقيت أعمالهم بعيدة عن متناول يد الأوروبيين، بقوله: «إن السبب اللطيف في بقائهم خلف الأضواء وما يزال جزء منهم لحد الآن كذلك هو اللغة الرسمية التي كانوا يكتبون بها، والتي كان يجيدها القليل من المتعلمين في أوروبا».⁸⁰ ويعترف لسنغ بأن الأعمال الأدبية والعلمية للعرب تُرجمت من قبل العلماء الأوروبيين إلى اللغات الأوروبية الحية المختلفة، بقوله: «هؤلاء قاموا بترجمة مخطوطات مختلفة إلى لغات التدريس، وكم من الأعمال لم يتم فرزها من قبلهم».⁸¹

لقد أثنى لسنغ بشكل كبير على الجهود التي قام بها (مارغني) في هذا المجال، وقيم ما احتواه عمله، بقوله: «بذل الأب مارغني جهدا لكي يصنع من الأوراق المبعثرة مجلدا، ونجح هذا الجهد في الترجمة القيمة التي قام بها».⁸² وبذلك يطلق الأديب الألماني لسنغ إشارات بأنه درس «الكثير من الغرائب» في عمل (مارغني) الأدبي التاريخي، حيث يقول: «ركز مارغني على فترة حكم الخلفاء، ورغم مرور أكثر من (600) سنة عليها، فقد وجد فيها الكثير من الغرائب، التي لا يُنظر لها على أنها مجرد تاريخ. ويتكون عمله من أربعة أجزاء تم ترجمة ثلاثة منها على أكمل وجه».⁸³

درس لسنغ في الجزء الأول «تاريخ الخلفاء الأربعة في الإسلام» وتعلم اسماءهم كما جاء في النقد الذي كتبه عن مؤلف (مارغني) بقوله: «تتضمن الفترة التاريخية الأولى حكم الخلفاء

(79) Ebd. B3. S. 89. (ينظر إلى المصدر السابق، الجزء 3، ص 89).

(80) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق)

(81) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق)

(82) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق)

(83) Ebd. S. 90. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 90).

الأربعة الأوائل أبو بكر وعمر وعثمان وعلي». ⁸⁴ وعرض في الجزء الثاني من مؤلف (الأب مارغني) «تاريخ العرب تحت حكم الخلفاء» برهان غير قابل للتأويل بأن لسنغ درس تاريخ مايقارب (26) خليفة إسلامي، وتاريخ الشعب العربي والتقويم الإسلامي الهجري، كما جاء في المقدمة التي استهل بها لسنغ ترجمته للجزء الثاني من مؤلف (مارغني)، بقوله: «يبدأ الجزء الثاني بالخليفة الخامس حسن وينتهي بالخليفة السادس والعشرين المأمون، للسنة من 40 إلى 213 هجرية، المصادف 660 إلى 833 ميلادية». ⁸⁵

حيث يؤكد لسنغ في معرض تعليقه أيضا بأنه تعرف على المعطيات العربية الإسلامية القيمة التي كان لها تأثير كبير على أوروبا، بقوله: «سجد المرء في هذا الجزء مجموعة من المعطيات المهمة التي لم يقتصر تأثيرها على الجزيرة العربية فقط، وإنما امتد ليشمل العالم المسيحي بأسره الذي اقترب من الخسارة رويدا رويدا؛ التي عانى منها المسيحيون عند سقوط إمبراطورية القيصر اليوناني». ⁸⁶ وأوضح لسنغ بأنه أعجب كثيرا بتاريخ الخليفتين هارون الرشيد والمأمون، اللذين ازدهرت في فترة حكمهما الثقافة الإسلامية والعلوم الطبيعية بشكل استثنائي؛ حيث بين هذا الازدهار بأن العرب ليسوا شعبا بربريا، بقوله:

«من المؤكد بأنه ليس الأحداث الحربية وحدها جعلت هذه الحقبة التاريخية مدهشة، وإنما اكتسبت بريقها قبل كل شيء من الإنجازات العظيمة التي قام بها آخر خلفائها، خاصة هارون الرشيد والمأمون؛ الذين شجعوا العلوم في بلدانهم وانتزعوا صفة البربرية من شعوبهم... الذين كثيرا ما عملوا على تطبيق أحكام الدين». ⁸⁷

توصل لسنغ إلى القناعة الكاملة بأن تاريخ العرب تحت حكم الخلفاء فتح آفاقا جديدة واسعة إلى مرحلة مهمة جدا للفكر الإنساني، التي قدمت في فترة قصيرة وبنجاح كبير الكثير من العلماء والأبطال، لذلك فإنه ليس هناك ما يمنع من قرائتها بكل مسرة. وشدد

Ebd. (84) (ينظر إلى المصدر السابق)

Gotthold Ephraim Lessing: Gesammelte Werke, in 10 Bänden. Hrsg. v. Paul Rilla, (85 Berlin 1954-1958. Bd. 2. S. 322f. Diese Ausgabe wird abgekürzt mit: Lessing GW. Bd. S.

(ينظر إلى غوتهولد أفرايم لسنغ: «مجموعة أعمال»، الجزء 3، ص 90.)

Ebd. S. 117ff. (86) (ينظر إلى المصدر السابق، ص 117 يتبع.)

Ebd. S. 118. (87) (نظر إلى المصدر السابق، ص 118)

لسنغ على أن الخلفاء المسلمين «الذين أعقبوا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) جالسوا الأدباء وحكماء العالم دون تمييز بين دياناتهم».⁸⁸

أيد الأديب الألماني المعروف (يوهان فولفغانغ غوته) بكل ثقة ما جاء في دراسة لسنغ الدينية الإسلامية. وكان على قناعة بأن الإسلام يعني لسنغ كالحجر الكريم الذي يستخدم لإزالة الصدأ عن المعادن النفيسة، والذي يجب على كل واحد أن يحمله معه وأنه يوجد فينا جميعا شيء من هذه العقيدة، وحسب ما جاء على لسان (نيفونر) يقول (غوته) في تقييمه الديني للإسلام:

«بدأ المحمديون دروسهم في الفلسفة بموعظة مفادها: أنه ليس هناك من شيء في الوجود يعاكس ذاته في القول والفعل؛ وهكذا مارسوا الفكر الحديث الذي حددوا من خلاله واجباتهم في إيجاد المبررات لكل الادعاءات التي يواجهونها والعمل على مناقشتها ببديهية في التفكير ولباقة عالية في الحديث».⁸⁹

ويستطرد (غوته) في قوله أيضا: «ولكن الآن؛ وبعد أن تم تقديم التبريرات لكل جملة طُرحت، يُطرح تساؤل مفاده: أي من الطرفين هو الأصح حقا».⁹⁰ ويضيف قائلا:

«لكنه ليس هناك إصرار في الشك، وإنما يجب أن يستخدم العقل في البحث والتقصي للتقرب من الحقيقة، ويوظف الإثنان في الطريقة الصحيحة للوصول إلى القناعة الكاملة التي تكون الهدف الذي يجد الإنسان فيه سكينته الكاملة. يرى المحمديون بأن هذه الموعظة لا ينقصها شيء، ونحن لا يمكننا الاستمرار مهما استخدمنا من أساليب، ولا يمكن لأحد الاستمرار والنجاح مطلقا».⁹¹

(88) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(89) Niewohner: Artikel 2002. (فريدريش نيفونر: مقال؛ «الإسلام البعيد والمسيحية القريبة - أفكار حول قصة الخواتم لسنغ» 2002).

(90) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(91) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

ولم ينقطع نشاط لسنغ في البحث والتقصي عن الموروث الشرقي الإسلامي حين انتقل إلى بروكسل وعاش فيها للفترة من 1760 إلى 1765، ليعمل هناك سكرتيراً لأحد جرائد مملكة بروكسل. حيث يقول النقاد أن الفضل في تطوير أسلوبه وإغناء معرفته العلمية الأدبية يعود إلى فترة التعلم التي قضاها في بروكسل، مما أهله أن يكون ناقداً ومفكراً على المستوى الأوروبي.⁹² وفي تقييمه لـ «تاريخ العرب» أكد لسنغ بأن المصطلحات المؤشرة من قبله كـ «أصحاب العقول الكبيرة» و «التغيرات العظيمة» و «الفضائل» لها علاقة وثيقة بالإسلام. ونستنتج من ذلك بأن تغيير نمط حياة المجتمع على أساس فكر الدين الإسلامي يعتبر بالنسبة لسنغ تطور تنويري ونهضة حضارية في التاريخ العالمي للشعوب، الذي قدم فيه العرب كشعب الكثير من الأبطال والعلماء.

واستناداً لهذا المفهوم عمل لسنغ على تطوير استراتيجيته الخاصة بالتسامح الديني، فهو لم ينظر إلى العرب كـ «شعب بربري»، وإنما كشعب أغنى الحضارة العالمية بفنونه وعلومه؛ التي امتدت إلى بقاع العالم المختلفة، بحيث وجدت هذه الأفكار قبولاً في التجمعات الثقافية للمثقفين الألمان كتقليد شرقي لحركة التنوير.

أعاد لسنغ تقييمه للإسلام على أساس الأهمية التاريخية العالمية كعامل ديني وثقافي بناءً، بقوله: «منذ سقوط الإمبراطورية الرومانية؛ لم يكن هناك تاريخ لشعب مميز يستحق الذكر بحق، سوى تاريخ رجال العرب المسلمين، وذلك من خلال ملاحظة الرجال العظماء وما عملوا من تغييرات مدهشة في جزء كبير من العالم، وما نتج عنهم من فنون وعلوم، التي اعتُبرت من أجل ما تمتع به شعب خلال قرون، هذا الشعب الذي حكمنا عليه سلفاً بالبربرية».⁹³

Johan Vasile Pătrăscanu: Lessings Übersetzungen aus dem Französischen. Berlin (92

1929. S.18. (ينظر إلى يوهان فازيل باترسكانو: «ترجمة لسنغ من الفرنسية»، برلين 1929، ص 18)

Lessing: Werke. Frühe kritische Schriften, herausgegeben von Herbert G. Gopfert, (93

Bd. 3. München 1972. S. 157. (لسنغ: «أعمال - المخطوطات النقدية القديمة»، نشرت من قبل هيربرت

غيفرت، الجزء 3، ص 157، ميونخ 1972)

وشدد لسنغ أيضا: «وإذا قال المرء بأن العلماء الذين تم ذكرهم في هذا التاريخ «تاريخ العرب» لم ينجزوا شيئا من هذا القبيل، يجب عليه معرفة ما كتبه المستشرقون عن ذلك أمثال بوكوك، غوليوس، بريدواوكس، سيل، أوكلي، غاغنير، هيربيلوت، وريناوت، إلى جانب المخطوطات العربية الأصلية».⁹⁴ حيث أكد لسنغ بهذه السطور بأن تاريخ المسلمين يزخر بذات العناصر الدينية الفلسفية الهادفة، التي تعاملت معها حركة التنوير الغربية في القرن الثامن عشر، والتي وضعت إدراك الإنسان في صميم أهتماماتها.

ومن أجل إغناء خبرته المعرفية عن الإسلام قرأ لسنغ أيضا دراسة للغزالي حول العقيدة الإسلامية في مؤلف (سيمون أوكلي) «تاريخ المسلمين» عام 1718، وحاول في ترجمته لـ (مارغني) أن يجد مواءمة بين علاقات الدولة؛ التي اتسمت بالفضول بين المسلمين، والعلوم الدينية الفلسفية والأدبية لحركة التنوير الأوروبية، بقوله: «يتوهم من يتصورهم انهم مجرد بربر شجعان، لكن الفضيلة ... كانت موجودة بينهم، التي سيقراً عنها المرء بانبهار متع، والتي تُعَبّر بداية لمرحلة مهمة للفكر الإنساني الذي بدأ فجأة ينور الشعوب المناضلة، التي أنجبت في وقت قصير الكثير من العلماء كأبطال، وستكون القراءة عنهم ممتعة».⁹⁵

وقبل أن يضع لسنغ - في الفترة من 1778-1779 - اللمسات الأخيرة على مسرحيته الشعرية «ناتان الحكيم»، التي بدأ مشروعها لأول مرة عام 1750⁹⁶، وعُدّت مؤخرًا نموذجًا أدبيا و«إنجيلا» لحركة التنوير في مجال التسامح⁹⁷، استقى جزءا من أفكاره حول الحضارة الشرقية الإسلامية من موسوعة «مكتبة الشرق» للفرنسي (بارتيلمي دي هيربيلوت) - (1625 - 1695) - التي نُشرت في باريس عام 1797، واستُخدِمت

(94) Ebd. S. 158. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 158).

(95) Ebd. S. 211. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 211).

(96) Friedrich Otto Wilhelm Rohrs: Narrative Strukturen in Lessings Dramen. Eine strukturalistische Studie. Hamburg 1980. S. 333. (ينظر إلى فريدرش فيلهلم رورس: «التركيبة

الماجنة في مسرحيات لسنغ». دراسة للتركيبة. هامبورغ 1980، ص 333).

(97) Hanns W. Eppelsheimer: Handbuch der Weltliteratur - von den Anfängen bis zur Gegenwart. Frankfurt am Main 1960. S.340. (ينظر إلى هانس دبليو إيبيلزهايمر: «مرجع الأدب العالمي

- منذ بداياته وحتى الوقت الحاضر»، فرانكفورت أم ماين 1960، ص 340).

من قبل الباحثين الأوروبيين في ذلك الوقت كمرجع مهم للموسوعات الإسلامية التي صدرت بعدها عن القيم المعرفية للعلوم الإسلامية والشرقية.⁹⁸ حيث يحتوي هذا المؤلف المعجمي الشهير على الأسس القواعدية الأولى للفهم الصحيح والأفضل للإسلام؛ ناقشه لسنغ مرات عديدة مع الأدباء والمستشرقين، وكان على طاولة قراءته عندما كتب في نهاية حياته مسرحيته «ناتان الحكيم».⁹⁹

أكد لسنغ خلال دراسته العلمية الأدبية لأعمال المستشرقين الأوروبيين عن الإسلام، بأن المرء يستطيع أن يجد حقيقة الإسلام في مؤلفات (ريلاند) و(سيل): حيث درس الهولندي (أدريان ريلاند) - (1676-1718) - علوم اللغة العربية والعلوم الإسلامية في جامعة أوترخت، وقارن بين الأفكار العقلانية للإسلام والحقيقة الثابتة للمسيحية المعاصرة. ودون هذه الأفكار في مخطوطته «دين محمد» التي نشرت عام 1705، وترجمت إلى اللغة الألمانية تحت عنوان «كتابان من الدين التركي أو المحمدي»، والذي صُحِّحت فيه - حسب قول رجل علم اللاهوت الألماني (كوشل) - الكثير من الرؤى المظلمة والمغلوبة عن الإسلام، وصدر عام 1717.¹⁰⁰

حيث رسم (ريلاند) على الصفحة الأولى لمؤلفه صورة تعريفية للرسول محمد (صلاة الله عليه) كتب تحتها النص الآتي موضحاً للصورة: «مثلما حاكت الروح الكاذبة الحقيقة، وُضع هذا الكتاب من أجلك بوفاء واختصار».¹⁰¹ وكان على قناعة بأن الإسلام دين توحيدى باق، مقارنة بالعقائد الأخرى، حيث قال:

«يستطيع المرء البحث عن الحقيقة؛ فهي موجودة كما هي. وأعتقد بأن الجهود ستكون جديرة بالشأن، عندما يوقف المرء مسير الأكاذيب، وأن يعرض الدين - الذي انتشر في كل

98 (98) Kuschel 2004. S. 39. (ينظر إلى كوشل: «اليهودي والمسيحي والمسلم متحدون - لسنغ «ناتان الحكيم».

دوسلدورف 2004، ص 39)

99 (99) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

100 (100) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

101 (101) Kuschel 2004. S. 39. (ريلاند: «كتابان من الدين التركي أو المحمدي» المقدمة (غير مرقمة). كوشل

2004، ص 39).

أرجاء العالم - لكل فرد بهذه الصور، وكما يدرس في الجوامع والمدارس الإسلامية، وليس كما صوره الأشخاص المتنفذون قليلو المعرفة من خلال الضبابية التي أضفوها عليه».¹⁰²

وجد لسنغ أيضا معلومات قيمة عن الإسلام لدى صديقه الشخصي الحميم في مدينة لايبزك الألمانية البروفسور (يوهان يعقوب رايسكه) الذي يُعد واحدا من رجال الدين والمستشرقين المشهورين الباحثين في الموروث الديني والأدبي الإسلامي، الذي كان متزوجا من السيدة (أرنستينا كرستينه)، التي كانت تكن الاحترام والتقدير لصديقه لسنغ. سجل (رايسكه) عام 1733 في جامعة لايبزك كطالب شريعة، ودرس إلى جانب العلوم الدينية اللغتين العبرية والعربية. وفي عام 1738 انتقل إلى مدينة لايدن لدراسة المخطوطات العربية الشهيرة التي كانت تحتفظ بها مكتبة جامعة لايدن منذ زمن بعيد. ونتيجة لدراسته الموروث العربي الإسلامي في لايبزك أصبح (رايسكه) أستاذا مساعدا للغة العربية عام 1748 بعد أن درس اللغة العربية في جامعة لايدن لمدة ثمان سنوات، حيث توفرت له الفرصة أثناء فترة الدراسة بأن ينسخ أعدادا كثيرة من المخطوطات العربية، وأصبحت معرفته وخبرته التي استقاها من الموروث العربي الإسلامي في مدينة لايبزك الأساس في دراسة علم اللغة العربية.

وقال بحقه الباحث الألماني (كوشل): «كان رايسكه أول من قال في المانيا بأن تاريخ الإسلام جزء من التاريخ العالمي للإنسانية، وإن الإنجاز الثقافي للعالم الإسلامي ليس أقل من المنجز الغربي».¹⁰³ كتب (رايسكه) عملا علميا شاملا يتألف من إثني عشر جزءا، تحت عنوان: «النصب الرئيسي للآثار اليونانية» *Oratorum graecorum monumenta*، الذي صدر في الفترة من 1770-75، وأصبح المرجع الأساسي لعلم اللاهوت الإغريقي. وألف (رايسكه) أيضا كتابا تحت عنوان: «الخط الأول من تاريخ العرب» *Arabicorum Primae Lineae historiae*، الذي نُشر عام 1847 من قبل (فيرديناند فوستنفلد) أستاذ

(102) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(103) Lessing: Gotthold Ephraim Lessing (1729 bis 1781). Braunschweig 1981. S. 205.

(لسنغ: «غوتهولد افرام لسنغ (1729-1781)». براونشفايغ 1981، ص 205).

اللغة العربية في مدينة غوتنغن الألمانية، حيث عُدت هذه المؤلفات من قبل المختصين «إنجيلا» لعلم اللغة العربية.¹⁰⁴ وبعد أن حرر (فيرديناند فوستنفلد) هذا العمل استهله بمقدمة جاء فيها:

«لا أحد من هولاء الذين كتبوا عن تاريخ العرب قبل الإسلام - يعني هنا التاريخ اليمني الكنعاني الآرامي القديم - سبق رايسكه، إنه الأول الذي كتب هذا التاريخ بانسجام؛ حيث لم تكن ترجمته لكتابه العرب الذين اعتمدتهم مجردة، وإنما كانت غنية بالأيضاحات أيضا، عرض فيها معاناتهم وأقوالهم الماثورة بشكل صريح، وحاول في مواقع كثيرة إيصال الحقيقة بانسجام مدعاة للسرور».¹⁰⁵

وهكذا كتب لسنغ أعماله حول التاريخ العربي الإسلامي متأثرا بأفكار المستشرق الألماني وأستاذ اللغة العربية (رايسكه) وترجمته لعمل المستشرق الفرنسي (فرانسوس أوغير مارغني) «تاريخ العرب تحت حكم الخلفاء» عام 1753. وعمل الأديان لسنغ و(رايسكه) سووية، بحيث كانت هناك علاقة وثيقة بين أعمالهم. وفي الكلمات الآتية، التي استخدمها صديقه لسنغ لمدح التدين والفضائل للرسول محمد (صلاة الله عليه)، أعلن (رايسكه) عام 1747 عن دراسته للتاريخ الإسلامي ومصادره العربية، بقوله:

«يوجد الكثير من العجائب في تاريخ الشرق؛ التي يقف العقل الإنساني عاجزا أمامها. أليس من العجب أن يكتب رجل فقير ك محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مثل هذه القدرة من خلال تدينه وفضائله الأخرى، ويحظى باحترام جزء كبير من سكان الكرة الأرضية بشكل يكاد أن يضاهي محبة الله؟ واستطاع أن يروض ويبنى جنسا متوحشا لا يُقهر من البشر باتباع الأساليب الحميدة دون اللجوء إلى القوة. وأرسى الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) دعائم دين أزاح الدين المسيحي من الشرق، وأسس مملكة من بدايات بسيطة، خضعت لها الكثير من الأقاليم بأقل من نصف قرن، واستطاع أن يضرب الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية وهي في أوج عظمتها.

(104) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق.)

(105) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق.)

ولكن هذا كله - يقول رايسكه - لا يحدث إلا من خلال التقدير العالي، الذي يجب أن يحرك روحنا، التي ملؤها الحب والاحترام لديننا، بمشاعر الخوف والألم في داخلنا».¹⁰⁶

نشرت الدراسة القيمة لـ (رايسكه) عن تاريخ العرب قبل الإسلام والفترة ما بين انبعث السيد المسيح والرسول محمد (صلاة الله عليه) عام 1747، واطلع عليها لسنغ. ترجم لسنغ التاريخ العالمي Abulfedae Annales Moslemici لأبي الفداء، أحد المؤرخين العرب البارزين في القرون الوسطى، ونشر الجزء الأول منه عام 1754. ألف أبو الفداء - (1273 - 1331) - الذي يعود نسبه إلى الأسرة الأيوبية مخطوطة بعنوان «تاريخ الإنسانية المختصر» التي قدم من خلالها دراسة لفترة ما قبل الإسلام حتى عام 1329، حيث عرف المستشرقون الأوروبيون - من بينهم (غاغنير) من أوكسفورد - هذه المخطوطة من مصادر مختلفة، وترجمها المستشرق الألماني (رايسكه) لأول مرة إلى اللغة اللاتينية، وبذلك أصبح التاريخ الإسلامي معروفا للأوربيين أفضل من ذي قبل.¹⁰⁷

وحرر أيضا الشعر العربي وحكم الأمثال العربية، وكتب دراسات حول أعمال المتنبي - (915 - 965) - الذي يعد واحدا من أبرز الأدباء العرب في زمن الخلافة العباسية، بعنوان: «دعائم الفن الأدبي العربي في قصائد الحب والحزن للمتنبي» عام 1765، وكذلك مخطوطته «مشروع مختصر للشعر العربي» عام 1765. وعلى أساس التقييم العلمي الأدبي لمصادر الاستشراق الأوروبية أصبح هذا العمل القيم عن التاريخ العالمي - من وجهة نظر إسلامية - يمثل بالنسبة لرائد حركة التنوير الأوروبية لسنغ الينبوع الذي يرتوي منه. ونتيجة لهذا الإهتمام المنقطع النظير بالثقافة والدين الإسلامي كتب (كوشل) العبارات الآتية حول فهم (رايسكه) العقلاني للإسلام:

Johann Jacob Reiske: Prodidagmata ad Hagji Chalifa librum memorialem rerum a (106 Muhammedanis gestarum exhibentia introductionem generalem in historiam sic dictam orientalem [verf. 1747]. In: J. B. Koehler: Abulfedae tabulae Syriae. Lipsiae 1766 S. 239f., auch Endreß 1982. S. 13. (يوهان يعقوب رايسكه: «أبو الفداء»، لايبزك 1766، ص 239. وغيرهارد اندرس: «مقدمة في التاريخ الإسلامي»، ميونخ 1982، ص 13.)

H. Simon: Johann Jacob Reiske als Begründer der orientalischen Numismatik, in: (107 Klio 58 (1976). S. 211-219. (auch Kuschel 1998. S. 107f). (يوهان يعقوب رايسكه كمؤسس لعلم النميات» 1976، ص 211-219.)

«في الحقيقة؛ لم يترك رايسكه أدنى شك لدى المشككين بالقرآن وشخصية الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يدعوا بأن الإسلام هو مجرد إيمان بالخرافة. إن إهتمام رايسكه بتاريخ العالم لم يكن مجرد تقسيمه إلى نصفين ديني ودنيوي، وإنما أدخل تاريخ الإسلام في صميم التاريخ العالمي».¹⁰⁸

بدأ الاتصال الحقيقي والتوافق على صورة الإسلام بين (رايسكه) ولسنغ عام 1769، وأصبح عميقا حين كتب (رايسكه) إهداء إصداره الثالث إلى لسنغ عام 1771. ونتج عن هذا التعاون زيارة (رايسكه) في هذا العام إلى مدينة فولفنبوتل بدعوة من لسنغ لدراسة وترجمة المخطوطات العربية الموجودة في مكتبة المدينة التي يعمل فيها، حيث أثار ما تضمنته هذه المخطوطات إهتمام لسنغ بتراث الأدب العربي.

وعليه فقد كتب لسنغ بتاريخ 17 ديسمبر 1770 إلى (رايسكه) يدعوه لزيارته مرة أخرى، وعبر لسنغ في هذه الرسالة - وبشكل تلقائي - عن أمنيته في تعلم اللغة العربية قائلا: «نحتفظ بمخطوطات عربية مختلفة، ولا أرى من خلال فهرس الكتب ماذا تحتوي، ولا أستطيع أن أعرف ذلك من أحد سواك».¹⁰⁹ حيث تحققت الزيارة في شهر آب عام 1771، واستمرت أحد عشر يوما؛ استطاع (رايسكه) من خلالها أن يرتب المخطوطات العربية الموجودة في مكتبة لسنغ، ويترجم له بعد ذلك جزءا منها. أكد لسنغ في رسالته المؤرخة في 16 مارس 1772 الموجهة إلى (رايسكه)، بأن (رايسكه) أرسل له مخطوطات عربية قيمة باللغة الألمانية استفاد منها كثيرا في دراسته للإسلام، بقوله: «إن المخطوطات التي أرسلتها لي كانت من الكمال، بحيث لم يصدق عقلي ما تراه عينايا. لذا جعلت الجزء الذي نصحت بقراءته مصدرا لتعلمي».¹¹⁰

Karl-Josef Kuschel: Vom Streit zum Wettstreit der Religionen – Lessing und die Herausforderung des Islam. Düsseldorf 1998. S. 10.108.

(ينظر إلى كارل - جوزيف كوشل: «من جدل إلى تنافس الأديان - لسنغ وتحدي الإسلام» 1998، ص 10، 108).
Gotthold Ephraim Lessing: Gesammelte Werke, Band 9. Hrsg. v. Paul Rilla, Berlin (109

1954-1958. S. 401. (غوتفريد أفرام لسنغ: «مجموعة أعمال»، البند 9، ص 401).

Ebd. S. 530. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 530).

تضمن الجزء الآخر من المخطوطات العربية؛ الذي افتتح بمقدمة كتبها (رايسكه)، نصوص من الأعمال الأدبية والسير الذاتية للأدباء العرب كالمثني - (915 - 965) - وأبي لؤلؤة أحمد، الذي عاش في النصف الأول من القرن الحادي عشر الميلادي. حيث أكد لسنغ اهتمامه ورغبته في قراءة جزء آخر من المخطوطات العربية التي ترجمها (رايسكه) والعمل على تحرير موجز عنها. لذلك كتب في رسالته إلى (رايسكه) مستطردا: «هل يسمح لي أن أكتب موجزا عن الأديب العربي وحسب ما تجود به قريحتي؟ لا أعني عن المقدمة التي كتبتها أنت، وإنما عن الشاعر نفسه؛ حيث تبدو بعض المقتبسات والعبارات متشابهة في كثير من الأحيان».¹¹¹

كتب لسنغ - وكما موجود في مورثه الأدبي - عن حياة الشاعر أبي لؤلؤة أحمد، بقوله: «إنه كان شاعرا عربيا مشهورا، عاش بمدينة مارا في سورية في النصف الأول من القرن الحادي عشر، وفقد ماء وجهه بعد إصابته بمرض الجدري في السنة الثالثة من عمره، ولم يستطع أن يتذكر الألوان التي شاهدها قبل ذلك عدا اللون الأحمر. ورغم ذلك توجد في قصائده صور شعرية لأشياء مرآية لا تخلو من الحقيقة والحياة. قام (غوليوس) بطباعة مقدمات قصائده في مؤلف كتبه تحت عنوان «الشرارة»، الأمر الذي جعل إلقاء الضوء عليها ممكنا في الوقت الحاضر».¹¹²

يبدو أن العمل الأدبي المشترك لرايسكه - لسنغ لاكتشاف المخطوطات العربية في مكتبة مدينة فولفنبوتل وترجمتها قد استمر بجدية وعلى وتيرة واحدة، خاصة بعد أن وضع لسنغ فهرست المخطوطات العربية في المكتبة تحت تصرف (رايسكه) من أجل الحصول على نصوص عربية أخرى مترجمة إلى اللغة الألمانية، مبينا بأن لـ «رايسكه» مؤلفات في مجال التاريخ والأدب منشورة في فهرست المكتبة أيضا، بقوله مخاطبا إياه: «ربما كنت قد وجدت مساهماتكم في مجال التاريخ والأدب ضمن كنوز المكتبة المحلية المعلن عنها في الفهرست. ولكن لا بد من الاعتراف بأنني أعول كثيرا على دعمكم، الذي منه إرسالكم الجزء الأول لي».¹¹³

(111) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(112) Lessing W. Bd. 5. S. 706. (ينظر إلى «أعمال لسنغ»، البند 5، ص 706).

(113) Lessing GW. Bd. 9. S. 530. (غوتفريد فرايم لسنغ: «مجموعة أعمال»، البند 9، ص 530).

بذل (رايسكه) جهودا مضاعفة لمساعدة صديقه لسنغ في الاطلاع على كنوز الأدب العربي إلى حد الاقتناع. ولم يجد لسنغ كلمات شكر يعبر بها عن تقديره العالي وحبه لصديقه (رايسكه) للجهود القيمة التي بذلها لمساعدته في ترجمة النصوص العربية، سوى ما جاء في رسالته التي بعث بها اليه بتاريخ 22/ كانون الثاني 1773، والتي جاء فيها: «ولكن ماذا ينبغي علي أن أقول لكي أعبر عن اعتذاري وتقديري لكم؟ نعم، أعتقد، وكما تعرفون جيدا، بأنني عندما لا أكون مقتنعا بالكلمات، لا أحب أن أنسى مطلقا، بأنه لا يوجد أناس في العالم أعزاء على نفسي، سوى اللذين أقدرهم وأحبهم».¹¹⁴

وشدد لسنغ في رسالته على أن جهود (رايسكه) في ترجمة المخطوطات اليونانية والعربية من مكتبة فولفنبوتل كانت مساهمة أدبية علمية مهمة لتعريف العالم بشيء من الثقافة العربية، بقوله: «واذا كنت تشعر خلافا لما تذكره عن المخطوطات اليونانية أو العربية في مكتبتنا، التي قمت بترجمتها، وهل تستحق ذلك الجهد لإيصالها إلى العالم؟ فمن المفهوم بأنك لم تقم بعمل كهذا لكي تقضي وقت الفراغ، وإنما من أجل إسقاط التكاليف التي يجب أن يدفعها الآخرون للترجمة، والذي استفدت منه لنفسك».¹¹⁵

بعد وفاة (رايسكه) سنة 1774 أهدت أرملته (أرنستينا كرستينا) - (1735 - 1798) - إلى لسنغ موروثه الأدبي من المخطوطات العربية التي وجد فيها لسنغ - حسب (كوشل) - مادة هائلة عن «تحرير أبي الفداء». حيث علق لسنغ على ذلك قائلا:

«عندما نفكر برجال مثل أبا الفداء ورايسكه، نتذكر دائما ذلك الرجل الوحيد الذي استطاع في حقل المعرفة العلمية، وفي أدنى حدود المساعدة، أن يسبق الإنجليز والفرنسيين ويتركهم خلفه مسافة بعيدة، في الوقت الذي كان هؤلاء يسبقون الألمان في هذا المجال! وتذكر أيضا ذلك الرجل الوحيد الذي كان على استعداد للتخلي عن بناء حقل فيه نكران للجميل على قدر المساواة، ويتجه ليعمل في هذا الحقل».¹¹⁶

(114). Ebd. S. 571. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 571).

(115). Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

Lessing: Samtliche Schriften, in 23 Banden, hrsg. v. K. Lachmann u. F. Muckner, (116 Bd. XI, Stuttgart 1886-1924. S. 392. Auch Kuschel 1998. S. 112. Diese Ausgabe wird abgekürzt mit (Lessing SS. Bd. S.). (جميع الكتابات، البند 9، ص 392).

عاشت أرملة (رايسكه) السيدة (أرنستينا) لفترة طويلة في ضاحية قرب مدينة براونشفايغ؛ التي يسكن فيها لسنغ. حيث أن طبيعة العلاقة العائلية الشخصية رايسكه - لسنغ ولدت لديها ميول نحو لسنغ بعد وفاة زوجها، «وكثيراً ما يُقال إنهما تزوجا»،¹¹⁷ بناءً على الرسائل السرية التي كانت تبعث بها (أرنستينا) إلى لسنغ للتعبير عن الألم الذي كان يعتصر قلبها بسبب حبها غير السعيد له،¹¹⁸ ولربما كان هذا الحب من طرفها فقط.

وتعبيراً عن إعجابه الشديد واحترامه لصديقه (رايسكه) كتب لسنغ في رسالته إلى أخيه (تيوفيليوس لسنغ) ما نصه: «ستعرف وأنت تقرأ هذه الرسالة بأن الشاب الذي تُؤفّي في مدينة لايبزك البروفسور رايسكه كان من أعز أصدقائي. وهذه العلاقة جعلته وأرملته أن يورثوني جميع مخطوطاته الموجودة في مكتبة مدينة فولفنبوتل. أنت لا تعرف ما تحتويه هذه المخطوطات من كنوز العلم والمعرفة العربية. ذلك لأنه نسخ بيده سابقاً ما كتبه عشرون من خيرة الأدباء والمؤرخين العرب من مخطوطات كانت موجودة في مكتبة مدينة لايدن، التي ترجم جزءاً منها. وسأقوم بطباعة دليل لها، إذ تسلمت الآن أعمالاً أخرى».¹¹⁹ وكان (رايسكه) قد أثنى أيضاً على صديقه لسنغ في الرسالة التي بعث بها إلى (يوهان آرنولد أبيرت)، بقوله:

«هذا كل ماكتبه لسنغ، فإلى جانب الإتقان والابتكار يتسم بسحر النباهة والظرافة التي لا تُضاهى. فمن الذي يستطيع سواه أن يكون بهذه الأصالة، وهذه السذاجة، وهذه اللغة الألمانية، والكتابة بهذه الروحية، وهذا المرح في كل شيء حتى لو كان واحداً». وأردف قائلاً: «لذلك فإن أعماله الأدبية في مجال تاريخ الأدب ستجعله يصبح أديباً كلاسيكياً، خاصة عندما تسير الأمور في مدينة فولفنبوتل على ما يرام».¹²⁰

Gotthold Ephraim Lessing (1729 bis 1781). Braunschweig 1981. S. 205. (117

(لسنغ: «غوتهولد افرايم لسنغ (1729-1781)». براونشفايغ 1981، ص 205.)

Gotthold Ephraim Lessing (1729 bis 1781). Braunschweig 1981. S. 205. (118 ينظر الى:

غوتهولد افرايم لسنغ (1729-1781)، براونشفايغ 1981، ص 205.)

Kuschel 1998. S. 107f. (119 ينظر إلى كوشل 1998، ص 107.)

Lessing: Gotthold Ephraim Lessing (1729 bis 1781), Ausstellung im Lessinghaus. (120

Braunschweig 1981. S. 206.

(ينظر الى: «غوتهولد افرايم لسنغ (1729-1781)، معرض في بيت لسنغ 1981، ص 206.)

إن هذا العرض المعلوماتي لرحلة الأديب الألماني لسنغ في سفينة الثقافة الشرقية خلال بحر العلوم الأوروبية إلى العالم الإسلامي في القرن الثامن عشر يبين للقارئ بأن لسنغ - وخلال دراسته للأدب العربي الإسلامي - لم يعتمد فقط على إحدى المقالات التاريخية أو المخطوطات الأدبية لهذا المستشرق أو ذاك، وإنما أعتمد - بالإضافة إلى ذلك - على مطالعته الواسعة لأعمال المستشرقين الأوروبيين المختلفة، خاصة حين بدأ سنة 1751 بكتابة مسرحيته الشهيرة «ناتان الحكيم»، ومشاريعه الأدبية الأخرى حول الإسلام كمخطوطته الفلسفية الدينية الأدبية «إنقاذ السيد كردانيوس» Rettung des Hier. Cardanus 1754، ومسرحيته التراجيدية «فاطمة» Fatime-Trauerspiel 1759.

يتضح مما تقدم بأن لسنغ، ككاتب ورجل دين مسيحي، عرض الإسلام كدين عقلائي حقيقي أسوة بالأديان السماوية الأخرى وسط رفض الكنيسة المستميت لهذه الفكرة. إن تقييمه للدين الإسلامي واليهودي بشكل عقلائي أراد منه تحريك المجتمع المسيحي وتحفيزه للتفكير في تغيير الواقع الذي يعيشه آنذاك. وكان الدافع لهذا النهج هو ظهور تيار ديني فلسفي مؤثر يسمى تيار «التوحيد»، الذي من أهدافه توجيه الإنسان إلى الإيمان بالله وعدم الإيمان بالوحي الخاص الذي يدعيه رجال الكنييسة. وبناءً على ذلك يقول لسنغ:

«إن هذا الدين الطبيعي لا يحتاج إلى الوحي، وإنما على الإنسان التفكير بعقلانية بمنعزل عن الآخرين لمعرفة الله، والتعامل بأخلاق حميدة مع الآخرين».¹²¹

لذلك يجب التسليم هنا بأن تيار الموحدين «لعب دوراً تقديمياً حاسماً»¹²² في بلورة أفكار حركة التنوير الأوروبية في القرن الثامن عشر. واستناداً إلى المعرفة العلمية والعملية الواسعة - التي كان يمتلكها رائد حركة التنوير الألماني لسنغ - استطاع أن يصف - وبشكل دقيق - العناصر الفكرية المشتركة للإسلام وحركة التنوير، بحيث عرض الإسلام في كتاباته كدين طبيعي يؤمن بالرسول والكتب السماوية والملائكة، حسب تعبيره. وفهم لسنغ - من

Silvia Horsch: DMK-Vortrag Lessing, der Islam und die Toleranz. Berlin 2003. (121) سيلفيا

هورش محاضرة (2003)

Paul Rilla: Lessing und sein Zeitalter. Munchen 1973. S. 335. (122) (ينظر إلى بول ريللا: «لسنغ

وعصره»، ميونخ 1973، ص 335.)

خلال نتائج النهج الفكري العلمي لحركة التنوير - الثقافة والعلوم؛ التي غالبا ما تكون في تنافس عقلائي مستمر لإبراز الحقيقة الدينية. وفي ضوء ما جاء به الإسلام من تعاليم سماوية كتب لسنغ قائلا:

«نحن نؤمن بأن هناك عقاب وثواب، سيلقيه كل واحد منا في الآخرة على أساس أعماله في الدنيا ... ونحن مؤمنون بهذا الأمر، ولا شيء خلاف ذلك».¹²³

ولم يكن لسنغ المفكر الأوروبي الوحيد الذي رأى في الإسلام دين طبيعي، فهناك الكثير من الأدباء والفلاسفة الذين اعتبروا الإسلام دين عقلائي: فقد قدم الأديب الفرنسي (هنري كومت دي بولانفيلير) - (1722-1658) - دراسة عن حياة الرسول الكريم محمد (عليه الصلاة والسلام) تحت عنوان: «حياة محمد» La vie de Mahomet، التي نُشرت في فرنسا عام 1720، وظهرت لأول مرة في هولندا عام 1730 بعد وفاة الكاتب، بعدها تُرجمت إلى اللغة الألمانية سنة 1768 «في الوقت الذي كان الرسول محمد (صلاة الله عليه) يُمجد ويشن عليه من قبل أدباء وفلاسفة آخرين، بقولهم إنه استطاع أن يصل بمذهب التوحيد من الهند إلى إسبانيا. وبذلك فتحت صورة الإسلام الجديدة مسارا لها في أوروبا»¹²⁴، حسب ما قاله بروفيسور علم اللاهوت الألماني (كارل - جوزيف كوشل).

دون الفيلسوف الفرنسي (فولتير) الأفكار الأساسية التي وردت في كتاب (هنري كومت دي بولانفيلير) «حياة محمد» في مقالته الشهيرة «تاريخ الحروب الصليبية»، التي سلمها مع مخطوطات أخرى له عن الإسلام إلى لسنغ، الذي قام بترجمتها إلى اللغة الألمانية في الفترة من عام 1750-1751. حيث ترجم لسنغ عن (فولتير) ما نصه:

«عندما يكون كتابه (القرآن) سيئا بالنسبة لنا على مر التاريخ، فإنه كان جيدا جدا بالنسبة لهؤلاء الذين عاصروه، وأفضل بالنسبة لدينه. يجب علينا أن نعترف بأنه خلص عموم

(123) Lessing: Rettung des Hier. Cardanus. S. 262. (ينظر إلى لسنغ: «انقاذ السيد كاردانيوس»، ص 262).

(124) Kuschel 1998. S. 85. (ينظر الى: كوشل 1998، ص 85)

القارة الآسوية من الوثنية، وعلم الناس وحدانية الله، وكان يبشر بقوة ضد أولئك الذين كانوا يؤمنون بألهة أخرى غير الله».¹²⁵

ومن أجل إبراز موقف الرسول الكريم محمد (صلاة الله عليه) ورفضه لتجارة الربا، التي كان يمارسها اليهود، ودعوته إلى توزيع الصدقات على المسلمين، ترجم لسنغ عن فولتير الآتي أيضا:

«حرم (محمد) تجارة الربا مع الأجانب، وأمر بقوة بتوزيع الصدقات، وضرورة أداء الصلاة، والإيمان بارادة الله واليوم الآخر، التي تعتبر المحرك الرئيسي للجميع».¹²⁶

والمثال الآخر هو مخطوطة الطبيب الإنجليزي (هنري ستوب) - توفي سنة 1676 - «حساب الصعود والتقدم المحمدي» (An Account of the rise and progress of Mahometanism، التي نُشرت لأول مرة سنة 1911.¹²⁷ حيث قدم فيها شرحا لتعاليم الإسلام، واصفا إياها بالعقلانية وتتفق مع قانون الطبيعة. وفي السنوات 1749، 1750، 1751 كان لسنغ منشغلا في الترجمة للكاتب الفرنسي (تشارلز رولين)، حيث أشار إلى هذا العمل - حسب (يوهان فاسيلي باتراسكانو) - في الرسالة التي بعث بها إلى والده في 2 / تشرين الثاني عام 1750، والتي جاء فيها:

«إن الاستمرار في إصدار الصحيفة المعروفة لحظرتكم وترجمة التاريخ الروماني للكاتب رولين أخذت من وقتي أكثر مما أحب».¹²⁸

ما يخص الإسلام هنا، ترجم لسنغ عن رولين عمله «الذهاب إلى كوفاء، والحاكم الجبان الذي كان قادرا على الدفاع جيدا، قد وافق على طلب من مسلم». وحرر ملخصا لما يحتويه هذا الكتاب.¹²⁹

Lessing: FU. S. 130 (s. Anm. 69). Auch Kuschel 1998. S. 85. (125)

(ينظر إلى: لسنغ «الترجمة الفرنسية»، ص 130، كذلك كوشل 1998، ص 85.)

Ebd. (126) (ينظر إلى المصدر السابق.)

Vgl. Horsch: Vortrag; Lessing, der Islam und die Toleranz. Berlin 2004. S. (127)

سيلفيا هورش: محاضرة «السنغ، الإسلام والتسامح»، برلين 2004، ص 5.)

.Pătrăscanu, Johan Vasile,: Lessing Übersetzungen aus dem Französischen. Berlin 1929S.10 (128)

(ينظر إلى يوهان فازلي باتراسكانو: «ترجمات لسنغ عن الفرنسية»، برلين 1929، ص 10)

Ebd. S. 33 (129). (ينظر إلى المصدر السابق، ص 33.)

وبسبب الأوضاع الدينية والسياسية، التي عانى منها الفلاسفة والكتاب المتنورون في تلك الفترة، لم يستطع أحد أن ينشر الكثير من المخطوطات، التي كانت أفكارها تعبر عن آمال وطموحات الطبقة المثقفة والمتنورة في المجتمع، وتعارض المصالح والتوجهات الدينية والسياسية للكنيسة. ومثال ذلك؛ الصراع الذي نشب بين لسنغ وقس كنيسة هامبورغ (يوهان ميلشيور غوتزه) على خلفية نشر لسنغ لنصوص مختارة من مخطوطات دينية سياسية للمستشرق الألماني (هيرمان صمويل رايماروس) - (1694 - 1768) - من مدينة هامبورغ، التي تناول فيها (رايماروس) الجدل الديني الدائر في القرن الثامن عشر، بقوله: «ما يتجسد في الحق المطلق للإيحاء المسيحي، نقيض للعقل والإيمان الحر».¹³⁰ لذا فإن النظرة الإيجابية للإسلام في تلك الفترة كانت غير مقبولة دينيا واجتماعيا. ولكن رغم كل ذلك فإن لسنغ لم يساو بين الإسلام والتعصب.¹³¹

نستنتج من ذلك، بأن لسنغ لم يعكف فقط على دراسة النصوص التاريخية الشرقية ونصوص القرآن، وإنما اعتمد أيضا - حسب (هورش) - على القراءة المستمرة وتحليل النصوص الفلسفية الإسلامية. وأهم ما ميز ذلك دراسته المكثفة للرواية الفلسفية لأبي بكر بن طفيل «حياة ابن يقضان» في القرن الثالث عشر الميلادي، والتي عُرِفَت بين الأوساط الثقافية الأوروبية بعنوان Philosophus Autodidactus. حيث تم في زمن لسنغ تداول الأفكار الفلسفية لهذه الرواية في حلقات دراسية ثقافية متخصصة في مخطوطة غير منشورة بعنوان: «حول نشأة الدين الموحى» سنة 1763.

كل ذلك كان برهانا لجهود لسنغ البحثية في التراث الأدبي الإسلامي من أجل مشروعه ورسالته الأدبية وتقبله الإيجابي والمنتج للدين والتاريخ الإسلامي، التي جسدها أخيرا في أعماله الأدبية للتعريف بحقيقة الأديان السابوية.¹³²

(130) Vgl. Duffel 1972. S. 87ff. (ينظر إلى دوفيل 1972، ص 87 يتبع.)

(131) Horsch 2004. S. 45ff. (ينظر إلى هورش 2004، ص 45 يتبع.)

(132) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق.)

رابعاً: لسنغ - فولتير والإسلام

عندما انتقل الفيلسوف الفرنسي (فولتير) من باريس لعيش برلين في مطلع الخمسينات من القرن الثامن عشر التقى بالأديب الألماني لسنغ، الذي كان يجيد اللغة الفرنسية بطلاقة، وقامت صداقة بينهما، عمل على أثرها لسنغ مترجماً لـ (فولتير) في البلاط الألماني لمملكة بروسيا. حيث عرف لسنغ من (فولتير) الشيء الكثير عن الإسلام حسب ما عرض ذلك الكاتب (أرش شمت) في مؤلفه «لسنغ - تاريخ حياته ومخطوطاته» 1884، والذي ذكر فيه قائلاً:

«... إنه فولتير، الذي أنجز مزيداً من البحوث التاريخية بالتعاون مع لسنغ والملك فريدريش فون رولين. إنه فولتير، الذي علم لسنغ من وجهة نظر أعلى ما يتعلق بمحمد (صلاة الله عليه) وصلاح الدين. كان لسنغ والملك فريدريش الثاني في ذات الوقت تلاميذ فولتير». ¹³³

وضع (فولتير) - حين أقام في مدينة بوتسدام قرب برلين - اللمسات الأخيرة على عمله «عصر لويس الرابع عشر» Siecle de Louis XIV، في الوقت الذي أنهى به الملك (فريدريش) كتابة مؤلفه «مذكرات براندنبورغ» Memoires de Brandebourg، وعليه فقد عمل لسنغ مترجماً لـ رولين وفولتير، وبقي قريباً من الاثنين، حيث ترجم لـ (فولتير) عدد من المنشورات الموجهة إلى الشعب، كما كان مرافقاً له لفترة طويلة في مقر إقامته بقصر الملك. ¹³⁴

ويذكر أن لسنغ قام، ومنذ ذلك الحين، بوضع اللبنة الأولى لمشروع مسرحيته «ناتان الحكيم»، واقترح الشخصيات الفنية لها - صلاح الدين، ناتان الحكيم، رجل المعبد، التي تمثل ثقافات ومعتقدات دينية مختلفة - الإسلام واليهودية والمسيحية - استناداً إلى المصادر التاريخية والدينية التي حصل عليها. واستمر بالتحضير لهذا المشروع ما يقارب الثلاثين عاماً (1751/2 - 1779)، إلى جانب مشاريعه الأدبية الأخرى.

Erich Schmidt: Lessing. Geschichte seines Lebens und seiner Schriften, Bd. I. Berlin (133

1884. S. 185. (أرش شمت): «لسنغ. تاريخ حياته ومخطوطاته»، البند الأول، برلين 1884، ص 185.

(134) Vgl. Patrascanu 1929. S. 12. (ينظر إلى باتراسكانو 1929، ص 12).

كانت جميع النصوص الأدبية والتاريخية التي ترجمها لسنغ من الفرنسية إلى الألمانية عن (فولتير) قد دُوِّنت في مجلد بعنوان «نصوص تاريخية قصيرة للسيد فولتير» 1752 دون ذكر اسم المترجم.¹³⁵ حيث يحتوي المجلد على ثلاث إلى سبع مقدمات كتبها المترجم لسنغ. وترجم لسنغ عن فولتير أيضا عمله L'Alcoran et de Mohamet und Coab embrasse le Musulmanisme عن القرآن الكريم والرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمين، الذي ذُكر في المجلد الرابع لإصدار الكاتب (جورج كونراد فالتر) بعنوان «أعمال السيد فولتير» 1752.¹³⁶

استطاع لسنغ من خلال أعمال الترجمة أن يثري ثقافته المعرفية بكثير من المعلومات المهمة عن الإسلام، والتي جسدها لاحقا في أعماله الأدبية: فيما يتعلق بالحروب الصليبية وصلاح الدين ترجم لسنغ سنة 1751 مقال لفولتير بعنوان «تاريخ الحروب الصليبية»¹³⁷ إلى اللغة الألمانية عندما عين رئيسا للتحرير في صحيفة «غليرتن آر تيكل» وملحقها «الجديد في عالم الطرافة في صحيفة برلين المتميزة».¹³⁸

يقول الكاتب (باتراسكانو): «كان فولتير الدافع الغير مباشر للسنغ في حقل الترجمة، ويعود الفضل إليه في إيقاض الاهتمام الفكري بالشرق لدى لسنغ».¹³⁹ وبناء على توجيه (فولتير) تسلم لسنغ من سكرتيره الخاص في برلين (ريشير دي لوفان) مقالات ونصوص تاريخية ودينية عن القرآن الكريم والرسول محمد¹⁴⁰ (صلى الله عليه وآله وسلم) لترجمتها إلى اللغة الألمانية. نُشرت ترجمة هذه المقالات الفرنسية لـ (فولتير) سنة 1752 تحت عنوان «نصوص تاريخية قصيرة للسيد فولتير».¹⁴¹

(135) Ebd. S. 12, 23. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 12، 32).

(136) Duffel 1972. S. 78. (ينظر إلى دوفل 1972، ص 78).

(137) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(138) Ludwig Jäger: Gotthold Ephraim Lessing «Nathan der Weise», Salzburg 1984. S. 138

66ff. (ينظر إلى لودفش يغر: غوتهولد افرام لسنغ «ناتان الحكيم»، زالبورغ 1948، ص 66 يتبع).

(139) Patrascanu 1929. S. 14. (ينظر إلى باتراسكانو 1929، ص 14).

(140) Kuschel 1998. S. 84. (ينظر إلى كوشل 1998، ص 84).

(141) Jager 1984. S. 67ff. (ينظر إلى لودفش يغر 1984، ص 67 يتبع).

ورغم أن (فولتير) لم يوضح بشكل تفصيلي في مقالته «تاريخ الحروب الصليبية» ما اقترفه الصليبيون من جرائم بحق المسلمين في حملتهم الدموية الأولى، لكنه أشار إلى صلاح الدين وبعض الأحداث التي جرت خلال الحملات الصليبية التي تلتها¹⁴²، علما بأنه لم يكن منصفاً في جميع كتاباته تجاه الإسلام ورسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذا ما وجده لسنغ خلال ترجمته للنصوص وعلق عليه في مناسبات وكتابات لاحقة.

كان (فولتير) «متناقضاً» في طرح أفكاره للجمهور، خاصة في مسرحيته التراجيدية «محمد» التي نُشرت عام 1741 قبل انتقاله إلى ألمانيا بسبب مطاردة الكنيسة الكاثوليكية له، وفي رسائله ومقالاته، وكذلك في تقييمه للحضارة الشرقية الإسلامية، وخاصة الإسلام والرسول محمد (صلاة الله عليه)، ويمكن القول بأن (فولتير) قدم للقارئ والمشاهد لمسرحياته حججاً متناقضة بشكل غريب:

إن الجريمة التي نسبها للرسول محمد (صلاة الله عليه) في مسرحيته التراجيدية «محمد» لم تكن مُوثَّقة تاريخياً. فمن المؤكد إن فيلسوفاً مثل (فولتير) كان على علم بهذا التناقض، لذا ركز في رسالته إلى الملك فريدريش على هذه النقطة بشكل خاص، بقوله: «لا أحد يستطيع أن يلومني بالقول بأنني كنت متحمساً وألبست محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) جريمة في هذه المسرحية، التي لم يكن قد ارتكبها في حقيقة الأمر».¹⁴³

لذا فإن (فولتير) لم ينجح في عرض صورة متكاملة وبريئة للقارئ والمشاهد الأوروبي عن التراث والثقافة الإسلامية رغم أنه واسع المعرفة في هذا المجال. لذلك فقد أعزا خبراء علم الاستشراق وعلماء الأدب ورجال الدين الأوروبيين الأفكار المسيئة للإسلام التي نشرها (فولتير) في أعماله الأدبية المختلفة إلى نقده المباشر للمسيحية المعاصرة،¹⁴⁴ حسب (كاتارينا

(142) Ebd. S. 79. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 79).

(143) Voltaire – Friedrich der Grosse: Aus dem Briefwechsel, hrsg., vorgestellt u. übersetzt von H. Pleschinski. Zurich 1992. S. 219. Wird abgekürzt mit (Voltaire BW. S.). Auch Kuschel 1998. S. 81. (ينظر إلى فولتير – فريدريش الكبير: «من تبادل الرسائل»، ترجمة بليشينسكي، زيورخ 1992، ص 219. كذلك كوشل 1998، ص 81).

Mommsen, Katharina: Goethe und der Islam. Stuttgart 1964. S. 7. (144)

(ينظر إلى كاتارينا مومسن: «غوته والإسلام»، شتوتغارت 1964، ص 7).

مومسن) الباحثة الألمانية في أدب الاستشراق. وعليه فقد عبر (فولتير) عن موقفه الإيجابي تجاه الإسلام من خلال رائد حركة التنوير الألماني لسنغ عندما سلمه نصوص تاريخية مثل «تاريخ الحروب الصليبية» وأخرى دينية تتحدث بأيجابية عن الإسلام والقرآن الكريم، والتي تمت ترجمتها إلى اللغة الألمانية ونشرها.¹⁴⁵

وعلى عكس ما كتبه (فولتير) في فترة نضوجه الفكري من أعمال عن الإسلام ك«تاريخ الحروب الصليبية» ألف في سني شبابه مسرحيته التراجيدية الشعرية النقدية الدينية «التعصب أو محمد النبي» - تكتب في مراجع الكتب «محمد» - التي عُرضت لأول مرة على خشبة المسرح الفرنسي في باريس عام 1741.

تقول (مومسن) «إن نفور (فولتير) من الأديان كان عائقا للثناء غير المنحاز على شخص الرسول محمد»¹⁴⁶ (صلاة الله عليه) وتضيف أيضا، إن (فولتير) أعتمد في كتابته لهذا العمل المسرحي «محمد» على الصورة السلبية للرسول محمد (صلاة الله عليه) التي كان يروج لها في أوروبا كل من الكتاب (بريدو) و(بايله) في كتاباتهم. ويقول (هانس هاس) في كتابه «صورة محمد في أزمنة متغيرة» بأن الكاتب (فولتير) استخدم «شخصية الرسول العربي كجزء من حملته ضد التعصب الديني والإيمان بالخرافة بشكل عام، وضد الكنيسة الرومانية بشكل خاص».¹⁴⁷

وكتب في مصادر أخرى «بأن كل ما تحتويه المسرحية التراجيدية «محمد» كان موجها ضد الكاثوليكية المسيحية، وضد الدين بشكل عام، كأكاذيب الكهنة والإيمان بالخرافة... فلو كان فولتير قد وجد الجرأة في ذاته، لوجد مادة لمأساته في تاريخنا. يبدو أن في ذلك مخاطرة كبيرة جدا بالنسبة له».¹⁴⁸ ويقول (أريل دوران) في كتابه «عصر فولتير» إن كل ما كان

(145) Vgl. Jager 1984. S. 79. (ينظر إلى يجر 1984، ص 79).

(146) Mommsen, Katharina: Goethe und die arabische Welt. Frankfurt a. M. 1988. S. 163.

(ينظر إلى كاتارينا مومسن: «غوته والعالم العربي»، فرانكفورت أم ماين 1988، ص 163).

(147) Hans Haas: Das Bild Mohammeds im Wandel der Zeiten, Berlin 1916. S. 20. (a).

(1988. S.163). (هانس هاس: «صورة محمد في أزمنة متغيرة»، برلين 1916، ص 20).

(148) Hans Haas 1916. S. 20. Ähnlich J. Minor: Goethes Mahomet. Jena 1907. S. 39f.

und Josef Graul: Goethe Mahomet und Tankred. Berlin 1914. S. 64 und auch Mommsen

1988. S. 163. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 163).

يقصده (فولتير) هو «بالطبع التشهير بالمسيحية».¹⁴⁹ لذلك تم منع عرض المسرحية من قبل الكنيسة ما يقارب العشر سنوات وحتى عام 1751.

بعد أن رأى (فولتير) بأن جهوده في عقد الصلح مع الكنيسة الكاثوليكية قد ذهبت أدراج الرياح، نشر مقالته الشهيرة «تاريخ الحروب الصليبية» مع نصوص أخرى عن القرآن الكريم والرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن تمت ترجمتها من قبل لسنغ إلى اللغة الألمانية، والتي أراد من خلالها أن يعرض للمتلقي الأوروبي صورة أخرى عن الإسلام ورسوله الكريم، وذلك من خلال العرض الإيجابي لشخصية القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي، الذي فتح القدس سنة 1187 ونشر ثقافة التسامح بين المسلمين والمسيحيين، التي أوصى بها الدين الإسلامي الحنيف ورسوله.¹⁵⁰

واستنادا لهذا العرض المختصر عن الفيلسوف الفرنسي (فولتير) نستطيع أن نعرض بعض الاستنتاجات حول «نقده» و«مدحه» للإسلام في إطار رؤية لسنغ لهذا التناقض ونبذه لاحقا للعمل المسرحي التراجيدي الفرنسي جملة وتفصيلا:

يرى لسنغ بأن (فولتير) هاجم الإسلام دون وجه حق، والذي يمثل دين وثقافة الملايين من المسلمين، من خلال الإساءة لشخصية الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بهدف توجيه نقد لاذع ومباشر للمسيحية، التي تعرف جيدا أخلاق رسول السلام وتعاليم دينه الحنيف، معتمدا بذلك على مبدأ الاستعارة الدينية - الأدبية في كتابة مسرحيته التراجيدية «محمد»، ليكون في مأمن من ملاحقة رجالات الكنيسة الكاثوليكية له آنذاك، الذين طاردوه ومنعوا عرض مسرحيته بعد أن اكتشفوا مغزاها المسيء لهم، هذا من ناحية.

ويرى لسنغ، من ناحية أخرى أيضا، بأن (فولتير) امتدح - وبكل إعجاب - في مقالته «تاريخ الحروب الصليبية» القائد المسلم السلطان صلاح الدين الأيوبي، الذي التزم بتعاليم القرآن

(149) S. 721. Ariel Durant: Das Zeitalter Voltaires. Bern und Munchen 1967. (أريل دوران:

«عصر فولتير»، برلين وميونخ 1967، ص 721).

(150) Vgl. Jäger 1984. S. 79ff. (ينظر إلى يäger 1984، ص 79 يتبع).

وسنة الرسول محمد (صلاة الله عليه) خلال حروبه التي خاضها ضد الصليبيين ودوره في حقن الدماء وإرساء روح التسامح بين الشعوب متعددة الديانات وحماية دور العبادة عند فتح القدس، وهذا دليل على إعجابه بالإسلام ورسوله الكريم، حسب ما جاء في مقاله «تاريخ الحروب الصليبية»،¹⁵¹ الذي سنتناوله بالتفصيل في الفصول اللاحقة لهذا الكتاب.

فرغم أن لسنغ كان على قناعة تامة بأن (فولتير) كان يعني المسيحية في نقده للإسلام، لكنه رفض وبشكل قاطع ما جاء في رسالة (فولتير) الموجهة إلى (فريدريش الكبير) في كانون الأول 1740 والتي أساء فيها إلى شخص الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وادعائه بأنه من القومية التركية.¹⁵²

وردا على انتقادات (فولتير) المشوبة بالشك للإسلام قال لسنغ: «كان (فولتير) قد وجد أناسا بين المسلمين ... وأنا أعتقد جازما بأن ... الرجال المسلمين كانوا العلماء الأفاضل في ذلك العصر، ولم يكن هناك رجل حكيم في عصر من العصور، عدا الذي كان في عصر الحروب الصليبية، الذي لم تخلوا كتابات المؤرخين من الإشارة إليه، إن مثل هذا الرجل الحكيم تجسد في شخص السلطان».¹⁵³

لم يتوقف لسنغ عن الانتقاد اللاذع والساخر لمسرحيات التراجيديات الفرنسية، التي تسيء للآخرين دون وجه حق، وخاصة مسرحية (فولتير) «محمد» 1741، بقوله: «أريد أن أقول وبصراحة؛ إن الذي يجب أن يمتلكه الفرنسيون، ولم يمتلكوه لحد هذه اللحظة، هو التراجيديات الحقيقية. ولماذا لم يُحب السيد فولتير الإجابة على هذا السؤال بشكل مقنع، إذا كان يريد البحث في هذا الموضوع فعلا؟»¹⁵⁴

(151) Vgl. Voltaire: Geschichte der Kreuzzuge. (ينظر إلى فولتير: «تاريخ الحروب الصليبية».)

(152) Voltaire BW. S. 219. Auch Kuschel 1998. S. 79.

(ينظر إلى فولتير - فريدريش الكبير: «من تبادل الرسائل»، ترجمة بليشينسكي، زيورخ 1992، ص 219. كذلك كوشل 1998، ص 79.)

(153) Lessing GW. Bd. 2. S. 323. (ينظر إلى لسنغ: «مجموعة أعمال»، البند 2، ص 323.)

(154) Gotthold Ephraim Lessing: Werke, Bd. 4, hrsg. v. Herbert G. Gopfert, Munchen 1970-1979. S. 606. (غوتهولد أفرايم لسنغ: «أعمال»، ميونخ 1970-1979، البند 4، نشر من قبل هيربرت

ج. غوبفرت، ص 606.)

واصل لسنغ دفاعه عن الإسلام من خلال نقده الساخر وهجومه الأدبي اللاذع والمباشر على مشروع (فولتير) المسرحي التراجيدي «محمد»، وأعلن بكل وضوح، كمختص في العلوم المسرحية واحد مؤسسي المسرح الوطني الألماني في مدينة هامبورغ عام 1769¹⁵⁵، بأنه يتعجب لما وصلت اليه التراجيديا الفرنسية من انحطاط في ذلك الوقت، بقوله:

«أعني: الفرنسيون ليس لديهم تراجيديا لحد هذه اللحظة بسبب أنهم يعتقدون ومنذ الأزل بأنهم يعرضون تراجيديا حقيقية في أعمالهم. ونتيجة لهذا الاعتقاد أصبحوا محددين بشيء، بأن لديهم الرؤية الصحيحة لكل الناس. وذلك ليس هدية من الطبيعة؛ وإنما سببه الغرور».¹⁵⁶

وفي ضوء تطلعه في البناء الدرامي المسرحي الرامي إلى أن يكون المسرح العالمي مدرسة لثقافات الشعوب ومنطلقا لتحقيق آمالها وتطلعاتها بعيدا عن التشنج والمبالغة في النقد غير البناء والمبرر، نصح لسنغ الكتاب الألمان بضرورة الابتعاد وعدم نقل تقاليد الأعمال المسرحية لبعض الأدباء الفرنسيين ومن بينهم (فولتير) إلى المسرح الألماني، بقوله:

«بجاول البعض، ومن خلال التراجم المتكررة، أن يعجب بأعمال بعض الفرنسيين. وهذا الإعجاب قاد مسرحنا إلى التماثل، الذي على المرء أن يتجنبه بكل الطرق والوسائل».¹⁵⁷

يقول الكاتب (أما دو بوكر سادجي) «إن معارضة لسنغ، الكاتب المسرحي الألماني المتنور واسع الشهرة العالمية، للأعمال الدرامية الفرنسية الكلاسيكية والتراجيديا (المأساة) كان يعني التبنّي الواعي للمسرح الوطني الألماني الشعبي، الذي تم التأكيد عليه لفترة طويلة من الزمن، وعُدَّ اليوم أيضا كحقيقة معروفة للجميع».¹⁵⁸

Vgl. Jurgen Jacobs: LESSING. Eine Einführung. Munchen und Zurich 1986. S. 77. (155)
Auch Jager 1984. S. 71.

(ينظر إلى يعقوب يورغن: «لسنغ. مقدمة»، ميونخ وزيورخ 1986، ص 77. كذلك يغير 1984، ص 71.)

(156) Lessing W. Bd. 4. S. 606. (لسنغ: «الأعمال» 1970-1979، البند 4، ص 606.)

(157) Amadou Booker Sadjji: Lessing und das französische Theater. Stuttgart 1982. S. 84.

(أما دو بوكر سادجي: «لسنغ والمسرح الفرنسي»، شتوتغارت 1982، ص 84.)

(158) Ebd. S. 95. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 95.)

إن موقف لسنغ الرافض للعمل المسرحي التراجيدي للفيلسوف الفرنسي (فولتير) قاده إلى «الجدال الأدبي» مع (يوهان كرسstof غوتشيد) أحد العلماء وكتاب المسرح الألمان المعاصرين - (1766-1700) - الذي كان يمتدح دائما الفرنسي (فولتير) ويشني على مسرحياته التراجيدية وقيمها بشكل إيجابي، والذي قال بحق (فولتير) ما نصه: «لقد أكسبته مسرحياته التراجيدية شهرة، وبقي يتمتع بهذا الحق الطبيعي إلى آخر عمره».¹⁵⁹

وبناء على هذا القول وجه لسنغ انتقادا لاذعا لـ (غوتشيد) واتهمه بالوقوف ضد الإصلاح الألماني النقي وتجديد المسرح الألماني القديم، وأنه يريد إعادة تنظيم المسرح الألماني حسب نمط التفكير الفرنسي، بقوله: «لا يريد غوتشيد تحسين مسرحنا القديم، كخالق لكل ما هو جديد. وأي جديد هذا؟ إنها الفرنسية، دون التحقق فيما إذا كان المسرح الفرنسي هذا يلائم طريقة التفكير الألمانية، أم لا».¹⁶⁰

ولم يتوقف لسنغ عند هذا الحد من رفضه للمسرحية التراجيدية (المأساة) الفرنسية، وإنما أشار وبصراحة متناهية إلى ذلك أيضا في رسالته الموجهة بتاريخ 18 كانون الثاني 1756 إلى زميله الكاتب (موسس مندلسون)، في الوقت الذي كان لسنغ قد تسلم النصوص الأدبية والدينية والتاريخية التي تتحدث عن الإسلام لـ (فولتير) وترجمها إلى اللغة الألمانية، وكان الأدباء في حينه يتجاذبون أطراف الحديث في جلساتهم حول مسرحية (فولتير) التراجيدية «محمد». قال لسنغ:

«أنا أكره المسرحيات التراجيدية الفرنسية التي لم تجعلني أذرف الدموع يوما، حتى في خواتم فصولها الأخيرة».¹⁶¹

وفي إشارة نقدية إلى مسرحية (فولتير) «محمد» تحدث لسنغ أيضا في رسالته إلى (موسس مندلسون) عن طبيعة الاختيار والصفات التي يجب أن يتصف بها بطل المسرحية التراجيدية، موجهها بذلك نصيحة إلى (فولتير) في مجال العمل المسرحي التراجيدي، بقوله: «... يجب

(159). Sadji 1982. S. 98. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 98).

(160). Ebd. S. 94. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 94).

(161). Ebd. S. 102. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 102).

أن يتصف بطل المسرحية التراجيدية بصفات مواطن الطبقة الوسطى، وأن لا يكون فاسد السلوك في جميع الأحوال».¹⁶²

وأراد لسنغ إلى جانب ذلك أيضا أن يربي ويثقف الإنسان البسيط وينمي طاقاته وتفكيره من خلال المسرح الجاد والفكر العقلاني السليم والشجاعة التي كان يمتلكها في قوله للحقيقة في كل زمان ومكان.¹⁶³

أصر لسنغ كذلك على موقفه الناقد والرافض لدى مناقشة مسرحية (فولتير) التراجيدية «سمير أميس» 1748، مؤكدا على أنه غير مهتم إطلاقا بالأعمال المسرحية التراجيدية الفرنسية، بقوله: «أريد أن أقول فقط، بأنه ليس هناك فرنسي مهيا لكتابة عمل تراجيدي حقيقي ومؤثر... وسيعتريني الخجل إذا تأثرت بذلك».¹⁶⁴ وهذا الإجراء ينطبق على التباين الدرامي للسنغ - غوتشيد حول المسرح الفرنسي، بسبب تأثر (غوتشيد) في بادئ الأمر بالكمال التقني العقلاني للنموذج الدرامي الفرنسي.¹⁶⁵

هذا هو التقسيم الدرامي العلمي للأديب الألماني لسنغ للعرض المسرحي الفرنسي، وبإشارة واضحة وصریحة إلى مسرحية (فولتير) التراجيدية «محمد»، التي كانت لها علاقة وثيقة بالنسبة له في صراعه الديني مع الكنيسة في السنوات الأخيرة من حياته.¹⁶⁶ فالعمل التراجيدي يجب أن يكون ممتلئا بالشفقة والخوف وتنظيف الذات، التي لا نشعر بها نحن أولا، وإنما يشعر بها الممثلون أنفسهم.¹⁶⁷

Lessings Brief an Moses Mendelssohn vom 18. Dezember 1756. Zitiert von Sadji (162 S. 104. 1982. (رسالة لسنغ إلى موسس مندلسون في 18 / 12 / 1756. مقتبس من أمادو بوكر سادجي 1982، ص 104.)

Paul Rilla: Lessing und sein Zeitalter. Munchen 1973. S. 161 (163 (ينظر إلى باول ريللا: «لسنغ وعصره»، ميونخ 1973، ص 161.)

Uwe Otto: Lessings Verhältnis zur französischen Darstellungstheorie. Frankfurt am Main/ Bern 1976. S. 60. (164 (علاقة لسنغ بنظرية التمثيل الفرنسية»، فرانكفورت أم ماين/ بيرن 1976، ص 60.)

Ebd. S. 63. (165 (ينظر إلى المصدر السابق، ص 63.)

Lessing GW. Bd. 2. S. 574. (166 (ينظر إلى لسنغ: «مجموعة أعمال»، البند 2، ص 574.)

Otto 1976. Bd. 154. S. 67. (167 (ينظر إلى أوتو 1976، ص 67.)

استطاع لسنغ بعد ذلك أن يترك بصمة في عالم التأليف والعمل المسرحي التراجيدي والملمهة على خشبة المسرح الألماني، موازية أو تزيد بكثير النقد الذي وجهه للمسرح التراجيدي الفرنسي الذي أساء كثيراً إلى الإسلام، حيث كانت مسرحيته التراجيدية «فاطمة» 1759 ومسرحية التسامح «ناتان الحكيم» 1779 «الرسالة الإنسانية الكبيرة للبشرية»¹⁶⁸ جمعاء، التي أعطى من خلالها التقييم الحقيقي والمنصف للإسلام في عصر يمارس فيه تكميم الأفواه التي تنطق بالحقيقة.

كتب لسنغ أيضاً نقداً بتاريخ 28 تشرين الأول عام 1752 في العدد 129 لـ «صحيفة برلين المتميزة» حول ترجمته لـ (فولتير)؛ لم نستطع الحصول على نسخة منها، لكن الأديب الألماني (أولريكه زيوش) أكد في كتابه «حدود لسنغ» 2005 هذه المعلومة، بقوله: «كان فولتير موضوع سلسلة النقد الجدلي الذي كتبه لسنغ في صحيفة برلين».¹⁶⁹ ويشير (باتراسكانو) إلى إن الكاتب (مايلوس) امتدح أعمال لسنغ الأدبية ونصوصه النقدية في مقاله «لسنغ السيد الحيوي والممتع» الذي صدر في العدد 147 لصحيفة «الأخبار النقدية» بتاريخ 29 تشرين الأول 1751.¹⁷⁰

ويضيف (أولريكه زيوش) على ما قاله سلفاً بأن علاقة لسنغ - فولتير كانت قد ساءت، كما هو معروف، بسبب الجدل الناتج عن سوء الفهم حول عمل (فولتير) «عصر لويس الرابع عشر».¹⁷¹ ويستطرد (زيوش) قائلاً «كتب لسنغ قصيدة استهجانية، بمناسبة قضية فولتير - هيرشل المثيرة، ندد فيها بـ (فولتير) واصفاً إياه بالفرنسي الماكر البارع، والمارق الكبير».¹⁷² وتعلق (هورش) كذلك على خلاف لسنغ - فولتير وعلى ما كتبه الأخير عن الإسلام بقولها:

(168) Lessing GW. Bd. 2. S. 574. (لسنغ: «مجموعة أعمال»، البند 2، ص 574).
(169) Ulrike Zeuch: Lessings Grenzen. Wiesbaden 2005. S. 56. (أولريكه زيوش: «حدود لسنغ»،

فيزبادن 2005، ص 56).

(170) Vgl. Patrascanu 1929. S.14. (ينظر إلى باتراسكانو 1992، ص 14).

(171) Zeuch 2005. S. 57. (أولريكه زيوش 2005، ص 57).

(172) Zeuch 2005. S. 57. (ينظر إلى زيوش 2005، ص 57).

«وهكذا يصبح الإسلام نموذجاً للتطرف؛ الذي يعني لفولتير جميع الأديان المساوية المرتبط بالنضال المركزي «مفردات» حركة التنوير: «الإيمان بالخرافة»، «الحماسة»، و«التعصب». وتعني «الحماسة» هنا حالة الوهم الديني، وتعني أيضاً قوة الخيال المريض المتزايد. قصد فولتير، وقبل كل شيء، بمصطلح «التعصب»، الذي يعني بالنسبة له المرادف لـ «الإيمان بالخرافة»، الظلامية المتخلفة للكنيسة الكاثوليكية».¹⁷³

إن لسنغ - الأديب ورائد حركة التنوير ورجل الدين الألماني وواحد من أشهر أنصار قضية التسامح الإنساني في أوروبا - الذي بحث ولسنين طويلة بين سطور ما كتبه (فولتير) والمستشرقين الأوروبيين للوصول إلى حقيقة الإسلام كدين سماوي منزل، كان يعرف - وبشكل قاطع - الهدف الذي كان يروم الوصول إليه (فولتير)، وهو النقد المباشر والتودد للكنيسة كما أسلفنا.

فقد كتب (زيوش) عن العوامل التي جعلت لسنغ ينجح في نقده ل(فولتير) وكيف استطاع أن يستميل الطبقة الألمانية المثقفة إلى جانبه، بقوله: «استفاد لسنغ في كتابة نصوصه النقدية المبكرة الراسخة في الوعي الجماعي للمعارضة من الرعونة المألوفة وفساد الأخلاق الفرنسي، ومن الفضيلة الألمانية والاحترام الألماني للآخر».¹⁷⁴

وحول طريقته في التفسير والتحليل بعد الاطلاع ورؤية الظواهر الأدبية والدينية والعلمية يقول (باتراسكانو): «لا يعتمد لسنغ في التفسير والتحليل على النظر إلى الأمور فقط، ولا يميل إلى التقييم البصري، وإنما يطل عليها مرة واحدة، ويعالج الفكرة على الفور في الدماغ، ويحررها على الورق».¹⁷⁵

فرغم الانتقادات اللاذعة التي وجهها لسنغ (لفولتير) بشكل خاص والتراجيدية الفرنسية بشكل عام، لكنه كان يعتقد - وهذا رأي الكنيسة والكثير من الكتاب أيضاً - بأن هجوم (فولتير) على شخص الرسول الكريم محمد (صلاة الله عليه) والقرآن الكريم لم يقصد منه

(173) Horsch: Artikel; Lessing, der Islam und die Toleranz. 2004. (ينظر إلى مقال هورش: «لسنغ، الإسلام والتسامح»، 2004.)

(174) Zeuch 2005. S. 56. (ينظر إلى زيوش 2005، ص 56.)

(175) Patrascanu 1929. S.36. (ينظر إلى باتراسكانو 1992، ص 36.)

الإسلام بحد ذاته وإنما المسيحية. فهو يعرف جيدا بأن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) «لم يكن تركي الأصل»¹⁷⁶، كما ادعى (فولتير) في رسالته إلى (فريدريش الكبير) عام 1740.

حيث يقول (هارتموت بوبزن) المؤرخ والمختص بعلم اللغة العربية الألماني في كتابه «محمد» بأن الرسول الكريم (صلاة الله عليه) وُلِدَ في مكة المكرمة؛ التي كانت من المراكز التجارية الشهيرة في صدر الإسلام، ويرجع نسبه إلى إحدى العشائر العربية «بني هاشم»، التي كانت تقطن في الجزيرة العربية آنذاك، ومن هناك بُعثَ رسولا. وعندما أُوحي إليه القرآن آمن به في السر الكثير من الناس، في بداية دعوته الإسلامية، الذين وجدوا في الإسلام الدين العقلاني الطبيعي المستنير، الذي يحفظ كتحريم حقوق وواجبات الإنسان.¹⁷⁷

وتعزيزا لما تم ذكره؛ فقد قرأ لسنخ الكثير من المؤلفات التي كُتبت عن الإسلام وحياته الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ورحلة الإسراء والمعراج، كما ذكرت في المصادر العربية، التي انتشرت في أوروبا بالقرون الوسطى. حيث تقول الألمانية (آنماري شيمل) المختصة في تاريخ الفن الإسلامي وعلم اللغة العربية في مقالها «ندرس الشرق لفهمه، نداء من أجل التقارب» عن هذه المؤلفات ما نصه:

«ذكر العالم الإيطالي أنريكو سيرولي في كتابه «الكوميديا الإلهية» أن المؤلفات التي كتبت حول رحلة الإسراء والمعراج للرسول، المعروفة في المصادر العربية، تم تداولها بكثرة في أوروبا بالقرون الوسطى، والتي تصف كيف إن محمد - صلاة الله عليه - أعرج في رحلة بالغة السرية في الليل إلى السماء ومر بجهم، ورأى كيف يُعذب الملعونين، وتحدث مع الأنبياء في أمور مختلفة».¹⁷⁸

(176) Voltaire BW. S. 219f. Auch Kuschel 1998. S. 79. (ينظر إلى فولتير: «تبادل الرسائل»، ص 219 يتبع. كذلك كوشل 1998، ص 79.)

(177) Vgl. Hartmut Bobzin: Mohammed. Munchen 2000. S. 64ff. und von S. 70-116.

(ينظر إلى هارتموت بوبزن: «محمد» ميونخ 2000، ص 64 يتبع، ومن ص 70-116.)

(178) Annemarie Schimmel: Artikel; Den Orient verstehen lernen, Pladoyer für eine Annäherung. Jena 2001. (آنماري شيمل: مقال؛ «ندرس الشرق لفهمه، نداء من أجل التقارب»، بينا 2001.)

استقى لسنغ هذه المعلومات وأفكاراً أخرى حول الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من أعمال المستشرقين الأوروبيين ومن ترجمة القرآن الكريم للحقوقي الإنجليزي (جورج سيل)، ولهذا فقد اختار مواضيعه الأدبية حول الإسلام بتأنٍ وحكمة حتى يستطيع أن يحقق مبتغاه كرائد متسامح لحركة التنوير. وعد لسنغ ومعاصره من الأدباء والباحثين في مجال الأدب اليوم الافتراءات التي وجهها (فولتير) ضد الإسلام بأنها «جلد للذات»، بمعنى إنها نقد مباشر للمسيحية.¹⁷⁹

وحول الانتقادات التي وُجّهت من قبل النقاد ومؤرخي الأدب الفرنسيين أنفسهم إلى التراجيديا الفرنسية - وخاصة مسرحية (فولتير) «محمد» - يقول الأديب (أما دو بوكر سادجي) في كتابه «لسنغ والمسرح الفرنسي» 1982: «إن النتاج الأدبي لفولتير في هذا المجال لم يكتب له النجاح».¹⁸⁰ وانتقد أيضاً المكانة الأدبية للكوميديا الفرنسية، وكذلك التراجيديا في أدب البلاط الكلاسيكي الفرنسي في القرن الثامن عشر، بقوله: «لكن الكوميديا والتراجيديا الفرنسية في القرن الثامن عشر لم ترتقِ إلى الكوميديا والتراجيديا في أدب البلاط الكلاسيكي».¹⁸¹

وفي نفس السياق يوجه لسنغ، حسب (سادجي)، انتقاده اللاذع والساحر ضد «الذوق» الأدبي لـ (فولتير)، بقوله: «ما يؤثر بفولتير، ويثير إعجابه، حسن مذاقه، الذي يعدّه المذاق الأصلح للناس بجميع أجناسهم وثقافتهم».¹⁸²

(179) Vgl. Mommsen 1964. S. 7. (ينظر إلى كاتارينا مومسن: «غوته والإسلام»، شتوتغارت 1964، ص 7).

(180) Sadji 1982. S. 71. (أما دو بوكر سادجي: «لسنغ والمسرح الفرنسي» 1982، ص 71)

(181) Ebd. S. 72. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 72).

(182) Ebd. S. 77. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 77).

الباب الثاني

الإسلام في أعمال لسنغ الأدبية

تطرق لسنغ في أعماله الأدبية النقدية حول الإسلام إلى ما كتبه المستشرقون الأوروبيون من مؤلفات في القرون الوسطى والمتقدمة؛ التي أساءوا فيها للإسلام ورسوله الكريم محمد (صلاة الله عليه)، معتمداً بذلك على قراءاته وخبرته في الابتكار وتحليل الظواهر الأدبية والدينية، ومن ثم إبداء الرأي بشأنها بحيادية تامة، حيث منحت هذه الحيادية مصداقية كاملة وميزته - بشهادة أقرانه - في الوسط الأدبي والفني والشعبي الألماني والأوروبي على حد سواء.

لذا نود في هذا الباب أن نسلط الضوء على بعض هذه الأعمال النقدية، التي وقف لسنغ من خلالها وقفه الرجل المسلم المؤمن في إندفاعه ودفاعه عن الإسلام، والتي لم تبصر النور، لحد هذه اللحظة، في نتائج الباحثين في الأدب الألماني المعاصر والمختصين في أدب لسنغ وأدبيات حركة التنوير الأوروبية:

أولاً: المخطوطة الأدبية النقدية الدينية الفلسفية «إنقاذ السيد كردانوس»

انهمك لسنغ - الذي ينحدر من عائلة دينية متسامحة - منذ نعومة أظافره في المسائل البحثية عن أصول وحقيقة الأديان السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام، لإيجاد أو ابتكار الوسائل التي تساعد على نبذ العنف والتعصب الديني والمذهبي، وتشجع الانصهار والتعايش السلمي بين مكوناتها، ومن أجل أن تحل محل ثقافة التهديد والوعيد ثقافة التسامح وقبول الآخر.

وتحقيقاً لهذه الرغبة والهدف الإنساني المنشود - الذي آمن به - درس لسنغ - وبشكل تفصيلي ومععمق - أصول الفكر الديني الموحى لليهودية والمسيحية، ومراحل تطوره، وما مر به من تحريف وتأويل على مر التاريخ، لتحقيق مآرب شخصية ودينية ضيقة على

حساب إرادة الإنسان والاعتدال والتسامح، التي أوصى بها الله تعالى في أصول كتبه السماوية المقدسة. وقاده هذا التوجه والبحث في المجال الديني والأدبي إلى دراسة الموروث الأدبي والديني الشرقي، خاصة ما يتعلق بثقافة العرب والدين الإسلامي وحياة الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلاقة ذلك بالصراع الثقافي الديني والسياسي الأزلي بين الغرب والشرق.

وبعد أن أصبح واسع المعرفة بثقافة الشرق المسلم من خلال بحثه المستمر في أمهات المراجع والكتب للمستشرقين الأوروبيين - المنصفين منهم وغير المنصفين - وقراءته لترجمات القرآن الكريم المختلفة، وما كُتِبَ في مقدماتها، نطق لسنغ بأعلى صوته مدافعا عن الإسلام في مخطوطته الشهيرة «إنقاذ السيد كردانيوس» 1754، التي جسدت أفكارها، بعد ما يقارب الثلاثين عاما، في مسرحية التسامح «ناتان الحكيم» 1779، خاصة في حكاية «الخاتم» الأصلي أو «الخواتم» الثلاثة.

يقول (آرنو شيلسون) في كتابه «تاريخ في أفق الإرادة الإلهية - مساهمة غوتهولد أفرام لسنغ في تاريخ اللاهوت» 1974 «إن تركيز لسنغ الواعي على ممثلي الأديان السماوية الثلاثة - اليهودية والمسيحية والإسلام - في مخطوطته «إنقاذ السيد كردانيوس» جعلها تكون أقرب إلى مسرحيته «ناتان الحكيم»، وخاصة حكاية «الخواتم» التي تدور حول حقيقة هذه الأديان»¹⁸³

هاجم الأديب الألماني لسنغ، ذو 25 ربيعا - ولأول مرة بشكل مباشر - النصوص الأدبية الدينية الأوروبية المعادية للإسلام، حين نشر عام 1754 مخطوطته النقدية الفلسفية «إنقاذ السيد كردانيوس» بشأن أحد الفصول الذي ينتقد الإسلام في كتاب بعنوان «حول حدة الذكاء» للأديب الإيطالي (كردانيوس).¹⁸⁴ وتجدر الإشارة إلى أن مخطوطة لسنغ هذه قد

Arno Schilson: Geschichte im Horizont der Vorkehrung - G. E. Lessing Beitrag zu (183 einer Theologie der Geschichte, Bd. 3. Mainz 1974. S. 60. (آرنو شيلسون: «تاريخ في أفق الإرادة

الإلهية - مساهمة غوتهولد أفرام لسنغ في تاريخ اللاهوت»، ماينز 1974، ص 60.)

G. E. Lessing: Samtliche Schriften, in 23 Banden, hrsg. v. Karl Lachmann und (184

Friedrich Muckner. Stuttgart 1886-1924. (abgekürzt mit Lessing: SS.Bd. S. 88-95).

(غوتهولد أفرام لسنغ: «جميع المخطوطات» في 23 مجلد، للنشرين كارل لاختان وفريدريش موكر، شتوتغارت 1886-1924، البند 3، ص 88-95 (إنقاذ السيد كردانيوس)).

صدرت ضمن مجموعة أعماله الأدبية الشعرية والمسرحية في برلين عام 1754، تزامناً مع كتابته لمسرحية «اليهود» 1749. ¹⁸⁵

عاش (كردانيوس) بالقرن السادس عشر وفي الفترة ما بين 1501-1576، وكان من العلماء الإيطاليين المعروفين في مجال الرياضيات والفلسفة والطب وأدب عصر النهضة، ومن الذين أعجب لسنغ بتناجهم الأدبي. وتندور الأحداث في كتابه «حدة الذكاء» حول ثلاثة من المشركين، وهم اليهودي والمسيحي والمسلم. يقول لسنغ بأن (كردانيوس)، الذي أتته سلفاً بالإلحاد لم يكن منصفاً في عمله، ذلك لأنه لم يعرض الإسلام كدين «العقل السليم»، وجعل المسيحي يظهر بصورة الأفضل من الآخرين. ¹⁸⁶

واتهم لسنغ الكاتب الإيطالي (كردانيوس) بأنه لم يكن موفقاً في طريقة عرضه للأحداث خلال مقارنته بين الأديان السماوية الثلاثة لأنه لم يتطرق إلى حقيقة الأديان غير المسيحية، ويعني بذلك اليهودية والإسلام. ¹⁸⁷ يقول (شيلسون) «إن الفصل المثير للجدل في كتاب (كردانيوس) يعرض مشادة كلامية بين عدة شخصيات - وثنية ويهودية ومسيحية ومسلمة - حول مزايا كل دين وأصوله. وهذا النص استوقف لسنغ لعمل تقييم نقدي للمقارنة الدينية الوارد ذكرها هنا». ¹⁸⁸

كذلك يقول (هلموت غوبل)، إن لسنغ كان على قناعة تامة في مخطوطته «إنقاذ السيد كردانيوس»، التي أدان بها الأديب الإيطالي بشدة، «بأن (كردان)، حسب لسنغ، تجرأ في منتصف القرن السادس عشر ليقارن دين المسلمين بهذه الطريقة، وإنه، كمدافع إلى حد ما عن المسيحية، قد أساء فهم الإسلام بوصفه إياه بهذه الصفات». ¹⁸⁹

(185) Kuschel 1998. S. 91. (ينظر إلى كوشل 1998، ص 91).

(186) Vgl. Lessing: Rettung des Hier. Cardanus. S. 262. (ينظر إلى لسنغ: «إنقاذ السيد كردانيوس»، ص 262).

(187) Ebd. S. 250f. (نظر إلى المصدر السابق، ص 250 يتبع).

(188) Schilson 1974. Bd. 3. S. 58. (ينظر إلى أرنو شيلسون 1974، ص 58).

(189) Helmut Gobel (Hg.): Lessings Nathan. Der Autor, der Text, seine Umwelt, seine Folgen. Berlin 1993. S. 25f. (ينظر إلى هلموت غوبل: «لسنغ «ناتان». الكاتب، النص، بيئته، عواقبه»، برلين 1993، ص 25 يتبع).

فبعد أن درس لسنغ العرض المسرحي من جميع جوانبه، والذي قدمه (كردان) للمقارنة بين الأديان، كتب لاحقا عرضا مسرحيا وبصورة مغايرة تماما لما قدمه الأديب الإيطالي. حيث قام بإعادة صياغة الحوار، مشيرا إلى «أن العالم الإيطالي لم يُتَّهم فقط بأنه دافع عن المسيحية بشكل سيء، وإنما لم يكن موفقا بعرضه للإسلام، ويجب على المرء أن يكون عادلا في هذه المقارنة».¹⁹⁰

بالإضافة إلى ذلك فقد أفصح لسنغ في مخطوطته عن الفضائل التي يتحلّى بها شخصا، وناضل وعرض نفسه للمخاطر من أجلها في سبيل نقل المعلومة الصحيحة للمتلقّي. لذلك فإن نظرتة إلى الإسلام باحترام عالٍ هيمنت على عمله الأدبي. ويضيف (غوبل)، «قدم لسنغ لاحقا عملا مسرحيا مفصلا، جعل فيه أحد المحدثين يدافع عن الإسلام».¹⁹¹ ويقصد هنا صلاح الدين الأيوبي في مسرحيته «ناتان الحكيم» 1779.

تجاوز لسنغ في مخطوطته الأولى «الإنقاذ» ما كتبه (كردانيوس) في معجم (بيار بايله)، واعتبرها مكتملة لما بدأ به الأديب الإيطالي، ولكن بتقديم الأدلة والبراهين لما يقول ويدعي، ذلك لأنه تمنى أن يرى شيئا جديدا فيما كتبه (كردانيوس) في القرن السادس عشر، الذي اعتبر إضافة جديدة في الأدب الكلاسيكي الأوروبي، ودونه (بايله) في معجمه النقدي.¹⁹²

تناول لسنغ في مخطوطته النقدية «إنقاذ السيد كردانيوس» الادعاء الديني للمسيحيين بشأن علاقة القرآن بالانجيل، مؤكدا على «إنه من الصعب القول بأن القرآن مستوحى من الانجيل إذا ما قلنا بأن هناك بلدان أخرى، وبجهود قياصرتنا أيضا، كانت قد عرفت الديانة المسيحية وتعلمتها سلفا».¹⁹³

ويؤكد لسنغ في أفكاره المستوحاة من القرآن الكريم، التي جسدها في مخطوطته «الإنقاذ» على رحمة الله للذين يؤمنون به ويعملون لمرضاته، بقوله: «ألم يقول المحدثون بأن الله يرحم

(190) Ebd. S. 26. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 26).

(191) Gobel 1993. S. 26. Vgl. dazu auch Lessing: Nathan der Weise 1779. (ينظر إلى غوبل

1993، ص 26. ولسنغ: «ناتان الحكيم» 1779).

(192) Lessing: Rettung des Hier. Cardanus. S. 248. (لسنغ: «إنقاذ السيد كردانيوس»، ص 248).

(193) Ebd. 254. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 254).

الذين يؤمنون بالمعتقدات الصحيحة، والذي ليس مرجح الآن؟ فكان باستطاعة كрдان ان ينقذ الكثيرين بمساعدة بسيطة جدا، لو لم يتخلى عنهم وأراد تدميرهم طواعية». ¹⁹⁴

وجد لسنغ في القرآن الكريم صورة حياة المسلمين وتقاليدهم، بقوله «أنه لا توجد في دينهم نظرة ضيقة، ويبدو أن الطريقة التي نحاكي بها محمد (صلاة الله عليه) مغايرة تماما للطريقة التي يحاكون بها السيد المسيح. المحمديون يصلون، ويصومون ويتناولون الأطعمة البسيطة، ولا يرتدون الملابس الفاخرة، ويمتنعون عن القتل، والألعاب المسلية، والخيانة الزوجية، ويتجنبون الكفر المشين بالله». ¹⁹⁵

ركز لسنغ في مخطوطته الدينية الفلسفية «إنقاذ السيد كрдانيوس» على المقارنة بين الأديان التي طرحها الأديب الإيطالي (كردانيوس) في القرن السادس عشر، حيث يرى لسنغ، بأنه على المرء أن يقارن معتقده بالمعتقدات الأخرى بدون تحيز لغرض الوصول إلى الحقيقة الدينية لكل المعتقدات، بقوله: «لا يمكن للمرء القول، بأن البحث عن حقيقة دينه كافية فعلا، وأنه ليس من الضروري أيضا البحث عن خصائص الألوهية في أديان أخرى، والتي تم اكتشافها في هذا الدين». ¹⁹⁶

وبناء على هذا المفهوم، يضيف لسنغ؛ فإن المرء ليس بحاجة إلى الاعتماد على هذا المثال، «ولا يحتاج أن يسلك الطريق الخطأ، بمجرد أن يعرف الطريق الصحيح». ¹⁹⁷ ويستطرد لسنغ بقوله: «لكن المرء لا يتعلم هذه من خلال تلك، وإنما يعرف تلك من خلال هذه». ¹⁹⁸

وفي إطار هذا التحليل العلمي الفلسفي يسمي لسنغ الملحدين المشتبه بهم بـ«إخواننا»، ويضيف قائلاً: «إذا طلب من المسيحي أن يدرس تعاليم السيد المسيح، والمسلم أن يراجع تعاليم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). فإذا كانت إحداها صحيحة فلا ضير في أن

(194) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(195) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(196) Ebd. S. 155. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 155).

(197) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(198) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

يجل المعتقد الأفضل محل المعتقد السيء؛ لكنه في هذه الحالة فقط سوف لن تكون الفرصة سانحة لاستبدال المعتقد السيء بالمعتقد الأفضل».¹⁹⁹

بهذه الطريقة، ومن خلال مدحه واحترامه للإسلام والرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وجه لسنغ نقده الأدبي الفلسفي الديني إلى معاصريه من المختصين في الأدب وعلم اللاهوت المسيحي، مناديا إياهم: «صحيح كل الصبح، ولا شيء غيره، ولا مكان «للتشهير»، فما شاهدته على إحدى الصفحات والصفحات الأخرى كان هراء وغير معقول».²⁰⁰

كان لسنغ على قناعة كاملة بأنه عندما لا يخسر المسيحي شيئاً في المقارنة بين الأديان، فإن المسلم سيربح كثيراً.²⁰¹ حيث جسد هذه القناعة الدينية لاحقاً في مسرحيته «ناتان الحكيم» التي تعود إلى عصر التنوير.²⁰² ويخلص لسنغ إلى القول بأن قصة (كردانيوس) كان ينقصها الشروط المطلوبة للمقارنة بين الأديان، وكان من الممكن أن تبنى على أساس النمط الفني المضاعف. فقد قام (كردانيوس)، حسب لسنغ، بعرض حجج الديانات الكاذبة بشكل «قوي»، في حين عرض حجج الديانات الحقيقية بشكل «ضعيف».

ويوجه لسنغ سؤاله هنا إلى القراء والمقيمين المنصفين لقول الحقيقة حول ما قام به (كردانيوس)، بقوله: «هل كان (كردان) منصفاً فعلاً مع الآخر؟ أرجو من القراء المحايدين أن يقولوا لي، إذا كان هناك ولو واحد من علماء الدين وحكماء العالم الكثيرين، الذين أثبتوا بعد (كردان) حقيقة الدين المسيحي، تحدث عن حجة إضافية أو عن ذات الحجج بشكل «أقوى» من (كردان)».²⁰³

(199) Ebd. 255f. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 255 يتبع.)

(200) Ebd. S. 256. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 256.)

(201) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق.)

(202) Siehe die Geschichte der Ringparabel in Lessing NdW (III/7). (ينظر إلى «حكاية الخاتم» في

لسنغ: «ناتان الحكيم»، الفصل 3، المشهد 7)

(203) Vgl. Lessing: Rettung des Hier. Cardanus. S. 256. (ينظر إلى لسنغ: «انقاذ السيد كردانيوس»، ص 256.)

اكتشف لسنغ من خلال قراءته وتحليله للنص الأدبي بأن الأسس التاريخية للإشراف لا تلعب دورا مميزا في أدب (كردانيوس)، «ومن العبث، يقول لسنغ، أن يكون رجلا عاقلا، ذلك الذي يعرف، بأن جميع الشعوب تحتفظ الآن بتاريخها الصحيح لتفنيدها كل الادعاءات».²⁰⁴ وهذه العدالة التاريخية يجب أن تكون مطلوبة كدافع مصاحب وتمارس في العمل. إن التزام الباحث (كردان) بالاجتهاد السطحي جعله يركز، وقبل كل شيء، على التحقيق وجمع الأدلة من الحقائق التاريخية.²⁰⁵

ونتيجة للقصة غير المقنعة التي عرضها (كردان) للمقارنة بين الأديان، قام لسنغ بربط حكاية «الخواتم» الثلاثة بالأديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام، وجعلها تروى من قبل رجل يهودي حكيم اسمه «ناتان» لإعلان الحقيقة المنطقية للأديان السماوية، على عكس ما عرضه (كردان) الذي ميز، حسب لسنغ، «معجزات المتبجح المتعصب والدجال المخادع المستفيد، الذي يقايس الأشياء الغريبة بالربانية والرب بالأصيل».

وهنا يؤكد لسنغ في مخطوطته «الإنقاذ»، بأن على المرء أن يثبت مصداقيته قولاً وفعلاً أفضل من أن يدعها مغايرة تماماً للحقيقة، لكي يتمكن الناس الفقراء الأميون في نهاية المطاف من رؤية الواقع الصحيح، وتتطور قابلياتهم في التفكير، ويعرض بعضهم البعض بلا ريب، إذا ما توفرت لديهم الشجاعة الحقيقية للقيام بذلك.²⁰⁶

عند المقارنة بين ما جاء في مخطوطة لسنغ «إنقاذ السيد كردانيوس» و«حكاية الخواتم» التي عرضها في مسرحيته «ناتان الحكيم» بعد ما يقرب الثلاثين عاماً، نجد أن هناك «حالة مهمة من الضروري التأكيد عليها» وعرضها للقارئ، حسب لسنغ، بأنه «يجب أن يتوفر في المعجزات الدينية شيء يعبر عن ذاته وقوته على مر العصور بمنعزل عن كل الصراعات»²⁰⁷ الدينية والمذهبية.

(204) Ebd. S. 257. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 257).

(205) Vgl. Wolfgang Ritzel: Gotthold Ephraim Lessing. Stuttgart/ Berlin/ Köln/ Mainz 1966.

S. 45. (ينظر إلى فولغانغ ريتزل: «غوتفريد إفرايم لسنغ»، شتوتغارت/ برلين/ كولون / ماينز 1966، ص 45).

(206) Vgl. Lessing: Rettung des Hier. Cardanus. S. 257f. (ينظر إلى لسنغ: «إنقاذ السيد كردانيوس»،

ص 257 يتبع).

(207) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

ويرى لسنغ، في مفهوم حوارهِ مع الإسلام والمسلمين، بأن هذه القوة العجيبة تكمن في «انتصار الحقيقة الدائم ولا شيء غيره».²⁰⁸ وإن (كردان) لم يترك شاردة ولا واردة في تقديمه للدليل، لكنه وبلاشك أجاد في عرضه لقصة المعجزات «إلى الحد الذي لم يلاحظ فيه مدى الاختلاف الذي بينهما».²⁰⁹ ويشير لسنغ إلى أن الكاتب الإيطالي قد «ضمن رأيه الشخصي في المسألة التي أثارها».²¹⁰

وخلافا لما فعله (كردان) قام لسنغ، عند كتابته «حكاية الخواتم» الثلاثة، بإبراز القوة الخارقة للخاتم، التي تمثل لديه قوة الدين، حين جعل مالك الخاتم يصنع خاتمين آخرين بنفس مواصفات الخاتم الأصلي، وأن يسلمها إلى أبناءه الثلاثة / مثلي الأديان - اليهودية والمسيحية والإسلام -، الذين يكن لهم ذات الحب وذات الاحترام، ليعتقد كل واحد منهم / ممثل كل دين بأن خاتمه / دينه هو الحقيقي.²¹¹

وبهذه الحكاية استطاع لسنغ ان يظهر الحقيقة الدينية بكل بريقها، والتي أكد من خلالها بأن الإسلام دين حق موحى حاله حال اليهودية والمسيحية، في الوقت الذي كانت فيه محاكم التفتيش، التي تقودها الكنيسة، تحرق جسد من يتفوه بهذا الكلام. ذلك لأن (كردان) - حسب لسنغ - «قبل لنفسه الضلالة بتقديمه لهذا البرهان على حساب إضعاف الحجج التي تقود إلى إظهار حقيقة الأديان».²¹²

يتسائل لسنغ أيضا، فيما إذا كان يجوز لـ (كردان) «في بحثه عن حقيقة الأديان الاستفادة من جهل خصمه، إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار بأنه يعرف جيدا أنه ليس من المنطقي في العرض الروائي للشخصيات الشعبية أن يقدم الكاتب أدلة لخصمه يدين نفسه فيها، دون أن يفقد أمورا أخرى».²¹³ فعل (كردان) كل هذا، يقول لسنغ، عندما أغفل الحقيقة الدينية للإسلام في مقارنته بين الأديان، وأصبح من المؤكد باستطاعة المرء أن يدحض، وبشكل واضح، كل

(208) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(209) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(210) Ritzel 1966. S. 45. (ينظر إلى رتزل 1966، ص 45).

(211) Vgl. Lessing NdW (III/7). (ينظر إلى لسنغ: «ناتان الحكيم» 1779، الفصل 3، المشهد 7).

(212) Vgl. Lessing: Rettung des Hier. Cardanus. S. 258. (ينظر إلى لسنغ: «انقاذ السيد كрдانيوس»، ص 258).

(213) Ebd. S. 259. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 259).

البراهين التي قدمها. والسبب في ذلك «لأنه ربط خسارته مع ما ربحه الآخرين، وعدم استطاعة المرء أن يرجو شيئاً إضافياً من القاضي» الذي حكم في القضية.

وتجسد ذلك «في الحوارات الجدلية التي شكلت لوما في معرفة الحقيقة. حيث أن الجدل يبدأ حول الحقيقة، فقط من أجل كسب أحد جوانبها. لذلك فإن كردان لم يربحها لنفسه إطلاقاً». ويرى لسنغ بأنه ليس هناك خاسر في هذه القضية، «وإن الطرف الذي يخسر لا يفقد شيئاً سوى أنه أخطأ، ويمكن أن يشارك في كل لحظة لانتصار الآخر».²¹⁴ - طبعاً هذا إذا ما اعترف الأول بالخطأ.

ومن أجل الوصول إلى حقيقة الإسلام والمساواة عملياً بين الأديان التي افتقرت إليها رواية (كردان)، جسد لسنغ أفكاره الفلسفية لـ «إنقاذ السيد كردانيوس» في حكاية الخواتم: كان هناك ملك في الشرق، يملك خاتماً ثميناً له معجزات، يرثه أعز الأبناء إلى قلب أبيه ليخلفه في الحكم، حسب تقاليد المملكة المتوارثة.

شاءت الأقدار أن يكون لهذا الملك ثلاثة أبناء أعزاء على قلبه بنفس الدرجة. ففكر بأن يصنع إلى جانب هذا الخاتم إثنين آخرين وب بنفس المواصفات. وقبل موته نادى أبناءه الثلاثة كل على أفراد وسلمه خاتماً. وبعد وفاة الأب ينشعب شجار بين الأبناء الثلاثة لورثة عرش المملكة، ويدعي كل واحد منهم بأن خاتمه هو الأصلي ولا غير سواه. ويذهبون أخيراً إلى القاضي ليحكم بينهم، ويقسم كل واحد منهم أمامه بأنه تسلم خاتمه مباشرة من يد أبيه قبل موته.

رأى القاضي بأن الخواتم متشابهة تماماً ولا يمكن التمييز بينهم. وعليه فقد ربط قراره للحكم في القضية بشرط الأعمال الفاضلة التي سيقوم بها مالك الخاتم الأصلي، وبذلك سوف تظهر القوة الخارقة للخاتم/ حقيقة الدين، ويتم التعرف عليه من بين الخواتم الثلاثة/ الأديان الثلاثة عند مثول الأخوة الثلاثة مرة أخرى أمام القاضي بعد مرور «آلاف السنين».²¹⁵

(214) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(215) Vgl. Lessing NdW (III/7). (ينظر إلى لسنغ: «ناتان الحكيم»، الفصل 3، المشهد 7.)

يتضح من حكاية الخواتم بأن لسنغ اعتمد على شرط حجم الأعمال الفاضلة والتسامح والتعايش السلمي واحترام الآخر كمعيار لتقييم الأديان السماوية الثلاثة - اليهودية والمسيحية والإسلام - ومدى صلاحيتها للإنسان. وبهذه القصة القصيرة التي تعتبر القلب النابض لمسرحيته «ناتان الحكيم» وطريقة طرحه للأفكار جسد لسنغ إجابته الفلسفية الأدبية العملية وغير المنحازة على ما طرحه الكاتب الإيطالي (كردان).

ويخلص لسنغ في مخطوطته «إنقاذ السيد كردانيوس» إلى القول «بأنه كان من الأفضل لكردان أن يدعم معتقد العرب والأتراك بكثير من الحجاج القوية، خاصة وإن هناك الكثير من الشخصيات الرائعة بين أنصاره مدونة أسماؤهم في مراجع التاريخ». ²¹⁶ ويستطرد لسنغ قائلاً «بأن ما توصل إليه (كردان) ينقصه الكثير، وهذا ما يجعلني أدينه بقدر التقصير، وأقدم شيئاً مغايراً تماماً لما طرحه». ²¹⁷

إيماناً منه بالمبدأ الفلسفي لحركة التنوير الفكري جعل لسنغ حكاية الخاتم، التي يمتد تاريخها إلى «آلاف آلاف السنين»، تروى من قبل رجل دين حكيم حول ظهور المعجزة / حقيقة الأديان، التي آن الأوان لتبيانها في عصره. وتحقيقاً لهذا الحلم في إظهار الحقيقة ربط لسنغ حكاية الخاتم، التي تمثل جزءاً من كل، مع الفكرة الرئيسية والعامية لمسرحيته «ناتان الحكيم» ليتم من خلالها الارتقاء في طرح الأفكار، الذي من شأنه مخاطبة عقول الناس وتنمية إدراكهم الفكري، ليكتشفوا بأنفسهم الحقيقة الدينية في نهاية العمل المسرحي.

فبعد «آلاف آلاف السنين» يلتقي مرة أخرى، وأمام كرسي القاضي في القدس خلال الحروب الصليبية، الأخوة الأعداء/ ممثلي الأديان الثلاثة وهم: السلطان الفاضل والتسامح وصاحب الانتصارات الكثيرة، حسب لسنغ، صلاح الدين الأيوبي، والتاجر اليهودي ناتان الحكيم، والمسيحي المحارب رجل المعبد - وحينها يدع لسنغ صلاح الدين يقول إلى ناتان بصوت عال، بعد أن أنهى الأخير رواية الخاتم، كإشارة منه إلى الفائز بالاختبار بعد هذه السنين: «إلهي! إلهي! لا أصدق ما اسمع؟ مستحيل أنا؟ آه إلهي! ناتان، عزيزي ناتان!» ²¹⁸

(216) Vgl. Lessing: Rettung des Hier. Cardanus. S. 259. (ينظر إلى لسنغ: «إنقاذ السيد كردانيوس»، ص 259.

(217) Ebd. S. 260. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 260).

(218) Lessing NdW (III/7). (ينظر إلى لسنغ: «ناتان الحكيم» 1779، الفصل 3، المشهد 7).

ويختتم لسنغ مسرحيته «ناتان الحكيم» بإثبات - على لسان اليهودي ناتان الحكيم - أن جميع ممثلي الأديان السماوية ينحدرون من أصول مسلمة، وبارك انضمامهم إلى عائلة موحدة مسلمة يراها صلاح الدين الأيوبي. وبذلك يدع لسنغ القارئ والمشاهد للمسرحية يفكر بعقلانية وإدراك عالٍ ليحكم بحيادية وحرية مطلقة أي من الخواتم تتجسد فيه المعجزة / الحقيقة الدينية، بقوله: «أطلب من الحكماء في العالم الصدق في القول أولاً، وأرجو منهم التفكير ملياً قبل الإدلاء بآرائهم».²¹⁹

يؤكد لسنغ في مخطوطته «الإنقاذ» أيضاً على إن (کردان) هاجم «المحمديين» باللامبالاة، ولم يكن «منصفاً» إتجاه عقيدتهم الإسلامية. ولم يكن لسنغ يرغب ترديد كلمة «منصفاً»، لأن «الجهل» الذي كان يعتري (کردان) بالإسلام، يقول لسنغ، هو بلا شك أكبر من «الإرادة الشريرة» التي كان يمتلكها، لأن الجزء الأكبر من النصوص التي كتبها الأوروبيون حول «محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعجزاته لم تكن كافية وامتزجت فيها الآلاف من الأكاذيب».²²⁰ لذلك أعتمد لسنغ في تقييمه لعمل الأديب الإيطالي (کردان) على مراجع المستشرقين المعروفين (رينالد) و(سيل)، التي تحتوي على المعلومة «الصادقة»، حسب لسنغ، والموثوق بها، والتي تؤكد «بأن محمد (صلى الله عليه وسلم) لم يكن محتالاً، وأن دينه ليس نسيج من التناقضات والتشويهات».²²¹

وعليه فقد جسد لسنغ رؤيته حول حجم التزوير والتشويهات الأوروبية تجاه الحقائق الدينية للإسلام ورسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في مخطوطته «إنقاذ السيد كردانيوس» بشكل واضح وصریح، بقوله:

«لم نحصل على المعلومة الصحيحة من قبل، كالتى حصلنا عليها من أعمال رينالد وسيل، والتي عرف المرء من خلالها بشكل أفضل، بأن محمد (صلى الله عليه وسلم) لم يكن محتالاً، وإن دينه ليس مجرد نسيج من التناقضات والتشويهات».²²²

(219) Lessing: Rettung des Hier. Cardanus. S. 259. (ينظر إلى لسنغ: «إنقاذ السيد كردانيوس»، ص 259).

(220) Ebd. S. 261. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 261).

(221) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(222) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

وعن ما كتبه المستشرقون الأوروبيون من إفتراءات وأكاذيب لتشويه صورة الإسلام في المجتمع المسيحي الغربي قال لسنغ:

«إن النصوص التي كتبت في عصر كردان عن محمد ومعجزاته لم تكن كافية وملئية بالآلاف الأكاذيب، التي كلما تكون مقبولة بشكل أفضل في الجدل المسيحي حول الحقائق، يتم تمرير لعبة بسهولة من خلالها».²²³

يقول لسنغ «بأن كردان إهتم بأشياء كثيرة مبهمة، وكان الأجدر به أن يهتم بالأشياء المحيطة به، قبل أن يشرع بالمقارنة بين الأديان، التي تتطلب اكتمال المعرفة لدى الكاتب، خاصة عندما تؤدي بأستاذ بروفيسور (مثل كردان) بالخروج عن الحشمة».²²⁴ ومن أجل إبراز نفسه كمدافع مقتنع بإيمانه بالإسلام أشار لسنغ إلى «إنه لم تكن في نية كردان المقارنة الحقيقية بين الأديان».

ولم يتفق لسنغ مع (كردان) في هذا الأمر بقوله: «منذ البداية لم أكن مسرورا ومتفقا معك، لأنك وضعت تعاليم «محمدنا» في فئة لا تنتمي إليها. وهذا ما ذكره العربي»²²⁵ عن دينه في مقارنتك، حين قال، بأن دينه خليط من الجمل، ولم يقل بأنه «الفكر السليم». ويضيف لسنغ «بأن كردان لم يكن عادلا روحيا في رسم دور الرسول محمد (صلاة الله عليه)، عندما عرض الصورة المشوهة له وللإسلام، وأخفى بشكل كامل الصورة الحقيقية الناصعة».²²⁶ فآثار ذلك التصرف حفيظة لسنغ ووعد بطرح الفكرة بشكل مغاير لما عرضه (كردان) لبيان الحقيقة للملأ، بقوله: «أي وهم هذا! الذي يحقق نجاحا جزئيا للنبي، تفتحون له عيونكم؟ ينبغي أن أفعل ذلك بنفسي».²²⁷

(223) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(224) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(225) Heide bedeutet Araber in der deutschen Literaturgeschichte.

(تطلق بعض الأحيان في مؤلفات المستشرقين الغربيين تسمية «وثني» على «العربي المسلم» كأشارة إلى العصر الذي كان فيه العرب يعبدون الاصنام قبل الإسلام، وقد تلاشت هذه التسمية في تأريخ الأدب الحديث).

(226) Vgl. Lessing: Rettung des Hier. Cardanus. S. 261. (ينظر إلى لسنغ: «انقاذ السيد كрдانيوس»، ص 261).

Ebd. S. 262. (Lessing weist auf seine späteren Islam-Werke – Nathan der Weise, (227 Fatime-Trauerspiel, «Meines Arabers Beweis...», usw. – hin, wobei er die theologische Islam-Frage positiv dargestellt hat, wie er hier in seiner «Rettung» versprach).

أخذ لسنغ يفكر في كتابة مقارنة بين الأديان اعتماداً على خبرته الدينية العامة، التي اكتسبها من خلال دراسته للأديان السماوية الثلاثة - اليهودية والمسيحية والإسلام -، وخاصة قراءته للقرآن الكريم وما كتب عنه في مقدمات مؤلفات المستشرقين الأوروبيين المنصفين. وبناء على هذه الخبرة وخزين المعلومات التي يمتلكها حول الإسلام أكد لسنغ في مخطوطته «الإنقاذ» بأنه كان على (كردان) أن يدرس «كتاب محمد» (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل أن يسمح لنفسه بإختيار المسلم كشخصية رئيسية في عمله للمقارنة بين الأديان.²²⁸

ودعا لسنغ (كردان) والقارئ الألماني والأوروبي إلى إلقاء نظرة على «قانون محمد»²²⁹ (أفضل الصلاة عليه) لمعرفة الحقيقة بانفسهم بعيداً عن التأويلات والأكاذيب، وسوف لن يجدوا فيه «الفكر الصارم» الذي يحملونه، «فالمرء يؤمن بالله الواحد الأحد، ويؤمن بالعقاب والثواب يوم القيامة، التي سيتلقاها كل واحد منا على أساس أعماله في الدنيا».²³⁰ ويستطرد لسنغ ليؤكد إيمانه وقناعاته بالدين الإسلامي، بقوله:

«نحن نؤمن بهذا القرآن، أو أكثر من ذلك، ومقتنعون به ولا شيء غيره، فأنا لست بحاجة بعد الآن إلى كلامكم الصارم».²³¹

وأخذ لسنغ يصف القرآن والدين الإسلامي في مخطوطته «الإنقاذ» على أساس ما خبره من كتب المستشرقين الألمان والأوروبيين، مؤكداً أمام الملأ على إيمانه بهذا الدين الحنيف بعد أن أطلق عبارات تشير إلى إيمانه بالإسلام علانية، مثل «محمدنا» و«نحن نؤمن بالله الواحد الأحد» و«نحن نؤمن بهذا القرآن وأكثر من ذلك، ومقتنعون به ولا شيء غيره»، بالإضافة إلى قوله مخاطباً (كردان):

المصدر السابق، ص 262. أشار لسنغ هنا إلى أعماله الأدبية اللاحقة حول الإسلام: «فاطمة» 1759، «ناتان الحكيم» 1779 و«برهاني أن العرب ...»، التي فيها عرض قضية الإسلام بشكل إيجابي وكما وعد في مخطوطته «انقاذ السيد كردانيوس» (1752).

Vgl. Lessing: Rettung des Hier. Cardanus. S. 262. (228 ينظر إلى لسنغ: «انقاذ السيد كردانيوس»، ص 262).

Mohammeds Gesetz bedeutet bei Lessing der Koran. (229 قصد لسنغ «القرآن» في قوله «قانون محمد»).

Lessing: Rettung des Hier. Cardanus. S. 262. (230 ينظر إلى لسنغ: «انقاذ السيد كردانيوس»، ص 262).

Ebd. (231 ينظر إلى المصدر السابق).

«ألق نظرة على قانون محمد (صلى الله عليه وسلم) يا كردان، ماذا ستجد في داخله، ألا هو ليس بالفكر الصارم؟ نحن نؤمن بالله الواحد الأحد، ونؤمن بالعقاب والثواب يوم القيامة، التي سيتلقاها كل واحد منا على أساس أعماله في الدنيا ...»²³².

ويستنتج لسنغ، في ضوء خبرته الدينية وتعمقه بدراسة القرآن وإيمانه المطلق بالرسول ودينه الحنيف، بأن الإنسان يستطيع من خلال الإسلام معرفة «الله وأن يكون فاضلا ويتعلم الفكر السليم. إن محمدا (صلاة الله عليه) لم يقلد قط معجزات الدين المسيحي، وإن ضرورة قيامه بهذه المعجزات، ما هو إلا لتوضيح الأمور الغامضة للناس. ولم يكن محمد (صلاة الله عليه) يدعي التعاليم فقط، وإنما هي حجر الاختبار الذي يجب أن يحمله كل إنسان»²³³. وتحمل كلمة «الفضيلة» بالنسبة لسنغ، الباحث الحقيقي ذو الضمير والموقف الصادق، معاني مفهومه الأخلاقي المتزن.

فند لسنغ، المسيحي المؤمن بالإسلام، في مخطوطته الفلسفية الدينية «إنقاذ السيد كردانيوس» الادعاء المسيحي المستمر إلى يومنا هذا، بأن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه نشروا الإسلام في العالم من خلال الفتوحات الإسلامية بحد السيف، وقارن في الوقت نفسه في حوارهِ مع (كردان) بين أفعال الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأفعال رسل النصارى، مخاطبا إياه بضمير المتكلم المسلم، بقوله: «لاتتهمنا باستخدام قوة السلاح، التي ساعدت محمد (صلى الله عليه وسلم) في التبشير برسالته»²³⁴.

واستخدم لسنغ في حديثه «الضمير الشخصي» و«ضوائر التملك» في إشارة إلى المسلمين مثل «نحن» و«محمدا» و«لدينا»، وفي إشارة إلى المسيحيين بقوله «انتم» و«لديكم»، التي أراد بها أن يبين للمخاطب بأنه «مسلم» أو من أنصار محمد (صلى الله عليه وسلم). ويقودنا ذلك إلى الاستنتاج بأن لسنغ - وبلا شك - مات مسلما رغم أنه لم ينطق الشهادة جهرا.²³⁵

(232) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(233) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(234) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(235) Lessing: Rettung des Hier. Cardanus. S. 260ff, 266. (ينظر إلى لسنغ: «إنقاذ السيد كردانيوس»

ص 260 يتبع، ص 266).

في الحقيقة، لم يوجه لسنغ كلامه مباشرة إلى الإيطالي (کردان)، الذي يحى بصمت حياة البرزخ في جوار ربه منذ عام (1576)، وإنما كان يخاطب بأقواله وأفعاله عقول الجماهير وأصحاب الشأن من القراء والباحثين ورجال الدين، ولم يكن هدفه إثارة مشاعر الآخرين، وإنما دعوتهم للتفكير بالأسباب التي جعلته ينتقد (کردان) بهذه الشدة وهذا الأسلوب. ويقول مخاطباً قراءه: «يبدو كما لو إنني أردت أن أتجادل مع قرائي، الذين بلا شك سيعترفون لي بالحق في هذا التشهير من السطور الأولى التي سيقرونها».²³⁶

ويعارض لسنغ نزعة اللجوء إلى الحرب لتحقيق الأهداف أو الغايات الدينية والدنيوية، لأنها تؤدي بالتالي إلى إراقة الكثير من الدماء، لكنه يجد المبررات إلى الحروب التي خاضها المسلمون مجبرين في ذلك الوقت لنشر العدالة في الأرض، بعد أن امتلأت جوراً وظلماً، بقوله مخاطباً (کردان): «ألا تعتقد، بأن الذي تعدونه تعسفاً من جانبكم، هو غير ذلك بالنسبة لنا؟»²³⁷ ويشدد لسنغ في القول:

«فلو طاردني محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالسيف لكي أدخل الإسلام قصرًا، عندها سيكون طاغية معظمًا مقيتًا ومتوحشًا (حاشا اسمه). ولكن عندما يريد بذلك إنقاذ مجد الخالق، فإنه ليس بطاغية، وإنما رسول إعلان السلام، وأداة الانتقام من الخالدين في الدنيا. ألا تعتقد، بأن محمدًا (صلى الله عليه وسلم) وخلفاءه لا يطلبون من الناس أكثر من الالتزام بأن يكون أحدهم إنسانًا، دون أن يبحثوا عن مجد لأنفسهم، خلافاً للالتزام بالحقائق التي عرضتها؟»²³⁸

وتأكيداً لكلامه يقتبس لسنغ في مخطوطته «الإنقاذ» من خطاب القائد المسلم أبي عبيدة الموجه إلى الصليبيين المحاصرين في القدس:²³⁹

(236) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(237) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(238) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

Bei der Handlung des Religionsvergleichs in seinem dichterischen Drama Nathan (239 der Weise lässt Lessing die Vertreter der Hauptreligionen – Judentum, Christentum und Islam – in Jerusalem als Schau-Ort treffen, wo Saladin diese heilige Stadt in der Zeit der Kreuzzüge erobert hatte. (لدى كتابته المقارنة بين الأديان في مسرحيته الشعرية «ناتان الحكيم» 1779 جعل لسنغ أحداث المسرحية ولقاء ممثلي الأديان الثلاثة – اليهودية والمسيحية والإسلام – يدور في القدس بفترة الحروب الصليبية التي فتح فيها صلاح الدين بيت المقدس سنة 1187، كمكان للعرض).

«نطلب منكم أن تشهدوا بأن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأن يوم الحساب آت لا ريب فيه، فيبعث الله الموتى في القبور بإرادته. فإذا شهدتم بذلك، فمحرم علينا إراقة دماءكم واغتصاب أموالكم وممتلكاتكم أو التعدي على أطفالكم».²⁴⁰

كان لسنغ على قناعة تامة بأن هذا الطلب هو «للاعتراف بوحداية الله، ويوم الحساب، الذي سيظال جميع الناس» دون استثناء، وكذلك «الاعتراف بأن محمدا رسول الله».²⁴¹ لذلك كان على (كردان)، حسب لسنغ، أن يضمن هذه «الشروط» في مقارنته بين الأديان، «لينظر فيما إذا كانت تتفق حقا مع وحدانية الله التي هي معجزة من معجزاته، التي تدعون بأنكم تشككون بها».²⁴²

ويستطرد لسنغ في حديثه الفلسفي مع (كردان) ليقدم للقارئ تحريرا صورة واضحة عن قراءاته المعمقة للقرآن الكريم والخبرة التي أكتسبها عن الإسلام. ويخلص إلى القول بأن المسلمين، وعلى أساس ما جاء في القرآن، سيربحون الجنة في الآخرة.²⁴³

يقول لسنغ أيضا، بأن ليس لديه الرغبة في التعمق بالتحليل لما كتبه (كردان)، «لكنني يجب أن أسخر منك في نهاية الأمر» لما كتبه، يقول لسنغ لـ (كردان)، «أنت تعتقد بأننا نفهم الأفكار والتصورات الحسية عن الجنة على أساس الحروف الأبجدية. قل، إذا، بأنني قرأت قرآنكم بشكل صحيح، هل فهمتم أيضا وصف قدسكم السماوية على أساس الحروف الأبجدية؟»²⁴⁴

ومن أجل أن تكون أفكاره الفلسفية الدينية الأدبية حول المقارنة بين الأديان مفيدة للمتلقي، جعل لسنغ «التغيير»، الذي دونه (كردان) في إصداراته، من أولويات مخطوطته النقدية «إنقاذ السيد كردانيوس» بقوله: «لا بد أن أترك هذا العمل إلى الذي يمتلك الوسائل

(240) Lessing: Rettung des Hier. Cardanus. S. 263f. (ينظر إلى لسنغ: «إنقاذ السيد كردانيوس»، ص 263).

(241) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(242) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(243) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(244) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

والحجج في الدفاع، وأن أعمل أكثر مما عمل كردان، واستطاع أن يرى التغييرات من خلال إصداره، الذي دونها فيه». ²⁴⁵

لاحظ لسنغ بأن هناك ثلاثة مواضع محددة في الإصدار الأصلي، كان (كردان)، وبلا شك، قد عدل فيها بشكل ممتاز لمرة واحدة عام 1560، لكنه تم حذف هذا التعديل في فترة لاحقة من النسخة الأصلية، حسب قول لسنغ المحدد بنقاط في مخطوطة «الإنقاذ»:

أولاً: كان (كردان) «منصفاً بما فيه الكفاية»، يقول لسنغ، عندما حذف «الالتهام المجحف الذي لفقه بنفسه للقرآن» بشأن الإعراج إلى السماء، «كما لو كان يعلم أن الله وملائكته يصلون على محمد» ²⁴⁶ (صلى الله عليه وسلم). «لكنني أريد أن أقول»، أضاف لسنغ، «كان على (كردان) أن يكون أكثر إنصافاً لو حذف ما تبقى» مما اتهم به القرآن والرسول، وتساءل: «ما الذي كان يبتغيه كردان من ذلك؟ لماذا يتهم القرآن بأشياء موجودة في الكتاب المقدس ذاته؟» ²⁴⁷

ويفند لسنغ ما جاء على لسان كردان بشأن تشكيكه برحلة الإسراء والمعراج استناداً إلى خبرته الدينية في تفسير القرآن: «لو افترضنا أنه لم يذكر في القرآن، إن الله أقسم في السموات والأرض، لكنه لم يقسم على نفسه، وهو تعبير أيضاً يحمل بلا شك الالتزام بتعهداته الضرورية». ²⁴⁸

ثانياً: ما كتبه (كردان) حول «حجة المسلمين بشأن وحدانية الله، فالمسلمون، يقول لسنغ، يؤمنون بأن لديهم الكثير من البراهين التي تثبت وحدانية الله، في الوقت الذي لا يؤمن المسيحيون بهذه الوحدانية مثلهم». ²⁴⁹

(245) Ebd. S. 266. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 266).

(246) Ebd. S. 267. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 267).

(247) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(248) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(249) Ebd. (Siehe auch Lessing: Rettung des Hier. Cardanus. S. 253f).

(ص 253 يتبع).

ثالثاً: أما الموقع الثالث، يقول لسنغ، فهو الذي «تحدث فيه (كردان) عن القديسين من المسلمين»، والذي لم ير لسنغ فيه أي اثر في نتاجه.²⁵⁰ وبهذه الملاحظات ختم لسنغ مخطوطته «إنقاذ السيد كردانيوس»، متمنياً بأن لا يكون قد انتهك قدسية «اتهم كردان» للقرآن والرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بعدم الموضوعية في التحليل والتفنيد، «راجياً التبصر» ملياً بما طرحه من أفكار.²⁵¹

ويعلق الفيلسوف والمؤرخ الألماني (فريدريش نيفونر)، في مقاله «الإسلام البعيد والمسيحية القريبة - أفكار حول حكاية الخاتم للسنغ» حول ما كتبه لسنغ في مخطوطته «إنقاذ السيد كردانيوس» وحكاية الخواتم التي عرضها في مسرحيته «ناتان الحكيم»، قائلاً؛ «نحن نتحدث اليوم عن قضية «دفاع»، الذي يعد مقدمة لأدب مسرحية «ناتان»، ويعتبر النواة الأولى لحوار لسنغ الكبير مع الإسلام. لقد «دافع» لسنغ و«أنقذ» بنزاهة، وتحول اهتمامه بشكل خاص إلى الإسلام».

وقبل أن يعرض في مسرحيته «ناتان الحكيم» «شخصية مسلمة - يقصد صلاح الدين - لتدافع عن الإسلام، اتهم كردان» بعدم معرفته بالقرآن والرسول، بقوله «كان على كردان التعرف بشكل صحيح على الإسلام قبل أن يبدأ بمحاولته الأولى للمقارنة بين الأديان. ذلك لأن انعدام المعرفة الكاملة بالأديان السماوية يجعل المقارنة بينها غير لائقة».²⁵²

وبناء على هذا المفهوم يعترف (نيفونر) بقراءة لسنغ للقرآن والموروث الأدبي الإسلامي، بقوله: «نحن نعرف بأن لسنغ كان قد درس العلوم الأدبية الإسلامية المهمة قبل أن يبدأ بكتاباتة عن الإسلام».²⁵³

(250) Siehe Lessing: Rettung des Hier. Cardanus. S. 254f. und S. 267f. (ينظر إلى المصدر السابق، 254 يتبع، وص 267 يتبع).

(251) Ebd. S. 267f. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 267 يتبع)

(252) Niewohner, Friedrich: Der ferne Islam und das nahe Christentum 2002. (فريدريش

نيفونر: مقال، «الإسلام البعيد والمسيحية القريبة - أفكار حول حكاية الخاتم للسنغ» 2002).

(253) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

يمكن التسليم هنا، بأن النقد الفلسفي «إنقاذ السيد كрдانيوس» 1754، الذي تحدث لسنغ من خلاله عن حقيقة الإسلام ورسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) وإظهارها إلى الملاء، كان يحمل بين ثنايا سطره مقارنة وإشارة إلى «حكاية الخاتم» في مسرحيته «ناتان الحكيم» 1779. ²⁵⁴ وهذه الحكاية تحمل الاجابة الفلسفية العلمية العملية للسنغ على ما قام به (كردان) من تمييز بين مايسمى «بمعجزات الأديان الكاذبة» - يقصد اليهودية والإسلام - وادعاءه بأن معجزات «المسيحية» حقيقية وأكدها شهود موثوق بهم. ²⁵⁵

وهذا ما جعل، يقول (شيلسون) تأكيداً على ما قاله لسنغ، «الطابع العجيب لنشر الدين المسيحي وخاصة إعتداد حجة مساعدة الله مثار للتساؤل من جديد. ذلك لأن اعتراضات وأقوال المسلمين كانت جدية، مما دعا إلى إعادة النظر بجميع الأدلة التاريخية». ²⁵⁶ ويضيف: «أصبحت المعرفة بالدين الإسلامي في الوقت الحاضر واسعة جداً ومتقدمة، بحيث لا يمكن تبرير اتهام الإسلام بـ «اللاعقلانية» وتسمية محمد (صلاة الله عليه) بـ «المحتال» (حاشا اسمه) كما كانت عليه الحال في زمن (كردان)». ²⁵⁷

يرى (شيلسون)، استناداً إلى ما عُرض في مخطوطة لسنغ «إنقاذ السيد كрдانيوس»، «بأن التوافق والاتساق الكامل لتعاليم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مع العقل أصابت، وبشكل مباشر، جميع تعقيدات الأديان السماوية، ذلك لأن الأسرار والإشهارات المبالغ فيها، وأشياء مماثلة أخرى، لحدوث المعجزة قد أسقطت بالنسبة للمسلم، الذي تميز موقفه على موقف المسيحي، الذي يبرهن دائماً على أن يكون الإنسان أكثر تضامناً، من أن يعرف الله، ويكون فاضلاً». ²⁵⁸

Mit diesem Vergleich siehe immer die Geschichte der Ringparabel in Lessing NdW (254 (III/7). (لمعرفة المقارنة بين الأديان ينظر إلى «حكاية الخاتم» في مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم» 1779). (255 Vgl. Lessing: Rettung des Hier. Cardanus. S. 256. (ينظر إلى لسنغ: «إنقاذ السيد كрдانيوس»، ص 256).

Schilson 1974.Bd. 3. S. 60. (ينظر إلى: شيلسون 1974، ص 60). (256

Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق). (257

Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق). (258

ولهذه الأسباب، وفي تلك الفترة الزمنية التي اتسمت بالحوار الديني الجدلي، يقول (فريدريش نيفونر)، «بدأ لسنغ بكتابة مسرحيته الشعرية «ناتان الحكيم» التي قدم فيها للجمهور شخصية مسلمة معروفة إلى جانب الشخصية اليهودية والمسيحية، والتي عكست، وبشكل مباشر، رؤية لسنغ للإسلام كدين طبيعي»²⁵⁹، وإن الدين الطبيعي، حسب لسنغ، الذي يصلح لجميع البشرية قد تجسد في الإسلام. وكما سنعرضه بشكل تفصيلي في الفقرة الآتية.

ثانياً: لسنغ والإسلام كدين طبيعي

إن تشكيك المسيحية القديمة المتعصبة بالإسلام واتهامها لرسوله الكريم محمد (صلاة الله عليه) بالتزوير والبدع²⁶⁰، جعل لسنغ يتخذ من الفكر والإيحاء الديني للإسلام كدين طبيعي، محورا لموضوعات مخطوطاته الدينية الفلسفية النقدية اللاحقة، الأمر الذي قاده إلى الدخول في جدل ديني أدبي متشنج مع رئيس القساوسة في مدينة هامبورغ (ملكيور غوتره) - (1717-1786) - بعد أن نشر في الفترة ما بين 1774-1778 نصوصاً دينية نقدية للمستشرق الألماني (رايباروس) بعد وفاته، التي إمتدح فيها الإسلام وأثنى عليه، مما أثار حفيظة الكنيسة واستياءها. حيث كان لهذا الموضوع دور مهم في إكمال لسنغ لكتابه مسرحيته «ناتان الحكيم» 1778، وعُدَّ هذا الأمر من قبل الباحثين مقدمة لها.²⁶¹

قام لسنغ - بعد مرور عشرين عاماً من كتابته «إنقاذ السيد كрдانيوس» - بنشر النصوص الدينية الأدبية «الدفاع أو مخطوطة الحماية للمؤمن بالله» للمستشرق الألماني (هيرمان صمويل رايباروس) في سلسلة مقالات تحت عنوان «نصوص لمجهول»، التي قادت إلى صراع أدبي مرير مع ممثل الكنيسة الأرثوذكسية اللوثرية. حيث وجد في النص الأول، الذي نشره لسنغ سنة 1774 تحت عنوان «من تسامح الموحدين»، ضمن سلسلة مساهماته في صحيفة «التاريخ والأدب» عبارة اقتبسها عن (رايباروس)²⁶² تفيد بما نصه:

(259) Friedrich Niewöhner 2002. (ينظر الى: فريدريش نيفونر 2002).

(260) Siehe Horsch 2004. S. 7. (ينظر الى: هورش 2004، ص 7).

(261) Vgl. Duffel 1972. S. 87-96. (ينظر الى: دوفيل 1972، ص 87-96).

(262) Vgl. Horsch 2004. S. 41. (ينظر الى هورش 2004، ص 41).

«إنني على ثقة، وأتمنى أن يكون ذلك قمة تنبّاتي، بأن نبل الدين الطبيعي مستوحاة من القرآن بشكل واضح، وهناك أجزاء جميلة تبرهن على ذلك، وأعتقد بأنني سأجد استحسانا وتصفيقا من الآخرين لهذا التنبؤ، حين أنسب كل شيء مهم في تعاليم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الدين الطبيعي».²⁶³

يقول (نيفونر)، إذا كان هذا هو موقف لسنغ من الإسلام، الذي من خلاله يستطيع كل إنسان مؤمن أن يعترف بالإسلام كدين طبيعي ينسجم مع تفكيره، فالإسلام لا يحتاج في تبريره إلى معجزات غير طبيعية ومبالغ فيها، ذلك لأنه دين طبيعي، وعلى وجه التحديد تماما: الدين الطبيعي الوحيد المناسب للعقل. ويستطرد (نيفونر) في القول بأن لسنغ و(رايباروس) دافعوا عن الإسلام بعقلانية ومجاهرة، بعد أن تمت الإساءة إلى سمعة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من قبلنا.²⁶⁴

وتقول (هورش): وجد المستشرق والموحد الألماني (رايباروس) تطابقا لتعاليم الإسلام مع ما يدعو إليه الدين الطبيعي، خاصة في الرفض الجمعي لبعض المعتقدات المحددة في الدين المسيحي المعاصر، وعليه فقد شدد على «وحدة الإيمان بالله» المنطقية التي يدعو إليها الإسلام،²⁶⁵ مشيرا إلى ترجمة القرآن الكريم الموثوق بها للحقوقي الإنجليزي (سيل)، بقوله: «يعتبر جورج سيل من الثقة الذين ترجموا ونشروا القرآن، والذي أظهر في مقدمة ترجمته للقرآن، بأن مبدأ تعاليم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قائم على وحدانية الله، أو على حقيقة أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، بقصد جعل الوثنيين العرب يتركون عبادة الأصنام ويؤمنون بهذا الإله الواحد الأحد، ويشيدون به ويقدمونه».²⁶⁶

واقتبس (رايباروس) في نصوصه الدينية النقدية عن المستشرق الإنجليزي (توماس هايد) - (1636 - 1703) - الذي امتدح رسول الإسلام²⁶⁷ بوصفه «مرمم دين إبراهيم»، بعد

Lessing WB. Bd. VIII. S. 131. Vgl. auch Horsch 2004. S. 41. (263)

(ينظر إلى لسنغ: «الاعمال والرسائل»، البند VIII، ص 131. كذلك: هورش 2004، ص 41).

(264) Vgl. Niewöhner 2002. (ينظر إلى نيفونر 2002).

(265) Horsch 2004. S. 41. (ينظر إلى هورش 2004، ص 41).

(266) Lessing WB. Bd. VIII. S. 131. (ينظر إلى لسنغ: «الاعمال والرسائل»، البند VIII، ص 131).

(267) Vgl. Horsch 2004. S. 42. (ينظر إلى: هورش 2004، ص 42).

أن استعاد الدين الحقيقي لسيدنا إبراهيم.²⁶⁸ وتجدر الإشارة إلى أن (رايهاروس) كان قد عرف قصة سيدنا إبراهيم في القرآن من خلال قراءته لترجمة الحقوقى الإنجليزى (سيل)، وأعتبره ممثلاً للدين الطبيعى على أساس ما ذكر عنه فى الآيات القرآنية.²⁶⁹

يقول (شيلسون): إن الإشادة بالإسلام والثناء عليه من قبل المستشرقين والباحثين فى مجال الدين والأدب لم تتوقف على وصفهم إياه بالدين الطبيعى، وإنما ذهبت أبعد من ذلك لتتعاقد مع تسميتهم للإسلام بـ «الدين الإيجابى»، الذى «يجب أن يتعدى حدود الدين الطبيعى»²⁷⁰ إلى ما هو أفضل، بحيث تتوحد فيه الأشياء والمصطلحات التقليدية، التى تتوفر فيها الأهمية واللزوم، حسب رأيهم:

«حين يريد المرء أن يجعل من الدين ديناً مشتركاً، ومعتز به لأجل الخير، يجب أن يجمع بين الأشياء المؤكدة والمصطلحات التقليدية، ويضمونها الأهمية والوجوب، التى تحتفظ ذاتياً بحقائق الدين الطبيعى المعترف به».²⁷¹

لذلك استطاع المستشرق الألمانى (رايهاروس) - حسب (هورش) - واعتماداً على تصوراته الشخصية، أن يجد «وصف الطبيعى فى القرآن»، فى حين كان للتأمل والتمعن فى «التفكير بالطبيعة» بالنسبة للإسلام وكذلك لـ «مذهب الموحدين» الأوروبيين ذو أهمية كبيرة ويلعب دوراً مهماً فى «معرفة الله»²⁷² وتستطرد (هورش) فى حديثها، بأن هناك الكثير من الآيات القرآنية تدعو الإنسان إلى «التمعن فى الطبيعة» لمعرفة «قدرة الله فى خلقها»²⁷³، ويستطيع المرء أن يرى أيضاً ما ذكر فى الآيات القرآنية (الملة 67، آية 2 يتبع) بأن «كمال الطبيعة» يدل على «كمال خالقها»²⁷⁴، وكما فى قوله تعالى:

(268) Lessing WB. Bd. VIII. S. 131. (ينظر إلى: هورش 2004، ص 42).

(269) Horsch 2004. S. 42. (ينظر إلى: هورش 2004، ص 42).

(270) Schilson 1974. Bd. 3. S. 67. (ينظر إلى: شيلسون 1974، ص 67)

(271) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(272) Vgl. Horsch 2004. S. 42f. (ينظر إلى: هورش 2004، ص 42 يتبع).

(273) Ebd. S. 43. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 43).

(274) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (3) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (4)﴾ (صدق الله العظيم)

استطاع (رايماروس) أن يثبت للملأ تصورات ونظرياته الدينية الفلسفية من خلال البحث العلمي، حين «ربط في مخطوطاته الفيزيائية الدينية علوم الدين بعلوم الطبيعية»،²⁷⁵ حيث وجد، من خلال التجارب التي قام بها، وبنفس الطريقة، «دليل وجود الإله الخالق في نظام الطبيعة العقلاني».²⁷⁶ وكان «الحث في القرآن على الأخلاق الحميدة والفضائل وعبادة الإله الواحد الحق» يمثل شيئاً رائعاً بالنسبة له وللسنغ.²⁷⁷ وكان (رايماروس) قد أشار في كتاباته أيضاً إلى «التقدم الأخلاقي الذي جاء به الإسلام».²⁷⁸ ويقول لسنغ بأن (رايماروس) قد أثنى على الإسلام في مخطوطاته الدينية حين اقتبس نص ما قاله الإنجليزي (سيل) عن القرآن:

«إن ما ذكر في القرآن عن الأخلاق الحميدة والفضائل وعبادة الإله الواحد الحق يُعد في غاية الروعة والجمال، ويستطيع كل مسيحي أن يلاحظ ذلك».²⁷⁹

يتمنى لسنغ على المرء أن يصنع عالماً طبيعياً مقدساً في إطار مفهوم العناية الإلهية، وكما جاء في مقدمة الإعلان عن مسرحيته «ناتان الحكيم» وما طرحه من أفكار على خشبة المسرح، التي تدل على الدين الطبيعي العقلاني الذي يرتأيه، بعد أن شكك بطبيعة العالم الذي يحيا فيه، والذي يتفشى فيه الظلم والاستبداد والاستعباد وكبت الحريات ومصادرة حقوق الإنسان والإبتعاد وعدم الإلتزام بالأخلاق والعمل الصالح، التي أوصى بها الله في كتبه السماوية التي أنزلها على أنبيائه، بقوله:

(275) Ebd. Siehe auch Fick: Lessings Handbuch. S. 352. (ينظر إلى المصدر السابق. وأيضاً فيك: «كتيب لسنغ»، ص 352.)

(276) Horsch 2004. S. 43. (ينظر إلى: هورش 2004، ص 43.)
(277) Lessing WB. Bd. VIII. S. 131.

(ينظر إلى لسنغ: «الاعمال والرسائل»، البند VIII، ص 131.)

(278) Vgl. Horsch 2004. S. 43. (ينظر إلى هورش 2004، ص 43.)

(279) Lessing WB. Bd. VIII. S. 131. (ينظر إلى لسنغ: «الاعمال والرسائل»، البند VIII، ص 131.)

«إن العالم، كما أراه، عالما طبيعيا، ولكن قد لا تكمن فيه وحدة العناية الإلهية لكي يكون عالما حقيقيا».²⁸⁰

يقول (شيلسون) في معرض تعليقه على ما طُرح سلفا، «إن النهج الذي إتبعه لسنغ في نظريته وطروحاته الفلسفية الدينية الأدبية لتفسير مجريات التاريخ، ونموذج العالم الذي إقترحه في مسرحيته «ناتان الحكيم»، كان الهدف منه إيجاد العالم الحقيقي والفعلية للعناية الإلهية بطبيعته الكاملة».²⁸¹ العالم الذي يجب أن يحى فيه الإنسان لإنسانيته، وتحفظ كرامته في العيش، وتضان حقوقه وواجباته، وتضمن له حرية الرأي والتفكير والتعبير والإختيار».

لذلك كان (رايماروس) «يهدف من مقارنته للإسلام بالدين الطبيعي العقلاني توجيه نقدا مباشرا للمسيحية» المعاصرة لحثها على تغيير أفكارها²⁸²، التي ورثتها من القرون الوسطى، في تعاملها مع أبناء المجتمع المسيحي وأنصار الديانات الأخرى. لهذا كان تمثيل الإسلام في مخطوطات «الإنقاذ» و«الاعتذار» للفلاسفة والأدباء المنصفين انتقائيا ومستوحى من الذكر الحكيم، كما هو في مخطوطة لسنغ الفلسفية النقدية «إنقاذ السيد كردانيوس».²⁸³

إن جوهر الإسلام لدى لسنغ يكمن في حال كونه دين طبيعي، و«الذي يفسر الأشياء الأخرى الأقل أهمية كخواص إيجابية الأديان أو الاختلافات الجوهرية تحديدا في صورة الله»²⁸⁴، حيث إن الدين الحق، وفقا للسنغ، يجب أن يكون عالميا، ولا يعتمد على السياقات التاريخية والخصوصيات الوطنية والقومية، لذلك فإن من يحمل هذه المبادئ هو الدين الطبيعي فقط، الدين الذي يكون «العقل السليم وقانون الطبيعة مصادره الفعلية في جميع الواجبات والفضائل».²⁸⁵

وهناك كتاب وأدباء وفلاسفة غربيون، من بينهم العالم والفيلسوف الألماني (غوتفريد فيلهلم لايبنتز) - (1646 - 1716) -، الذين وقفوا إلى جانب «مذهب التوحيد» في

(280) Lessing GW. Bd. 2. S. 321. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 321).

(281) Schilson 1974. Bd. 3. S. 194. (ينظر إلى شيلسون 1974، ص 194).

(282) Horsch 2004. S. 43. (ينظر إلى هورش 2004، ص 43).

(283) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(284) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(285) Lessing WB. Bd. VIII. S. 130. (ينظر إلى لسنغ: «الاعمال والرسائل»، البند VIII، ص 130).

أوروبا ورأوا في الإسلام دين العقل والمنطق، قدموا في كتاباتهم تقييما إيجابيا في قولهم بأن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بقى متمسكا بالتعاليم العظيمة للدين الطبيعي. وبذلك فقد أشار الفيلسوف الألماني (لايبنتز) في مقدمة نظريته «العدالة الإلهية» 1710 إلى تصنيف الإسلام في التطور الديني للبشرية، بقوله:

«تمسك محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذه التعاليم العظيمة للدين الطبيعي، ونشرها أنصاره ووصلوا بها إلى مناطق نائية في قارتي آسيا وإفريقيا، ونجحوا في انتزاع النظم الوثنية للإيمان بالخرافة في عدد من البلدان، التي عارضت التعاليم الحققة لوحداية الله وخلود الروح، في حين لم تحترق المسيحية».²⁸⁶

وانطلاقا من إيمانه بمبدأ «المعرفة بالله» و«العمل الصالح» - التي تعتبر الركائز الأساسية للدين الطبيعي لدى المفكرين والفلاسفة - عرّف لسنغ الدين الطبيعي في مخطوطته «حول نشأة الدين الموحى» 1763 بعبارات ندرج نصها:

«معرفة الله، والبحث عن مصطلحات لتبجيله، ومراعاة هذه المصطلحات المهيبة في التفكير والتصرف، هو تجسيد كامل للدين الطبيعي. وأن يكون كل إنسان متعلقا ومرتبطا بهذا الدين الطبيعي قدر المستطاع».²⁸⁷

وفي ضوء هذا التعريف أضحى «الإيحاء» و«العقل»، في فكر لسنغ ونظرياته الدينية الفلسفية، مرتبطان ببعضهما ومكمل كل واحد منهما للآخر، بحيث «صارت حقيقة الإيحاء منذ نشأتها ومرورا بمجريات التطور التاريخي حقيقة للعقل، شريطة أن تساهم تربية الفرد والمجتمع، ضمن هذا المفهوم، في تنمية كمال العقل»²⁸⁸ والتصرف.

Leibniz: Die Theodizee von der Gute Gottes, der Einheit des Menschen und dem Ursprung des Übels. Hrsg. u. übers. von Herbert Herring. Frankfurt a. M. 1965. S. 3.

(غوتفريد فيلهلم لايبنتز: «العدالة الإلهية»، ترجمة ونشر هيربرت هيرينغ، 1965 فرنكفورت أم ماين، ص 3).

Lessing WB. Bd. VI. S. 423. (287 ينظر إلى لسنغ: «الأعمال والرسائل»، البند VI، ص 423).

B. Wehrli: Kommunikative Wahrheitsfindung. Zur Funktion der Sprache in Lessings Dramen. Tübingen 1983. S. 148. (ينظر إلى بي فيرلي: «اكتشاف الحقيقة المتواصل. دور اللغة في مسرحيات

لسنغ»، توبنغن 1983، ص 148)

ويقول لسنغ في فقرات مؤلفه «تربية الجنس البشري» 1780: «ما تعنيه التربية للفرد من الناس، هو الإيحاء للجنس البشري عامة».²⁸⁹ وهذا ما عمل عليه لسنغ في كتابة مسرحياته الشعرية ومنها «ناتان الحكيم» التي ضمنها الكثير من الإيحاءات والإيحاءات التي تدل الإنسان على الدين الطبيعي الذي يبتغيه، متخذاً من مبادئ حركة التنوير التي عمت ربوع أوروبا، منطلقاً لمحاكاة العقل البشري الذي اعتاد على الجمود والجمود.

يقول (شيلسون): إن التأثير الروحي للفيلسوف (لايبتز) على لسنغ في فكر العناية الإلهية كان واضحاً للعيان وتجسد في اللحظة الأخيرة لمسرحيته «ناتان الحكيم» 1779، حين توج لسنغ عمله الدرامي بهذه الأفكار والإيحاءات «في المشهد الختامي للفصل الأخير»، وبشكل أكثر وضوحاً لما عرضه في «حكاية الخواتم» التي ضمنها لهذه المسرحية. ذلك لأن مصطلح لسنغ - لايبتز «الإيمان بالله»، الذي أحيطه شخصية «ناتان» في المسرحية قد جلب الأحداث الدرامية باتجاه نهاية سعيدة وناجحة، حيث يتحد زعماء الأديان السماوية في عائلة موحدة مسلمة تتفاعل فيها العناية الإلهية والإنسان.²⁹⁰

وانطلاقاً من هذا المعنى وإقراراً بالموقف المثالي الخاص بـ «الاستسلام والخشوع لله» أو بمعنى أصح «الإيمان بالله» جعل لسنغ شخصيته الدرامية «ريشا» تؤكد في قولها على: «أن الإيمان بالله لا يتعلق بالظن بالله».²⁹¹

يشير لسنغ بقوله هذا إلى ضرورة أن يسلك المرء الطريق المعبود والصحيح المؤدي إلى الدين الإيجابي الذي يتجسد فيه الموقف الديني الحقيقي للإنسان، حيث يصبح مبدأ «الإيمان بالله» عنصراً لا يُستغنى عنه في التطبيق الإنساني الفعلي على مستوى حجم العمل الصالح الشامل لكل مرافق الحياة، والذي تمت الإشارة إليه في نهاية حكاية الخواتم في مسرحية «ناتان الحكيم».²⁹²

Gotthold Ephraim Lessing: Erziehung des Menschengeschlechts. Berlin 1780. S. 9. (289)

(غوتهولد أفرايم لسنغ: «تربية الجنس البشري»، برلين 1780، ص 9.)

Schilson 1974. Bd. 3. S. 198. (ينظر إلى شيلسون 1974، البند 3، ص 198.) (290)

Lessing NdW (III/1). (لسنغ: «ناتان الحكيم» 1779، الفصل الثالث/ المشهد الأول.) (291)

Schilson 1974. Bd. 3. S. 198. (ينظر إلى شيلسون 1974، البند 3، ص 198.) (292)

وبناء على المفهوم الديني الفلسفي لمخطوطة لسنغ «إنقاذ السيد كردانيوس» يؤكد (شيلسون) على قوة الإقناع العقلي للإسلام في تفنيد الحجج التاريخية للأديان الأخرى، بقوله:

«في الوقت الذي عرضت فيه قوة الدين المحمدي بمعقولية بسيطة، سقطت في الغسق كل الحجج التاريخية التي أتى بها المسيحيون بطريقة رائعة وهادئة. وإن التشديد في تصنيف تعاليم محمد (صلاة الله عليه) على أنها فئة مختلفة تجاه حقيقة المسيحية واليهودية القائمة على الإيماءات العظيمة التي تعذر إثباتها، قد أضعف أكثر حقيقة الدين المسيحي».²⁹³

إن هذا التقييم الديني العلمي للإسلام كدين سماوي، طبيعي وعقلاني، كان واضحاً جداً للعيان في النصوص النقدية الدينية الفلسفية التي كتبها لسنغ وكذلك (رايماروس)، وتم تكرار ذلك في الطروحات الكاملة لمخطوطات لسنغ التي ذكر فيها الإسلام: فمن ناحية عرضت قضية مقارنة الإسلام بالدين الطبيعي في المخطوطة الدينية الفلسفية «إنقاذ السيد كردانيوس»، ومن ناحية أخرى عد لسنغ الإسلام واحداً من الأديان السماوية في رسالته السادسة بعد المائة، وتم التأكيد كذلك على النشأة الجماعية لهذه الأديان السماوية - اليهودية والمسيحية والإسلام - في مسرحيته «ناتان الحكيم»، وبالتحديد في حكاية الخواتم، التي تمثل للكثير من المحللين والنقاد والباحثين في أدب لسنغ وأدب حركة التنوير الركيزة الأساسية التي استند عليها العمل الدرامي للمسرحية عرضاً ومضموناً.²⁹⁴

يقول (بياتريس فيرلي)، مؤكداً لما جاء في هذا العرض، «إن مؤلف مسرحية «ناتان» كان يقف على مرتفع، من حيث يمكن له أن يرى أشياء أكثر من الحياة العامة».²⁹⁵ وبناء على ما تقدم ونتيجة له، أن لسنغ، ومنذ نعومة أظفاره في مجال الكتابة والتحليل والتأليف، أخذ على عاتقه مسألة الدفاع عن الإسلام والذود عن رسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، حين أفصح عن ذلك في بداية تأليفه المسرحي عندما كتب مسرحيته التراجيدية

(293) Schilson 1974. Bd. 3. S. 61. (شيلسون 1974، ص 61).

(294) Vgl. Horsch 2004. S. 44. (ينظر إلى هورش 2004، ص 44).

(295) Wehrli 1983. S. 149. (ينظر إلى فيرلي 1983، ص 149).

الشعرية - النثرية «فاطمة»، والتي رد من خلالها على مسرحية (فولتير) «محمد»، واصفا الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بـ «أفضل رجل».

ثالثا: مسرحية لسنغ التراجيدية «فاطمة» 1759

انطلاقا من موقفه الصريح الرافض والناقد لمسرحيات الكتاب الأوروبيين المسيئة للإسلام، خاصة مسرحية الأديب الفرنسي (فولتير) التراجيدية «محمد» 1741، كتب لسنغ، وبصياغة شعرية ونثرية فنية رائعة، مسرحيته التراجيدية «فاطمة» عام 1759²⁹⁶، التي ربما كانت المحاولة الأدبية الدرامية الفعلية الأولى لرائد حركة التنوير الألماني الشاب لسنغ في مجال الكتابة عن قضية الإسلام والتسامح في أوروبا، وعرضها على خشبة المسرح الألماني بشجاعة فائقة وبلا خوف من التهديد والملاحقة، التي كان يتعرض لها من قبل الكنيسة الكاثوليكية بسبب مواقفه الإيجابية تجاه الإسلام ورسوله ودفاعه المستميت عنهما في طروحاته الدينية الفلسفية، التي كان يطمح من وراءها عرض للقارئ والمشاهد الأوروبي بحيادية تامة صورة جديدة للدين الإسلامي ورسوله الكريم مغيرة للصورة غير المنصفة التي كانت تحملها مؤلفات الكتاب ورجال الكنيسة المتشددون.

1 - نشأة مأساة «فاطمة»

من أجل أن نفهم أفكار وتوجهات وتطلعات وما يبتغيه رائد حركة التنوير الألماني غوتهولد أفرايم لسنغ في موقفه الإيجابي تجاه الإسلام ورسوله الكريم محمد (صلاة الله عليه) في كتابته لمسرحياته الشعرية خاصة «فاطمة» و«ناتان الحكيم» التي تتطرق في موضوعاتها إلى الصراع الديني والحضاري الأزلي بين الشرق والغرب، لا بد لنا أن نلقي نظرة على نشأة مسرحيته «فاطمة» لكي نتعرف على الظروف والمؤثرات والأسباب التي أدت إلى ولادتها عام 1759:

Vgl. Lessing WB. Bd. IV. S. 70-79, 838-842. Diese Ausgabe wird kunftig abgekürzt (296 mit (Lessing: Jambisches Phatime-Trauerspiel 1759. S. oder Lessing: Prosaisches Fatime-Trauerspiel 1759. S.). (ينظر إلى لسنغ «الأعمال والرسائل»، البند IV، ص 70-79 و 838-842. وسيختصر هذا المرجع لاحقا بلسنغ: «المسرحية الشعرية التراجيدية فاطمة» 1759، أو لسنغ: «المسرحية النثرية التراجيدية فاطمة»، 1759، ص ... ؟)

يستطيع المرء أن يربط نشأة مأساة «فاطمة» بمشروع لسنغ الكبير «ناتان الحكيم» الذي تم التخطيط إليه من قبل الكاتب في بداية الخمسينيات من القرن الثامن عشر، أي قبل ما يقارب الثلاثين عاما من نشرها رسميا سنة 1779.

إن موضوع مسرحية «ناتان الحكيم» كنص مقروء يؤكد أهمية النهج الذي اتبعه الكاتب لسنغ في مأساة «فاطمة»، حتى في طريقة الكتابة الشعرية والنثرية، التي أوجد من خلالها إنسجاما متناسقا بين النظم الشعري والأسلوب النثري²⁹⁷، الأمر الذي جعل الروعة والصفاء في صياغة الحوار بين الشخصيات تذكّر القارئ والمشاهد بمسرحية التسامح «ناتان الحكيم»، التي حملت الكثير من أفكار وتطلعات الكاتب في مسرحية «فاطمة».

نستنتج من ذلك، يقول (تيودور سيلغن)، بأن لسنغ استخدم نفس النهج والأسلوب في كتابة النظم الشعري، بحيث لا نرى هناك اختلافا جديرا بالملاحظة في مسرحية «فاطمة» مقارنة بـ «ناتان»²⁹⁸. ومن حسن الحظ، يقول (سيلغن): إن لسنغ ذاته قام بتدوين تاريخ نشأة مسرحيته الشعرية «فاطمة» في 5 / 8 / 1759، والتي فُقد جزء منها²⁹⁹. وكان لسنغ قد أعلن عن وضعه خطة لمشاريعه المسرحية التراجيدية في رسالته الموجهة بتاريخ 28 تموز 1759 إلى (غلايم)، والتي جاء فيها ما نصه:

«بالتأكيد سوف لن يغضبك ما أفرشه الآن في غرفتي الصيفية، لا تفكر بحق السماء بأنني أزاول عملي هنا. لكنني لم أكن كسولا أبدا عندما أكون في صومعتي هذه. فعندما تزدحم الأفكار في مخيلتي، أقوم بعمل مشاريع أدبية، نعم مشاريع لمسرحيات ملهاة ومأساة، وأعمل على مداعبة أفكارها في خيالي، فأضحك تارة وأبكي تارة أخرى، وأصفق لنفسي في ذهني، أو كثيرا ما تغمرني السعادة وأكون فخورا وأصفق في خيالي للابتهاج بها»³⁰⁰.

(297) Ebd. S. 840. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 840).

(298) Theodor Seelgen: Lessings jambische Dramenfragmente. Berlin 1930. S. 88. (تيودور

سيلغن: «نصوص لسنغ المسرحية الشعرية»، برلين 1930، ص 88).

(299) Ebd. S. 89. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 89).

(300) Vgl. Lessing WB. Bd. IV. S. 840. 1. (ينظر إلى لسنغ: «الاعمال والرسائل»، البند IV، ص 840).

ولم يكن لسنغ غافلاً أو متغافلاً عن دور المرأة المسلمة التاريخي بصياغته للأحداث التاريخية في المسرحية. فمن أجل أن يظهر للقارئ خبرته في دراسة التاريخ الإسلامي، ووجهات نظره تجاه ما عرض من قبل عن الإسلام، ولكي يكون مشروعه المسرحي التراجيدي أكثر تأثيراً اختار لسنغ لبطلته اسماً عربياً مسلماً معروفاً وهو «فاطمة»³⁰¹، الذي يشير في معناه إلى اسم «فاطمة» (عليها السلام) بنت الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

لذلك فقد وجد الباحثون في نصي المسرحية الشعري والثري نوعان لطريقة كتابة اسم فاطمة في اللغة اللاتينية، وهي (Phatime) و (Fatime)، وهذا لا يغير في معنى الاسم شيئاً. كما كان اسم مشرف البلاط الملكي في الفصل الأول والثاني للنص الثري «إبراهيم» وليس «مروان»، في حين استخدم لسنغ اسم «مروان» بدلاً من «إبراهيم» في المشاهد³⁰² 11-14، ولم يحدد السبب في تغيير طريقة كتابة اسم البطلة «فاطمة» أو استبدال اسم «إبراهيم» بـ «مروان». وعليه فقد سميت المسرحية بفترتين: الأولى «فاطمة - إبراهيم» والثانية «فاطمة - مروان»³⁰³. وكانت هناك أجزاء من المشاهد مفقودة من النص الأصلي للمسرحية لأسباب غير معروفة لحد الآن، وكما مبين في الحوار بين الملكة «فاطمة» وزوجها الملك «عبد الله»:

المشهد العاشر: أ) «قرار فاطمة. أحد الخدم يجلب لها الطرحة»،³⁰⁴ فاطمة تحبباً السم في الطرحة.

ب) عبد الله - فاطمة: أحد الخدم، خادم، دعي إبراهيم يسأله»³⁰⁵.

يلاحظ (كارل غوتيلف لسنغ) في المقدمة التي كتبها للنصين الشعري والثري للمأساة «فاطمة»، والتي تناول فيها مدخل المسرحية والعمل بشكل عام، بقوله: «من يرى النصان

301 Seelgen 1930. S. 88. u. 90. (تيودور سيلغن: «نصوص لسنغ المسرحية الشعرية»، برلين 1930، ص 88 و 90).

302 Vgl. dazu siehe Lessing: Jambisches u. Prosaisches Fatime-Trauerspiel 1759. (ينظر

إلى النص الشعري والثري لمسرحية لسنغ «فاطمة» 1759)

303 Seelgen 1930. S. 90. (ينظر إلى: سيلغن 1930، ص 90).

304 Hier ist der Rand der Handschrift abgerissen. (هنا فقرة مفقودة من حافة النص).

305 Lessing: Jambisches Phatime-Trauerspiel 1759. (S. X). S. 71. (لسنغ: «فاطمة» النص

الشعري 1759، المشهد، ص 71).

ويقرأهما كثيرا، سيكون تقييمه لهما حرا ومختلفا جدا، على عكس تقييم الذي يراها لأول مرة ويلقي عليها نظرة سريعة بعيون شاردة».

ويستطرد قائلا: «بدأت هذه الخطة مهمة جدا بالنسبة لي، لقد سحرتني المشاهد الاثني الأولى في عمل المسرحية». مشيرا إلى «إن هذين المشهدين لم يكونا محددتين في الخطة بشكل كاف، بحيث لم تكتب أسماء الشخصيات أمام الحوارات، أو أي شيء آخر يشير إليها، والذي يوضح عادة من قبل الكاتب».³⁰⁶ وكما في المثال الآتي:

«ما يخصك فقط! أليس كذلك؟ ألم تكن مخطئا في نفسك تجاهي، الأمر الذي يجعلني لا أستطيع أن أحبك؟ أنا لست مثلك؟ عدا أن تكون منصفًا جدا تجاه نفسك ...

أذهب بسرعة الآن! إن من يريد أن يعكر صفو حياتي اليوم، هو من يقدم لي الخدمة. يمكنك أن تجعل من الصعب جدا لي البرية، ...»³⁰⁷

رغم أن مسرحية «فاطمة» واحدة من الأعمال الأدبية الفنية المسرحية التي لم تعرض على خشبة المسرح الألماني، لكننا نعتقد بأن هناك عدة أسباب جعلت لسنغ لا يعلن عن أسماء شخصيات الحوار في فصلي المسرحية الأولى، وهي إما أن تكون أسباب أمنية تتعلق بملاحقة المتشدد من رجال الكنيسة وانتقادهم له، وهذه أسباب ضعيفة لا يمكن التعويل عليها لأن لسنغ لم يكن يخشى هولا في حياته، أو أسباب تتعلق بمشروع مسرحيته الكبير «ناتان الحكيم» ورغبته في استبدال أسماء الشخصيات بين المسرحيتين، كاستبدال اسم الملك عبد الله بصلاح الدين الأيوبي في «ناتان»، واسم فاطمة بسيتا شقيقة صلاح الدين، واسم إبراهيم - مروان باسم الحافي دروش ... لأن في العادة يطرح لسنغ عدة أسماء للشخصية الواحدة عند كتابة مسرحياته، وبعدها يختار الاسم الأكثر مواءمة للعمل المسرحي من الناحية الفنية والتاريخية، الأمر الذي ربما جعل هذه الأسماء تسط سهاو رغم أنه ذكرها في فصول المسرحية اللاحقة ... أو لغاية في نفس يعقوب.

(306) Lessing WB. Bd. IV. S. 840. (لسنغ: «الاعمال والرسائل»، البند IV، ص 840).

(307) Lessing: Prosaisches Fatime-Trauerspiel 1759. S.77. (لسنغ: «فاطمة» النص النثري 1759، ص 77).

ويظهر (كارل لسنغ) مرة أخرى إعجابه بمأساة «فاطمة» في المقدمة التي كتبها عنها، بقوله: «بذلك لا يحتاج المرء إلى أن يكون أوديب، ليعرف بأن المسرح عبارة عن صالة أو غرفة في سراي عثمان، الذي سمي عبد الله في مشروع المسرحية». ويشدد على «أن المرشحة الأوفر حظا، التي دعت سيدات القصر لزيارتها في الصباح، أخذت تتعامل بضرافة وخفة دم مغلفة بالخبثاة، استطاعت من خلالها أن تكسب الجميع إلى جانبها إلا واحدة، كانت قليلا ما تتملق لها».³⁰⁸

«أمر عثمان، أميرة قلبه، أنت من اختارها من بيننا، للقيام بتقديس الضحايا في كل صباح، بعد أن كنت مهجورة طول اليوم، لتستأنسي بالصدقة والمحادثة، والمزاج واللعب، باختصار: هذه هي اللعبة».³⁰⁹

يقول (سيلغن)، لو يستحضر المرء صفاء الحوار في مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم»، لوجد مزايا أخرى، تجربنا على أن نضع النص الشعري لمأساة «فاطمة» في زمن هو الأقرب بكثير من النقاط التي وضعت لمسرحية «ناتان». لكن نظم لسنغ للشعر الحر غير المقفى لم يختص بمسرحيته «ناتان» فقط، إنما شمل مأساة «فاطمة» وبنفس المعيار أيضا.³¹⁰

ويمكن للمرء أن ينسب هذه الحقيقة لنشأة مسرحية «فاطمة»، يقول (سيلغن)، إلى تاريخ أقرب ما يكون إلى نشأة مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم»، خاصة إذا ما استحضرننا تاريخ رسالة لسنغ الموجهة إلى (نيكولاي) في 7 / 10 / 1768، التي أعلمه فيها «أين بقيت الطبعة الجديدة للنص».³¹¹ وهذا الكلام يقودنا إلى الاستنتاج بأن لسنغ ربما كان قد عدل أو أعاد صياغة النص الشعري لمأساة «فاطمة» في الفترة ما بعد 1759، ليعيد إصدارها من جديد عام 1768.

(308) Lessing WB. Bd. IV. S. 841. (لسنغ: «الاعمال والرسائل»، البند IV، ص 841).

(309) Lessing: Prosaisches Fatime- Trauerspiel 1759. S. 76. (لسنغ: «فاطمة» النص الثري 1759، ص 76).

(310) Seelgen 1930. S. 92. (ينظر إلى: سيلغن 1930، ص 92).

(311) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

وهناك مصادر أخرى تعزي تاريخ نشأة النص الشعري لمأساة «فاطمة» إلى العام 1768، فقد أشار الأديب (أم لاندوا) في مؤلفه «مسرحيات هيرودس وماريامنه» 1895 / 1896 إلى أن لسنغ - وبلا شك - قد أخذ مادة النص الشعري لمأساة «فاطمة» من مسرحية الأديب الفرنسي (فولتير) «ماريامنه»، وبذلك يتم كشف المصدر الرئيسي لهذه المسرحية التراجيدية. وأشار الكاتب (أريش شمادت) في البند الأول من مؤلفه «عمل لسنغ» 1884 أيضا إلى أمر في غاية الأهمية؛ ألا وهو تأثر لسنغ بمسرحية فولتير «ماريامنه» التي تأثر بها الكثير من كتاب التراجيديا الأوروبيين، بقوله:

«يتذكر المرء روعة العمل الذي قدمه هيبيل، حين جعل الرقابة المريبة تقضي على الحب الصادق لماريامنه تجاه هيرودس، وغالبا ما كانت تدور هذه الأحداث الدرامية في مخيلة لسنغ: العاطفة المشابة بالظنون للأمير الشرقي، وأمر القتل السري الذي أصدره لقتل زوجته عند غيابه، حتى لا تتزوج غيره إذا قُتل في المعركة، وعودة المنتصر. ولذلك فإن بطلة لسنغ لم تكن لتتظر علنا كزوجة محبة لزوجها إلى ما لا نهاية».³¹²

نستنتج من هذا القول أيضا، بأن مسرحية لسنغ «فاطمة» هي استمرار لهذا الكم من الأعمال الأدبية المسرحية التي تحمل نفس الفكرة لمأساة (فولتير) أو القريية منها، والتي عرضت على مر القرون الموت المأساوي للملكة ماريامنه.³¹³

ويؤكد الكتاب الذين بحثوا في النص الشعري والنثري لمأساة «فاطمة» على أن لسنغ كان قد أزال كافة الدوافع السياسية من المسرحية، التي كان يبتغيها الآخرون، إيمانا منه بأن قدر الإنسان في مأساته، التي يعيشها ولا يجد حلا لها غير التضحية بالنفس، الذي يحرك مشاعر الناس وأحاسيسهم تجاه هذه المأساة، وأن يكون في منأى عن الأعمال الجانبية التي يُراد منها تحقيق مآرب أخرى.³¹⁴

Erich Schmidt: Lessing-Werk. Bd. I. S. 346. Zitiert von Seelgen 1930. S. 93f. (312)

(أرش شمادت: «عمل لسنغ»، البند الأول، ص 346. أقتبس من: سيلغن 1930، ص 93 يتبع.)

Seelgen 1930. S. 94. (ينظر الى سيلغن 1930، ص 94.) (313)

Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق) (314)

يقول (سيلغن) بأن الأديب الألماني لسنغ استقى مادة مسرحيته «فاطمة» من زمن آخر ومن مكان آخر، ومن المؤكد أنه استعار لشخصياته الرئيسية أسماء جديدة. فرغم اللون الشرقي الإسلامي، الذي طغى على المسرحية، يستشعر المرء الضمان القوي، الذي يمكن التعبير عنه بجملة واحدة: «إن الكاتب المسرحي لسنغ كان يقصد كل كلمة كتبها في نص هذه المسرحية».³¹⁵

2- مسار أحداث العمل المسرحي لـ «فاطمة»

تدور الأحداث في مسرحية لسنغ التراجيدية «فاطمة»، التي تقع مشاهدتها في الشرق، حول أمر القتل السري الذي أصدره الملك الغيور الغاضب عبد الله ضد زوجته الحبيبة الملكة فاطمة، حيث تلخص القصة بالآتي: كان الملك عبد الله يحب زوجته فاطمة حبا جما، وكان يشناق إليها كثيرا، خاصة عندما يذهب إلى الحرب. حيث كان عبد الله يقود حملات عسكرية باستمرار ضد الإمارات المجاورة لمملكته للحصول على المزيد من الغنائم. وكان عبد الله على قناعة تامة، بأنه سيلاقي قدره يوما من الأيام في ساحة المعركة. لكنه كان غيورا، وغاضبا، ورافضا بشدة لفكرة أن تتزوج فاطمة رجلا غيره بعد مماته.

لذلك قرر سرا إنهاء حياة زوجته فاطمة قبل موته، رغم أنها لم تفكر قط بخيائته أثناء غيابه. ومن أجل تنفيذ الحكم بقتل الملكة أثناء غياب الملك، اتفق عبد الله سرا مع إبراهيم - مروان³¹⁶، المشرف الأمين على البلاط الملكي والمستشار الموثوق به المفضل والمقرب من الملكة فاطمة. وبعد هذا الاتفاق ذهب عبد الله إلى الغزو لجلب الغنائم. وكانت فاطمة في ذات الوقت قلقة بسبب الغيرة المفرطة لزوجها، وخوفا من أن تقوده هذه الغيرة والغضب إلى الشك، بأن لديها علاقة حب مع مشرف البلاط إبراهيم، خاصة بعد أن كلف أحد الخدم بنقل الأخبار عن عائلته أثناء غيابه.³¹⁷

(315) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق)

(316) Im Jambischen Phatime-Trauerspiel heist Ibrahim auch Mervan.

(في النص الشعري لـ «فاطمة» يسمى إبراهيم أيضا مروان ولم نجد ما يشير إلى السبب في ذلك.)

(317) Vgl. Lessing: Jambisches und prosaisches Phatime-Trauerspiel 1759. S. 70-79.

838-842. (ينظر إلى لسنغ: النص الشعري والثري لمأساة «فاطمة» 1759، ص 70-79، 838-842.)

وعاد عبد الله منتصرا من الحرب، حاملا معه الكثير من الغنائم. وكان يعتقد بأن أمر القتل السري لفاطمة قد تم تنفيذه من قبل إبراهيم، الذي كان عليه أن يدس السم لسيدته فاطمة من أجل قتلها، لكنه امتنع في اللحظة الأخيرة من تنفيذ أمر الملك في ارتكاب هذه الجريمة، وقبل أن يذهب لاستقبال سيده عبد الله باح لفاطمة بهذا السر.

صدمت فاطمة بما قاله المشرف إبراهيم، ولم ترد أن تصدق ما تلي على مسامعها، وشعرت بخيبة أمل شديدة تجاه عبد الله، مما جعلها تستقبله ببرود. الأمر الذي جعل عبد الله يشكي، ويكي، ويحتدم، ويخرج مسرعا ليعطي الأوامر إلى جنوده بإزالة الغنائم، في الوقت الذي يعود إبراهيم ويلاحظ حالة الاستياء والغضب التي تعترى الملك عبد الله.

في هذه الأثناء تهدد الملكة فاطمة إبراهيم لكي يعطيها السم. إبراهيم يجلب السم تحت التهديد ويعطيه لسيدته فاطمة، بعد أن احتفظ بنصف الكمية من السم معه. يعود عبد الله ويأمر إبراهيم بالخروج من الصالة. تقوم فاطمة بتوجيه الاتهامات الشديدة إلى عبد الله على خلفية القرار الذي اتخذته والاتفاق الذي أبرمه لقتلها. فغضب عبد الله واتهم إبراهيم بإفشاء السر لها، واعتبره خائنا، ويجب معاقبته.

لم تستطع فاطمة أن تتمالك أعصابها، حين تأكدت من صحة ما قاله إبراهيم، فقررت أن تنتحر، وابتلعت على الفور كمية السم التي كانت بحوزتها. وفي تلك اللحظات المأساوية تقول فاطمة، بعد أن بدأ السم يسري في عروقها: «سنلتقي يوما ما في حضرة النبي، آه، لقد كان «رجلا فاضلا»... إنه سيسمع شكواي».³¹⁸

وبهذه العبارات التي ضمنها حوار بطلته فاطمة يعبر Lessing عن موقفه الإيجابي تجاه الإسلام ورسوله الكريم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبإشارة مباشرة وانتقاد واضح وصريح لمسرحية الأديب الفرنسي (فولتير) «محمد».

يقف إبراهيم مفجوعا لمأساوية المشهد الذي يراه أمامه، وقد تأثر بكلمات الملكة فاطمة وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة، فقرر عدم البقاء في الدنيا والحق بها، فابتلع ما تبقى من السم

Lessing: Jambisches Phatime-Trauerspiel. 1759. S. 72. (318) (لسنغ: النص الشعري لمأساة «فاطمة»، ص 72).

الذي كان بحوزته، في حين يقف عبد الله مندهشاً لما يحصل أمام عينيه، فيلقي باللائمة على نفسه، وأخذ يشعر بتأنيب الضمير بسبب هذه المأساة، وأخذت تراوده أفكاراً بأنه مجرم وسينال عقاب الله في الآخرة، وسوف يُلعن من قبل الرسول يوم القيامة، فيقرر الانتحار، ويطعن نفسه ويسقط ميتاً. ويظهر الثلاثة في النهاية جثث هامدة على خشبة المسرح.³¹⁹ وبذلك حقق لسنغ مبتغاه الذي يتلخص بنقطتين:

(1) تقديم تراجيديا حقيقية على خشبة المسرح الألماني بعيدة عن التجريح للشخصيات الإسلامية التي عرضها، أو النزعات السياسية والدينية الشخصية للكاتب.

(2) إعطاء انطباع آخر للمشاهد عن شخصية الرسول محمد (صلاة الله عليه) بوصفه إياه بـ «الرجل الفاضل» على عكس ما تم عرضه في مسرحية (فولتير) «محمد» التي أساء فيها للإسلام ورسوله، كإشارة منه إلى مبدأ التسامح بين الأديان الذي يبتغيه ويعمل على تحقيقه.

3- الدافع لكتابة مأساة «فاطمة»

تجدر الإشارة إلى القول بأن المصادر التي استقى لسنغ منها أفكاره في كتابة مأساة «فاطمة» كانت مختلفة كما ونوعاً، وبما يتلائم وتاريخ الشخصيات الإسلامية، التي اختارها، ومادة العمل التي يجب أن تتوفر فيها الصبغة الشرقية من خلال فكرة الأحداث وأين تدور وإلى أين ستنتهي، ومدى تأثيرها على المتلقي، وبما يتناسب وحجم التحديات والإدراك والوعي الثقافي والديني للقارئ والمشهد:

حيث يعزي الكاتب (أرش شمدر) ظهور مسرحية «فاطمة» التراجيدية على ما هي عليه إلى تأثر الأديب الألماني لسنغ بمسرحية «زاره» Zaire التراجيدية للكاتب الفرنسي (فولتير) وبمسرحية «عطيل» للأديب الإنجليزي الكبير شكسبير.

يقول (سيلغن)، «لكننا نعتقد أنه ليس من المستبعد أن يكون الوازع الحقيقي للسنغ في كتابة مأساة «فاطمة» هو مسرحية «هيرودس» و«ماريامنه» التراجيديتين للكاتب (جوزيفوس

Vgl. Lessing: Jambisches und prosaisches Phatime-Trauerspiel 1759. S. 70-79, (319 838-842. (ينظر إلى لسنغ: النص الشعري والثري لمأساة «فاطمة» 1759، ص 70-79، 838-842).

فلافيوس)، ذلك لأن أحداث مأساة «فاطمة» تيين وبشكل واضح لا يقبل الشك تأثر الكاتب لسنغ بـ (فلافيوس)،³²⁰ وفي نقاط عديدة:

«إن أعمال العنف التي قام بها هيرودس تسببت بانتزاع محبة ماريامنه لزوجها ببطء - كان ذلك قبل الطلب المؤسف المقدم إلى جوزيفوس بحذفها كاملة. ولكن رغم ذلك فإن فاطمة لم تكن تنتظر علنا كزوجة محبة لزوجها إلى ما لانهاية».³²¹

ولكن عندما يراجع المرء نص مأساة «فاطمة» ويتمعن به جيدا يكتشف أن لسنغ جعل هذا التأثير مختلفا³²² تماما في طرحه الفني للفكرة وطريقة عرضه للأحداث وإدارته للحوار وإيجاد الحجج التي تم على أساسها بناء النص المسرحي لتحقيق المأساة: جعل لسنغ كارثة كاملة تنشأ من خلال العواطف الجياشة لشخصية عبد الله، التي تتصف بصفات سيئة كالغضب والغيرة المفرطة، في الوقت الذي يجبر المرء على ملاحظة أسلوب الجدل الفني، الذي يتم من خلاله مناقشة هذه الصفات السيئة في شخصية عبد الله في الحديث الذي دار بين شخصيتين رئيسيتين هما فاطمة وإبراهيم في المشهد الأول من النص النثري للمسرحية:

فاطمة: «طلبت كلاهما، إبراهيم، أن تعتذر لي شخصا. - لقد عاد هذا المريب الغيور عبد الله».³²³

يبين هذا الكلام للقارئ بأن لسنغ كان قد بنى أسباب نفور فاطمة من حب عبد الله على الصفتين السيئتين اللتين يتصف بهما زوجها كالغيرة والغضب. ومن خلال هاتين الصفتين عمل لسنغ على إثارة مسؤول حماية فاطمة المشرف إبراهيم - مروان، حين تلى على مسامع سيده قائلًا:

إبراهيم: «رجاء من محب صادق! أن تحجمني عن الكلام المريب الذي قلته لك! حتى لو انتابك شعور بأنه مهم لبراءتك. أنت تعرفين جيدا كم هو غيور عبد الله».³²⁴

(320) Seelgen 1930. S. 94f. (سيلغن 1930، ص 94 يتبع)

(321) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق)

(322) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق.)

(323) Lessing: Prosaisches Fatime-Trauerspiel 1759. (لسنغ: «فاطمة» النص النثري 1759)

(324) Lessing: Prosaisches Fatime-Trauerspiel 1759. (لسنغ: «فاطمة» النص النثري 1759)

بهذه الصياغة الفنية للعمل المسرحي كشف لسنغ على لسان إبراهيم سر أمر القتل، الذي اتخذه عبد الله بحق زوجته فاطمة، في حين لم يلاحظ القارئ أو المشاهد أن السبب وراء ذلك هو علاقة حب أو خيانة زوجية بين سيدة القصر والمشرف عليه، وإنما كانت هناك علاقة اجتماعية قائمة على أساس الاحترام المتبادل والمودة والتعاون بينهما، حال كون إبراهيم الأقرب إلى الملكة في البلاط ومستشارها.

وهذا دليل على أن لسنغ لم ييخس أيضا حق الشخصيات التاريخية الإسلامية التي اختارها للمأساة «فاطمة» باستغلالها في أمور لا تليق بمكانتها التاريخية والدينية، وعلى عكس ما فعل (فولتير) وآخرون في مأساة «محمد». بحيث أكد ذلك من خلال ما قالته البطلة فاطمة إلى إبراهيم في حديثها معه حول الغيرة والشك، اللذان يراودان زوجها عبد الله ويدفعانه إلى اتخاذ قرار التخلص منها بطريقة ما:

فاطمة: «أريد أن أقول لعبد الله وأكرر على مسامعه مرات عديدة، بأنني لم أجد أبا أو أخا محبا لي أكثر منك، وأنتك الوحيد الذي يكون مهذبا في تحقيق رغباتي، أفضل من عاشق متحمس في حبه».³²⁵

إذا؛ ذهب عبد الله إلى المعركة لجلب الغنائم، وهذه تقاليد اعتادت عليها في الماضي القبائل والإمارات والممالك في الشرق والغرب؛ حيث تراوده الأفكار والشكوك حول مستقبله، وأنه سيلقى مصيره بميدان المعركة في يوم من الأيام لا محالة، ولن يرغب مطلقا أن تستأنس سيدة القصر برجل آخر سواه حتى لو كلفه ذلك قتلها قبل مماته.³²⁶ وتراه متحمسا الآن و ينتظر بفارغ الصبر ليرى نتائج ما سيفعله إبراهيم عند عودته حيا أو ميتا إلى أرض المملكة.

يلاحظ (أرش شمادت) في كتابه - «عمل لسنغ»، البند I، ص 346 - بأن لسنغ قد ربط بشكل مقتضب، ومنذ البداية، وقوع الكارثة بـ «وحدة العمل» و «وحدة الزمان» و «وحدة المكان»، التي التزم بها في كتابة أعماله المسرحية الملهاة والمأساة ومنها «فاطمة»، وإن مشاهدة

(325) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(326) Seelgen 1930. S. 95. (ينظر إلى سيلغن 1930، ص 95)

مسرحية «فاطمة» في نصيها الشعري والنثري تذهب بالباحث والقارئ والمشاهد إلى الأعمال المسرحية الرائعة لسنغ، التي عرفت ببراعة أداء النمط التدريجي في بناء صفات الشخصيات والإثارة في تعاقب الأحداث في العمل المسرحي، مشيراً إلى أنه في السر الذي باح به إبراهيم - مروان إلى فاطمة يكمن تأثير مأساة «ماريامنه» على لسنغ، وهو أمر الملك عبد الله بدس السم للملكة أثناء غيابه، وذلك في حال مقتله في المعركة.³²⁷

يجب التسليم هنا، بأن لسنغ لم يكن قد تأثر فقط بمسرحيات معاصريه من الأدباء والكتاب الأوروبيين، وإنما كان قد جسد أيضاً في صفات الملك عبد الله الغيرة والخوف والغضب، التي يتصف بها الرجل في المجتمع الإسلامي بشكل عام، وفي المجتمع العربي الوثني على وجه التحديد، وحرصه الشديد «آنذاك» على زوجته وعشيقته وبناته، التي تصل لديه في بعض الأحيان إلى درجة الشك أو الجنون والقتل، والتي لم تتوفر أو تكون معدومة لدى الرجل في موروث تقاليد المجتمع الغربي، ليجعل منها مأساة حقيقية على خشبة المسرح، دون إساءة وتجريح أو مساس بالثوابت الأخلاقية للشخصيات الإسلامية التي عرضها. حيث يعد بمثابة دليل آخر يشير إلى قراءات لسنغ الكثيرة والمعمقة عن تراث وعادات وتقاليد المجتمع العربي الإسلامي ومدى تأثره بها ليجسدها في أعماله الأدبية.

وهذا يعني أنه قدم عملاً درامياً تراجيدياً إيجابياً بشخصيات إسلامية محكومة بوحدتي الزمان والمكان في الشرق، الذي كسر من خلاله التقليد السلبي المؤلف لدى الكاتب المسرحي والمشاهد الأوروبي بشأن ما يكتب ويعرض عن الإسلام في تلك الفترة.

يتجسد العنف في هذه المأساة بمحاولة هروب مروان - إبراهيم من صالة الاستقبال خوفاً من غضب الملك عبد الله إذا اكتشف أنه باح بالسر، وذلك عندما رأى الملكة فاطمة حزينه والحديث معها ذو شجون، بعد أن قال لها متلعثماً:

مروان: «أنا سأكون التعيس، حين أخبر الملك عبد الله بأنك منزعة! أنا حائر! إنه سيعزي سبب استيائك إلى سوء سلوكي تجاهك... أنت تعرفينه جيداً كم هو مريب».³²⁸

(327) Zitiert von Lessing WB. Bd. IV. S. 841. (ينظر إلى لسنغ: «الأعمال والرسائل»، البند IV، ص 841).
(328) Lessing: Prosaisches Fatime-Trauerspiel 1759. S. 74. (لسنغ: «فاطمة» النص النثري 1759، ص 74)

يدخل الخادم، في المشهد الثاني من المسرحية، ويبلغ الملكة فاطمة، وبحضرتها المشرف إبراهيم، بسلامة وصول الملك عبد الله، وفي هذه الأثناء يحاول إبراهيم حث سيده - التي يملكها إحساس عذمي كلما حاولت أن تجد مبررا لتصرف زوجها - على ضرورة استقبال الملك عبد الله بكل حب وحنان، لكنه لم يجد بمخيلته في تلك اللحظة الكلمات المناسبة والكافية ليصف حب الملك لها، وقد أفشى لها بالسر الذي أتمنه إياه سيده لكسب ودها.³²⁹

يحاول إبراهيم - مروان، في المشهد الثالث، أن يؤكد للملكة فاطمة حب الملك الشديد لها، مستخدما طريقة إفشاءه للسر كوسيلة للتعبير عن إخلاصه للملكة، الأمر الذي أثر سلبا على نفسياتها وأثار غضبها.

يلاحظ القارئ والمشاهد في المشهد الأول للنص الثري لمسرحية «فاطمة» التراجيدية التأثير المأسوي غير المتوقع على البطلة فاطمة بعد إفشاء السر وجهود مشرف البلاط إبراهيم ومحاولاته المستمرة لتهدئتها بكل الطرق والوسائل، وكما يظهر في الحديث الذي دار بينهما:

«إبراهيم: لا تكوني ظالمة، سيدتي فاطمة!

فاطمة: وأنت لا تكن قاسيا، ودعني أذرف الدموع!

إبراهيم: إن هذا الملك الغيور عبد الله هو الرجل الأكثر صدقا، والصديق الأكثر سخاء».³³⁰

ويستمر الكاتب في إثارة الأحداث وتأزيمها للوصول إلى المأساة، تارة من خلال ما باح به إبراهيم للملكة فاطمة، وتارة أخرى من خلال الغيرة المفرطة والغضب غير المبرر للملك عبد الله الذي قاده إلى إصدار أمرا سريا بقتل سيدة قصره، في حين أن الملكة فاطمة تعشق زوجها

Lessing: Jambisches Phatime-Trauerspiel 1759. S. 70. (329) (لسنغ: «فاطمة» النص الشعري

1759، ص 70)

Lessing: Prosaisches Fatime-Trauerspiel 1759. S. 75. (330) (لسنغ: «فاطمة» النص الثري 1759، 75).

إلى الحد الذي لم يخطر على بالها يوما ما إنها ستتزوج من رجل آخر في حالة مماته أو تخونه أثناء غيابه، وتعرف في ذات الوقت أن الملك عبد الله يحبها حبا جما ولم يفكر يوما ما بإيذائها.

لكنه رغم هذا وذاك يقرر الملك عبد الله قتل حبيبته الملكة فاطمة، بدس السم لها خفية، حتى لا تتزوج غيره حين يقتل في المعركة. وهذا الأمر ولد صدمة وردة فعل قوية وعنيفة لدى الملكة قد تؤدي بها إلى الإنتحار، حين عرفت من المشرف إبراهيم قرار القتل السري الذي إتخذه الملك.³³¹

ولكي يكون القارئ والمشهد أكثر انجذابا وفضولا في معرفة ما ستؤول إليه الأحداث في المشاهد اللاحقة، جعل الكاتب لسنغ «الحب» و«أمر القتل» يواجهان بعضهما البعض، ويتحد واضح المعالم من خلال الحبكة والعقدة في تسلسل الأحداث الدرامية وفق النمط المنطقي الفني. وفي تلك اللحظة الخطيرة والحاسمة لم تجد البطلة فاطمة مساحة للتفكير بعقلانية لتدارك الموقف وإنقاذ حياتها الزوجية وحبها بشتى الوسائل، لكن أصبح لزاما عليها اتخاذ قرار قطعي بشأن إنهاء حبها وعلاقتها الزوجية بالملك عبد الله.

كما أن إبراهيم - مروان، الذي يخشى في نفس الوقت على حياته من غضب الملك عبد الله، لم يستطع أن يمنع سيده من تنفيذ ما يجول في خاطرها. ويحاول مرة أخرى، في بداية المشهد الثالث من النص النثري، تهدئتها، قائلا:

«إبراهيم: سيدتي فاطمة! فاطمة! مازال هناك متسع من الوقت، تستطيعين به أن تنقذي حياتنا! أكبحي هذه الدموع، وأحبسي هذا التنهد في صدرك؛ ودعي الفرح يبدو قليلا على محياك، وإن لم يكن في روحك. تظاهري - آه! ماذا يجب علي ان افعل، أنا التعيس، أن أنصحك أكثر من ذلك!»³³²

إذا؛ فالبناء الدرامي لمأساة «فاطمة» كعمل مسرحي متكامل قائم على «أسباب» و«نتائج» وما يترتب على آثارها مرة أخرى. ويرى المرء أيضا بأن الدعائم الأساسية لحدوث

Ebd. (331) (ينظر إلى المصدر السابق)

Ebd. (332) (ينظر إلى المصدر السابق)

الكارثة المساوية تتجسد في شخصية الملك عبد الله، الذي يستطيع أن «يحب» و«يكره» بلا حدود،³³³ بعيدا عما كان ينسب إلى الشخصيات الإسلامية من صفات لا أخلاقية في الأدب الأوروبي بتلك الفترة والفترة التي سبقتها.

نستنتج من ذلك، بأن لسنغ أراد من وراء هذا التجسيد للشخصيات الإسلامية في مأساة «فاطمة» تقديم «صورة درامية مغايرة» للصورة التي كانت ترسم لها في المسرحيات الأوروبية التي تمت الإساءة من خلالها للإسلام، والتي أنتقدها لسنغ بشدة.

لذلك جعل لسنغ، في المشهد الرابع، بطلة فاطمة تعبر عن ما يحول بمخيلته من أفكار عن الإسلام وتقاليد مجتمعه بقوة، التي رغم أنها استفزت بهذه الطريقة المريية وأمتلاً قلبها الطاهر غضبا، تبقى متمسكة بحب زوجها عبد الله، وتستقبله ببرود، في حين كان يسيطر عليه في آن واحد الغضب وحماس الاشتياق المفعم بالحب والكراهية للقاءها مرة أخرى.

وبهذا الموقف يضفي الكاتب على شخصية الملك عبد الله، في المشهد الخامس، صفة الرجل العنيد بأفعاله والضعيف السليب الارادة أمام حبه لزوجته.³³⁴ حيث كان هدف الكاتب لسنغ من ايجاد هذه الصفات المتناقضة في الشخصية لكي لا يكون الملك عبد الله قاتلا حقيقيا للملكة فاطمة والمشرع إبراهيم - مروان، ويدع هولاء الاثنين يقتلان نفسيهما بتناول السم الذي إئتمنه الملك عند مروان - إبراهيم قبل ذهابه إلى الغزو.

وبناء على المنطق الذي لا يميز للعاشق الوهان قتل حبيبته إلا في حالات الخيانة العظمى، فقد إرتأى لسنغ بأن تكون نشوة الحب الحقيقي والغيرة غير المبررة واليأس والغضب، التي إتصفت بها الشخصيات الرئيسية لمأساة «فاطمة»، هي الدافع الحقيقي للانتحار، لتكون صناعة التراجيديا الإسلامية المتحضرة في الأدب الأوروبي أكثر تأثيرا على القارئ والمشاهد الغربي من سابقاتها.

يتضح للعيان أيضا بأن لسنغ قد أتخذ شخصية هيرودس في مأساة «ماريامنه» كقدوة فقط وليس تقليد للحدث النصي، الذي يعرض قيام هيرودس بقتل زوجته الحبيبة وأطفاله

Seelgen 1930. S. 96. (ينظر الى: سيلغن 1930، ص 96)

Ebd. (334) (ينظر إلى المصدر السابق)

مباشرة وبدون تردد. ويتغير مزاجه فجأة في تلك اللحظة بعد اقترافه لهذه الجريمة، بحيث يتتابه شعور بالندم وضعف الارادة بسبب فعلته النكراء وتأنيب الضمير. وعليه يحاول جاهدا إعادة ماريامنه إلى الحياة التي فارقتها إلى الأبد.

يلاحظ المرء، من خلال المقارنة الفنية بين نصي المسرحيتين «فاطمة» و«ماريامنه»، بأن لسنغ استفاد من شخصية هيرودس كرجل ضعيف الإرادة في تحديد صفات شخصية الملك عبد الله، حيث تم تجسيد ذلك في حديث البطلة فاطمة، حين تقول متعجبة في المشهد العاشر، وتصيح:

«فاطمة: هل يعرف (عبد الله) ماذا يريد؟ بالطبع أنا لا أعرف».

استقبلت فاطمة عبد الله ببرود، كما أسلفنا في المشهد السادس، الأمر الذي أثار غضبه؛ فيشكو، ويبكي، ويستعر محتدما، ويهدد، ويتوعد، ثم يذهب بهدوء. ويلاحظ إبراهيم - مروان في تلك اللحظة غضب سيده وعدم رضاه عندما عاد إليهما. فتحاول فاطمة إجباره على إعطائها السم.³³⁵ وتزداد غضبا، في المشهد السابع، وتجبره تحت التهديد على إعطائها السم، في حين أخفى نصفًا منه معه، بعدها يرسل لتفقد الغنائم وإطعام الأسرى.

تحاول فاطمة في تلك اللحظات - في المشهد التاسع - أن تستعيد قواها، وتسيطر على مشاعرها، وتكون شجاعة أمام عبد الله، لأنها أضحت لا تطيق أو تتحمل ما يضمّر لها زوجها. فتقابلة وجها لوجه، في هذا المشهد، وتوجه له اتهامات مريرة أثارت غضبه، مما جعله يتهمها بأنها حصلت على هذه المعلومات الخطيرة من المشرف إبراهيم.³³⁶

وبذلك يمكن القول بأن لسنغ، في هذه الحالة تحديدا، قد نقل تراجيديا «فاطمة»، ومن خلال تطور الأحداث، إلى وضع درامي جديد أكثر إثارة ومأساوية. حيث تستند الملكة فاطمة في قرارها، الذي ستتخذه، على الظلم والقرار المجحف الذي اتخذه الملك عبد الله بحقها.

Lessing: Jambisches Phatime-Trauerspiel 1759. S. 70. (335) لسنغ: «فاطمة» النص الشعري

(1759، ص 70)

Ebd. (336) (ينظر إلى المصدر السابق)

ففي اللحظة التي يذهب بها عبد الله، غاضبا فاقدا للإرادة، لبحث عن إبراهيم - مروان لكي يستجوبه بأمر إفشاء السر، تبتلع فاطمة السم، وتحاول أن تهديء من روعها، وأن تؤكد للآخرين، وهي تحتضر في المشهد الثالث عشر، بأن عبد الله هو السبب وراء إنتحارها، ويجب أن يمثل أمام القضاء ليأخذ جزاءه العادل:

«فاطمة: لا ترتجف يا قلبي، لا ترتجف. إنك لا تستحق هذا العقاب. ما يستحقه هو عبد الله».³³⁷

يحاول الكاتب هنا أن يبرر عملية الإنتحار، لأنها مخالفة للشريعة الإسلامية، وذلك عندما يعزي سبب القدوم عليها إلى شخص آخر، وبالطريقة التي إرتآها كما أسلفنا. حيث يستطيع الباحث والمتابع لأحداث مأساة «فاطمة» أن يلاحظ أيضا إشارة لسنغ الواضحة إلى مأساة «محمد» 1741 للكاتب الفرنسي (فولتير) ونقده المباشر والصريح لها ولكل الأعمال الأدبية للمستشرقين وغير المستشرقين الأوروبيين التي أساءت إلى الإسلام، ليظهر، وبلا تردد، للقارئ والمشاهد الأوروبي عدالة الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وشفاعته لأنصاره وسماع شكواهم يوم القيامة، يوم لا ظل إلا ظله ...

كل هذا الشناء والمديح لشخصه الكريم جعله لسنغ يخرج من فم بطلته فاطمة في حديثها مع إبراهيم وهي تفارق الحياة في المشهد الأخير:

«فاطمة: سعادتي أن تكون رفيقا لي. نسلك طريقا واحدا. ونقابل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) سوية عاجلا أم آجلا. آه، لقد كان «رجل فاضل»، ... إنه سيسمع شكواي، وستكون أنت (إبراهيم) شهادا على قضيتي».³³⁸

ويصر المؤلف لسنغ على أن لا تنتهي المأساة بموت الملكة فاطمة فقط، إنما تبقى مستمرة، ليأتي دور المشرف إبراهيم، الذي سمع ما قالت سيدته وهي تفارق الحياة مودعة إياه إلى الباري جل جلاله، وقد أثرت كلماتها كثيرا بروحه ووجدانه ... في حين كان هو الآخر يبحث عن ملجأ للخلاص من غضب الملك عبد الله، الذي سيقتله لا محالة، خاصة بعد

(Ebd. S. 72. (337 ينظر إلى المصدر السابق، ص 72)

(Ebd. (338 ينظر إلى المصدر السابق)

وفاة الملكة الحبيبة، فيأخذ ما تبقى من السم، ويسقط صريعاً مودعاً الحياة، ليلحق بسيدته فاطمة، ويسلكا ذات الطريق المؤدي إلى رؤيا الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وعدالته، حسب تصورات الكاتب.

يشاهد عبد الله المأساة تلو المأساة بأم عينه، لكنه، وبسبب حالة الضعف والارتباك التي تعتريه في تلك اللحظة، لا يستطيع أن يفعل شيئاً، ويضع اللائمة على نفسه، بعد أن سمع ما قالته الملكة فاطمة بحقه وهي تحتضر، وراى ما فعل على أثرها إبراهيم، فيبدأ لديه تأنيب الضمير والتفكير بالذنب والدار الآخرة ويوم الحساب، حيث يلاقي المجرمون ربهم حتى ينالوا جزاءهم العادل، حين تسمع شكوى ضحاياهم وتكون عدالة الرحمن هي الفيصل بين الجاني والمجني عليه. فبين الحيرة والندم وتأنيب الضمير ومحاولة جلد الذات يقول عبد الله وهو ينظر إلى ضحاياها:

«عبد الله: إنهم يموتون! وسيبدأ الاستماع إلى شكواهم. أنا أسمع ذلك، إنه يتم استدعائي! أنا قادم! إنهم سيقاضونني» - ينادي الحاجب ثم يقول - «وأنت أيها النبي ستلعنني».³³⁹

في تلك الأثناء يغرس عبد الله الخنجر في صدره، ويسقط ميتاً، ليلحق بالآخرين، حيث تطبق العدالة الإلهية بحق الجميع، ويكون الرسول شاهداً على أمته وقاضياً لشفاعتها.

ويعطي ظهور فاطمة على خشبة المسرح انطباعاً إيجابياً للجمهور الأوروبي عن حضور المرأة المسلمة ودورها وتواصلها في الحياة الاجتماعية العامة والخاصة حسب تصورات الكاتب لسنع في أعماله الأدبية، التي أزال - حسب (سيلغن) - كل التناقضات التاريخية في شخصية المرأة المسلمة التي يصورها الأدب الأوروبي، لتظهر بجلاء شخصيتها الحقيقية القوية وقرارها الحر في إطار العمل المسرحي الدرامي، حيث لم يكن قدوم فاطمة على الموت خشية من الملك عبد الله، إنما بدافع الحزن والغضب لما بدر منه من تصرف، إيماناً منها بعدالة قضيتها، التي أضفت على الشخصية طابع العفة والشجاعة والفخر وقليل من التحمل المبرر دينياً واجتماعياً من قبل الكاتب.³⁴⁰

Ebd. (339) (ينظر إلى المصدر السابق)

Seelgen 1930. S. 97. (ينظر الى سيلغن 1930، ص 97) (340)

وإيماننا منه بتعاليم الرسالة السماوية التي أنزلها الله على رسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يربط الكاتب لسنغ القدر المأساوي للشخصيات الإسلامية في مأساة «فاطمة» بالعدالة الإلهية للنبي محمد (صلاة الله عليه) كقاض عادل وشهيد على أمته يوم القيامة، تيمنا بالآية القرآنية؛ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (143 البقرة)، وبإشارة واضحة إلى دور القاضي، الذي يحكم بين الأخوة الثلاثة المتخاصمين من أنصار الديانات السماوية، اليهودية والمسيحية والإسلام، في «حكاية الخواتم الثلاثة» التي عرضها لسنغ، بعد ما يقارب الثلاثين عاما، في مسرحيته الشهيرة «ناتان الحكيم» 1779.

4- مأساة «فاطمة» في مقارنة مع مسرحيات فولتير «ماريامنه» و«زاره» و«محمد»

يقودنا موضوع المقارنة هذا إلى الخوض في تفاصيل النقد الأدبي الذي وجهه لسنغ، من خلال مأساة «فاطمة»، إلى الطريقة التي يتبعها الكاتب والفيلسوف الفرنسي (فولتير) في صناعة التراجيديا الشرقية في العمل الدرامي المسرحي، باستخدامه أسماء لشخصيات إسلامية لها مكانتها التاريخية والدينية، حيث يتم التعامل معها بازدراء بهدف التقليل من شأنها الاجتماعي ومركزها الديني التاريخي، لتحقيق مآرب شخصية ودينية عقائدية، الأمر الذي يجعل العمل الفني يتعد كثيرا، حسب رأي النقاد، عن تصوير الواقع المأساوي الأليم، الذي يعيشه المجتمع الأوروبي في تلك الفترة.

وهذا ما جسده (فولتير) في أعماله المسرحية كمأساة «محمد» 1741 الشهيرة، وكذلك في مسرحيته «ماريامنه» 1727 و«زاره»، التي انتقدها لسنغ بشدة إلى الحد الذي جعله ينكر على (فولتير) الحرفية في صناعة التراجيديا الهادفة، بقوله إن الفرنسيين لا يمتلكون التراجيديا الحقيقية التي تستحق أن أذرف دمعة واحدة من أجلها، وإن السيد (فولتير) يعرف ذلك.³⁴¹

Amadou Booker Sadj: Lessing und das französische Theater. Stuttgart 1982. S. 84. (341)

(أمادو بوكر سادجي: «لسنغ والمسرح الفرنسي»، شتوتغارت 1982، ص 84).

إن هذا الموقف الصارم للأديب الألماني لسنغ جعل نشأة مسرحيته التراجيدية «فاطمة» ترتبط بتقاليد كتابة المأساة الفرنسية وبذات النكهة الشرقية الإسلامية، ولكن بأسلوب درامي يختلف تماما عن مثيلاتها، الأمر الذي جعل لسنغ لا يعبر في أعماله الأدبية الأخرى عن مأساة بطلها الملك أو الأمير أو الدوق أو الأسقف كما هو مألوف في المسرحيات الأوروبية، إنما تكون بطلته من عامة أبناء المجتمع، الذي يقع عليه حيف هولاء الملوك والأمراء ورجال الدين. وبهذه الطريقة تعكس المأساة وبشكل مباشر معاناة الفرد من أبناء الطبقة الوسطى أو المعدومة في المجتمع، كما هو الحال في مسرحيته التراجيدية «أميليا غالوتي» 1773.

لذلك ارتأينا أن نعرض أوجه التشابه والاختلاف بين ماكتبه (فولتير) وما جاء به لسنغ من جديد في كتابة المأساة المستندة إلى مبدأ حركة التنوير الأوروبية في محاكاة العقل البشري لتغيير الواقع الاجتماعي، والتحرر من قيود الاستبداد والاستعباد التي تفرضها الكنيسة بمساعدة سلطات الملوك والأمراء آنذاك:

يدفع فولتير دائما في كتابة مأساته باتجاه وقوع الجريمة بفعل فاعل مع سبق الإصرار والترصد، أي تشخيص الجاني والمجني عليه والانطلاق في العمل الدرامي على أساس هذه الفكرة الكلاسيكية، كما هو الحال في مأساة «ماريامنه»، حين سُمّت بطلته بفعل فاعل وسقطت ضحية لهذا العمل الإجرامي، الذي كان خارج إرادتها، في الوقت الذي يتردد على مسامع الناس عادة مثل هذه الحوادث، التي ربما تكون مألوفة اجتماعيا، وبذلك لم يأت (فولتير) بشيء جديد في صناعة المأساة حسب الناقد الألماني، خاصة حين جعل (فولتير) الملك هيرودس يصدر الأوامر، بدافع الغيرة، لتنفيذ حكم الإعدام بزوجه ماريامنه.³⁴²

أما لسنغ فكانت له وجهة نظر أخرى في كتابة التراجيديا الهادفة؛ ويرى أن المأساة تكون أكثر تأثيرا ووقعا على قلوب القراء والجمهور عندما تكون نابعة من الضحية ذاتها، وذلك بعد توفر الأسباب التي تدفع باتجاه ذلك، خاصة حين يصطدم الاجحاف والغدر والاثام الباطل والغضب والاعتصاب بالعفة والتدين والكبرياء والشجاعة في اتخاذ القرار، وتغلق

Ebd. (342) (ينظر إلى المصدر السابق)

جميع الأبواب بوجه الضحية، فما تجد سبيلا للخلاص من الواقع المرير، الذي غالبا ما تصنعه أيادي السلطات العليا، إلا الانتحار، الذي يثير مشاعر الناس وتعاطفهم معها ومحاولة كل واحد في ذاته الثأر لها من الجناة.

وهذا ما جسده لسنغ في موت البطلة فاطمة، حين جعلها تأخذ السم بنفسها وتنتحر، وكذلك ما فعلته بطولته أميليا في مأساته «أميليا غالوتي» 1773 حين غرست الخنجر في أحشائها بحضور والدها في بيت الأمير، الذي اختطفها في ليلة عرسها، لتنقذ شرفها وشرف عائلتها من العار³⁴³، خلافا لما عرضه (فولتير) في مسرحياته التراجيدية.

ويمكن استخلاص العبر من الفكرة التي تقوم عليها كتابة المأساة في مسرحيات لسنغ في القرن الثامن عشر، أي قبل مايقارب الـ (230) عاما، ومقارنتها بواقعنا العربي عام 2011 حين أقدم الشاب التونسي (محمد بوعزيزي) على الانتحار بإحراق نفسه تعبيرا منه عن المطالبة بحقه الشرعي في العمل، الذي أثار تعاطف الناس الشديد معه، الأمر الذي أدى إلى قيام ثورة عارمة، سميت بـ«الربيع العربي» فيما بعد، غيرت مجرى التاريخ، ليس في تونس الخضراء فقط، وإنما في أغلب بلدان العالم العربي كمصر وليبيا واليمن وسورية... مما يؤكد النهج الصحيح الذي سار عليه لسنغ في كتابة مأساته.

بعد هذا العرض، نستطيع التسليم أيضا، بأن لسنغ كان قد تأثر في بعض ملامح كتابة المأساة لـ(فولتير)، ولم يكن تأثره بها من ناحية الفكر والمضمون، وذلك لأسباب عديدة منها شحة المصادر لديه عن الموروث الشرقي الإسلامي في حينه، وإن إجادته للغة الفرنسية بشكل جيد جعلته يلتجأ إلى (فولتير) شخصا، بحكم العلاقة الشخصية معه ك مترجم في البلاط الألماني للفترة ما بين 1750-1754 تقريبا، وإلى نتاج (فولتير) الأدبي في هذا المجال بأعتبره واحد من كبار الأدباء والفلاسفة على الساحة الأوروبية في تلك الفترة، الذي تحصى كتاباته، ومنها مأساة «محمد»، بأهتمام الملوك والأمراء ورجال الكنيسة الأوروبيين، هذا من ناحية.

Lessing: Emilia Galotti 1773. Letzter Auftritt/ letzte Szene. (343) (لسنغ: «أميليا غالوتي» 1773، المشهد الأخير)

من ناحية أخرى، أراد لسنغ التقرب من أعمال (فولتير) التي أساء بها للإسلام، والتي ما زالت عالقة في ذهن القارئ والمشاهد الأوروبي، ليقدمها له بصورة مختلفة وباسماء مشابهة للشخصيات الإسلامية في مسرحيات (فولتير) «محمد» و«زاره» و«ماريامنه» كفاطمة، عبد الله، إبراهيم، مروان، عثمان...، التي عرضها لسنغ في مأساة «فاطمة»، خاصة حين يلاحظ النقاد والجمهور بأن تسمية بطولته مشتقة من اسم الابنة الوحيدة للرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وزوجة رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب عليه السلام. وتشير تسمية إبراهيم إلى أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، أما عبد الله ومروان فهي أسماء معروفة في تاريخ الأدب الشرقي الألماني والأوروبي.

وهذا دليل آخر على إن لسنغ كان قد خاطب وانتقد (فولتير) بنفس اللغة التي كان يكتب بها الأخير عن الإسلام منتقدا من خلالها النظم السياسية والدينية والاجتماعية، التي كانت سائدة في أوروبا. الأمر الذي جعل (فولتير) يتراجع عن موقفه إزاء الإسلام في بداية الخمسينيات من القرن الثامن عشر، أي بعد كتابته لمأساة «محمد» بعشرة سنوات تقريبا، ويقدم للسنغ نصا للترجمة والنشر بعنوان «تاريخ الحروب الصليبية»، الذي يحكي التاريخ الدموي للصليبيين ضد المسلمين في القرون الوسطى، ويثني على المبادئ السامية للإسلام، التي تحلى بها المسلمون عند فتح بيت المقدس سنة 1187.

يتضح جليا تأثير مأساة «زاره» ل (فولتير)، التي استخدم فيها شخصيات إسلامية، على لسنغ في تحريره للنص الشعري لمأساة «فاطمة» من خلال إدخاله شخصية عثمان وعشيقته الخادمة، مع إختفاء دور إبراهيم وقيام خادמות القصر بهذا الدور بمساعدة عثمان، اللاتي يحاولن من خلال العطايا، التي يقدمها عثمان إلى الملكة فاطمة، أن يضيفن على جوها روح المرح والحديث والنكتة والدعابة.

حيث أشار لسنغ في مؤلفه «دراماتورغي هامبورغ» 1767 إلى مناقشته، وبشكل موسع، لمسرحية «زاره»، والتطرق إلى شخصية أورعثان ل (فولتير)، التي كانت مستوحاة من شخصية «عطيل» للأديب الإنجليزي المعروف (شكسبير)، حسب النص النقدي للسنغ، الذي نشره (أرش شمדת) ودونه (سيلغن):

«لعب أورعثمان دور شخصية عطيل الغيور لشكسبير بشكل مجرد جدا، ليكون عطيل كما يبدو النموذج لشخصية أورعثمان الغيور». وفي مقطع آخر يقول لسنغ: «عندما يطعن أورعثمان نفسه، يدعه فولتير يقول بعض الكلمات فقط، لطمأننتنا عن مصير ميرستان. ولكن كيف رأى مترجم مأساة «زاره» الإيطالي غوزي؟ أنه وجد بلا شك برودا في المأساة، حين يترك التركي (أورعثمان) يموت بطريقة هادئة. ولذلك جعل أورعثمان يلقي خطبة مليئة بالانتقادات العنيفة والبكاء واليأس والتذمر... واللافت للنظر هنا، إلى أي مدى كان الذوق الألماني قد أبتعد عن هذا الأسلوب لفولتير، الذي كانت معرفة الإيطالي له قصيرة جدا، مقارنة بمعرفتنا به نحن الألمان الطويلة جدا».³⁴⁴

يتجلى في هذا النص النقدي استمرار لسنغ في ملاحظته لـ(فولتير) والتشهير بأعماله الأدبية التراجيدية، التي لا ترتق إلى مستوى طموح الجماهير حسب رايه، حيث ينصح الأدباء وكتاب المسرح الألمان بالابتعاد عن تقليد ما جاء به (فولتير) في مجال العمل الفني التراجيدي، واستحداث نمط جديد في صناعة المأساة تليق بسمعة المسرح الألماني الجاد. لذلك حاول لسنغ في مأساة «فاطمة» الاتيان بشيء جديد يتفوق على ما جاء به فولتير في مسرحياته التراجيدية. وهذا يعني إن تعليق لسنغ النقدي سالف الذكر يشير بشكل مباشر إلى تاريخ النص الشعري المعدل لمأساة «فاطمة» سنة 1768. وبناء على ما تقدم يقول (سيلغن) في كتابه «نصوص لسنغ المسرحية الشعرية» ما نصه:

«إن جذور مسرحية «فاطمة» في مرحلتها الثالثة، التي بدأت من الجزيرة العربية مروراً إلى تركيا، تعود إلى تأثير مسرحية فولتير، ونحن مدينون لهذا التأثير، خاصة ما يتعلق بشخصية عثمان في مأساة فاطمة التي تعتبر امتداداً لشخصية أورعثمان».³⁴⁵

وتأكيداً على ما قاله (سيلغن)، فقد أشار لسنغ إلى شخصية «أورعثمان» في الرسالة التي بعث بها إلى أخيه (كارل لسنغ) سنة 1767، بقوله: «إن الشيء الوحيد النبيل الذي لم أكلفك به سابقاً كان الآتي: أنت تعلم بأنني أعرف المدن الجميلة، فقد أريتها إلى مؤلف

Zitiert von Seelgen 1930. S. 99f. (344) (أقتبس من: سيلغن 1930، ص 99 يتبع)

Ebd. S. 100. (345) (ينظر إلى المصدر السابق، ص 100)

مسرحية أورعثمان، بشرط كان قد وافق عليه». ³⁴⁶ وهذا دليل آخر على أن لسنغ لم ينكر تأثره بمسرحيات فولتير. ولكن رُبَّ سائل يسأل، كيف؟ وما السبب؟ ولماذا؟

يجمع عدد من نقاد المسرح والمستشرقين والمختصين في علم اللاهوت الألمان في الوقت الحاضر على أن لسنغ عرض شخصيات إسلامية في أعماله الأدبية على أساس خلفيتها التاريخية، والتي سبق لـ (فولتير) أن استخدمها في كتابة مسرحياته التراجيدية، ذلك بهدف الوصول إلى درجة الكمال الحقيقي للعمل الفني في العرض المسرحي الإسلامي، بعيدا عن الأهداف الدينية والسياسية والتأثيرات والميول، بحيث إنه كان جادا وبذات الوقت على درجة عالية من الحذر في إيصال الحقيقة إلى القراء والمشاهدين. ولهذا يرى (سيلغن) بأن مأساة فاطمة تعتبر إمتدادا للمسرحيات الفرنسية في مادة العمل التراجيدي، لكنها تختلف تماما من ناحية الموقف العقلاني للمؤلف.

وعليه فإنها لم تكن أيضا ذلك العمل الفني الدرامي المثالي لمسرحية «ماريامنه» التي كتبها (لاندائوس)، إنما من الممكن أن تكون الوثيقة المثالية لمؤلفها لسنغ وللإنسانية جمعاء. لقد كان لسنغ خاليا من جميع وجهات النظر الخارجية والنوايا المنحازة في صياغته لهذه المسرحية. ³⁴⁷ يقول (يورغن ركليف) في نص التعليق النقدي الآتي، الذي كتبه حول مأساة «فاطمة» في مؤلفه «نظرية لسنغ عن الضحك والبكاء» 1907:

«إن هذا الجزء من مسرحية «فاطمة» بني على أساس تنفيذ المأساة بالشخصيات الرئيسية، فاطمة وعبد الله، ومعهم الشخصية الثالثة مروان. حيث إن مصير الشخصيات يتنافى تماما مع قدر ما عرض منها في العالم بأسره، وبالتالي فإن الارتقاء بالمأساة كان تلقائيا، بحيث إن الضغط النفسي لم يؤثر مباشرة في شخصية عبد الله، لكنه كان أكثر وضوحا من خلال الصراع الخارجي لأفعاله». ³⁴⁸

(346) Ebd. (أقتبس من المصدر السابق)

(347) Ebd. S. 101. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 101)

(348) Jurgen Ricklef: Lessings Theorie vom Lachen und Weinen. Jena 1907. S. 60.

(يورغن ركليف: نظرية لسنغ عن الضحك والبكاء» ينا 1907، ص 60.)

حيث يلاحظ في كثير من المشاهد لمأساة «فاطمة»، يقول سيلغن، بأن عبد الله لم يكن ذلك الطاغية المتعطش لسفك الدماء أو الفارس المسجوع في الحب، كشخصية هيرودس التي عرضت في عدد من مسرحيات «ماريامنه»، إنما كان يخفي الكرم خلف رداء الصرامة التي كانت تبدو عليه.³⁴⁹

وهذا مؤشر على أن لسنغ كان يبذل دائما جهودا مضاعفة في صياغة الأدوار الفنية للشخصيات الإسلامية، لكي يتمكن من تجسيد المثل العليا والفضائل لأبطاله المسلمين في العرض الدرامي لجميع مسرحياته، الذي يتسم بالحيادية وإظهار الحقيقة، التي تساير العقل البشري والمنطق الإنساني، وتجنب التجريح بالسمعة التاريخية الجيدة والناصعة لهذه الشخصيات، التي تمت الإساءة إليها كثيرا، بقصد أو عن غير قصد، من قبل بعض الأدباء المستشرقين في أعمالهم الفنية، التي انتقدها لسنغ بشدة. وعليه فقد أثنى الكاتب (ركليف) في مقارنته بين أحداث المشهد العاشر والمشهد الأخير للنص الشعري لمأساة «فاطمة» على ما قاله مروان بحق فاطمة على وجه التحديد، بما نصه:

«هذان المشهدان يظهران، كيف أن الكاتب يسعى من خلال الحركة الدرامية إلى تكوين رؤية موحدة، لكن هذه الوحدة في الرؤيا لم تكن نقطة النهاية، التي تميل منطقيا إلى مفهوم التحليل التدريجي، إنما تكون مرتبطة آنيا ومنذ البداية بعملية الإدراك والوعي، التي يبني عليها دائما التحليل والمتابعة في استنباط المفاهيم الجزئية الشاملة للعمل الفني.

لذلك فإن النفاق والاستكانة الدائمة لخدمات القصر تكتشف من خلال قسوة فاطمة الواضحة والصريحة ضد مشاعرهن الحقيقية اتجاهها، حتى قيام الخادمة يافيت بأضفاء نوع من الضحك والمرح في القصر، بعد أن عرفن الطبيعة الحقيقية لسيداتهن».³⁵⁰

والسؤال الذي يطرح نفسه؛ كيف جسد لسنغ الطبيعة الحقيقية في شخصية فاطمة؟ للإجابة على هذا السؤال نعرض ما قاله (ركليف) في مقارنته السابقة:

(349) Ebd. S. 101. (ينظر إلى سيلغن 1930، ص 101).

(350) Ricklef 1907. Zitiert von Seelgen 1930. S. 102. (ينظر إلى ركليف 1907. أقتبس من سيلغن

1930، ص 102).

«إن الإحساس بحصافة واتزان الملكة فاطمة، التي يبدو على محياها من الخارج، تكمن في إحتقارها للنساء الاخريات، أما الحصافة والاتزان الداخلي فيكمن في البكاء، بعد أن حلت التصرفات المرحية للخادمة يافيت عقدة الشك في داخلها - وترى إن كل مظاهر الصراع النفسي، التي تسيطر عليها، قد تلاشت بعودة الملك عبد الله».³⁵¹

وتجدر الإشارة إلى أنه لم يتم الحديث كثيرا من قبل النقاد عن الحصافة والاتزان الداخلي والخارجي في شخصية البطلة فاطمة، ذلك لأنه لم يتم التركيز عليها أو أغفلت من قبل المؤلف في النص الشعري للمسرحية.³⁵² ويمكن التسليم في خاتمة الحديث بأن مأساة «فاطمة» كانت المحاولة المبكرة للأديب الألماني لسنغ في كتابة المسرحيات التراجيدية ذات الطابع الشرقي الإسلامي، التي جسد أفكارها وتوج رسالتها الإنسانية أخيرا، حسب (أوغوست زاور)، في مسرحيته الشهيرة «ناتان الحكيم»،³⁵³ التي نشرت سنة 1779، أي قبل وفاته بقليل عام 1781.

5- مأساة «فاطمة» وعلاقة لسنغ - يوهان غلايم

إن إهتمام لسنغ بتاريخ العرب ودراسته للموروث الإسلامي في بداية الخمسينيات من القرن الثامن عشر، وخاصة قراءته للقرآن، وتأثير ذلك المباشر في كتابة أعماله المسرحية ومنها «فاطمة»، نجده موثقا اليوم في مؤلف الكاتب (تيودور سيلغن) «لسنغ والمسرحيات الشعرية» 1930، الذي تطرق فيه وبشكل مفصل إلى العلاقة الطيبة والتميزة بين لسنغ والأديب الألماني المعروف (يوهان فيلهلم لودفيغ غلايم) - (1719 - 1803) - استنادا إلى الرسائل المتبادلة بينهما، التي ناقش من خلالها لسنغ و(غلايم) ترجمة (بويسين) للقرآن الكريم في حديثهما حول مؤلف (غلايم) «هالادات أو الكتاب الأحمر» 1774، الذي ضمنه (غلايم) الكثير من معاني الآيات القرآنية المترجمة بطريقة الشعر الحر، حيث ذكر (غلايم) في رسالته الموجهة إلى لسنغ بتاريخ 8 / 11 / 1775 بهذا الشأن ما نصه:

(351) Ebd. S. 102. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 102)

(352) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(353) August Sauer: Joachim Wilhelm von Brawe, der Schuler Lessings. Strasburg/ Trubner 1878. S. 137f. Zitiert von Seelgen 1930. S. 103. وتلميذ لسنغ، «شتراسبورغ/ تروبنر 1878، ص 137 يتبع. أيضا سيلغن 1930، ص 103).

«لقد أخبرني بويسين في الصيف الماضي عن ترجمته للقرآن. وكان من رأبي أن تترجم الآيات القرآنية إلى آيات، وأردت أن أعطيه نموذجاً فقط لترجمة الآية. وقد أعطيته نموذجان وثلاثة ... وهكذا نشأ الكتاب الأحمر».³⁵⁴

لكن لسنغ، وبناء على خبرته في قراءة القرآن وأهتمامه بالتراث الإسلامي، لم يقتنع قط بكلام (غلايم)، ورأى بأنه يجب الإشارة إلى أن هناك آيات من الذكر الحكيم كانت قد ترجمت بطريقة ما ونسبت إلى مؤلف «الكتاب الأحمر»، وهذا ما يعاب على كاتب كبير مثل (غلايم)، حسب رأيه ... وعليه فقد كتب (سيلغن) عن أنتقاد وعتاب لسنغ (لغلايم)، بالإضافة إلى التأثير الديني الأدبي والشعري الدرامي (لغلايم) على رائد حركة التنوير الألماني (لسنغ)، بقوله:

«من الضروري هنا أن نتناول موضوع لسنغ بجدية، لمعرفة السبب، الذي جعله يلقي باللوم على غلايم بهذه الروحية. وبمجرد أن يتم تحديد هذا الأمر سنجد في الرسائل اللاحقة وثائق مهمة لتأثير غلايم على لسنغ، خاصة في مجال النظم الشعري».³⁵⁵

فبعد قراءة لسنغ لـ «الكتاب الأحمر» وأعجابه الكبير به، وتأكد به بأن معلوماته قد سرق من القرآن، قرر أن يكتب رسالة إلى (غلايم) بتاريخ 6 / 11 / 1775 يسأله فيها معاتباً؛ فيما إذا لو كان قد ترجم «الكتاب الأحمر» عن مصدر آخر ... بعد أن وجد في محتوى هذا الكتاب ما يشير إلى الموروث الشرقي الإسلامي، والقرآن الكريم على وجه التحديد، الذي لم يعلمه به (غلايم)، حيث ذكر لسنغ في رسالته ما نصه:

«لكنه لمن أقول ذلك؟ أقوله إلى مؤلف «الكتاب الأحمر»؟ ذلك لو كان هو مترجمه الوحيد ... في الحقيقة عزيزي غلايم، إنك لم تجعلني متيقناً بأن كل ما جاء في «الكتاب الأحمر»، الذي أأامي الآن، هو من منهل أفكارك. وبقدر معرفتي بتتاجكم الفكري وإطلاعي عليه، أعتقد بوجود آثاراً حقيقية، في نصوص الكتاب هنا وهناك، لأفكار لا تمد لكم بصلة. فأرجو أن تقول لي السر بصراحة، إذا جاز لي أن أعرف».³⁵⁶

(354) Seelgen: 1930. S. 111. (ينظر إلى سيلغن 1930، ص 111).

(355) Seelgen 1930. S. 110. (ينظر إلى سيلغن 1930، ص 110).

(356) Ebd. S. 111. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 111).

وفي معرض إجابته على تساؤلات لسنغ في الرسالة التي بعث بها بتاريخ 1775/11/8 يؤيد (غلايم) حدس لسنغ، ويعترف له بأن «الكتاب الأحمر» يحتوي على ألوان من الأدب الشرقي وآيات مترجمة من القرآن، بقوله:

«نعم، صديقي العزيز، إن «الكتاب الأحمر»، وكما تراه أمامك، هو من النتاج الفكري لصديقك فقط، ولم ينقل من مصدر آخر، أو من شعر آخر، ولم يكن هناك مؤلف آخر مدون اسمه فيه. لقد أخبرني بويسين في الصيف الماضي عن ترجمته للقرآن. وكان من رأبي أن تترجم الآيات القرآنية إلى آيات شعرية، وأردت أن أعطيه نموذجا فقط لترجمة الآية. وقد أعطيته نموذجان وثلاثة ... وهكذا نشأ «الكتاب الأحمر»».³⁵⁷

يدلنا حوار لسنغ - غلايم النقدي الودي، الذي يتسم بالشفافية والعلمية والحيادية في النقاش حول تأثير الموروث العربي الإسلامي على النتاج الأدبي والفكري الأوروبي، على أن لسنغ كان قد قرأ القرآن عدة مرات وتمعن فيه وتأثر به أيضا، بعد أن ناقشه مع كبار المفكرين والأدباء والمستشرقين من أبناء عصره.

حيث يعد هذا الحوار بمثابة الرد الواضح والصريح من قبل لسنغ لتكذيب ادعاءات الذين ينكرون عليه صلته ودرايته وأهتمامه بالإسلام والموروث الإسلامي والقرآن، ويعدونه «ماسونيا»، اعتنق اليهودية من خلال كتاباته، بهدف التضليل وبشكل كبير على متوجه الأدبي عن الإسلام، الذي لم ير النور إلا في القرن الواحد والعشرين، أي ما يقارب (220) سنة بعد وفاته.

وفي إشارة إلى علاقة لسنغ - غلايم الأدبية، التي تركزت على اهتمامهم بموروث الثقافة الإسلامية والدين الإسلامي، تطرق (سيلغن) أيضا إلى ما قاله الكاتب (دانزيل - غوهراور) عن تأثير أدب الاستشراق على لسنغ و(غلايم)، وكذلك تأثرهما ببعضهما بأسلوب الكتابة الشعرية في التأليف، الذي كان سائدا في أوروبا في تلك الفترة الزمنية والفترة التي سبقتها، بقوله حسب (دانزيل):

Ebd. (357) (ينظر إلى المصدر السابق)

«سواء من ناحية التلوين الأدبي الشرقي أو الطريقة التي اتفق عليها، فإن ترجمة الآيات القرآنية إلى أبيات شعرية تمت بشكل متناسق وجميل، حيث تمكن لسنغ من خلال «الكتاب الأحمر» أن يكتب مسرحيته «ناتان الحكيم» بنفس أسلوب النظم الشعري».³⁵⁸

حيث اعتمد (دانزيل) في تحليله على نص الرسالة التي بعث بها لسنغ إلى (راملر)، والتي وضح فيها سبب استخدامه للون الأدبي الشرقي في كتابة مسرحيته الشعرية «ناتان الحكيم»، بقوله:

«لم يكن سبب إختياري للأبيات الشعرية في كتابة مسرحية «ناتان الحكيم» من أجل العذوبة في اللحن، إنما كنت أعتقد، بأنه علي أن أترك صدى للصوت الشرقي هنا وهناك، الذي يبرز في كتابة النثر أكثر منه في النظم الشعري».³⁵⁹

وفي ضوء هذا التحليل لعلاقة لسنغ - غلايم نستطيع أن نلاحظ أيضا حقيقة أن لسنغ كان قد كتب مأساة «فاطمة»، التي تدور أحداثها في بلد الشرق، بأسلوب قصيدة الشعر الحر. وهذا الأمر يقودنا إلى الاستنتاج والقول؛ أما أن يكون لسنغ قد تأثر أيضا بـ(غلايم)، حسب (سيلغن)، في كتابته للنص الشعري لمسرحية «فاطمة»³⁶⁰، أو أنه لم يكن مقلدا للآخرين في كتابة مسرحياته الشعرية، وإن ما قام به ناتج عن أسلوبه الخاص في كتابة الشعر الحر، الذي أضحي قريبا أو مشابها لأسلوب (غلايم). وهذا الكلام هو الأقرب إلى الحقيقة حسب رأينا، ذلك لأن «الكتاب الأحمر» كان قد صدر عام 1775، وإن كتابة لسنغ لمسرحية «فاطمة» كانت عام 1759، مما يشير إلى تأثر (غلايم) ربما بأسلوب لسنغ في هذا المجال.

يتابع (سيلغن) في مؤلفه سالف الذكر بجدية علاقة لسنغ - غلايم الأدبية، حيث يكشف لنا عن الزيارات واللقاءات التي تمت بينهما، لتبادل الآراء حول الموروث الأدبي الشرقي الإسلامي بشكل خاص ونتاجها الأدبي بشكل عام، وذلك من خلال نشره نص من الرسالة التي بعث بها (غلايم) إلى لسنغ بتاريخ 18/8/1778، والتي دعاه فيها إلى

(358) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق)

(359) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق)

(360) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق)

زيارته وهو يضع اللمسات الأخيرة على مسرحيته «ناتان الحكيم»، معبرا عن سروره للقاء السابق الذي تم بينهما، في القول:

«ندعوكم لزيارتنا في مدينة براونشفايغ، إذا سمحت لكم الظروف، وسألتكم في المكان الذي مكثت معكم فيه قبل سنتين».³⁶¹

في هذه الرسالة يكشف (غلايم) عن لقائه السابق مع لسنغ، ويؤكد في رسالة لاحقة على قيام لسنغ بتلبية الدعوة وتنفيذ الزيارة، ولقائه به وإطلاعه على مسرحية «ناتان الحكيم» التي نشرها لسنغ في السنة التي أعقبت هذه الزيارة، بقوله، حسب (سيلغن): «حفظ الله ناتان الحكيم».³⁶²

تقودنا هذه العلاقة إلى الاستنتاج بأن حوار لسنغ الأدبي الديني الحقيقي مع الإسلام كان في مطلع خمسينيات القرن الثامن عشر، أو أبعد من ذلك، والذي بدأ مع ترجمته لنصوص فولتير كـ «تاريخ الحروب الصليبية» وغيرها عن الإسلام والقرآن 1752، وكتابة مخطوطته الشهيرة «إنقاذ السيد كردانيوس» 1754، ومأساة «فاطمة» 1759، وبعد ذلك كتابة مخطوطته الدينية «برهاني بأن العرب، وليس اليهود، هم من النسل الحقيقي لنبي الله إبراهيم» 1771-1777، ويستمر لينتهي بوضع اللمسات الأخيرة على مسرحيته الشعرية الشهيرة «ناتان الحكيم» ونشرها عام 1779، والتي تمثل في نظر النقاد والمفكرين باكورة نتاجه الفكري والأدبي كرائد لحركة التنوير في تلك الفترة وحتى يومنا هذا.

رابعاً: «برهاني أن العرب، وليس اليهود، هم من النسل الحقيقي لنبي الله إبراهيم» 1771-1777

إن موقف لسنغ من الإسلام بشكل عام، والعرب المسلمين وعقيدتهم الدينية بشكل خاص، لم يبق إذا محددًا في إطار إنتقاده الشديد للطروحات الأوروبية المسيئة للإسلام أو ثناءه على العرب ودينهم... بوصفه إياهم بذلك الشعب الذي أنجب العظماء، والإسلام بالدين العقلاني الرشيد، الذي يشدد على وحدانية الله، التي تعتبر، حسب لسنغ، من

(361) Ebd. S. 112. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 112)

(362) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق)

التعاليم العظيمة للقرآن³⁶³... إنها أعد في مشروعه «برهاني أن العرب، وليس اليهود، هم من النسل الحقيقي لنبي الله إبراهيم»، الذي حدد تاريخ صدوره في الفترة ما بين 1771-1777³⁶⁴، الرسم المفاهيمي لمجمل تاريخ العرب المقدس المرتبط بسلالة الأنبياء، التي يعود تاريخها إلى نبي الله إبراهيم وأولاده من بعده عليهم السلام.³⁶⁵

يتطرق لسنغ في هذا المؤلف إلى منبع شجرة أصل العرب ونسبهم الديني، والذي يثبت من خلاله بأن «العرب ينحدرون من نسل نبي الله إسماعيل، الابن الحقيقي الذي جاء من صلب إبراهيم عليه السلام، ولم يكونوا من نسل إسحاق نجل سارة، وأن الله وحده يعلم ما إذا كان من صلب إبراهيم أيضا».³⁶⁶ ويتابع لسنغ قائلا: «وبما أن الرب في اليهودية هو إله إبراهيم ومصدقا له، فإنه يعتبر أبا لإسرائيل بالنسبة لليهود، ومن أهم خلفائه إسحاق ويعقوب. وإن إسماعيل قد طرد مع أمه هاجر».³⁶⁷

وحال كون رواية التوراة القديمة تعكس ذاكرة زمن ترحال القبائل وتنقلها من مكان إلى آخر، ناهيك عن ورود الكثير من الأخبار في الموروث الديني، التي من الصعب تصنيفها، لذلك أضحي ليس من السهل على لسنغ التعامل مع هذه القضية وتوضيحها بسلاسة.

لكنه لم يتوقف عند هذا الحد لتحديد نسب العرب وتاريخهم الديني، حيث يعتبرهم من نسل إسماعيل وخلفاء له، بوصفه: «تطلق تسمية الإسماعيليين في التوراة القديم على أحفاد إسماعيل، وهم مجموعة من القبائل العربية التي استوطنت الصحراء وعرفت بالبدو. وهم ليسوا اليهود، وإنما في الواقع من نسل نبي الله إبراهيم».

وهذا «التفسير يتفق مع ما جاء في القرآن الكريم، الذي يشير إلى أن نسل إبراهيم هم

Vgl. Karl-Josef Kuschel: Jud, Christ und Muselmann vereinigt. Lessings, Nathan der Weise' (ينظر إلى كارل جوزيف كوشل: «اليهودي والمسيحي والمسلم متحدون».

مسرحية لسنغ ناتان الحكيم»، دوسلدورف 2004، ص 39 يتبع)

(364) Lessing W. Bd. 7. S. 921. (ينظر إلى لسنغ: «الاعمال»، البند 7، ص 921)

(365) Roman Lach: Lessings Skandale. Tubingen 2005. S. 113. (ينظر إلى رومان لاخ: «فضائح

لسنغ»، توبنغن 2005، ص 113.)

(366) Lessing WB. Bd. II. S. 581f. (لسنغ: «الاعمال والرسائل»، البند 2، ص 58 يتبع)

(367) Lessing W. Bd. 7. S. 923. (ينظر إلى لسنغ: «الاعمال»، البند 7، ص 923)

من المسلمين (سورة 2، الآيات 127 يتبع)، وأن إبراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا³⁶⁸ (سورة 3، الآيات 67 يتبع).

إن الأفكار الدينية الفلسفية لمؤلف «برهاني أن العرب، ...» الأديب الألماني لسنغ، والذي تم نشره عام 1795، كمخطوطة من الموروث الأدبي مستوحاة من مؤلف الكاتب (كارل لسنغ) «سيرة لسنغ الذاتية»، في مجلد تحت عنوان جامع وشامل: «عرض لنصوصه الفلسفية والدينية»³⁶⁹، جمعت بشكل دقيق وعلى أساس الأدلة المستندة إلى تفسير لسنغ لنصوص الكتاب المقدس، الذي بنيت عليه أفكار هذا البرهان، الذي يشير إلى صحة وأصالة الأديان السماوية، التي عبر عنها لسنغ بشكل إيجابي وتفصيلي في دليل الروح والقوة لـ «حكاية الخواتم الثلاثة»، التي جسدها في مسرحيته «ناتان الحكيم».

ومن هذه الأدلة التي جمعها لسنغ عن الإنجيل، والتي تشكك بأن يكون إسحاق من صلب إبراهيم، كانت كما في الآتي:

1) التوافق الزمني، الذي كانت فيه سارة زوجة لإبراهيم، وأخذها منه ملك أسرائيل أبيمالك ليلة كاملة عنده، ومن ثم أعادها إليه في اليوم التالي، بعد أن ادعى إبراهيم بأنها شقيقته، خوفا على حياته من غضب الملك، إذا قال بأنها زوجته. وبعد أن أمر الله تعالى الملك أبيمالك في المنام أن يعيد سارة إلى إبراهيم، أنجبت إسحاق وعمرها (90) سنة (سفر التكوين، الفصل 20)، الأمر الذي جعل مفسري الكتاب المقدس من النصارى يشككون في نسب إسحاق. لكن الإسلام أزال هذه الشكوك وبرأ سارة من هذه الشبهة، وكما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ (سورة هود 71). وهذا ما قرأه لسنغ في القرآن وآمن به، ولكن يبقى إسحاق في نظره ليس من صلب إبراهيم، وإنما وليد العناية الإلهية حسب القرآن.

2) هناك أمور عدة في الكتاب المقدس تشير إلى هذا الشك أو الريبة، منها: «أ) اسم إسحاق، الذي له معان كثيرة مدعاة للضحك» (Mos.VVII.19). «ب) طرد إسمايل

368 Lessing W. Bd. 7. S. 924. (ينظر إلى لسنغ: «الاعمال»، البند 7، ص 924)

369 Vgl. Lach 2005. S. 113. (ينظر إلى رومان لاخ 2005، ص 113)

مع أمه هاجر إلى الصحراء، بسبب سخريته وضحكه. والسؤال هنا: ماذا يعني الضحك في كلتا الحالتين؟ بالإضافة إلى ذلك فإن إبعاد إبراهيم لنجله إسماعيل بهذه الطريقة أدى إلى إزدياد هذه الشكوك، التي تم تأكيدها من خلال: (ج) في النص (XXI.12). يقول الله لإبراهيم: «يجب أن يسمى إسحاق باسمك، الذي يحمله إسماعيل، وبذلك يكون من ذريتك». وأخيرا يمكننا أن نطرح هذا السؤال: (د) هل كان إبراهيم مستعدا للتضحية بإسحاق، ليتم توضيح ذلك من خلال هذه التضحية؟» (VIII, S.617f).

كان لسنغ رأيا في هذا الموضوع، حيث ناقش في مؤلفه «برهاني أن العرب، ...» حكاية إبراهيم، وسارة، وهاجر، وإسحاق وإسماعيل، التي وردت في الكتاب المقدس (سفر التكوين الأولى 21)، «ذلك لان قضية تحديد نسل من هم من ذرية نبي الله إبراهيم، الذي أصبح مثالا للبركة في الموروث القديم تقتدي به الشعوب، بعد أن أعطاه الله ما وعده به، كانت مهمة جدا بالنسبة له».³⁷⁰

أظهر لسنغ في مؤلفه «برهاني أن العرب، ...»، الذي كتبه في الفترة من 1770-1780 ذات الأفكار، «التي عرضها الفيلسوف والمستشرق الألماني (هيرمان صمويل رايماروس) - (1694 - 1768) - في مخطوطاته الدينية الفلسفية عن اليهود وإبراهيم بشكل عام،»³⁷¹ والتي تؤكد بأن العرب هم من النسل الحقيقي لإبراهيم وليس اليهود. حيث تقول (هورش)، بما إن لسنغ كان قد استخلص هذا الدليل من الأدب الأوروبي، والأدب الألماني على وجه التحديد، فإنه استطاع أن يجد البرهان القاطع في القرآن أيضا (صورة 2، الآيات 172 يتبع)، الذي يسمي المسلمين بالاتباع الحقيقيين لعقيدة إبراهيم.³⁷² وحسب الآية الكريمة:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128)﴾ (البقرة)

(370) Lessing W. Bd. 7. S. 923. (ينظر إلى لسنغ: «الاعمال»، البند 7، ص 923)

(371) Vgl. Horsch 2004. S.66. (ينظر الى هورش 2004، ص 66)

(372) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

وبذلك، يرى لسنغ، بأنه لم يبق هناك أدنى شك في أرجاء المعمورة حول حقيقة أن إسماعيل جد القبائل العربية ومنه جاء الإسلام ... وعلى هذا الأساس يتم في الأدب الأوروبي التمييز من الناحية الدينية بين إسماعيل، كأبن «التناسل»، وإسحاق، كأبن «الاستبشار». حيث يستطيع المرء أيضا أن يجد هذا التمييز في القرآن الكريم (سورة 11، الآيات 69-74)، حين بشرت رسل الرحمن سارة، زوجة إبراهيم الخليل، بغلام اسمه إسحاق، رغم أنها بلغا سن الشيخوخة، حسب الآيات الكريمة:

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبَثَ أَنْ جَاءَ بِعَجُلٍ حَنِيدٍ (69) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطَ (70) وَأَمْرَأَتَهُ قَائِمَةً فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (71) قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (72) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (73)﴾ (سورة هود 11، الآيات 69-74)

وبذلك يخلص لسنغ والباحثون في هذه القضية إلى القول بأن إسماعيل وليس إسحاق كان الابن «البكر» لنبي الله إبراهيم. حيث رزق سيدنا إبراهيم بولده إسماعيل وعمره 86 سنة من هاجر، جارية زوجته الشرعية سارة، التي أصرت على أن تهبها لزوجها إبراهيم، لتنجب لهم أطفالا، ذلك لأن سارة بقيت عاقرا وأصبحت كبيرة بالسن.³⁷³

واستنادا إلى هذه الأدلة فإن إسماعيل لم يكن أباً لليهود أو النصراني، وإنما كان أباً للعرب المسلمين، الذين يعود نسبهم إلى النسل الحقيقي لسيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام. يقول (كوشل):

«كان إسماعيل يحمل علامة عهد الله «الختان» وعمره (13) سنة، في وقت لم يأت فيه إسحاق إلى الدنيا. وهذا يعني: كان إسماعيل، الذي عُدَّ لاحقا جد القبائل العربية، يحمل بإرادة الله علامة عهد الله قبل أن يطرد مع أمه».³⁷⁴

(373) Vgl. Kuschel: Streit um Abraham. Düsseldorf 2006. S. 170. (ينظر إلى كارل - جوزيف

كوشل: «الخلاف حول إبراهيم»، دوسلدورف 2006، ص 170.)

(374) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق.)

وفي خضم هذا الجدل وتقديم البراهين والأدلة المسندة، تقول هورش، «يقوض لسنغ نتيجة المساعي التي توصل إليها اليهود والنصارى، ليضع المسلمين في المقام الأول».³⁷⁵ لذلك فإننا نستطيع أن نرى في هذا المشروع الديني الفلسفي المحاولة الجادة وغير المنحازة للأديب الألماني لسنغ من أجل اثبات نسب وشرعة الأديان السماوية - اليهودية والمسيحية والإسلام - من خلال تقديم الأدلة والبراهين التاريخية والدينية الدامغة التي تثبت ذلك.

أراد لسنغ من خلال هذا العرض التاريخي الأدبي أيضا، حسب (رودولف سمند)، أن يلفت عناية القراء إلى أنه يجب على كل مسيحي أو يهودي، يريد أثبات شرعية المسيحية أو اليهودية استنادا إلى ما جاء في الكتاب المقدس أو التوراة القديم والجديد، أن يعي حقيقة أن هناك أنصارا وعلماء دين آخرين يستطيعون أن يستخلصوا من نفس هذه المصادر نتائج تثبت نسب رسول عقيدتهم مغايرة للنتائج التي تم التوصل إليها. حيث أن الأدلة التي بحوزة أحدهما تكون جيدة مقارنة بالبراهين التي يقدمها الآخرون «لأثبات النسب الشرعي لدينهم، الذي يحاول اليهود والمسيح إثباته تاريخيا من خلال ما جاء في الكتاب المقدس، وهذا حق يستطيع المحمديون القيام به وبنفس الطريقة أيضا».³⁷⁶

يستطرد (رودولف سمند) بالقول، أنه من الممكن أيضا أن تكون النتائج، التي يتم التوصل إليها، عكسية ولا تلبي طموح بعض الباحثين أو العاملين من أجلها، خاصة عندما لا ترتقي البراهين المقدمة إلى مستوى الحقيقة، وبذلك لم يكن بالمستطاع إثبات نسب أي دين من الأديان. وهذا ما تم التوصل إليه في مؤلف لسنغ «برهاني أن العرب، ...» من خلال الأدلة والبراهين، التي تم عرضها، والتي يجب أن تحظى باحترام وتقدير جميع الأطراف، ذلك «لأن كل سطر كتبه لسنغ في هذه المخطوطة يستحق الثناء والتقدير».³⁷⁷

إن مشروع لسنغ هذا، يقول (كوشل)، يشير وبوضوح إلى الحق المطلق في إثبات النسب الشرعي لكافة الأديان السماوية، شريطة أن يكون هذا الأمر مرتبطا ارتباطا صميميا

(375) Vgl. Horsch 2004. S. 66. (ينظر إلى هورش 2004، 66)

(376) Rudolf Smend: Lessings Nachlassfragmente zum Alten Testament. Göttingen 1979.

S. 98. (رودولف سمند: «نصوص لسنغ عن التوراة القديم»، غوتنغن 1979، ص 98.)

(377) Ebd. S. 94. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 94)

بالدعوة إلى التسامح الإنساني. حيث يجعلنا محتوى هذه الوثيقة «برهاني أن العرب، ...» أن نخمن بأن لسنغ كان على استعداد تام «أن يرى في الإسلام الدين الذي له حق المطالبة في معرفة حقيقة هذا الأمر».³⁷⁸

وإعجابا بذكائه الثاقب وطروحاته القيمة والمهمة عن الإسلام، أثنى الأديب الألماني الكبير (غوته)، في حديث له مع صديقه المقرب الكاتب (أكرمان)، على أديب عصره لسنغ، ممتدحا إياه كثيرا بالقول: «نحن بحاجة إلى رجل مثل لسنغ، الذي أصبح كبيرا بشخصيته، وموقفه الثابت! فهو حاد الذكاء جدا، كغيره من المثقفين، لكنه لا توجد شخصية مثل التي يتحلى بها».³⁷⁹ نستنتج مما تقدم أن لسنغ كان قد جسد أفكار سلسلة أعماله الأدبية والدينية عن الإسلام في مسرحيته العالمية «ناتان الحكيم»، ليخلده التاريخ مدافعا عن الإسلام والقيم الإسلامية إلى آخر يوم في حياته.

خامسا: لسنغ وألوهية السيد المسيح في الإسلام: قصة القس آدم نويسر

يتناول لسنغ في هذا المبحث قضية جوهرية، يختلف عليها اليهود والنصارى والمسلمون فكريا وعقائديا، ألا وهي إلهية السيد المسيح. فبعد أن عايش ودرس بتمعن موضوع هذه الاختلافات الدينية والفكرية عرف لسنغ جيدا ماذا تعني ألوهية السيد المسيح في القرآن الكريم، حيث دون رأيه في مخطوطته الدينية الفلسفية «إنقاذ السيد كردانيوس» 1754 بقوله، «لدى المحمديين خمسة حجج يؤمنون بها»، نستطيع أن نذكر أهمها حسب لسنغ:

الحجة الأولى: «يقول المسلمون بأن النصارى لا يؤمنون بوحدانية الله كما نؤمن نحن بها، وينسبون لله الولد، الذي يتصف بصفات الإله، فحين تكون هناك آلهة متعددة، سيكون هناك عدم توافق واستياء بينهما، وهذا الأمر يتعلق بالملك الملك الذي لا تجاوز على إرادته. وإن هذا لإشراك بالله، المالك والخالق لكل شيء، أن يكون له شريكا على قدم المساواة، فأني يكون له ولد وهو العلي العظيم، إنه غني عن الولد والى الأبد».³⁸⁰

(378) Kuschel 1998, S. 183. (ينظر الى كوشل 1998، ص 183)
(379) Flodoard Freiherrn von Biedermann: Gotthold Ephraim Lessings Gespräche. Berlin 1923. S. 1. (فلودوارد فرايهرن فون بيدermann: «أحاديث غوتهولد أفرايم لسنغ»، برلين 1932، ص 1.)
(380) Lessing: Rettung des Hier. Cardanus. S. 253. (لسنغ: «إنقاذ السيد كردانيوس»، 1754، ص 253)

حيث يشيرنا لسنغ في هذا النقطة إلى ما جاء في القرآن الكريم (سورة الاخلاص 112، الآيات 1-4): ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)﴾.

ويذكر لسنغ أيضا في دراسته النقدية الدينية، «بأن المحمديون يقولون، أن ما ينسبه المسيحيون لله تنتفض له السموات، وترتعب منه الأرض. ولذلك يعرض الله تعالى لدهيم في القرآن، كما لو إنه أشتكى، والسيد المسيح كما لو أنه يعتذر عن نفسه، ويبرر ذلك بالقول، أن هناك آخرون نسبوا الألوهية إليه رغما عنه».³⁸¹

الحجة الثانية: يقول لسنغ، «جاءت من الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ذاته، الذي يتهم النصارى بتقديس صور السيد المسيح، الأمر الذي يجعلهم أقرب إلى عبادة الآلهة منه إلى عبادة الله الواحد الأحد».³⁸²

الحجة الثالثة: تتجسد في نتيجة ما حققه المحمديون من إنتصارات عظيمة في فتوحاتهم الإسلامية لأقاليم كثيرة، التي يستطيع المرء من خلالها أن يستنتج، يقول لسنغ، «بأنه من الصعب القول أن الدين المسيحي جزء من الدعوة التي بشر بها الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)».³⁸³

لذلك فقد دون لسنغ في مخطوطته، التي كتبها تحت عنوان: «بعض الأخبار الحقيقية عن آدم نويسر» 1774، ما كان يؤمن به ويريد أن يوصله للناس عامة ولرجال الكنيسة خاصة من فكر ديني منطقي، الذي يتجسد في حتمية العمل الإنساني الحقيقي والجاد منذ ولادة المسيحية كدين، لكي يستطيع المرء من خلاله أن يربح القضية في وقت مبكر، والتي من الممكن أن تؤدي إلى تحقيق إنتصار المسيحية على الديانة الوثنية للعرب قبل مجيء الإسلام.³⁸⁴

(381) Ebd. S. 253f. (لسنغ: «إنقاذ السيد كردانيوس»، 1754، ص 253)

(382) Ebd. S. 254. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 254)

(383) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق)

(384) Eckhard Heftrich: Lessings Aufklärung zu den theologisch-philosophischen Spätschriften, Frankfurt am Main 1978. S. 45.

فرانكفورت أم ماين 1978، ص 45)

حيث يعزو لسنغ، الذي درس تاريخ مجتمع الجزيرة العربية قبل الإسلام، رفض عرب الجاهلية لإعتناق الديانة المسيحية، التي كانت منتشرة في مناطق قريبة عنهم، إلى غياب العدالة الاجتماعية والفكر الديني العقلاني الإنساني المتسامح الجاذب لأنصار الديانات الأخرى.

لذلك فإن فهم لسنغ لألوهية السيد المسيح، وعرض أفكاره بالشكل الذي إرتأه في مخطوطته سالفة الذكر، كان الهدف منه وضع المجتمع المسيحي في التصور والفهم الصحيح لهذه القضية. حيث عبر عن هذا التصور والفهم العقلاني بقوله: «لكننا لم نعد نستقي أفكارنا من مرجع واحد بعد أن أوحى الله العقيدة المسيحية».³⁸⁵

يقول (ايكهارد هيفترش)، أن الذكاء الحاد وخبرة الاحتراف والجرأة في الطرح التي كان يتحلّى بهما لسنغ تجسدت بشكل مباشر في تقييمه للأديان السماوية الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام، فقد كان حاداً وأكثر وضوحاً في رؤيته وتطلعه من رجال الدين البؤساء الذين عاصروه، والذين يؤمنون بأنه إذا كان هناك قرار في صالح العقيدة، يجب أن يكون موجهاً ضد العقل والفكر.³⁸⁶

واستناداً إلى القناعة الكبيرة بالإسلام والثقة العالية بالنفس يؤمن لسنغ بيوم الحساب والخلود، وأنه سيكون من الخالدين في الجنة، معبراً عن ذلك بقوله: «الدنيا تسير نحو الخلود السرمدي، ولا أريد أن أفقد مزيداً من الوقت، لأن الخلود إلى يوم الدين سيكون من نصيبي أنا».³⁸⁷

إذا، فإن الاصرار على الرأي والإيمان بالفكر الإنساني العقلاني المتسامح مع الآخر جعل الحقيقة التاريخية لألوهية السيد المسيح بالنسبة لرائد حركة التنوير لسنغ تعد شيئاً مختلفاً عن الحقائق الدينية التي تدعيها الكنيسة آنذاك، والتي تلزمه بتغيير جميع مفاهيمه الميتافيزيقية (الطبيعية) والأخلاقية بما ينسجم مع أفكارها. وهذا الأمر ينسحب على قناعته أيضاً، التي أكدها مراراً في قوله: «ذلك لأنني لا أستطيع الإتيان بشهادة ذات مصداقية لإثبات قيامة السيد المسيح، والتي تحتم علي إعادة صياغة جميع أفكاري الأساسية عن طبيعة الربوبية».³⁸⁸

(385) Ebd. S. 55. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 55).

(386) Ebd. S. 67. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 67).

(387) Ebd. S. 63. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 63).

(388) Lessing GW. Bd. 8. S. 14. (لسنغ: «جميع الاعمال»، البند 8، ص 14).

حيث لم ينكر لسنغ، في إطار هذه الأيديولوجية، نبوءات ومعجزات السيد المسيح كني مرسل، ففي قوله «أنا لا أنكر بأن المسيح قدم نبوءات، ولا أنكر أيضا بأنه قام بمعجزات» أكد لسنغ رؤيته الحقيقية تجاه العقيدة الدينية المسيحية، وأشار في الوقت ذاته إلى معارضته إعادة العمل بفكر هذه المعجزات في عصره، بقوله «لكنني أرفض أن يتم التأكيد من جديد على قابلية تطبيق هذه المعجزات في الوقت الحاضر، والتي لم تعد مجدية لي، حيث أكل الدهر عليها وشرب منذ سنين، وكذلك الحال بالنسبة للأخبار التي تروى عن المعجزات، والتي يمكن من خلالها الإيمان بتعاليم المسيح على أقل تقدير».³⁸⁹

ويؤكد لسنغ، بناء على رؤيته الدينية الفلسفية، على «أن دليل الروح والقوة لهذه المعجزات ليس فيه الآن من الروح والقوة شيئا، إنما هو مجرد شهادات نابعة من روح الإنسان والسلطة. وإذا كان الحديث عن تحقيق النبوءات والمعجزات، فإنه لم تتحقق نبوءات ولم تكن هناك معجزات. ومع ذلك، فإن الحديث عن تحقيق النبوءات والمعجزات يمكن أن يكون من خلال العمل الإيجابي، الذي يعطيها قوة السلوك والتصرف».³⁹⁰

إن هذه الرؤية الدينية العقلانية للأديب ورجل الدين الألماني لسنغ لا تعني بالضرورة الديانة المسيحية فحسب، إنما تنسحب على كل الديانات السماوية، التي أنزلها الله على عباده وشر فهم بها، من أجل أن تسود العدالة الاجتماعية، ولا يظلم القوي الضعيف، وينصف الإنسان أخيه الإنسان من خلال العمل الصالح، الذي تتجسد فيه العدالة الإلهية والتسامح والتعايش السلمي بين المكونات والشعوب، ويحقق مرضاة الله تعالى ورسله والناس.

ويبقى الاختلاف في وجهات النظر، والإصرار عليها، قائما بين لسنغ ورجالات الكنيسة الكاثوليكية، حيث يؤكد لسنغ على أن الحقائق التاريخية، التي تظهر فجأة، لا تحمل الدليل القاطع، الذي يبرهن حقائق العقل والمنطق.³⁹¹ ويرى أن نصوص الكتاب المقدس وضعت كسابقاتها لتلائم مع التطرف العقلاني الممنهج،³⁹² بقوله: «إن الله لم يكتب الكتاب المقدس،

(389) Ebd. S. 14f. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 14 يتبع.).

(390) Ebd. S. 11. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 11)

(391) Ebd. S. 21. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 21.)

(392) Gobel 1993. S. 12. (ينظر إلى غوبل 1993، ص 12)

وإن الاختلافات بين الناس، التي أخذت عن الإديان المختلفة، كانت من صنع الإنسان، فإذا هي فوارق طبيعية». ³⁹³

يضيف لسنغ بأنه يؤمن أن الله الولد، فقط لو كان باستطاعة السيد المسيح أن يحيي الموتى، أو أن يعيد لنفسه الحياة بعد أن صلب، موضحاً هذه الحالة بقوله: «لو كنت معترضاً على حقيقة تاريخية تقول، بأن المسيح يحيي الموتى، حينها يجب علي الاعتراف بحقيقة أن الله الولد، الذي يشترك معه بنفس الصفات». ويسترسل لسنغ في حديثه مضيفاً: «ولو كنت معترضاً على حقيقة تاريخية تقول، بأن المسيح رفع الموت عن نفسه، حينها يجب علي الاعتراف بحقيقة أن هذا المسيح، الذي أعاد لنفسه الحياة، يكون ابن الله». ³⁹⁴

وإشارة إلى التساؤلات والاختلافات في وجهات النظر حول مسألة ألوهية السيد المسيح، يرى لسنغ في الإسلام الإجابة العقلانية والمنطقية على ذلك، حيث لم يجد لسنغ في القرآن الكريم، الذي عرض قصة السيد المسيح بشكل عقلائي، أن هناك أوجه مقارنة أو تشابه بين الله والإنسان، ذلك لأن الله خالق كل شيء، ولا ينبغي لأحد التدخل بعنايته الإلهية.

وفي هذه المناسبة يستشهد لسنغ بعقيدة العرب، الذين تطلق عليهم تسمية «الوثنيين» في بعض كتب التاريخ والأدب الألمانية والأوروبية كأشارة إلى عصر ما قبل الإسلام، بقوله: «ذلك لأن العرب لم ينسبوا العناية الإلهية لأنفسهم، حيث استطاع المسيح من خلال ذلك أن يستخلص دفاعه: إن الله منح العرب هبة كالتي منحنا إياها، فمن كنت أنا، لكي أكون الله؟» ³⁹⁵ وهذا دليل على أن لسنغ مؤمن بما جاء في القرآن، الذي تطرق إلى قصة السيد المسيح بتفاصيلها (سورة مريم 19، الآيات 16-35):

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ

(393) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق)

(394) Lessing GW. Bd. 8. S. 13. (لسنغ: «جميع الاعمال»، البند 8، ص 13)

(395) Lessing GW. Bd. 8. S. 291. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 291).

تَقِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا (19) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (20) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (21) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (22) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا (23) فَوَدَّعَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24) وَهَزِي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقُطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا (25) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (26) فَاتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا (28) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (33) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (35) ﴿٣٥﴾

لذلك فإن لسنغ لم يطرح أو يتطرق في دراسته الدينية الإسلامية إلى أية حجة دينية أدعتها الكنيسة تثبت حقيقة قيامة السيد المسيح أو تشير إلى ألوهيته،³⁹⁶ بالإضافة إلى أنه لم يجد في أحاديث الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، أو لدى أنصاره من المسلمين أو العرب قبل الإسلام واليهود، البرهان الديني المقنع لهذا الادعاء، بقوله: «إذا كان من شأنه أن يحدث ذلك في الواقع، لأصبح هناك اتصال روحي داخلي لحقيقة قيامة المسيح، الذي يمكن أن يؤثر في اليهود والعرب في ذلك الزمن».³⁹⁷

ويشدد لسنغ على أنه من الواجب التطرق إلى حقيقة قيامة السيد المسيح لو قدم المسلمون أو العرب قبل الإسلام حجة أو دليل ديني يثبت ذلك، ولم يعتبروا الحجج المطروحة من قبل النصارى عديمة الجدوى وأقرب إلى الإيمان بالخرافة. حيث كتب لسنغ عن هذه

(396) Vgl. Lessing: Rettung des Hier. Cardanus und Rettung des Adam Neuser. (ينظر إلى لسنغ:

»إنقاذ السيد كрдانيوس« و»إنقاذ آدم نويسر«).

(397) Lessing W. Bd. 7. S. 427. (لسنغ: «الأعمال»، البند 7، ص 427)

الحقيقة في نتائج بحثه في القرآن وتاريخ العرب في زمن الجاهلية، بقوله: «لم يكن هناك حل آخر للنصارى سوى ضرورة ذكر هذه الحقيقة، كحجة وحيدة، أملا بأن تتماشى مع ما يؤمن به عرب الجاهلية، بعد أن كانت الأسباب الأخرى بالنسبة لهم عديمة الجدوى ومثيرة للسخرية».

ويستطرد لسنغ قائلا: «ذلك لأن مسألة القيامة بحد ذاتها لم تكن منطقية، وإن النصوص التي جاء بها الرسل لم تكن كافية في نظر العرب الوثنيين، حيث يبدو لهم هذا الأمر عبثيا وأقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة».³⁹⁸ وفي هذا الإطار نشر لسنغ، حسب (فريدريش نيفونر)، مقتطفات مقتبسة من مخطوطة الاعتذار «من تسامح الموحدين» للمستشرق الألماني (رايماروس) للمقارنة بين المسيحية والإسلام، ومنها.

أولا: «إن التعصب والاضطهاد المتفق عليه في العالم المسيحي، كان موجها في المقام الأول تقريبا ضد الدين العقلاني (الإسلام)، وهذا الأمر يعتبر وصمة عار لا تحفى في جبين المسيحية».

ثانيا: «علينا قول الحقيقة إن المسلمين قد قبلوا وتحملوا أن يعيش المسيحيون بينهم، وهذا الأمر يحتم على المرء أن ينعت النصارى بسمة العار، ذلك لأن المسيحيين يمارسون طقوسهم الدينية بحرية في ظل الحكم التركي، على عكس المسلمين الذين يعيشون تحت الحكم المسيحي. والشيء الذي لا يمكن نكرانه هنا، هو أن الأتراك³⁹⁹ يؤمنون في قرآنهم بعظمة الأنبياء موسى والمسيح».⁴⁰⁰

حيث عكست هذه المقتطفات النقدية الموقف الإسلامي الديني للأديب ورائد حركة التنوير الألماني لسنغ تجاه إدعاءات وافتراءات الكنيسة المسيحية في تلك الفترة، والتي كونت الأساس الذي انطلق منه لسنغ لكتابة مسرحيته الشهيرة «ناتان الحكيم».⁴⁰¹

(398) Ebd. S. 430f. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 430 يتبع)

(399) In der Literatur damaliger Zeite bedeuten Türken die Muslime. (الأتراك: المقصود هنا المسلمين وتم ذكر الأتراك نسبة للامبراطورية العثمانية التي كانت تسيطر على الشرق الأوسط وجزء من أوروبا في ذلك الوقت.)

(400) Niewohner 2002. (فريدريش نيفونر: مقال «الإسلام البعيد والمسيحية القريبة» 2002)

(401) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق)

وتجدر الإشارة إلى أن عدد من الدول الأوروبية المسيحية الكبرى، أذا لم نقل جميعها، قد أخذت بهذه الانتقادات اللاذعة لاحقا، حيث غيرت، بعد الحرب العالمية الثانية تحديداً، بعض من سياستها الدينية تجاه المسلمين المقيمين فيها، واستقبلت الملايين من الوافدين إليها، الذين لم يجدوا في بلدانهم الأمن والأمان والعيش الرغيد، وشملتهم بجميع حقوق الرعاية الاجتماعية، تاركة العالم الإسلامي غارقاً بالفوضى الخلقة، يعيش أيام الجاهلية والتخلف والانقسامات، وانعدام الأمن وحقوق الإنسان، والتناحر العرقي والطائفي، الذي عاشته أوروبا القديمة في القرون الوسطى.

أعطى لسنغ موضوع ألوهية السيد المسيح أهمية ومساحة كبيرة في تفكيره، حيث ناقش ما توصل إليه من تفسير واستنتاجات، لثبّت رأيه الديني في هذا الجانب وبدون نظرة إلى الخلف، مع كبار الأدباء والمفكرين من أبناء عصره، ومنهم الأديب والفيلسوف الألماني (فريدريش هاينريش يعقوبي)، في الحديث الذي جرى بينهما حول «نظرية الوجود» للفيلسوف الهولندي اليهودي الأصل (شبينوتزا)، التي وجدت قبولا لدى لسنغ سنناقشه لاحقا في هذا الكتاب، بقوله: «إن المفاهيم الأرثوذكسية عن الربوبية لم تعد مجدية بالنسبة لي، ولا أرغب بالاستماع إليها».⁴⁰²

ولدى انشغال لسنغ في كتابة مسرحيته «ناتان الحكيم»، الذي تزامن مع جدله المحتدم والمستعر مع الكنيسة الكاثوليكية حول ألوهية السيد المسيح، وقع نظره في مكتبة مدينة فولفنبوتل على نص لقصة القس (آدم نويسر) بعنوان: «بعض الأخبار الحقيقية عن آدم نويسر» 1774، الذي يشير إلى أن (آدم نويسر) كان يمثل إتجاه «التيار الإصلاحية الكنائسي»، الذي تأسس في بولونيا عام 1563، بعد أن كان قسا على مذهب مارتن لوثر حتى عام 1560، وأتهم بالاحاد بعد رفضه لألوهية السيد المسيح، وتمت ملاحقته مع مجموعة من هذا التيار من قبل السلطات الدينية والسياسية في المانيا، والقي القبض عليه وأودع في السجن، حيث تم أعدام أحد رفاقه واسمه (جون سيلفانوس) بتهمة الكفر بالله عام 1572.

Heftrich, Eckhard: Lessings Aufklärung zu den theologisch-philosophischen (402 Spätschriften. Frankfurt am Main 1978. S. 63. (ايكهارد هيفتريش: «تنوير لسنغ للمخطوطات الدينية

الفلسفية»، فرانكفورت أم ماين 1978، ص 63).

وجهت إلى (نويسر) تهم عديدة منها الكفر بالله وخيانة الدولة، بعد أن قام بكتابة رسالة سرية إلى السلطان العثماني يرجو فيها قبوله في تركيا، ليتمكن من اعتناق الإسلام، بالإضافة إلى أنه حرض السلطان العثماني في رسالته وشجعه على القيام بحملة عسكرية ضد المانيا، وكما وضح ذلك لسنغ بقوله: «إن النقطة الجوهرية التي ينبغي الإشارة إليها هي أن نويسر لم يقيم بكتابة الرسالة إلى الامبراطور التركي فحسب، إنما قام بأرسالها فعلا».⁴⁰³

في نهاية المطاف، يقول لسنغ، نجح (نويسر) في الهروب من السجن متجها إلى القسطنطينية، حيث إعتنق الإسلام هناك، عمل في البلاط العثماني، وكان من المقربين في حاشية السلطان حتى وافاه الأجل عام 1576. وبسبب هذا التصرف، الذي عد من قبل لسنغ عملا تنويريا لآحاد رجالات الدين المسيحيين، أخذت الكنيسة تنظر إلى (نويسر)، حتى في عصر لسنغ، على أنه إنسان عديم الأخلاق والشخصية.⁴⁰⁴

أما لسنغ فقد رأى أن تصرف (نويسر) كان إيجابيا وفي إطار العقل والمنطق. يقول (ايكهارد هيفتريش) معلقا على مصير الذين يشككون أو يعترضون على أفكار الكنيسة الكاثوليكية في ذلك الزمن: «إن من كان يشكك بالوهية المسيح في ذلك الزمن يعرض حياته إلى الخطر، بحيث لم توقد النار فقط في أوروبا المسيحية لإحراق الملحد، إنما كان رجال الدين اللوثريون والكالفينيون الذين ينادون بإصلاح النظم الكنائسية يتهم بعضهم البعض بالزندقة أيضا».⁴⁰⁵

ونتيجة لتأثره بقصة (آدم نويسر)، ورغبته في كشف الإفتراءات المظلمة للحقيقة التي كانت تقال بحق الذين يخالفون أفكار الكنيسة، أقتبس لسنغ مقتطفات منها في «معجم العلماء العام» للكاتب (كريستيان غوتليب يوشر) - (1694-1758) - «الذي يعد الأفضل، حسب لسنغ، من بين آلاف المراجع التي كتبت في ذلك الزمن»⁴⁰⁶، ما نصه: «احتمى نويسر، الذي بدل الديانة المسيحية بالدين التركي، بالقسطنطينية، واعتنق علانية دين محمد، ولم يجد له عمل سوى كاتباً في تركيا.

(403) Lessing W. Bd. 7. S. 229. (ينظر إلى لسنغ: «الأعمال»، البند 7، ص 229)

(404) Vgl. Horsch, 2004. S. 62f. (ينظر الى هورش 2004، ص 62 يتبع)

(405) Heftrich 1978. S. 11. (ايكهارد هيفتريش 1978، ص 11)

(406) Lessing W. Bd. 7. S. 226. (لسنغ: «الأعمال»، البند 7، ص 226)

كان نويسر رجلا شهوانيا، يحتسي الخمر، وملحدا من الطراز الأول، لذلك فإنه كان محتقرا أيضا من قبل الأتراك، ومكروها من قبل المسيحيين. ونتيجة للحياة الماجنة التي عاشها فقد أصيب بمرض عضال، وكانت الديدان تنخر في جسده، ورائحته تزكم الأنوف، بحيث لا يرغب أي إنسان في التقرب إليه، حتى مات في القسطنطينية بتاريخ 15/10/1576، بعد أن حلت عليه لعنة الله وجميع الأديان».⁴⁰⁷

ردا على ما جاء في هذه الافتراءات، ومن أجل تحديد موقفه من المسيحية والإسلام، كتب لسنغ في مخطوطته «إنقاذ آدم نويسر» عبارات طبعت في الذاكرة، بقوله مستهجنًا: «إذا كانت النهاية تعبر عن سبب المرض، وأن يحكم المرء على كل ما حصل استنادا إلى هذه العاقبة، فإن ذلك سيكون مثالا جيدا، وسوف لن نصاب بمثل هذا المرض».⁴⁰⁸ نستنتج من ذلك، تقول (هورش)، أن لسنغ وقف ضد ما قيل بحق المرتدين ووصفهم بالناس عديمي الأخلاق والشخصية، والذي أريد منه النيل من شخص (آدم نويسر)، لذلك فقد عمل لسنغ على حماية (نويسر) من التهم المنسوبة إليه، موضحا وبشكل صريح بأن ما قام به (نويسر) من إجراء في اعتناقه للإسلام نابع من تصورات وأدراك ديني عقلائي.⁴⁰⁹

كان لسنغ قد وجد رسالة لـ(نويسر) في مكتبة مدينة فولفنبوتل، التي شرح فيها أسباب هروبه إلى القسطنطينية، لكنه لم يتطرق بشكل تفصيلي إلى مسألة اعتناقه للإسلام، ويعلق لسنغ على ذلك بالقول: «لقد أشفقت كثيرا على نويسر، ذلك لأنني وجدت بأنه لم يكن قد وقف ضد مسألة التثليث فقط، إنما كان عبقريا أيضا، ويعمل للتوصل إلى اختراع جديد».⁴¹⁰ لذلك فقد بحث لسنغ في مصادر مختلفة لكتاب معاصرين لـ(نويسر) للوقوف على حقيقة ما قيل أو كتب عنه في ذلك الوقت، والتي أكدت أن نويسر أصبح تركيا.⁴¹¹

(407) Ebd. S. 227, 276. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 227، 276)
(408) Heftrich 1978. S. 54. (ايكهارد هيفتريش 1978، ص 54)
(409) Horsch 2004. S. 62f. (ينظر إلى: هورش 2004، 62 يتبع)
(410) Lessing W. Bd. 7. S. 277. (لسنغ: «الأعمال»، البند 7، ص 277)
(411) Lessing WB. Bd VIII. S. 112. Vgl. dazu auch Horsch 2004. S. 63. (ينظر إلى لسنغ: «الأعمال والرسائل»، البند VIII، ص 112)

تقول (سيلفيا هورش)، في الوقت الذي كانت الكنيسة الكاثوليكية ترفض بشدة وتلعن تعاليم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وجد لسنغ بأن الإسلام هو البديل العقلاني، الذي ينسجم مع أفكار حركة التنوير الأوروبية، التي تخاطب العقلية الحية للإنسان،⁴¹² عاذا (نويسر) واحد من الموحدين، الذين قاموا بخطوات أولى وثانية تدل على عقلانية التصرف، بقوله: «إن الخطوة الأولى التي قام بها نويسر هي رفضه لألوهية المسيح، أما الثانية فكانت إحساسه السليم... فقوله، أنه ليس الله، وهو ليس للعبادة، هي عبارات مماثلة لما يوجد به العقل».⁴¹³ وعندما «رفض نويسر ألوهية الكتاب المقدس واستبدالها بالقرآن لم تكن هناك صعوبات، كما يفسر، تجعله يتراجع عن هذه الخطوة».⁴¹⁴

من جهة أخرى، وجد لسنغ في القرآن - بالإشارة إلى وحدانية الله - البديل الروحي للموحدين، الذين يؤكدون على وحدانية الله ويرفضون عقيدة الثالوث كليا كان أم جزئيا. ولذلك كتب (نويسر)، نقلا عن لسنغ، يقول: «لقد قرأت القرآن وآمنت به، وهذا هو السبب الذي جعلني أكون تركيا».⁴¹⁵

ووجد لسنغ برهانا آخر يؤكد قصة القس (نويسر) مع الإسلام في الرسالة التي بعث بها أحد الموحدين البولونيين إلى (نويسر)، يحثه فيها على إجراء دراسات عن القرآن، والتي أثارت اهتمام لسنغ ليقتبس منها الآتي: «إسأل وتأكد إذا كان القرآن، الذي أصدره بيليانر في زيورخ، هو نفس القرآن الأصلي بنسخته العربية القديمة. ذلك لاننا سعداء للغاية بهذا الكتاب ونؤمن بانه إلهي».⁴¹⁶

وفي رسالة أخرى يجد لسنغ ما قاله (نويسر) إلى مواطنه (كاسبر) بشأن دراسته للقرآن وتحمسه لإعتناق الإسلام: «نعم، أنا متلهف جدا لاكتشاف الحقيقة، وب نفس الطريقة التي

(412) Horsch 2004. S. 63. (ينظر الى: هورش 2004، ص 63)

(413) Lessing W. Bd. 7. S. 268. (لسنغ: «الاعمال»، البند 7، ص 268)

(414) Horsch 2004. S. 63. (هورش 2004، ص 63)

(415) Lessing W. Bd. 7. S. 235. (لسنغ: «الاعمال»، البند 7، ص 235)

(416) Lessing WB. Bd VIII. S. 836. Vgl. auch Horsch 2004. S. 64.

(لسنغ: «الاعمال والرسائل»، البند VIII، ص 836)

قام بها باولوس، الذي أراد أن يكون عربياً». ⁴¹⁷ وبناء على تقديره العالي للعقيدة الدينية للموحدين، رأى لسنغ أنه ليس من الواجب والمعقول النظر إلى قضية إعتناق (نويسر) للإسلام على إنها عمل من أعمال الخيانة والعداء ضد المسيحيين، مبرراً إياه من أن يكون من المعامرين أو المشاكسين، بالقول: «كان نويسر هادئاً ومجتهداً». ⁴¹⁸

ومنذ ذلك الوقت، تقول هورش، إزدادت وأشدت هجمة التشكيك والرفض ضد الإسلام والمسلمين في أوروبا، بسبب أعتناق أحدهم للإسلام، الذي أصبح فيما بعد موضوع لسنغ ضد التعصب، مؤكداً على أن العمل الذي قام به (نويسر) كان خطوة لا يمكن تصورها، حيث كانت متوافقة مع الأسباب الدينية التي تبررها. ⁴¹⁹

واستغل لسنغ هذه المسألة لتوجيه انتقاداته المباشرة والصريحة ضد تعصب الكنيسة الكاثوليكية تجاه الموحدين (جون سيلفانوس)، الذي تم أعدامه، و(نويسر)، الذي تمت ملاحقته وأعتقاله، عاذا هذه القضية «ثورة ضد المخطئين» ⁴²⁰ حيث أراد من خلال ذلك أيضاً أن يربط دعوته للتسامح تجاه الآراء الدينية المختلفة بالحاضر والمستقبل، ⁴²¹ من أجل التوصل إلى حوار حضاري ديني مشترك.

يقول (إيكارت يعقوبي)، «لا يمكننا القول، حسب إعتقاد لسنغ، أن كل دين سماوي هو دين عقلائي، إنها يتجسد ذلك بها ورد فيه». واستناداً إلى العقيدة التي يؤمن بها يرى لسنغ بأن الله أوجد البشرية من خلال تطور تدريجي، وإن مسيرة الخلق المنتظمة والمعقولة تكشف عن وجود روح الله في الكون. ⁴²²

ويستطيع المرء أن يستنتج مما تقدم، أن لسنغ كان يتطلع من وراء النقد الديني إلى تحقيق الحوار والتسامح الشامل للبشرية ككل، بما في ذلك حرية الرأي والمعتقد للشعب التي

(417) Lessing W. Bd. 7. S. 237. (لسنغ: «الأعمال»، البند 7، ص 237)

(418) Ebd. S. 276. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 276)

(419) Horsch 2004. S. 64. (هورش 2004، ص 64)

(420) Lessing WB. Bd.VIII. S. 96. Vgl. auch Horsch 2004. S. 64.

(لسنغ: «الأعمال والرسائل»، البند VIII، ص 96.)

(421) Horsch 2004. S. 64. (هورش 2004، ص 64)

(422) Eckart Jacobi: Lessings Weltanschauung. Berlin 1932. S. 59. (إيكارت يعقوبي: «معتقد

لسنغ»، برلين 1932، ص 59.)

تعتبر من الأشياء المهمة والرئيسية بالنسبة له. وهذا يعني أن لسنغ لم يرفض المسيحية كدين، إنما رفض التطرف في مماسة قواعدها.

وفي خضم هذا الصراع الديني بين مؤيد ومعارض، الذي حرك مشاعر الكثيرين، بعث (كار لسنغ) رسالة إلى شقيقه لسنغ عبر فيها عن استيائه تجاه الأحكام التي أطلقت والآراء التي قيلت بشأن الموضوع، مقترحا إجراء دراسة شاملة عن (نويسر) وقصة اعتناقه للإسلام، بقوله: «هناك فكرة غير واضحة وتشوبها الضبابية تجول في ذهني، مفادها أن رجل قام بتغيير دينه، ويمكنه الاعتذار تماما عن ذلك، إذا كان إعتناقه لهذا الدين غير مبررا، إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أن من قام بهذا العمل هو واحد من رجال الدين العقلاء نوعا ما، الذين يقدمون دائما الأدلة والبراهين الكبيرة لإلوهية الكتاب المقدس، التي يجد فيها المرء أخلاقا أفضل مما يجده في القرآن».

ويضيف قائلا: «لكن كلا، يجب أن لا يؤخذ كل ما قيل عن هؤلاء السادة بعين الاعتبار، إنما يجب أن تدرس الحقيقة من قبل أحد الباحثين أولا وتروى بهدوء ودون تشنج. ويجب على من يقوم بهذه المهمة أن يعرف الأثرak جيدا ويدرس القرآن بشكل أفضل من فولتير».⁴²³

نلاحظ في هذه الرسالة أن (كارل لسنغ) قد أشار، بشكل غير مباشر، إلى أنه على أخيه غوتهولد لسنغ أن يدرس تاريخ المسلمين والقرآن، ولا يعتمد فقط على ما قاله (فولتير) بحق الإسلام، في حالة أن يريد كتابة رأيه حول حقيقة إعتناق (نويسر) وغيره من رجالات الكنيسة للإسلام.

حيث درس لسنغ في وثائق (نويسر) العلاقة التاريخية للعادات والتقاليد والأخلاق العامة الإسلامية - المسيحية، التي كان (نويسر) قد حصل عليها، بلا شك، من موروث الأخبار اليونانية، بقوله: «كان لدى المسيحيين الاثيوبيين، الذين يعرفهم الجميع الآن، حالات «الختان» و«التعميد» على حد سواء، حيث كانت هذه العقيدة الاثيوبية معروفة وأقرب إلى مواطنينا حتى عام 1574».⁴²⁴

Lessing WB. Bd XI 2. S. 668. Vgl. auch Horsch. S. 65. (423)
(لسنغ: «الأعمال والرسائل»، البند 2 XI، ص 668. كذلك هورش 2004، ص 65).
(424) Lessing W. Bd. 7. S. 257. (لسنغ: «الأعمال»، البند 7، ص 257)

ولم تتوقف معرفة لسنغ لطبيعة إيمان الإنسان بالله البعيدة عن الربوبية على دراسته للأديان السماوية الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام، إنما تعدت إلى بحثه في عقيدة عرب الجزيرة قبل الإسلام والعقيدة الدينية للمصريين القدماء، التي تجلت في الطريقة الفنية لتحنيطهم للموتى، وما يعني لهم ذلك من الناحية الدينية.

وهذا يعني أن حوار لسنغ مع الإسلام، أثناء بحثه عن حقيقة الأديان السماوية، لم يتركز على تاريخ العرب وثقافتهم قبل وبعد الإسلام فحسب، وإنما تعدى ذلك إلى دراسة فن قدماء المصريين في مجال تحنيط جثث موتاهم، وما يعني لهم ذلك من ناحية الاعتقاد الديني بالخلود.⁴²⁵

ولدى دراسته تاريخ فن التحنيط اليوناني، بحثا عن تاريخ التأليه لدى الشعوب القديمة، أتضح له بأن اليونان كانوا قد اعتمدوا في عملهم على نماذج الجثث المحنطة للمصريين القدماء للمحافظة على الشكل العام للأجساد البشرية والحيوانية، مشيرا إلى ما تعنيه عملية الانحدار العمودي للأطراف العليا في تحنيط جثة الإنسان، التي تعزا من قبل بعض الباحثين إلى تأليه المصريين القدماء للإنسان، بقوله: «أتضح لي، بأن الانحدار العمودي للأطراف العليا في الأشكال المصرية يشير إلى السرعة في عملية التحنيط».⁴²⁶

حيث استطاع لسنغ، من خلال بحثه الأدبي الديني عن العلاقة الروحية بين الإيمان بالله والإيمان بالربوبية لدى المصريين العرب، أن يستنتج بأن الانحدار العمودي للأطراف العليا لجثة الإنسان المحنطة لا يشير إلى «عقيدة التأليه لدى المصريين» القدماء، ذلك لأنه «شمل جميع الجثث البشرية المحنطة» على حد سواء.⁴²⁷

لذا فقد لاحظ لسنغ بدهشة، أن يعزا فن التحنيط من قبل الباحثين لاحقا إلى عقيدة التأليه التقليدية للمصريين القدماء، بقوله: «أن حالة الانحدار العمودي للأطراف العليا وإنغلاق الساقين لا يقصد بها عقيدة التأليه للمصريين، لأنها شملت جميع الجثث المحنطة

(425) Ebd. Bd. 6. S. 642f. (ينظر إلى المصدر السابق، البند 6، ص 642 يتبع)

(426) Ebd. S. 641. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 641)

(427) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق)

للإنسان ولم تقتصر على مومياء معينة. لذلك لا استطيع أن أفهم، كيف تقود بداية هذا الفن للاشكال المصرية بحد ذاتها إلى هذا الاعتقاد⁴²⁸. ويضيف لسنغ قائلاً، بأنه يعتقد، أن هذه الحالة ربما تعني الصمت المطبق للمتوفي، الذي جعل المصريين المختصين بفن التحنيط يقلدون جسد الإنسان بشكل دقيق، بقوله: «ربما نستطيع القول، أن هذه الحالة تشير إلى الراحة الأبدية، التي التزم بها الفنانون المصريون كتقليد ثابت ولائق ومفيد»⁴²⁹.

ومن أجل إعطاء القارئ صورة متكاملة عن عملية التحنيط الفنية الأساسية في تاريخ العرب قدم لسنغ في موروته الأدبي وصفا دقيقا لجمالية فن التحنيط المصري الذي سبق الفن اليوناني في هذا المجال، بقوله: «إن رأيي يتلخص بالآتي: هناك ثلاث خواص تتميز بها الجثث المصرية في بداية عملية التحنيط وهي: وقوفها مستقيمة الذراعين والساقين ومغلقة العينين، مع الأخذ بنظر الاعتبار المكانة الاجتماعية لصاحب الجثة»⁴³⁰.

ولم تتوقف دراسة لسنغ على وصف المظهر الخارجي للمومياء المصرية وما يعنيه من الناحية الدينية، وإنما تعدى ذلك إلى تمييزه للجهود والفن والأموال، التي اسثمرها المصريون القدماء في إنجاز هذه العملية ولجعل الجثة المحنطة تبدو أكثر جمالا، حيث تجسدت جهودهم الفنية، حسب لسنغ، في إتقان استخدام فن الرسم والفنون البصرية، بقوله: «علينا أن نذكر كم من العناية والفن والنفقة بذل المصريون القدماء في تحنيط الجثث، لكي تبقى هيئة المتوفي كما هي عليه. وهذا الأمر جعلهم يلجأون إلى استخدام فن الرسم والفنون البصرية بشكل عام»⁴³¹.

يبدو لنا أن التجربة والخبرة العلمية للسنغ في هذا المجال قد تجاوزت المشاهدة الشخصية النظرية للجثث المحنطة، فمن خلاله نستطيع أيضا أن نتعرف على بعض التفاصيل الخاصة بفن صناعة المومياء المصرية: «وضع المصريون القدماء قناعا على وجه الجثة، يحمل ذات الملامح التي يتحلى بها محيا الشخص المتوفي»⁴³².

(428) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق)

(429) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق)

(430) Ebd. 642. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 642)

(431) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق)

(432) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق)

ويمضي لسنغ في التعليق أيضا على قيام المصريين القدماء بوضع جثثهم المحنطة ملقاة على ظهرها ومستندة إلى عمود، بقوله: «استنادا إلى تعليلي لأصول الفن المصري، يمكن أن يفسر أيضا، لماذا توضع الجثث المصرية المحنطة قديما ملقاة على ظهرها ومستندة إلى عمود؟ استخدم المصريون ذلك لعمل تواييت على مقاييس الجثث المحنطة المكونة على الجدار، واستنادا إلى نموذج صورة العمود الخشبي أو الحجري التقريبي تتم صناعة مثل هذا التابوت».⁴³³

كان لسنغ ينظر دائما إلى الظواهر البشرية من خلال المنظور العلمي الطبيعي، حيث ناقش عملية تقليد (تحنيط) جثث الموتى وعلاقتها بالعقيدة الدينية للشعوب، مقارنا بين ما توصل اليه المصريون القدماء والاغريق في هذا المجال، وما يعني ذلك بالنسبة لهم من الناحية الدينية، قائلا: «لم تكن عملية التحنيط في مصر، التي سبقت اليوناني ديدالوس، قائمة على أساس ديني، إنما كانت مجرد وسيلة للإحتفاظ بجثة المتوفي للذكرى، حيث إرتقى ديدالوس بهذا الفن إلى درجة أنه جعل الجثة المقلدة للمتوفي مشابهة إلى جسده الحي، والذي يعتبر إضافة إلى ما توصل اليه المصريون، وهذا يعني: استطاع اليونانيون بعد ذلك أن يصلوا بعملية التقليد إلى درجة الكمال».⁴³⁴

إن هذا الكم الهائل من المعلومات والخبرة الواسعة تشير إلى القراءات المعمقة لرائد حركة التنوير الألماني لسنغ للكثير من مراجع الاستشراق المختلفة خلال حوارهِ مع الإسلام وبحثهِ في حقيقة الأديان السماوية - اليهودية والمسيحية والإسلام -، التي جسدها أخيرا في مسرحيته «ناتان الحكيم».

(433) Ebd. S. 642f. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 642 يتبع)
(434) Lessing W. Bd. 6. S. 643. (لسنغ: «الاعمال»، البند 6، ص 643)

الباب الثالث

قراءات لسنغ عن الإسلام: قضية التسامح ومشروع مسرحيته «ناتان الحكيم»

إيماناً منه بالوصول إلى تحقيق المبدأ الفكري الإنساني العقلاني، الذي إنبثقت من أجله حركة التنوير الأوروبية، وضع لسنغ ضمن أولوياته الأدبية والدينية، منذ البداية، العمل على الإرتقاء بـ «قضية التسامح والحوار» بين الأديان كهدف رئيسي، الأمر الذي جعله يبحث في موروث أدب الاستشراق الأوروبي عن الإسلام في بداية الخمسينيات من القرن الثامن، حيث قرأ وترجم النصوص التاريخية كـ «تاريخ الحروب الصليبية» للفيلسوف الفرنسي (رينيه فولتير) و«تاريخ صلاح الدين سلطان مصر وسوريا» للمؤرخ الفرنسي (مارين)، والتي استطاع من خلالها ولأول مرة أن يجد الطريق المؤدي إلى عالم الحوار والتسامح الفسيح، الذي يعد بمثابة «الحلم المفقود» لرائد حركة التنوير لسنغ، وذو أهمية كبيرة للأسلاف من أسرته، والذي قاده منذ ذلك الحين إلى وضع اللبنة الأولى لمسرحية التسامح الشهيرة «ناتان الحكيم» 1779، التي وضع من خلالها المسيحيين وجها لوجه مع الموقف المتسامح للإسلام، حين استطاع السلطان صلاح الدين الأيوبي دخول بيت المقدس عام 1187 وأخى بين شعوب الديانات المختلفة في هذه المدينة المقدسة، إنطلاقاً من مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، كما جاء في مؤلفات المستشرقين والكتاب المهتمين بالأدب الشرقي الإسلامي.⁴³⁵

اعتمد لسنغ في مشروعه الأدبي المسرحي «ناتان الحكيم»، بشكل مباشر تقريباً، على ما جاء في مؤلفات الفرنسيين (فولتير) و(مارين)، حين وجد فيها روح التسامح في الإسلام، التي جسدها لاحقاً استناداً إلى معلوماته وخبرته المكتسبة عن الإسلام في مسرحيته «ناتان الحكيم»، التي سنتعرف عليها بشكل أفضل في هذا الفصل، بعد الإطلاع على ما قرأه لسنغ عن الإسلام في هذا المجال.

Vgl. Jager 1984. S. 79ff. (435) (ينظر إلى يغير 1984، ص 72 يتبع)

أولاً: «تاريخ الحروب الصليبية» لفولتير

بعد أن وجه لسنغ إنتقادات لاذعة ضد ما كتبه (فولتير) عن الإسلام في رسائله الموجهة إلى (فريدرك الكبير)، ملك مملكة بروسيا الألمانية للفترة من 1740-1786، وما جاء في مسرحيته مأساة «محمد» 1741، التي انتقد فيها الإسلام، عرض (فولتير)، معبراً عن ردة فعل حقيقية على هذه الإنتقادات، في مخطوطته التاريخية «تاريخ الحروب الصليبية»، التي ترجمها لسنغ في حينها إلى اللغة الألمانية، الظهور العظيم للقائد الإسلامي صلاح الدين الأيوبي، واصفا إياه ببطل الإسلام الفاضل والمتسامح، بقوله حسب ترجمة لسنغ: «في خضم هذه الإضطرابات يأتي صلاح الدين الأيوبي العظيم، ليسطع نجمه في المقدمة، حين فتح سوريا والجزيرة العربية وبلاد فارس وبلاد ما بين النهرين ليوحد الدولة الإسلامية.

حيث تجسدت أخلاق ومثل الإسلام في تصرف وتفكير السلطان صلاح الدين ورجالات جيشه، إلى الحد الذي جعل أعداءه يتأثرون بهذه الأخلاق والمثل، مما دفع أحد فرسان المعبد، واسمه ميليو، إلى أن يترك مذهبه ودينه ليقدم تحت أمرة هذا الفاتح. لقد أراد صلاح الدين «سيد العديد من البلدان» أن يضم إلى إمبراطوريته مملكة القدس، التي مزقتها الإمارات المسيحية غير المتحدة المنتشرة في آسيا، بعد أن أصبحت «ذريعة الدين» بالنسبة لهم تعني شيئاً آخر في إدارة الشؤون السياسية».⁴³⁶

ويظهر (فولتير) للقارئ الأوروبي في نصه «تاريخ الحروب الصليبية» إلى أي مدى تجسدت روح التسامح في شخص السلطان صلاح الدين كقائد مسلم، حين تمكن من أسر الملك المسيحي (غودو فون لوزينيان) وحاشيته في معركة «حطين»، ليطلق سراحهم لاحقاً عام 1188، وذلك بعد أن تعهد الأخير بتركه للاقليم وألزم نفسه بعدم محاربة السلطان مرة أخرى، بقوله: «يجب أن أضيف أيضاً بأن صلاح الدين كان قد أطلق سراح غودو فون

Vgl. dazu Düffel 1972. S. 78ff. Diese Ausgabe wird künftig abgekürzt, mit Voltaire: (436 «Geschichte der Kreuzzüge». S. Und auch; Lessings Übersetzung aus dem Französischen (FÜ). S. 192-198. (ينظر الى دوفل 1972، ص 78 يتبع. (هذا المصدر سيختصر بذكر: فولتير «تاريخ الحروب الصليبية» ورقم الصفحة). ينظر أيضاً الى «ترجمة لسنغ من الفرنسية»، ص 192-198).

لوزينيان بعد مرور سنة على أسره، حين أدى القسم على أنه سوف لن يحمل السلاح بوجه من أطلق سراحه.

لكن لوزينيان لم يلتزم بهذا القسم. فبدلاً من أن يترك البلاد ويهاجر إلى الخارج، عاد إلى طرابلس، وبذلك أخل بيمينه الذي قطعه على نفسه أمام السلطان، حاله حال القادة الفرنجة الآخرين، الذين تم إطلاق سراحهم. حيث استطاع لوزينيان أن يجمع شتات ما تبقى من القوات الصليبية في طرابلس ويتجه بها نحو مدينة صور لمقاتلة صلاح الدين.⁴³⁷

وعليه فقد قيم لسنغ حكاية التسامح هذه عن السلطان صلاح الدين، التي رواها (فولتير)، وجسدها في عمله الأدبي «ناتان الحكيم»، حين جعل إحدى الشخصيات في نص المسرحية تقول: «إنه فارس المعبد الشاب، الذي أعفى عنه السلطان».⁴³⁸ كان ذلك إشارة من الكاتب لسنغ للقارئ والمشاهد للمسرحية إلى «المثل» و«الفضائل» و«التسامح» لقائد مسلم، الذي دخل القدس فاتحاً، في حين لم يفكر ولو لمرة واحدة في الانتقام للجرائم التي ارتكبتها الصليبيون بحق المسلمين في فترة إحتلالهم لبيت المقدس عام 1100.⁴³⁹ لذلك فقد صدم القسم الأكبر من المفكرين والفلاسفة الأوروبيين بهذا السلوك الإنساني المتسامح للقائد المسلم صلاح الدين، الذي يعد في نظر الكنيسة المتشددة آنذاك ملحدا وبربريا وقاطعا للطرق.

وعليه يستطيع المرء أن يستنتج، بأن لسنغ كان ينظر إلى تصرف صلاح الدين، كممثل للإسلام، تجاه الملك الصليبي (غودوفون لوزينيان) ليس فقط كمثال للتسامح الإنساني الإسلامي، وإنما احترام للإنسان المسيحي بشكل خاص والديانة المسيحية بشكل عام. ويعبر في ذات الوقت عن الأخلاق الإسلامية الحقيقية للقائد المسلم صلاح الدين، الذي احترم جميع الأديان السماوية، ولم يرغب بأن يجرح مشاعر المسيحيين.⁴⁴⁰

(437) Voltaire: Geschichte der Kreuzzüge. S. 79. (فولتير: «تأريخ الحروب الصليبية»، ص 79).

(438) Lessing: Nathan der Weise 1779. (I, 1). (لسنغ: «ناتان الحكيم»، الفصل الأول، المشهد الأول) Düffel 1972. S. 84f. Diese Ausgabe wird künftig abgekürzt, mit (Marin: Geschichte (439) Saladins Sulthans von Agypten und Syrien. S.) Vgl. dazu auch Marin, Bd. II, S. 320-334. (Übersetzt von E. G. Kuster). (ينظر إلى: دوفيل 1972، ص 84 يتبع. (هذا المصدر سيختصر بذكر: مارين «تأريخ صلاح الدين سلطان مصر وسورية»، ورقم الصفحة). ينظر أيضاً إلى مارين: «تأريخ صلاح الدين سلطان مصر وسورية»، البند II، ص 320-334 (ترجمة إي جي كوستر).)

(440) Voltaire: Geschichte der Kreuzzüge. S. 78ff. (ينظر إلى فولتير: «تأريخ الحروب الصليبية»، ص

لم يحاول (فولتير) هذه المرة إخفاء إعجابه بأخلاق الإسلام وتعاليمه، وإنما وصف بصريح العبارة في مخطوطته «تاريخ الحروب الصليبية» قصة فتح بيت المقدس والرحمة والمثل العليا التي تحلى بها القائد المسلم المتسامح في تلك اللحظات العظيمة من تاريخ الإسلام، بقوله: «أن السلطان، وأثناء فتح المدينة المقدسة عام 1187، لم يفرق بين المسلمين والمسيحيين واليهود. واستناداً إلى قناعته بمبدأ التسامح جعل جميع الناس من ديانات مختلفة يعيشون مع بعضهم بسلام. وأطلق سراح الأسرى دون إجبارهم على دفع الفدية، وحمى دور العبادة».⁴⁴¹

ويستطيع المرء من خلال ترجمة لسنغ أن يعرف المزيد عن ما كتبه (فولتير) حول قصة فتح المدينة المقدسة والتسامح الإسلامي، والتي ذكر فيها بأن «صلاح الدين، حين وصل بوابات القدس، التي لم تستطع الاستمرار في الدفاع عن نفسها، استوقف على سبيل المثال حرم الملك المسيحي (لوزينيان) بعد استسلام المدينة، الذي لم يكن أحد يرغب فيه، وطلب منها أن تذهب حيث تشاء. ولم يطلب السلطان في ذات العام من اليونانيين، الذين بقوا في المدينة، دفع الفدية، وأخذ النزر القليل منها من اللاتينيين.

وحين دخل جيشه إلى القدس واستقر فيها جاءته مجموعة من النساء المسيحيات يرجون إطلاق سراح أبنائهن وأزواجهن وآبائهن، الذين تم أسرهم في المعارك، فوعدهن بذلك، وأعادهم جميعاً إليهن مجسداً بذلك كل معاني الكرم، الذي لم يكن له مثيل في تلك الفترة».⁴⁴²

حيث يقول (فولتير)، حسب لسنغ، أن الفاتح المسلم صلاح الدين كان يمتلك من الأخلاق إلى الحد الذي «جعل المسيحيين أنفسهم يعيدون ترتيب الجامع، الذي تم تحويله إلى كنيسة في السابق، ويغسلونه بماء الورد، ووضع بداخله عام 1187 كرسي الخطيب الضخم، الذي كان يستعمله عمه نور الدين سلطان حلب، وحفر فوق بوابة مدخل الجامع هذه الكلمات: «الملك صلاح الدين الأيوبي، عبد الله، يضع هذا العنوان، حين استعاد الله قدسه بيديه». وبغض النظر عن تعصبه لدينه أعاد كنيسة القيامة إلى المسيحيين الشرقيين مرة أخرى».⁴⁴³

78 يتبع)

Jager 1984. S. 79ff. (441) (ينظر الى: يجر 1984، ص 79 يتبع)

Voltaire: Geschichte der Kreuzzüge. S. 78f. (442) (فولتير: «تاريخ الحروب الصليبية»، ص 78 يتبع)

Ebd. S. 79. (443) (ينظر إلى المصدر السابق، ص 79)

حاول لسنغ، من خلال قراءاته للموقف الإنساني لشخصية «الفتاح» المسلم صلاح الدين التاريخي المستنيرة القائمة على الموروث الأخلاقي للثقافة الشرقية الإسلامية، أن يفتح نافذة للضوء في عالم المسيحية المظلم آنذاك، حين وضع الصفات الإيجابية لشخصية البطل صلاح الدين في مسرحيته «ناتان الحكيم»، ليعمم بذلك فكرة التسامح الإنساني بين أنصار الديانات السماوية والتعايش السلمي بين الناس من مختلف الأجناس، والتي تنسحب أيضا على العلاقات الاجتماعية المعاصرة للرعية تجاه السلطات الدينية والدينية التي تتحكم بمصائر الشعوب.⁴⁴⁴

حيث كانت هذه الرؤية العملية للأديب الألماني لسنغ تدور في فلك أفكار حركة التنوير الأوروبية، التي استطاعت أن تدفع الإنسان وتحركه بعقلانية باتجاه تحقيق مآربه الشخصية وما يطمح اليه في بناء كيانه الاجتماعي والثقافي والسياسي والاقتصادي في إطار التسامح المستمد من روح التاريخ الإسلامي.

وعليه يقول الكاتب (أوتو مان) في مؤلفه - «لسنغ، الوجود والإنجاز» 1949 - «وهكذا بني التسامح على أساس ما هو إيجابي من الوحي التاريخي، ويقوم على فكرة، أن كل دين إيجابي له إمكانية منقطعة النظير على التقدم في المجال الديني».⁴⁴⁵

ويضيف المؤرخ (أمين معلوف) على ما ذكره (فولتير)، واصفا اليوم الذي دخل به صلاح الدين فاتحاً لبيت المقدس بقوله: «وأخيراً دخل صلاح الدين إلى القدس المقدسة يوم الجمعة الموافق 29 / تشرين الأول 1187 ميلادية، المصادف 27 / رجب 583 هجرية. وبذلك أنهى تاريخ 87 سنة من سيطرة المملكة المسيحية على هذه المدينة، حيث كان مسروراً بهذا الإنجاز، الذي يصادف يوم إحتفال المسلمين بإسراء الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى بيت المقدس».⁴⁴⁶

(444) Lessing: Nathan der Weise 1779. (ينظر إلى لسنغ: «ناتان الحكيم» 1779)

(445) Otto Mann: Lessing. Sein und Leistung. Hamburg 1949. S. 381.

(أوتو مان: «لسنغ، الوجود والإنجاز» هامبورغ 1949، ص 381)

Vgl. Amin Maalouf: Der Heilige Krieg der Barbaren – Die Kreuzzüge aus der Sicht der Araber – aus dem Französischen ins Deutsche von Sigrid Kester übersetzt. München 2004. S.215.

(ينظر إلى أمين معلوف: «الحرب المقدسة للبربر - الحروب الصليبية من وجهة نظر العرب» - ترجم من الفرنسية إلى الألمانية من قبل زغريد كيستر. ميونخ 2004. ص 215.)

ويستطرد قائلاً، بأن صلاح الدين استطاع كرجل مسلم أن يحقق «التسامح» و«المساواة» و«العدالة الإلهية» بين الناس من ديانات مختلفة استناداً إلى مبادئ الإسلام. فهو «لم يفتح القدس من أجل الحصول على الذهب أو زيادة ثروته من المال، أو الثأر من الصليبيين، إنما، وكما قال، من أجل القيام بواجبه تجاه الله وعقيدته الدينية».⁴⁴⁷

يتضح مما تقدم أن لسنغ كان قد استقى الكثير من أفكار التسامح، التي جسدها في أعماله الأدبية، من مراجع التراث الإسلامي المتعددة للمستشرقين، التي كانت في متناول يده، والتي ركزت على الأخلاق والصفات الحسنة للإنسان المسلم آنذاك، الذي التزم إلى حد بعيد بتعاليم دينه، حسب ما جاء في التحليل والدراسة المختلفة، التي قام بها الفيلسوف الفرنسي (فولتير) عن الأحداث التاريخية لفترة الحروب الصليبية، والتي قدم من خلالها للقارئ الأوروبي تقييم ممتلئ بالجدية عن حقيقة الإسلام ورسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم). وتعقيباً على ما كتبه (فولتير) يقول (كوشل) ما نصه:

«يوجد في هذه الدراسة تقييم جاد لشخص وسلطة الرسول (محمد)، وإصدار حكم استحق بجدارة روح النقد التي يتحلى بها فولتير».⁴⁴⁸

رأى لسنغ، من خلال ترجمته للنصوص التاريخية الفرنسية عن الحروب الصليبية، بأن هزيمة الصليبيين النكراء في معركة «حطين» وخسارتهم المرة لبيت المقدس في 2/ تشرين الأول 1187 على يد المسلمين بقيادة صلاح الدين كان لها إنعكاسات كبيرة في الداخل الأوروبي. حيث نقل عن (فولتير) قوله، أن الأخبار التي كانت تروى عن إنتصارات السلطان صلاح الدين أقلقت أوروبا بكاملها الأمر الذي دفع البابا كليمنت الثالث أن يدعوا الفرنسيين والأنكليز والألمان إلى حملة صليبية أخرى ضد المسلمين.

وكانت أسيا الصغرى بمثابة الهاوية التي أغرقت الأوروبيين، حين إنهار الجيش الألماني الجرار بقيادة القيصر فريدريش، وكذلك الأساطيل البحرية الحربية الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية، التي استطاعت أن ترسي بصعوبة إلى السواحل الشرقية قبل وصول

(447). Ebd. 216. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 216 يتبع)

(448). Kuschel 1998. S.86. (ينظر إلى كوشل 1998، ص 86)

ملك فرنسا فيليب أوغسطس وملك إنكلترا ريتشارد قلب الأسد، اللذان قاما بتنظيم حملة صليبية جديدة، استطاعا من خلالها الوصول إلى سوريا ومحاصرة مدينة عكا وإحتلالها، في حين كان صلاح الدين منهمكا بالحرب الداخلية في منطقة الفرات، حيث تجمع الصليبيون هناك للانطلاق في غزو البلاد، رغم تكبدهم للمزيد من الخسائر.⁴⁴⁹ وبعد أن وحد الملكان قواتهم الحربية مع المسيحيين الشرقيين وصل تعداد جيشهم إلى ثلاثمائة ألف مقاتل.⁴⁵⁰

يقول المؤرخ (هانز ايرهارد ماير) في كتابه - «تاريخ الحروب الصليبية» 2000 : ونتيجة للمعارك الضارية سقطت الكثير من الضحايا في أرض المعركة من الجانبين، وكان صلاح الدين مسؤولا عن الوضع الخطير الذي تعرضت له حامية المسلمين، ذلك لأنه كان قد رفض طلبا سابقا لأمرائه وقادة جيشه يقضي بالفتح الكامل لما تبقى من القلاع والمدن التي كان يسيطر عليها الصليبيون.⁴⁵¹

وكان (فولتير) قارن في مخطوطته «تاريخ الحروب الصليبية» بين روح التسامح التي جسدها المسلمون حين فتحوا القدس عام 1187 والأيام الدموية للمسيحيين حين سيطروا على هذه المدينة المقدسة عام 1099، وكما وصفها المؤرخ (وليم فون تيروس) في مقالته «فتح القدس» بقوله:

«لقي عشرة آلاف من الاعداء حتفهم في حارة المعبد، بحيث لايتوقع هؤلاء، الذين ذبحوا في المدينة هنا وهناك، أن تكون جثثهم ملقاة في الساحات والشوارع، أو أن يكون عددهم أقل من ذلك.

وانتشر الجيش الصليبي في المدينة لجلب أولئك الذين أختبأوا في الأحياء والأزقة الضيقة هربا من الموت، كما تهرب الماشية من الذبح، لكنه تم إلقاء القبض عليهم وقتلهم. أما الآخرون فقد تجمعوا ودخلوا للاحتماء في البيوت، فتم إخراجهم، بما فيهم الرجال والنساء

Voltaire: Geschichte der Kreuzzüge. S. 79f. (449) (ينظر إلى فولتير: «تاريخ الحروب الصليبية»، ص 79 يتبع)

Ebd. (450) (ينظر إلى المصدر السابق)

Vgl. Hans Eberhard Mayer: Geschichte der Kreuzzüge. Stuttgart 2000. S. 130ff. (451) (ينظر

إلى هانس ايرهارد ماير: «تاريخ الحروب الصليبية»، شتوتغارت 2000، ص 130 يتبع)

والاطفال والشيوخ، فمنهم من خرقت بطونهم بالسيوف، ومنهم من ألقى بهم من فوق سطوح المنازل، لتتهشم أجسادهم ويموتون».⁴⁵²

لذلك وصف (فولتير) الصليبيين بـ«البربر» مقارنة بالمسلمين، وهي تسمية كانت تطلقها أوروبا المسيحية على المقاتلين المسلمين، بقوله: «وبغض النظر عن تعصبه لدينه أعاد صلاح الدين كنيسة القيامة إلى المسيحيين الشرقيين مرة أخرى. وحين يقارن المرء ذلك مع ما قام به المسيحيون عندما استولوا على القدس، يستطيع أن يرى بوضوح، للأسف الشديد، من هم الذين كانوا البربر».⁴⁵³ حيث يقال في أوروبا أن الجيش المسيحي قتل أعدادا كبيرة من السكان المسلمين في العام 1099.⁴⁵⁴

يقول الكاتب (زيغفريد زايدل) في مؤلفه «غوتهولد أفرام لسنغ - مقدمة عن حياته 1729-1781» الصادر عام 1963: «إن لسنغ كان قد قرأ وبشكل تفصيلي فترة الحروب الصليبية من عام 1171 إلى 1193 التي شهدت عهد حكم السلطان صلاح الدين الأيوبي»⁴⁵⁵ ورأى بأن ظهور صلاح الدين في حياة المسلمين كان ردة فعل طبيعية على الجرائم، التي إرتكبها الصليبيون بحقهم، بقوله: «لم يكن صلاح الدين «طاغية»، إنما كان أداة الإنتقام من المخلدين في الدنيا، حين أنقذ شرف الخالق».⁴⁵⁶ ويعني هنا فتح القدس.

ولذلك جعل لسنغ أحداث مسرحيته «ناتان الحكيم» تدور في بيت المقدس، وفي فترة دخول القائد صلاح الدين الأيوبي إليها فاتحا عام 1187، حين التقى أنصار الديانات السماوية الثلاثة: اليهودية والمسيحية والإسلام على هذه الأرض المقدسة، ملتقى الأنبياء، ليناقش

Siehe den Artikel von Wilhelm von Tyrus: Über die Eroberung Jerusalems. (Alfred (452 LÄPPLE: Report der Kirchengeschichte. München 1968. S. 179).

«فتح القدس». كذلك (ألفريد لابل: «تقرير من تأريخ الكنيسة»، ميونخ 1968، ص 179).

(453) Voltaire: Geschichte der Kreuzzüge. S. 79. (فولتير: «تأريخ الحروب الصليبية»، ص 79)

Lessing: Nathan der Weise. Ein dramatisches Gedicht, mit Erläuterungen. München (454 1997. S. 198.

(لسنغ: «ناتان الحكيم»، نص شعري مسرحي مع تحليل»، ميونخ 1997، ص 198).

Siegfried Seidel: Gotthold Ephraim Lessing. Eine Einführung in sein Leben 1729-1781. (455 Berlin 1963. S. 130.

(زيغفريد زايدل: «غوتهولد أفرام لسنغ. مقدمة عن حياته 1729-1781»، برلين 1963، ص 130).

(456) Lessing: Rettung des Hier. Cardanus. S. 263. (لسنغ: «انقاذ السيد كاردانوس»، ص 263)

كل واحد منهم البراهين، التي تشير إلى ما حققه أنصار دينه من أعمال الخير للإنسانية خلال المسيرة التاريخية الطويلة، والتي أوصى بها الله تعالى في كتبه المنزل، ليتم من خلال هذا النقاش البناء إختيار الدين الأصح للبشرية، وحسب التصورات والمعطيات الإيجابية عن كل دين من الأديان، التي تم طرحها من قبل الكاتب ورائد حركة التنوير الألماني لسنغ.⁴⁵⁷

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الفيلسوف الفرنسي (فولتير)، أعترف ولأول مرة بشكل صريح وواضح في نصوصه الدينية التاريخية «من القرآن الكريم ومحمد» و«تاريخ الحروب الصليبية»، التي ترجمها لسنغ إلى الألمانية عام 1750 / 51، أي بعد عرض مسرحية «محمد» عام 1741، بأنه كان مخطأ حين أساء إلى رسول الإسلام.⁴⁵⁸

ومن أجل الإقرار بهذا الاعتراف، وتجاوز التقييم المسيء للإسلام والرسول من ناحية، وإظهار الحقيقة الإيجابية الناصعة عن الدين الإسلامي للقارئ والناقد والمتفرج الأوروبي والعالمي، وخاصة زميله لسنغ، من ناحية أخرى، عبر (فولتير) أخيرا عن إعجابه وتقييمه الديني والفلسفي للإسلام ورسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، بقوله:

«إنه لشيء عظيم أن يصبح تاجر إبل واعظا كبيرا، ومشرا للقوانين، وملكا تخضع لسلطانه الجزيرة العربية بأكملها، التي لم تخضع لاحد قط من قبله. حيث استطاع أن يوجه الضربات الأولى للإمبراطوريتين الرومانية والفارسية في الشرق. فأنا أكن له الإعجاب لتحقيقه السلام بين زوجاته في المنزل. واستطاع أن يغير الواقع في جزء من أوروبا، ونصف آسيا، وفي كل مكان تقريبا في أفريقيا، ولم يخطيء كثيرا، حين أخضع الجزء الأكبر من العالم لسيطرته».⁴⁵⁹

امتدح (فولتير) كذلك مسألة التسامح في الإسلام كثيرا، وقدمها كنموذج للتسامح الإنساني إلى حركة التنوير الأوروبية، التي كانت بحاجة إلى رؤى وتجارب الشعوب الأخرى لتقويم أفكارها. ويخلص المرء إلى القول، أن الصورة التي رسمها (فولتير) للقائد المسلم صلاح

(457) Vgl. Lessing NdW. (ينظر إلى لسنغ: «ناتان الحكيم» 1779).

(458) Lessing: FÜ. S. 129-205 und S. 134-173. (الترجمة الفرنسية، ص 129-205)

وص 173-134)

(459) Lessing: FU. S. 133. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 133)

الدين كانت تعبر عن الكرم، والتسامح الديني، والاحسان الاجتماعي للسلطان تجاه أتباع الديانات الأخرى.

وأعظم ما مدح به فولتير هذا الحاكم المسلم، يقول (كوشل)، يتلخص بقوله: «لقد كان إنسانا وفتاحا وفيلسوفاً». حيث ربط (فولتير)، «كعاداته دائماً، هذا الثناء بموضوع إنتقاداته للمسيحية».⁴⁶⁰ ويمكن أن نذكر هنا إلى أن (كوشل) كان قد توصل في دراسته لموقف (فولتير) تجاه الحاكم المسلم صلاح الدين والإسلام بشكل عام إلى استنتاج يتلخص بالآتي:

«قدم فولتير هنا، وبرغبته الشخصية الحالية الواضحة والمميزة، حاكماً مسلماً من سفر التاريخ كإنسان متسامح ومستدير. نعم، أثنى فولتير على هذا السلطان بأعظم الإطراءات، التي كان مؤهلاً أن يقولها باعتباره رائداً لحركة التنوير: رجلاً، وفتاحاً، وفيلسوفاً! ويظهر أن فولتير تطرق إلى الإسلام بشكل ملفت للنظر في العرض الكامل لحجته. وبذلك رفض مسرحيته مأساة «محمد»، التي كان فيها الإسلام ممثلاً لجميع الأديان، وأفقدتها مصداقيتها؛ ودافع عن رجل مسلم ضد أسوأ المسيحيين».⁴⁶¹

ويجمع النقاد على أن (فولتير) استطاع أن يعرض، وبلا تردد، الإنسان المسلم كـ «مثال ساطع»⁴⁶² للتسامح ضد ما تقوم به وتدعيه الديانة المسيحية المعاصرة. ومن أجل إظهار العدالة والأخلاق الحميدة للسلطان صلاح الدين تجاه المسيحيين في الحملة الصليبية الثالثة، شدد (فولتير) في مخطوطاته الإسلامية على «السخاء» المنقطع النظير لهذا الحاكم المسلم، الذي لم يجد له مثيلاً في أوروبا. حيث وجدت العدالة الاجتماعية للسلطان تجاه رعايا الديانات والمذاهب الأخرى لدى (فولتير) كل الاحترام والتقدير العالين، خاصة حين أعاد صلاح الدين كنيسة القيامة إلى المسيحيين بعد فتح القدس، وأمر بأن توزع الأموال كصدقات على المسلمين والمسيحيين واليهود دون استثناء أو تمييز، والتي دونها في وصيته أيضاً.⁴⁶³

(460) Kuschel 2004. S. 111. (ينظر الى كوشل 2004، ص 111)

(461) Kuschel 1998. S. 88. (ينظر الى: كوشل 1998، ص 88)

(462) Lessing: FU. S. 194. (لسنغ: «الترجمة الفرنسية»، ص 194)

(463) Ebd. S. 198. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 198)

يمكن أن نستخلص من معاني ما تقدم بأن (فولتير) كان يهدف، من ثناءه على القائد التاريخي صلاح الدين وانتقاده للمسيحية، توجيه عناية القارئ الأوروبي إلى أنه تأمل كثيرا بالإسلام، وأدرك تماما بأنه الدين الأكثر تنويرا مقارنة بالديانات الأخرى، ليصحح بذلك الصورة السلبية التي عرضها في أولى أعماله الأدبية ورسائله عن الإسلام ورسوله الكريم محمد (صلاة الله عليه)، والتي كان يقصد من وراءها توجيه انتقادا لادعاء للسلطة الدينية المسيحية التي كانت مهيمنة على الحكم في عصره، حسب ما أجمع عليه النقاد والمحللون في آرائهم، وكذلك الكنيسة نفسها، التي رأت في مسرحيته مأساة «محمد» انتقادا مباشرا لها، الأمر الذي أدى إلى منع عرضها على المسارح الأوروبية لفترة طويلة. وأبدى الفيلسوف الفرنسي ورائد حركة التنوير (فولتير) استعداده للاعتراف أيضا بأن الإسلام، ممثلا برسوله الكريم، قد ترك أثرا إيجابيا كبيرا على بعض الشخصيات العالمية المعروفة، التي كان لها دورا مؤثرا في تاريخ البشرية.

لذلك فقد أجمع النقاد على أن لسنغ كان قد أخذ من مخطوطة (فولتير) «تاريخ الحروب الصليبية»، التي تطرق فيها إلى الحملة الصليبية الثالثة (1189-1192)، الأساس الذي بنيت عليه آخر مسرحياته الشهيرة «ناتان الحكيم»، والتي كان صلاح الدين أحد أبطالها البارزين.⁴⁶⁴

ثانيا: «تاريخ صلاح الدين سلطان مصر وسورية» لمارين

لم يعتمد لسنغ في دراسته وتقييمه للإسلام، كظاهرة تنوير في تاريخ الإنسانية، وكذلك رسم شخصية السلطان صلاح الدين الأيوبي بتلك العناية في طروحاته الفكرية الأدبية الفلسفية خاصة في مشروع مسرحيته «ناتان الحكيم»، على النصوص الأدبية الدينية والتاريخية، التي كتبها الفيلسوف الفرنسي (فولتير) والمستشرقون الأوروبيون سالف في الذكر فقط، وإنما استقى أفكاره أيضا من أعمال المؤرخ الفرنسي (فرانسوا لويس مارين) ومنها «تاريخ صلاح الدين سلطان مصر وسورية» في مجلدين، التي ترجمت إلى اللغة الألمانية من قبل

(464). Lessing NdW (III/5) (ينظر إلى لسنغ: «ناتان الحكيم»، الفصل 3، المشهد 5)

(العبازر غوتليب كوستير) في مدينة سيله عام 1761،⁴⁶⁵ حيث عد من المصادر التاريخية الرئيسية، التي استخدمها لسنغ لإغناء معرفته بأحداث الحروب الصليبية وما آلت إليه في تلك الفترة، ودور أنصار الإسلام في تحويل ثقافة التصعيد للحروب والثأر وسفك الدماء، التي إعتاد عليها الصليبيون ولم يألفها المجتمع المسيحي من قبل، إلى ثقافة التسامح والتعايش السلمي بين الأديان والعرقيات.

لقد أغنت هذه الترجمة مشروع لسنغ الأدبي «ناتان الحكيم» بأفكار قيمة عن الوصف التاريخي الحقيقي لشخصية السلطان صلاح الدين الأيوبي. حيث يقول الكاتب (بيتر ديمتز) في مؤلفه - «غوتهولد أفرايم لسنغ، ناتان الحكيم، النص الكامل والوثائق» الصادر سنة 1966 «كشف هذان المجلدان التاريخيان للكاتب لسنغ عن قلادة من الزهور فيها مزايا مدهشة من الأحكام الإنسانية العادلة وأدلة براقة للفروسية لم نسمع بها من قبل».⁴⁶⁶

حيث ركز لسنغ جل إهتمامه، في بادئ الأمر، على التقدم المحرز في عمل مارين، خاصة فيما يتعلق بأعمال وأفعال السلطان صلاح الدين الأيوبي مقارنة بما قام به الصليبيون، حين دون قائلاً: «التزم صلاح الدين بدرجة عالية من الإخلاص بتعاليم القرآن، الأمر الذي جعل المسلمين يعدونه واحداً من بين القديسين والواعظين لهم. حيث إهتم ببناء المساجد والمدارس ودور العجزة والمستشفيات في جميع المدن الكبيرة، ووفر رعاية خاصة كان يشرف عليها بنفسه للعجزة من الرجال والأيتام، وكان يطعم الفقراء والمحتاجين».⁴⁶⁷

أما من ناحية الثناء على شخصية صلاح الدين فقد قرأ لسنغ في مؤلف (مارين) أيضاً: «واهمون كثيراً ممن يقولون فقط بأنه مات فيلسوفاً، لقد عاش صلاح الدين ومات كسيد تقي وورع أيضاً. حيث يبدو لبعض الكتاب في يومنا هذا أنه من غير الممكن أن يكون هناك

Marin: Geschichte Saladins Sulthans von Ägypten und Syrien. S. 81. (465 ينظر إلى مارين: «تأريخ صلاح الدين سلطان مصر وسورية»، ص 81).

Peter Demetz: Gotthold Ephraim Lessing, Nathan der Weise, vollständiger Text und Dokumentation. Frankfurt am Main/ Berlin 1966. S. 134. (بيتر ديمتز: «غوتهولد أفرايم لسنغ، ناتان الحكيم، النص الكامل والوثائق»، فرانكفورت أم ماين / برلين 1966، ص 143).

Marin: Geschichte Saladins Sulthans von Ägypten und Syrien. S. 82. (467 مارين: «تأريخ صلاح الدين سلطان مصر وسورية»، ص 82).

رجال عظماء دون أن يكون لديهم ما تسمى بالفلسفة، أو رابطة دينية تقربهم من الأمراء، أو من الذين يعملون على إقامة هذه الرابطة بين الرعية والأمراء وإنتزاعها مرة أخرى، ويتم الحديث عن ذلك كثيرا حين تعطى الحرية الكاملة للشعب دون عقاب، ومن مصلحة الجنس البشري ربما أن لا يكون هناك دين يمكن أن يكون لجاما فضيعا لمصلحة الحكام».⁴⁶⁸

وجد لسنغ في نصوص مؤلف (مارين) السمات الإيجابية لشخصية السلطان صلاح الدين المتمثلة بـ«الرحمة» و«الفضيلة» و«التسامح»، التي بنى على أساسها موقفه التاريخي تجاه ممثلي الديانات الأخرى في مسرحيته «ناتان الحكيم»، استنادا إلى قول (مارين): «كانت رحمة صلاح الدين كبيرة جدا، بحيث إنه لم يعاقب أحدا مطلقا إرتكب جريمة ضد شخصه، وكثيرا ما تفسر هذه الفضائل على إنها ضعف، والذي يؤثر على شمائل الصفح الذي يقوم به. ورأينا في تاريخه الطويل، يقول مارين، إلى أي مدى كان يهتم بالعفو عن الآخرين بلطف. وعرف عن روحه بأنها لم تكن مشغفة بالعنف، ولا تعرف الغضب أو الانتقام، التي تكون نتيجة لذاته. لكن بربرية المسيحيين جعلته أن يكون قاسيا معهم».⁴⁶⁹

وكان لسنغ يمتلك الدليل التاريخي أيضا في مؤلف (مارين) عن صفات «الرحمة» و«التسامح» في الإسلام عندما ضمن مسرحيته «ناتان الحكيم» قضية إطلاق صلاح الدين سراح فارس المعبود، وذلك حين «قاد صلاح الدين، حسب (مارين)، هجوما ضد جيش الفرنجة، بسبب الجرائم الوحشية التي إرتكبها الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد بحق المسلمين، وقام جنوده بأسر أحد الضباط المسيحيين وجلبوه إلى خيمته، حيث كان يرتعد خوفا من الموت الذي ينتظره، فسأله صلاح الدين عن ما يخيفه في تلك اللحظات، فأجابه الضابط قائلا: لقد كنت خائفا حين جيء بي اليكم، ولكن هذا الخوف تلاشى وتبدد عندما اقتربت من شخصكم، ورأيت فيكم أميرا لا توحى نظراته إلا بالخير والرحمة، ولا يمكن أن يكون قاسيا إلى درجة إنه يأمر بقتلي. فارتسمت البسمة على شفاه السلطان وعفى عن الأسير وأطلق سراحه».⁴⁷⁰

(468) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(469) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(470) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

وهذه القصة تذكرنا ولسنغ أيضا بما قام به السلطان صلاح الدين حين وقع الملك المسيحي وكبار حاشيته بقبضته في موقعة «حطين» الشهيرة قبل فتح القدس، حيث عفى عنه وأطلق سراحه مؤخرًا.

اكتشف لسنغ، من خلال القراءة المستفيضة للنصوص التاريخية، مدى إعجاب (مارين) بالقائد المسلم صلاح الدين الأيوبي لفضائله وحبه للناس، بقوله: «لو استطاع هذا السلطان أن يأخذ معه احترام ودموع كل الشعوب التي ودعته إلى مثواه الأخير، لاستحق القليل من الأمراء في حقيقة الأمر هذه المشاعر لفضائلهم الكثيرة، كما يجب علينا أن نتأمل ونعجب بهذا الرجل المسلم».⁴⁷¹ نستنتج من ذلك أن (مارين) قد أغنى معرفة قراءه، ومنهم لسنغ، بالكثير من الحقائق غير المعروفة والمستجدات المكتشفة عن تاريخ الحروب الصليبية وحياة السلطان صلاح الدين تفوق ما قدمه (فولتير) في كتاباته، التي تم ذكرها سلفًا.

حيث أضاف قائلاً: «أن المسيحيين أنفسهم لم يستطيعوا أن يواجهوا السلطان بنفس العدالة التي كان يتتهجها، حيث لمست ذلك منهم بيدي، وكما مدون في هذه النصوص. نعم، وأخذ يساورني القلق، وأهتم الآن لتقديم هذه الحقائق المتعددة لقرائي، والتي تعد من الأنباء العظيمة التي يجب الإطلاع عليها».⁴⁷²

يتضح مما تقدم بأن المؤرخ الفرنسي (مارين) قد أشاد بالإسلام، وهذا ما إطلع عليه لسنغ، من خلال ثناءه على الصفات الحميدة التي تحلت بها الشخصية التاريخية للقائد المسلم صلاح الدين الأيوبي، حيث صاحب هذا الثناء إنتقاد حماسي مستنير للإنحرافات، التي كانت تتصف بها المسيحية المعاصرة في زمن الحروب الصليبية، مسلطا الضوء على التباين الواضح «بين المسلم المثالي أخلاقيا كالسلطان صلاح الدين والنصارى البائسين أخلاقيا»⁴⁷³، الذين دافعوا عن دينهم في القدس بتلك الفترة، بقوله: «إن رحمته، وعدالته، وأعتداله، وكرمه، التي تجاوزت حدود فتوحاته، جعلته يحظى بالاحترام ويحفظ في ذاكرة جميع المسلمين وكل أولئك الذين يقدرّون ما يعرف بالفضيلة.

(471) Ebd. S. 82. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 82)

(472) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق)

(473) Kuschel 2004. S. 111. (ينظر إلى كوشل 2004، ص 111)

ولم يكن هناك أمير سعيد للغاية بصنيعه كما كان السلطان. لقد كان زاهدا، فرغم أنه يحكم مصر، وسورية، والجزيرة العربية، واليمن السعيد، وبلاد ما بين النهرين، التي كانت تدفع الجزية له، لكنه لم يترك في خزائنه أكثر من 47 درهما فضيا وواحدة فقط من المسكوكات الذهبية.

وتم إقراض كل ما هو ضروري لتشجيع ودفن جنازته. ولم يكن له بيتا أو حديقة، أو مدينة أو بلدا، عائدا للملكية الخاصة. وكان البعض من أبناءه يجبرون على العمل لدى إخوانهم أو أعمامهم لتدبير أمور حياتهم المعيشية. حيث وزع صلاح الدين المدن وجميع الأقاليم، وحافظ فقط على سلطانه.

وعند حصاره لـ«عكا» قدم له أحد أمرائه هدية أكثر من إثني عشر حصانا، فقام بتوزيعها على جنوده دون حساب. وكان أمين الخزانة الوحيد، الذي يقوم بأدخار كمية من النقود للحالات الطارئة دون علم السلطان، ومنعه حين علم بذلك، معتبرا هذا العمل غير مجد، وأخذ يبيع أثاث بيته عندما لا يجد مالا لينفقه».⁴⁷⁴

واستنادا إلى الخلفية التاريخية، التي تم عرضها، فقد تطورت العلاقات الإنسانية والصراعات وألقت بظلالها وأثرت بشكل عميق ومباشر على النتاج الفكري للإنسان الأوروبي في القرن الثامن عشر،⁴⁷⁵ الذي تعامل معها بإيجابية منقطعة النظير، وكما نرى ونلمس النتائج في العالم الأول اليوم.

وهذا الأمر جعل لسنغ يبحث ليس فقط في حياة صلاح الدين بوصفه سلطان مسلم متسامح وفتاح لمدينة القدس الشريف، وإنما جعله يسلط الكثير من الاهتمام على أصله ونسب عائلته، وتاريخ وأصل العرب أيضا، حيث استطاع أن يعرف الكثير عن ذلك من خلال ما ترجم وقرأ في نصوص (مارين):

«أخيرا أنهى صلاح الدين مسيرة حياته، بعد معاناة مع المرض دامت إثني عشر يوما، يوم الأربعاء السابع والعشرين من صفر، الشهر الثاني من السنة العربية، خمسائة وتسعة وثلاثون

Marin: Geschichte Saladins Sulthans von Ägypten und Syrien. S.83f. (474) (مارين: «تاريخ صلاح

الدين سلطان مصر وسورية»، ص 82 يتبع.)

Seidel 1963. S. 130. (ينظر إلى: زايدل 1963، ص 130) (475)

للهجرة، المصادف شباط / سنة 1193. حيث حكم مصر (22) عاما بعد موت الملك الفاطمي، وسورية (19) عاما بعد موت الملك نورالدين. وكان اسمه الكامل: السلطان الملك الناصر صلاح الدين أمير المؤمنين عبد المظفر يوسف بن أيوب بن شادي».⁴⁷⁶

ويمكن تلخيص ما استقاه لسنغ من مؤلف (مارين) بالآتي: يرى المرء في المقطع الأول من الترجمة أن (مارين) قدم، حسب وجهة نظره، عرضا لتاريخ صلاح الدين في قيادته للدولة الإسلامية وصراعه مع الصليبيين، متطرقا إلى سيرته الذاتية وأيام وفاته، ليعطي للقارئ الأوروبي صورة متكاملة وتحليل عقلائي عن تاريخ هذه الشخصية الإسلامية، التي ذاع صيتها عالميا، حيث يقول (كوشل) معلقا: «وبذلك أزال مارين جميع الشكوك المتعلقة بموقفه السلبي تجاه الإسلام».⁴⁷⁷

ويتضح الثناء والتقييم الإيجابي للمؤرخ الفرنسي (مارين) للإسلام بجلاء في النصوص، التي كانت بحوزة لسنغ عند دراسته للتراث الشرقي الإسلامي، والتي جاء فيها: «نحن مجبرون للإطلاع بصمت على مثل هذه الصفات الكثيرة المتشابهة، التي دونها الكتاب المسلمون بعناية في مؤلفاتهم، والتي تمجد السلطان صلاح الدين، الذي نعرض تاريخه في كتاباتنا».⁴⁷⁸

ويتطرق إلى الصفات التي جعلته يكون قائدا مثاليا، بقوله: «إن صفات الوداعة، والمحبة، والعطاء، والدين، والعدل، والكرم خلقت له شخصية ذات طابع مميز. وتفيد الكتابات أن شخصيته تظهر عليها المحبة أكثر من الترويع، وإن نظراته لا تبدي عليه بأنه وقحا، كما يؤخذ على بقية الحكام في العالم، فإذا تحدث كان حديثه بليغا، وطبيعيا، وبسيطا، ومهذبا، وله سعة خيال بالأدب، ويمتاز بسلامته من التكلف والاستعارة، والذي تتحلى به بعض الشخصيات المرموقة في البلدان الشرقية».⁴⁷⁹

Marin: Geschichte Saladins Sulthans von Ägypten und Syrien. S. 81f. (476) (مارين: «تأريخ صلاح

الدين سلطان مصر وسورية»، ص 81 يتبع.)

Kuschel 2004. S. 112. (477) (ينظر إلى: كوشل 2004، ص 112)

Marin: Geschichte Saladins Sulthans von Ägypten und Syrien. S. 85. (478) (مارين: «تأريخ صلاح

الدين سلطان مصر وسورية»، ص 85.)

Ebd. (479) (ينظر إلى المصدر السابق)

ويواصل (مارين) القول: «أحب صلاح الدين نوعا من الدراسة، التي يقدرها ويثني عليها المتدينين المسلمين، رغم إنها لم تكن ذات أهمية كبرى بالنسبة لمكانته، فقد درس عادات وتقاليد المسلمين، وتفسير القرآن، والمفاهيم المتعددة للمفسرين، وتعرف على الآراء المختلفة للمدارس الفقهية، وكان يجد متعة في مناقشة هذه المواد مع رجال الدين والقضاة».⁴⁸⁰

ويضيف (مارين) قائلا، حسب لسنغ: «لم يكن صلاح الدين يحب كثيرا مجالس الشعر والنقد اللغوي، التي كانت شائعة في البلدان الشرقية، لكنه أهتم بفقهاء القانون، ولم يلاحق الأدباء، الذين لم يظهروا الخشوع في كتاباتهم تجاه الأخلاق الحميدة والدين، وليس لديه تلك الأهواء الكبيرة التي تجعل الناس تذرف الدموع في المحيط المشترك، تلك الأهواء، التي تعد مأساوية لحال الإنسانية حين تتغلغل وتهاجم روح الحكام».

ويشدد المستشرق الفرنسي (مارين) على أخلاق القائد المسلم صلاح الدين في القول: «لقد كان كبيرا بفصائله الهادئة والسلمية ومآثره العسكرية، ويبدو من الطبيعة أنه ينطلق أكثر في تصرفاته من تربيته العائلية وليس كونه حاكم دولة كبرى».⁴⁸¹

يقول (مارين) منتقدا السلطان صلاح الدين: «لكنه كان يفتقر إلى الصرامة الضرورية، التي يجب أن يتحلّى بها الأمراء في فرض احترام السلطة. ولم يطبق الإنضباط العسكري الصارم في قيادة الجيش، وكان يقود أمرائه من خلال دماثته وفصائله وشروط الطاعة والولاء، وليس من خلال الإجراءات السلطوية العنيفة. فقد وضع الحظ صلاح الدين على عرش لم يسعى إليه، وإن الحاجة الملحة جعلته يتنافس مع نفسه، وينكر نعمة وليه. حيث كان تأثير الدين عليه أكثر من السياسية، الذي جعله يحمل السلاح ويخوض المعارك الدامية دون أن يرتجف».⁴⁸²

وهكذا نرى أن حقيقة إنطباعات وتصورات لسنغ الإيجابية عن الإسلام وصلاح الدين كقائد مسلم مستنير جاءت من خلال قراءاته للمستشرق الفرنسي (مارين)، الذي عرض

(480) Ebd. S. 86. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 86)

(481) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق)

(482) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق)

من جانبه، يقول (كوشل)، السلطان صلاح الدين كأعظم وأشجع وأرحم الحكام في عصره، حيث كان «كريما ومتعاطفا مع الأسرى، وناصرا للمظلومين، ومتسامحا مع الرعية من ديانات أخرى، وعادلا دون خشية أو محاباة أو تمييز بين الأشخاص».⁴⁸³

لقد وجد لسنغ لدى (مارين) الصفات الحقيقية للسلطان صلاح الدين، التي من بينها: «الرفق والإحسان، وحب الناس والعطاء، والدين، والعدل، والكرم».⁴⁸⁴ يتضح من ذلك أن خصال التدين والتقوى، التي أتصف بها السلطان المسلم صلاح الدين، كانت لها قيمة كبيرة لدى الفرنسي (مارين) دون سواه من المؤرخين المستشرقين الأوروبيين، من حيث أنه يرى بأن صلاح الدين طبق تفسيرات وتعاليم القرآن باجتهاد وإخلاص كبيرين، الأمر الذي جعله يحظى باحترام المسلمين وأعداءه أيضا كـ«سيد نبيل تقي وورع»⁴⁸⁵. وكان في البلاط الملكي محاطا دائما بالعلماء المسلمين، والخطباء والشعراء، وخبراء القانون الإسلامي البارزين.

وفي ضوء هذه المعطيات حاول لسنغ، ككاتب مسرحي حر، أن يربط بين صفات النبيل والورع الحقيقية للقائد المسلم صلاح الدين، كموروث ثمين من الثقافة الشرقية الإسلامية، والهدف السامي لحركة التنوير، التي دعت إلى الحوار والتسامح بين الشعوب. لذلك فإن الهدف من وراء عرض شخصية صلاح الدين المثالية هو من أجل أحداث تغيير اجتماعي من خلال تربية الأفراد، وخاصة الحكام.

واستنادا إلى خبرته والمعلومات التي أكتسبها من خلال قراءاته توصل لسنغ إلى حقيقة أن (فولتير) و(مارين) إتفقا أخيرا على فهمهما الإيجابي للإسلام وتاريخ الحروب الصليبية وصلاح الدين ليكشفوا للبشرية الفضائل الإنسانية التي جسدها الإسلام بالفرد، وكما عرض في كتاباتهم:

(483) Kuschel 2004. S. 112. (ينظر الى كوشل 2004، ص 112)

(484) Marin: Geschichte Saladins Sulthans von Ägypten und Syrien. S. 85. (مارين: «تأريخ صلاح

الدين سلطان مصر وسورية»، ص 85.)

(485) Kuschel 2004. S. 112. (ينظر الى كوشل 2004، ص 112)

«رغم وفرة المال وعظيم الجاه»، يقول مارين، «كان من دواعي سرور صلاح الدين أن يعيش فقيراً بمحض إرادته، فلم يكن يملك سوى لباساً واحداً يرتديه، وحصاناً واحداً في الإسطبل يمتطيه... لباس واحد، وحصان واحد، وإله واحد! حيث تم العثور على دوقية واحدة و40 من المسكوكات الفضية فقط في خزانته بعد وفاته».⁴⁸⁶

إن ما قاله (مارين) يتفق تماماً مع المعلومات التاريخية التي طرحها (فولتير) في كتاباته وترجمها عنه لسنغ فيما بعد:

«حين ألم المرض بهذا الرجل المسلم صلاح الدين في أيامه الأخيرة، أمر بجلب الكفن الذي يجب أن يدفن فيه، بدلاً من العلم الذي كان يجب أن يثبت أمام باب داره. أما الرجل الذي يحمل راية الوفاة فكان يصبح بأعلى صوته قائلاً: هذا كل ما أخذه صلاح الدين، فاتح الشرق، من إنتصاراته».⁴⁸⁷

وفي ضوء ما تقدم توصل لسنغ إلى قناعة تامة بأن حياة صلاح الدين كانت متجذرة بعمق في الإيمان بالله، وهذا الإيمان ولد لديه القناعة الكافية في الإخلاص لله، رغم أن هذا الأمر يعتبر غير اعتيادي بالنسبة للحاكم. لذلك عمل لسنغ في مسرحيته «ناتان الحكيم» على أن يردد صلاح الدين ذات الكلمات والجمل التي قرأها في مؤلفات (فولتير) و(مارين):

صلاح الدين: «لست بحاجة إلى أن أملك أكثر من لباس وسيف وحصان، وإله! أنا عن نفسي لم أفقد شيئاً ولا أفترق لأي شيء. ولا بد لي من الحصول على اللباس، والسيف، والحصان، لأعمل من صميم قلبي بما فيه الكفاية وما هو ضروري لإرضاء ربي».⁴⁸⁸

يتضح مما تقدم أن لسنغ استطاع أن يستخلص من كتابات (مارين)، المستشرق الفرنسي واسع الخبرة والخيال، إنه عرض بتعليقات قيمة ومختصرة العلاقة الإنسانية الحميمة بين صلاح الدين، الحاكم المسلم ذو الأخلاق الفاضلة، والشعب، ليعبر بذلك عن إعجابه بالإسلام وقادته، وأن يلفت في ذات الوقت عناية الحكام الفرنسيين بأن يحكموا شعبهم

(486). Ebd. S. 114. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 114)

(487). Voltaire: Geschichte der Kreuzzüge. S. 81. (فولتير: «تأريخ الحروب الصليبية»، ص 81)

(488). Lessing NdW (II/2). (لسنغ: «ناتان الحكيم»، 1779، الفصل الثاني، المشهد الثاني)

بعدالة، كما كانت العدالة سائدة في السيرة الذاتية للقائد المسلم، ذلك لأنه كان يؤمن بأن «العدل أساسُ الملك». حيث يظهر ذلك جليا في إقتباسات لسنغ عن (مارين):

«إن الرغبة في الحصول على نوع جديد من الشهرة والبطولة جعلته يسعى ليكون فارسا يأبى الاستسلام أمام المقاتلين الأشداء، الذين ذاع صيتهم وعرف العالم بطولاتهم، وورثوا الشجاعة الحقيقية كما يعتقدون. لكنني لا أطلب بضمان الدقة في هذه المسألة».⁴⁸⁹

يذكر في كتب التاريخ الأوروبية، خاصة الفرنسية والألمانية منها، على إن صلاح الدين كان يتعامل مع الناس كأخوة له، حيث كانت تتجسد في شخصه، حسب المؤرخين، صفات الحاكم، والإنسان، والفيلسوف. لذلك فقد استخدم لسنغ الأسلوب الخفي، الذي كان شائعا في القرن الثامن عشر، لنقد الأوضاع الغربية المعاصرة من خلال عرض ما هو إيجابي في تاريخ الشرق الإسلامي.

واستمر بحثه الأدبي التاريخي فترة طويلة، بدأ في نهاية الأربعينات وأنهى في بداية الثمانينات من القرن الثامن عشر، بحيث لم يكن الصراع الذي نشب بينه وبين رئيس القساوسة (غوتزه) في السبعينات السبب الرئيسي في كتابة مشروعه المسرحي «ناتان الحكيم»، الذي أنجزه أخيرا عام 1779.

وعليه فقد تطرق لسنغ كثيرا في مسرحيته المشار إليها إلى الروابط الاجتماعية، وصلة الدم، والعلاقات الإنسانية، التي يجب أن تكون بين المسيحيين والمسلمين، وكما ذكر في الرسالة التي بعث بها عام 1778 إلى أخيه (كارل لسنغ)، والتي ذكر فيها القارئ بالفترة الزمنية، التي بدأ بها العمل بهذا المشروع الأدبي الكبير، بقوله: «قبل سنوات عديدة وضعت خطة لمشروع مسرحية يتشابه محتواها مع نزاعاتي الحالية، التي لم أكن أحلم بها سابقا».⁴⁹⁰

يمكن التسليم هنا، بأن لسنغ أجاد في كتابة شعر المحاكاة غير المقفى، وإيجاد علاقة بين الشعر والنثر في كتابة النص المسرحي من أجل إيصال الفكرة بسلاسة للمتلقي، بحيث

Marin: Geschichte Saladins Sulthans von Ägypten und Syrien. S. 83. (489

(مارين: «تاريخ صلاح الدين سلطان مصر وسورية»، ص 83).

Düffel 1972. S. 99. (ينظر الى دوفل 1972، ص 99)

جعل من شخصية الحكيم «ناتان» الفاعل ذو الحكمة والخبرة الدينية الواسعة، الذي ينبغي أن يبرهن الحقيقة، التي يطمح لسنغ عرضها من خلاله على الملأ. حيث استطاع لسنغ أيضا أن يوجه، من خلال أفكار هذه المسرحية، إجابة نقدية لاذعة إلى إدعاءات كبير القساوسة (غوتزه)، الذي طالب مرارا بملاحقة لسنغ ومقاضاته بسبب أفكاره المنحازة للإسلام والناقدة للمسيحية، والتي جاءت نتيجة لما قرأه عن الإسلام ورسوله الكريم وأخلاق وفضائل القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي.

ثالثا: صلاح الدين: الإنسان والحاكم المسلم

حين وضع لسنغ خطة لمشروعه الأدبي المسرحي «ناتان الحكيم» بدأ أولا بقراءة الكثير من المصادر والنصوص الشرقية الإسلامية لكبار الأدباء والكتاب والمفكرين الغربيين أمثال (فولتير) و(مارين) و(رايسكه) و(سيل) و(مارغني) وغيرهم، ليتمكن من الإجابة في صياغة أفكاره في هذا العمل الدرامي الضخم، كما اسلفنا. حيث لم يكن من السهل عليه أن يعرض في آن واحد ثلاثة شخصيات من إتجاهات دينية مختلفة كالمسيحية واليهودية والإسلام لولا الخبرة الواسعة التي يمتلكها من خلال دراسته لهذه الأديان.

وهذا الأمر جعل الكاتب المسرحي الألماني لسنغ أن يبحث بشكل دقيق في السيرة الذاتية للسلطان صلاح الدين، لفهم الخلفية التاريخية لهذا القائد المسلم، فضلا عن تحديد الزمان والمكان لعمله المسرحي. وقادته هذه الدراسة للبحث في تاريخ الحروب الصليبية وما نتج عنها من جرائم ضد الإنسانية في ذلك الوقت.

اعترف لسنغ بشكل واضح وصريح بالتاريخ الدموي للحملات الصليبية الأوروبية ضد الشرق المسلم بعد أن ترجم نصوص (فولتير) «تاريخ الحروب الصليبية» عام 1751 في برلين،⁴⁹¹ والتي تركت أفكارها تأثيرا كبيرا في أوساط المجتمع الألماني والأوروبي، حيث رأى لسنغ في نظام هذه الحروب حيلة سياسية للباباوات، الذين عملوا على خلق المتاعب

(491) Voltaire: Geschichte der Kreuzzüge. S. 78-81. (ينظر إلى فولتير: «تاريخ الحروب الصليبية»، ص 78-81)

المؤلة من خلال ممارسة الإضطهاد اللاإنساني وتجييش أوروبا الأرثوذكسية لتدمير آسيا.⁴⁹² وعلى سبيل المقارنة بين الأعمال التاريخية التي قرأها لسنغ بهذا الخصوص، فقد وجد في مؤلف (مارين) «تاريخ صلاح الدين سلطان مصر وسورية» شيئاً عن الشجاعة والتواضع لهذا القائد المسلم، والتي تتلخص بما سندرجه في أدناه:

«كان صلاح الدين بعيداً كل البعد عن الإساءة إلى دين محمد، فإنه لم يعيشه ويحبه فحسب بل ذهب به من خلال تسامحه إلى أبعد من ذلك، في حين يعد البعض هذا التصرف ضعفاً، أما بالنسبة له فيعتبره مكماً للشجاعة التي يتصف بها، حيث قاد السلطان صلاح الدين، كمسلم متدين، الحرب بجرأة من أجل مجد العقيدة الإسلامية، وكان شجاعاً وجريئاً في مقاتلة أعدائه، ويواجه الأخطار دون خشية من الموت، فقد اعتاد أن يمتطي جواده ويجول بين الجيشين المتحاربين قبل بدء المعركة، ولم يرافقه في ذلك سوى جندي واحد يحمل السلاح أو الدرع الواقى.

لكنه لم يكن يرغب في الحرب ويدعوا للسلام دائماً مع الصليبيين، ذلك لأنه كان يتعامل معهم على أساس تعاليم القرآن. لذا كان يقترب في بعض الأحيان فجأة من الصليبيين ليقدم لهم النصائح بتجنب الحرب، ويقرأ لهم سورا من القرآن، في حين كان المسيحيون يرمونه بالسهام والنبال.

ولم يتمتع صلاح الدين بحياة الترف، التي كان يمارسها الحكام، فكان يعيش الحياة العادية، ويرتدي على طول الوقت الملابس الرثة، ويتناول وجبات الطعام البسيطة، ولم تكن خيمته مميزة كثيراً عن الأخريات. حيث استطاع السلطان صلاح الدين، ومن خلال نشاطاته ومشاركاته للجنود في أعمالهم، أن يربح الإنتصار وحب الشعب في ذات الوقت. وكان شديداً ولم يستسلم للاعياء والتعب، ينهض من الفجر ويمتطي جواده ليتفقد قطعات الجيش بنفسه على طول النهار، ويعمل في أوقات الحصار حاله حال الجنود العاديين، فهو ينظم

(492). S. 184. Vgl. Klaus Bohnen: Lessings Nathan der Weise. Darmstadt 1984. (ينظر إلى كلاوس بوهنن: لسنغ «ناتان الحكيم»، دارمشتات 1984، ص 184.)

إتجاه الآلات الحربية، ويقود الهجمات، ويرغب أن يكون الجندي الأول في الهجوم ليضرب لجيشه مثالا لصفات التربية، والاعتدال، والثبات، والشجاعة، التي كان يريد أن يغرسها في نفوسهم».⁴⁹³

يقول (كوشل): لاحظ لسنغ، من خلال بحثه في المراجع ذات الصلة، بأن المستشرقين والكتاب الغربيين في القرنين السابع عشر والثامن عشر أثنوا على السلطان المسلم صلاح الدين الأيوبي وبجلوه بأحسن معاني الكلمات نتيجة لفروسيته وبسالته. حيث تصور المصادر التاريخية صلاح الدين على أنه قائد مسلم يتسم بسمات الشخصية الإيجابية مثل الكرم والعدالة. لذلك فإن لسنغ لم يعتمد فقط على المصادر الشرقية الإسلامية في دراسته، وإنما استخدم إلى جانبها أيضا النص اللاتيني لحياة صلاح الدين، الذي أصدره سنة 1732 معلم (رايسكه) المستشرق المقيم في مدينة لايدن (ألبرت شولتين) مستوحاة عن «تاريخ العالم» لأبي الفداء، ودرس كذلك مؤلف «وصف الشرق» (لأولفريت دابر)، حول تفسير الكتاب المقدس، الذي نشر سنة 1712.⁴⁹⁴

وأخيرا تكللت جهود لسنغ البحثية بصياغة مشروعه الديني - الأدبي المسرحي «ناتان الحكيم» من خلال الصورة الإيجابية التي رسمها (فولتير) و(مارين) للإسلام والقائد المسلم المستنير صلاح الدين الأيوبي. فقد حمل النص التاريخي «تاريخ الحروب الصليبية» (لأولتير)، الذي ترجمه لسنغ إلى اللغة الألمانية، طابع الكرم، والإحسان، والتسامح الديني تجاه معتنقي الديانات الأخرى.⁴⁹⁵ يقول (فولتير): «يستطيع المرء أن يقرأ في وصية صلاح الدين شيئا عن إنسانية وعدالة الإسلام، حين أمر بتوزيع مبالغ كبيرة ك«صدقات» على الفقراء من المسلمين والمسيحيين واليهود بالتساوي ودون تمييز».⁴⁹⁶ ومن أجل تأكيد صحة اختياره للشخصية الإسلامية في المسرحية، درس لسنغ في هذا المؤلف صفة الفضول لهذه الشخصية لكي يضيف عليها المزيد من الوضوح لدى المتلقي ناقدا كان أم مشاهدا أو قارئا،

Marin: Geschichte Saladins Sulthans von Egypten und Syrien. S. 82f. (493)

(مارين: «تاريخ صلاح الدين سلطان مصر وسورية»، ص 82 يتبع.)

(494) Vgl. Kuschel 1998. S. 247. (ينظر إلى: كوشل 1998، ص 247)

(495) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق)

(496) Voltaire: Geschichte der Kreuzzüge. S. 81. (فولتير: «تاريخ الحروب الصليبية»، ص 81)

ذلك حين أمر صلاح الدين عندما ألم به المرض في أيامه الأخيرة بجلب الكفن الذي يجب أن يدفن فيه، بدلا من العلم الذي كان يجب أن يثبت أمام باب بيته.⁴⁹⁷

وتعرف لسنغ من خلال (فولتير) أيضا على ردة الفعل لدى الرعية في اللحظة التي أشيع فيها خبر موت السلطان صلاح الدين، فاتح الشرق، حين وجد حامل راية العزاء يقول، وهو يتقدم الآخرين، «هذا ما حصل عليه صلاح الدين، فاتح الشرق، من إنتصاراته».⁴⁹⁸

أراد (فولتير) من خلال هذا المديح، الذي تجاوز حدود الثناء والتبجيل غير الاعتيادي لقائد مسلم، والذي جسده لسنغ بكل وضوح في عمله الدرامي «ناتان الحكيم»، أن يوجه أيضا وكالمعتاد إنتقادات حادة وفورية ضد الآراء المتطرفة للكنيسة الكاثوليكية في القرن الثامن عشر، مشيرا إلى إعادة صلاح الدين لكنيسة القيامة إلى المسيحيين الشرقيين، مقارنة ذلك بالجرائم التي إرتكبها المسيحيون عند استيلائهم على بيت المقدس، خاتما بالقول: «... ندرك «للاسف» بكل وضوح من هم الذين كانوا «البربر»».⁴⁹⁹

نستنتج من ذلك، أن لسنغ توصل إلى قناعة، تفيد بأن على السلطة الدينية، أيا كان إنتماؤها، أن تكون متسامحة تجاه معتنقي الديانات والمذاهب الأخرى، إنطلاقا من مبدأ حرية الدين والمعتقد، الذي ناضلت من أجله حركة التنوير الأوروبية، التي تعد الفيلسوف الفرنسي (فولتير) أحد أعمدها، الذي بذل جهودا استثنائية في كتابة مؤلفه «تاريخ الحروب الصليبية» ليقدم للقارئ نموذجا للأعتدال والنزاهة الدينية، وإظهار حقيقة التسامح المثالي المستنير في الإسلام، التي جسدها لسنغ في مسرحيته «ناتان الحكيم» من خلال قرار السلطان صلاح الدين بالعفو عن عدوه المسيحي، فارس المعبد:

دايا: «شاب من المعبد، الذي تم أسره قبل بضعة أيام وجلبه إلى هنا، وأعفى عنه صلاح الدين».⁵⁰⁰

Ebd. (497) (ينظر إلى المصدر السابق)

Ebd. (498) (ينظر إلى المصدر السابق)

Ebd. S. 79. (499) (ينظر إلى المصدر السابق، ص 79)

Lessing: NdW (I/1). (500) (لسنغ: «ناتان الحكيم» 1779، الفصل الاول، المشهد الاول)

حيث عمل لسنغ في مسرحيته «ناتان الحكيم» على أن يرتبط مصير شخصية اليهودي الحكيم «ناتان» بصفات الكرم والرحمة، التي تجسدت في الشخصية التاريخية للسلطان بعد فتح القدس وسلوكه الإيجابي تجاه معتنقي الديانتين اليهودية والمسيحية على وجه التحديد، ومعاملته إياهم كأصدقاء.

فبعد أن دخل صلاح الدين بجيشه إلى مدينة القدس رجته مجموعة من النساء المسيحيات أن يطلق سراح أطفالهن، وأزواجهن، وآبائهن، الذين تم أسرهم في المعركة، وقد استجاب السلطان على الفور لطلبهن، معبرا بذلك عن خصال الشجاعة والكرم للقائد المسلم، التي لم يتصف بها قائد غيره بالعالم في ذلك الوقت حسب (فولتير).⁵⁰¹

وتعبيرا عن روح التسامح والمحبة في الإسلام جعل لسنغ شخصيته الدرامية، السلطان الفاتح صلاح الدين، يقول إلى اليهودي «ناتان» الحكيم في حديث دار بينهما:

صلاح الدين: «ناتان، عزيزي ناتان! ... ولكن كن صديقي».⁵⁰²

عمل لسنغ على عرض شخصية السلطان صلاح الدين آخذا بنظر الاعتبار الحقائق التاريخية والسيرة الذاتية له، التي تجسدت في هذا العمل الأدبي، تمثيلا للإجراءات السياسية والصفات الإنسانية الإيجابية للحاكم. يقول (سيغريد سوسه - فيدلر): «إن صلاح الدين الحاكم يبدو فاضلا تماما كما هو صلاح الدين الإنسان، وإن في شخص صلاح الدين تجسدت فكرة تربية الأمراء عمليا. فلم يعد التوفيق بين الأخلاق والسياسة غير ممكنا، وإنما أوضحت الأخلاق تقوض السياسة».⁵⁰³

وهذا الأمر كان بيت القصيد في مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم» حين عرض اليهودي «ناتان» مساعدة مالية على السلطان صلاح الدين، هو بأمس الحاجة لها:

(501) Voltaire: Geschichte der Kreuzzüge. S. 79. (فولتير: «تأريخ الحروب الصليبية»، ص 79).

(502) Lessing NdW (III/7). (لسنغ: «ناتان الحكيم» 1779، الفصل الثالث، المشهد السابع)

(503) Sigrid Suesse-Fiedler: Lessings Nathan der Weise und sein Leser. Eine wirkungsästhetische Studie. Stuttgart 1980. S. 248. (سيغريد سوسه - فيدلر: لسنغ ناتان الحكيم وقراءه.

دراسة تأثير الجمالية. شتوتغارت 1980، ص 248).

ناتان: «جئت من سفر طويل... وقد جمعت الديون... والآن لدي أموالاً أكثر مما ينبغي.. الوقت يمر بسرعة ولا أعرف ماذا أفعل بها... ففكرت أن أضعها بين يديك، ربما تحتاجها في الحرب وأنت مقبل عليها.

صلاح الدين: (ينهض وينظر في عينيه) ناتان... لا أريد أن أسأل فيما إذا كان الحافي عندك... ولا أريد أن أحزر فيما إذا كنت تمارس الربى... عند ذاك سأكون بنفس الخطيئة التي أنت فيها».⁵⁰⁴

يمكن القول بأن لسنغ وجد في مؤلف (مارين) «تاريخ صلاح الدين سلطان مصر وسورية» البرهان الحقيقي لسيرة حياة شخصيته الدرامية صلاح الدين الأيوبي، كما هو الحال في العرض غير المنحاز ل(فولتير)، الذي إمتدح فيه شخصية السلطان حسب المؤرخ الاوروبي، وإنقذ بشدة من خلالها الجانب اللإنساني للسلطة الدينية المسيحية في فترة الحروب الصليبية، في حين يحاول (مارين)، يقول (كوشل)، «من خلال التحليل النقدي القيم أن يبرز التباين التاريخي بين المسلم القدوة ذات الأخلاق الحميدة مثل السلطان صلاح الدين والنصراني القذر عديم الأخلاق».⁵⁰⁵

وبذلك غير بشكل جذري إنطباعاته السلبية عن الإسلام، وأصبحت قناعته الآن: «أينما تمارس الفضيلة، يجب على المرء أن يسميها فضيلة، وتستمر دائماً في الحياة أيا كان صاحبها. والعار يبقى عاراً، حتى لو صدر من مسيحي، والفضيلة تبقى فضيلة، حتى لو كان صاحبها مسلم».⁵⁰⁶

يقول (مارين): «نعم، أود أن أقول، إن البطريك، الذي يحدث عشيقته أمام الملاء، هو إنسان بلا أخلاق، وإن الأمة، التي ترتكب أشنع الرذائل وتجلب العار لنفسها، هي أمة فاسدة وشريرة، وإن الأمراء، الذين لا يلتزمون بقانون، وقسم، واتفاقية سلام، فهم الذين أدوا القسم كذبا وخانوا العهد، وإن المحمديون، الذين أحبوا أن يكونوا مسلمين، ومارسوا الفضائل الكبيرة، فهم رجال عظماء. يقول أحد كتاب القرون الوسطى المعروفين

(Lessing NdW (III/7). (لسنغ: «ناتان الحكيم»، الفصل الثالث، المشهد السابع) 504

Kuschel 1998. S. 248. (ينظر الى: كوشل 1998، ص 248) 505

Kuschel 2004. S. 112. (ينظر الى: كوشل 2004، ص 112) 506

بذكائهم، أن الواجب الأول لكاتب التاريخ، عليه أن لا يتردد في قول الحقيقة». ⁵⁰⁷ ويجسد
لسنغ هذه الحقائق في مسرحيته «ناتان الحكيم» على لسان البطريرك:

البطريرك: «هل سمعت ... وسمع الجميع هنا وهناك، بانني سأذهب؟ آه كلا! على سبيل
المثال: حين يعلمنا الرب، من خلال أحد ملائكته وحفظه كلامه، الوسيلة التي يتم من
خلالها النهوض بالمسيحية بشكل عام وإنقاذ الكنيسة بطريقة خاصة جدا ...

سوف أذهب إلى السلطان صلاح الدين وأطلب منه أن يحميننا حسب شروط الاستسلام
التي أقسم عليها ... فعليه أن يحمي كل حقوقنا ويحافظ على التعليقات التي نتبعها في ديننا.
الحمد للرب، لدينا النسخة الأصلية من الإتفاق، الذي يحمل توقيعه، وسوف نفهمه أي
خطر يشكل هذا على الدولة. وتعتبر جميع الإتفاقيات المدنية ملغية وممزقة إذا لم يسمح
للإنسان الاعتقاد بها ... بعدا ... بعدا ... لمثل هذا الذنب». ⁵⁰⁸

نلاحظ من خلال هذه المقتطفات المقتبسة من مسرحية «ناتان الحكيم» بأن حقيقة العرض
التاريخي للمؤرخ الفرنسي (مارين) كان مثالا هاما للكاتب المسرحي لسنغ في صياغة
الادوار الفنية لممثلي الأديان السماوية الثلاثة - اليهودية، والمسيحية، والإسلام - وخاصة
دور السلطان صلاح الدين، لذلك فقد «عمل لسنغ يقول (كلاوس بوهنن) - بنشاط
متناهي على تحويل الفضائل العامة لهذا القائد المسلم إلى خصوصيات، فبدلا من أن يعرض
تاريخ الحروب الصليبية المؤلم والمقرف، أظهر العدالة والرحمة في عمله المسرحي». ⁵⁰⁹

وهذا واحد من الأسباب الغامضة، التي لم يتم التطرق إليها من قبل المختصين، والتي
جعلت مسرحية «ناتان الحكيم» تستقطب هذا العدد الكبير من المشاهدين والقراء على
مر العصور، حيث أصبح لزاما على المرء اليوم أن يحجز قبل عدة أيام ليتسنى له مشاهدة
عرض لمسرحية لسنغ «ناتان الحكيم» على خشبة مسرح برشت في برلين.

Lessing WB. Bd. IX. S. 1162f. Ähnlich Kuschel 2004. S. 112. (507

(لسنغ: الأعمال والرسائل، البند IX. ص 1162 يتبع. كذلك: كوشل 2004، ص 112.)

Lessing NdW (IV/2). (لسنغ: «ناتان الحكيم» 1779، الفصل الرابع، المشهد الثاني) (508

Bohnen 1984. S. 187. (كلاوس بوهنن: لسنغ «ناتان الحكيم»، دارمشتات 1984، ص 187) (509

وبناء على الطابع الإيجابي لشخصيته كان صلاح الدين، حسب (مارين) و(كوشل)، من أكثر الحكام سخاء في عصره، حيث كان «متعاطفا مع الأسرى، كريما وسخيا تجاه المظلومين، متسامحا مع معتنقي الديانات الأخرى، عمل على تحقيق العدالة بين الجميع دون تمييز».⁵¹⁰

وعليه فقد استطاع لسنغ أن يقرأ في مؤلف (مارين) عن صفات الاعتدال، والإحسان، والدين، والعدالة، والكرم، التي إتصف بها القائد المسلم، لذلك فإن شخصية صلاح الدين الأيوبي الفنية هي بلاشك مثالا واضحا لصورة السلطان صلاح الدين الأيوبي كما تناقلها المؤرخون الأوروبيون. فخلاصة الكلام إذا: ما قاله المؤرخ الفرنسي (مارين) جسده الأديب الألماني لسنغ على خشبة المسرح في شخصية صلاح الدين، وكما مبين في المقتبسات الآتية من مسرحية «ناتان»:

فارس المعبد: «... ولكن ايها السلطان... الشكر... الشكر الخالص لك لانك وهبتي الحياة. لا استطيع أن أصف لك مشاعري. أنا بكل الأحوال في خدمتك.

صلاح الدين: ... لم أخدعك بشيء... أيها الشاب الشجاع! أنت بالنسبة لي بالروح والجسد كأخي أسد...

فارس المعبد: كل ما يأتي منك فهو جيد... مهما يكن... فإنه أمنية في نفسي.

صلاح الدين: دعنا نحاول حالا... هل ستبقى معي؟ وضمن حاشيتي؟ كمسيحي... كمسلم... لا فرق في ذلك... سواء كنت تلبس معطفك الأبيض أو اللباد... أو القماش الإنجليزي... هل ترغب في ذلك؟ وفي الحال؟ أنا لم أطلب مطلقا بأن ينمو لحاء لجميع الأشجار».⁵¹¹

لذلك فقد كانت تقوى صلاح الدين وأخلاقه الحميدة كقائد مسلم لها قيمة وصدى أكبر في كتابات (مارين) مقارنة بما وجده لسنغ في نصوص (فولتير) التاريخية، حيث ذكر (مارين)

(510) Kuschel 1998. S. 249. (ينظر الى: كوشل 1998، ص 249)

(511) Lessing NdW (IV/4). (لسنغ: «ناتان الحكيم» 1779، الفصل الرابع، المشهد الرابع)

وبلا تحيز بأن صلاح الدين طبق في عمله وتعامله تعاليم القرآن بدقة وبضمير حي، واستطاع أن يوحد المسلمين تحت قيادته، الذين عدوه واحد من أولي الأمر والقديسين حسب المؤرخ الأوروبي.

وبذلك عرفت أوروبا المسيحية من خلال مؤرخيها في الشرق بأن صلاح الدين عاش ومات كإنسان تقي ومتدين، حيث كان يجالس العلماء والخطباء والشعراء في بلاطه، بالإضافة إلى الأساتذة المتمرسين في الشريعة الإسلامية.⁵¹² وأتبع صلاح الدين في حكمه الشريعة الإسلامية وسنن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان يسمع بشغف الآراء المختلفة للمدارس الفقهية ويناقشها مع الفقهاء والقضاة.⁵¹³

وجد لسنغ في مؤلفات (مارين) بأن صلاح الدين كان يؤمن بشكل مطلق «أن الله مصدر كل خير». حيث وقع نظر لسنغ لدى مطالعته لنصوص (مارين) على حديث السلطان صلاح الدين وهو يوجه النصيحة لأحد أبناءه، والتي تحتوي على معظم المبادئ الأخلاقية للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، التي كان السلطان يعرض بها نفسه والآخرين. ففي هذه الموعظة، التي أطلق عليها المؤرخ الفرنسي (مارين) تسمية «مرآة الأمراء» وجد لسنغ السلطان صلاح الدين ينصح نجله، أن يحب الله ويقدره، لأنه مصدر كل خير، وأن يلتزم بمبادئ شريعته، لبناء الرفاهية الكاملة، وأن يحفظ دم الناس، ولا يلطخ يده به، لأن سفك الدماء لا يمر أبدا دون إنتقام، وأن يعمل بكل جد ونشاط ليكسب قلوب الرعية واحترامهم، وتحقيق العدالة لهم كما يريد لها لنفسه. فكل الناس ميتون. وعلى نجله أيضا أن لا يحمل الكراهية أو الحقد ضد إنسان، وأن لا يحتقر أي شخص ابدا، لأن الناس لم ينسوا الظلم، الذي تعرضوا إليه حتى يحصلوا على رد الاعتبار أو الإنتقام، في حين أن الله يغفر للإنسان المذنب الذي يتندم ويطلب المغفرة، ذلك لأنه خير وأرحم الراحمين.⁵¹⁴

(512) Kuschel 1998. S. 249. (ينظر الى: كوشل 1998، ص 249)

(513) Lessing WB. Bd. IX. S. 1162f. auch Kuschel 1998. S. 249.

(ينظر إلى المصدر السابق، وكذلك لسنغ «الاعمال والرسائل» البند IX، ص 116).

(514) Lessing WB. Bd. IX. S. 1172f. Auch Kuschel 1998. S. 249f. und Marin: Geschichte Saladins, Sulthans von Egypten und Syrien, zwei Theile. Aus dem Französischen übersetzt von E. G. Küster. Zelle 1761. Bd. IX. S. 1172f. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 1172، وكوشل 1998، ص

لدى بحثه في السيرة الذاتية لشخصياته الإسلامية الدرامية في مسرحية «ناتان الحكيم» قرأ لسنغ في مؤلف (مارين) أيضاً عن طبيعة العلاقة الإنسانية، التي كانت تربط السلطان صلاح الدين برعيته، وكيف كان يجالس الفقهاء وعلماء الدين والقضاة، ويدير شؤون الدولة، ويتعامل مع شكاوى المواطنين وطلباتهم، حيث يقول (مارين):

«كانت عدالة السلطان أساس مجده، فقد كان يجتمع بديوان القضاة بنفسه كل اثنين وخميس في الاسبوع، ويفضل أن يكون في المدينة أو بين جنوده. وفي الأيام الأخرى يطلع على الطلبات، والتقارير، والشكاوى المقدمة له، والبت في القضايا المستعجلة. حيث يستطيع جميع الأشخاص مقابلته دون تمييز من ناحية المكانة الاجتماعية، والعمر، والبلد، والدين: المسلمون، والمسيحيون، والرعايا الأجانب، والأغنياء، والفقراء، الجميع يخضع لقضائه، ويواجه العدالة الطبيعية وفقاً للقانون».⁵¹⁵

لذلك لا بد من الاعتراف هنا، أن «نصيحة» صلاح الدين، التي تم ذكرها آنفاً، لم تفهم من قبل الغرب على إنها كلمة تحذير من أب لأبنه فحسب، إنما هي رسالة قيمة تحمل معان كثيرة وكبيرة من قائد مسلم مؤمن موجهة إلى السلطات الدينية والدنيوية ورعاياها في كل مكان بالعالم مؤطرة بحقوق الإنسان والعدالة الإنسانية.

إن الطابع الفاضل والمتسامح جعل الشخصية التاريخية للسلطان صلاح الدين أن تكون محبوبة من قبل الكاتب المسرحي الألماني لسنغ والكتاب والمحللين وجمهورهم من القراء والمُشاهدين المسيحيين، ذلك لأن صلاح الدين جسد في القول والفعل أخلاق الأنبياء محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والسيد المسيح (عليه السلام) حسب المراجع التاريخية الأوروبية.

يقول (فيلهيلم غرنزلمان) في كلمة الخاتمة، التي علق فيها عن المشاهد الإسلامية في مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم»، «لذلك نحن نعيش اليوم في مملكة الخيال، التي يحكمها صلاح الدين الايوبي، والتي تجسدت في نخيلة المسيحيين من خلال شخصية محبوبة مسلمة عاشت في

249، ومارين «تأريخ صلاح الدين سلطان مصر وسورية».

Marin: Geschichte Saladins Sulthans von Ägypten und Syrien. S.84. (515)

(مارين: تأريخ صلاح الدين سلطان مصر وسورية، ص 84).

الشرق المسلم أثناء الحروب الصليبية ... أن تقديس المسيحية كان في ذات الوقت مصدرا لقوة المسلمين». ⁵¹⁶

ولهذا السبب جعل الكاتب المسرحي لسنغ القوة السياسية والواجب الديني الإنساني للسلطان صلاح الدين، وكذلك التقاليد الإسلامية، أن تتجسد سوية في جوهر عمله المسرحي، الذي تدور أحداثه في بيت المقدس. حيث كان لظهور صلاح الدين أهمية في اتخاذ قراراتين مهمين، الأول هو أن يعين الخافي، الدرويش الفقير، مسؤولاً للخزانة، الأمر الذي أثار دهشة التاجر اليهودي الحكيم ناتان، الذي قال للخافي: «الآن، دعنا نناقش الأمر بشكل صحيح! هناك شيء غريب في الموضوع - أنت؟ لماذا؟ لماذا اختارك أنت؟ الخافي درويش على وجه التحديد. ماذا باستطاعتي أن أفعل، عدا الترحيب دائما - ولكن الخافي يصبح دفتر دار لصلاح الدين ...» ⁵¹⁷

أما القرار الثاني فيتجسد في إطلاقه سراح الأسرى بناء على إلتماس عوائلهم. وبعد أن حقق أهدافه السياسية والإنسانية بدأ يلعب الشطرنج يوميا مع شقيقته سينا، الذي يمثل الموروث الشرقي الإسلامي، ويناقش معها بعض القضايا السياسية. ⁵¹⁸

رابعا: لعبة الشطرنج في مسرحية «ناتان الحكيم» وأثرها في الموروث الإسلامي

رُبَّ سائل يسأل، ماذا تعني لعبة الشطرنج بالنسبة للسنغ في مسرحيته «ناتان الحكيم»، ومدى معرفة سنغ بها في الموروث الشرقي الإسلامي؟ أن الجواب على هذا السؤال يعود بنا إلى قراءات لسنغ لتاريخ العرب قبل الإسلام، حيث كان العرب المسلمون يمارسون لعبة

G. E. Lessing: Nathan der Weise. Ein dramatisches Gedicht in fünf Aufzügen 1779 mit (516 einem Nachwort von Wilhelm Grenzmann. Paderborn 1963. S. 154. (لسنغ: ناتان الحكيم. عمل

مسرحي شعري في خمسة فصول 1779 مع كلمة الخاتمة للكاتب فيلهيلم غرنزمان.)

(517 Lessing NdW (I/3). (لسنغ: ناتان الحكيم، الفصل الاول، المشهد الثالث)

Theodor Pelster: Lektüreschlüssel. G.E. Lessing «Nathan der Weise». Stuttgart 2005. S. (518

22f. (ينظر إلى تيودور بيلستر: مفاتيح القراءة. غوتهولد افرام لسنغ «ناتان الحكيم». شتوتغارت 2005، ص 22 يتبع)

الشطرنج في ذلك الحين، والتي تم تحريمها مع ألعاب مسلية أخرى في القرآن⁵¹⁹ بسبب إنها تلهي المسلم عن العبادة، وقد أدخلها لسنغ في المشهد الأول من الفصل الثاني لمسرحيته «ناتان الحكيم» في سلسلة إضاءات من موروث تاريخ العرب المسلمين، حين يظهر صلاح الدين وهو يلعب الشطرنج مع شقيقته سيتا، التي استطاعت أن تهزم أخيها السلطان عدة مرات وهم يتحدثون في السياسية وكيفية الحصول على المال، ذلك لأنه كان شارد الذهن، يفكر بالسياسة وإدارة أمور الدولة، وكيفية معالجة الأزمة المالية التي كان يمر بها.

حيث أراد لسنغ في هذا المشهد أن يلفت عناية المشاهد والقارئ الأوروبي إلى دور المرأة المسلمة وشخصيتها القوية في تلك الفترة الموعلة بالقدم والعلاقات العائلية الإنسانية في البلاط الإسلامي، وليجعل من هذا الحوار صلاح الدين - سيتا مدخلا للقاء ممثلي الأديان الثلاثة - اليهودية والمسيحية والإسلام - حين اقترحت سيتا على صلاح الدين إرسال أحد رجاله إلى التاجر اليهودي ناتان لإقراض مبلغ من المال لتمويل الخزانة التي وزعت أموالها على الفقراء والمحتاجين.

وهكذا عمم لسنغ لعبة الشطرنج في مسرحيته «ناتان الحكيم» حين جعل صلاح الدين يشير إلى هذه اللعبة وأدواتها التي لا تخالف التعاليم الإسلامية، بقوله:

صلاح الدين: «والآن، من الذي سيعطينا هذه البيادق الملساء باستمرار؟ التي لا تذكرنا بشيء. ألم لعب بها مع الإمام ذات مرة؟»⁵²⁰

عرف لسنغ المعنى الحقيقي لتسمية «إمام» من القرآن الكريم وفي المصادر التاريخية للموروث الأدبي الإسلامي، حيث وردت هذه التسمية في عدد من الآيات القرآنية. أما معرفة الأوروبيين بلعبة الشطرنج والألعاب الأخرى في الموروث العربي الإسلامي فكانت محدودة لفترة طويلة حتى تطرق لها الحقوقي الإنجليزي (جورج سيل) في نص «مقدمة» ترجمته للقرآن التي قرأها لسنغ وضمن أفكارها لتتاجه الأدبي فيها بعد.⁵²¹

G. Sale: Discourse. S. 89. u. Kuschel 1998. S. 255. (519
(ينظر إلى جورج سيل: «القرآن»، المقدمة، ص 89. كذلك كوشل 1998، ص 255.)

(520). Lessing NdW (III/1). (لسنغ: «ناتان الحكيم»، الفصل 2، المشهد 1)

(521) Vgl. Kuschel 1998. S. 255. (ينظر إلى كوشل 1998، ص 255)

ومن ضمن ما قرأ لسنغ عن (سيل) في هذا المجال، انه قال: «حرم القرآن العاب التسلية كالقمار، والورق، ولعبة الطاولة (الطاولي)، والنرد (الزار). واللعبة الوحيدة التي سمح بها علماء الدين المسلمون هي الشطرنج، لأنها تعتمد كلياً على المهارات والتدريبات ولا تعتمد على الحظ».

ويضيف (سيل): «لكنه تم إجازة لعبة الشطرنج ضمن شروط معينة منها: يجب أن لا تكون عائقاً أمام ممارسة الطقوس الدينية المنتظمة، أو يكون الهدف منها الحصول على المال أو تحقيق مبتغيات أخرى. وقد التزم الأتراك والسنة بهذه الشروط التزاماً دينياً صارماً، أما الفرس والمغول فلم يلتزموا بذلك».

ولكن من الواضح أيضاً أن المسلمين كانوا يمتنعون من لعبة الشطرنج، بسبب أن البيادق الملساء المنحوتة من الحجر على هيئة اشخاص كان يستخدمها العرب الوثنيين في هذه اللعبة، ولم تكن هناك رموز بشرية أو فيلة، وخيول، وإبل...

وبسبب هذه الصور المنحوتة من الحجر أعلن علماء الدين المسلمين التخلي عن هذه اللعبة». ويختتم (سيل) حديثه عن موضوع لعبة الشطرنج بالقول: «ولهذا يلعب العرب الشطرنج ببيادق ملساء مصنوعة من الخشب أو عظم العاج، أما الفرس والهنود فيستخدمون البيادق المنحوتة من الحجر على نقيض ما يستخدمه العرب».⁵²² حيث تم تدوين ما ذكره (سيل) من قبل لسنغ في مسرحيته «ناتان الحكيم» حسب ما جاء على لسان صلاح الدين في حديثه مع شقيقته سيتا وهم يلعبون الشطرنج:

صلاح الدين: «كلا، كلا؛ خذي الملكة فقط. لم أكن محظوظاً مع هذا البيدق أبداً.

سيتا: فقط مع هذا البيدق؟»⁵²³

(522) G. Sale: Discourse. S. 89. u. Kuschel 1998. S. 255. (ينظر إلى جورج سيل: «القرآن»، المقدمة، ص

89. كذلك كوشل 1998، ص 255.)

(523) Lessing NdW (II/1). (لسنغ: «ناتان الحكيم» 1779، الفصل 2، المشهد 1)

والجدير بالذكر أن لسنغ لم يعتمد فقط على ما ذكره (سيل) في مقدمة ترجمته للقرآن الكريم عن الموروث الإسلامي للعبة الشطرنج والألعاب الأخرى، وإنما بحث أيضا في أمهات كتب المستشرقين الأوروبيين عن مدى حقيقة هذا الأمر، لكي يدونه فيما بعد في أعماله الأدبية التي لاقت، ومنذ منتصف القرن الثامن عشر إلى يومنا هذا، ترحيبا كبيرا وواسعا في أوساط الأدباء والقراء على حد سواء، بقوله: «وجدت قائمة بأسماء الأدباء الذين كتبوا عن لعبة الشطرنج في مؤلف (ث. هايد) «كتاب ألعاب الشرق»، الجزء الأول، ص 182، حيث ثبتت عليه الأرقام التي يمكنني الرجوع إليها».⁵²⁴

حيث يشير لسنغ إلى أن العرب هم من اكتشف لعبة الشطرنج ليتعلمها الأوروبيون بنمطها الحديث فيما بعد، بقوله: «لقد رأيت في تعليقات (أغينولف) أن النمط الذي نستخدمه في لعبة الشطرنج الآن لم يكن الأقدم مطلقا، وإنما الأحدث».⁵²⁵

نستنتج من ذلك، إنه استنادا إلى العرض التاريخي الأدبي للموروث والتقاليد الإسلامية من قبل المستشرقين الأوروبيين ومدى الانطباع والتأثير الإيجابي الذي تركته في نفس رائد حركة التنوير الألمانية لسنغ نشاهد في مسرحية «ناتان الحكيم» السلطان صلاح الدين كبطل وشقيقته سيتا يلعبون الشطرنج التي تعتمد على المهارات الذهنية وسعة خيال اللاعب.⁵²⁶

وتعقيا على ذلك يقول (كوشل): «لقد جعل لسنغ الشخصيات الإسلامية صلاح الدين وسيتا يلعبون ببيادق الشطرنج المسموح بها في الإسلام. وكان صلاح الدين يلعب مع سيتا كما لو كان الإمام خصمه في اللعب، حين كان يلعب معه من قبل».⁵²⁷

وليس من العجب أن لا يحالف الحظ صلاح الدين في الفوز على سيتا في هذه اللعبة بسبب عدم التركيز الكافي الذي أدى إلى صعوبة التعامل مع قطع الشطرنج، ذلك لأن صلاح الدين كان يفكر في تلك اللحظة بكيفية إرساء السلام بين الناس وحلحلة المشاكل السياسية والاقتصادية للدولة، الأمر الذي جعله يخسر اللعبة.

(524) Lessing W. Bd. 8. S. 404. (لسنغ: «الأعمال»، البند 8، ص 404)

(525) Ebd. S. 406. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 406)

(526) Vgl. Lessing NdW II/2, III/4. (ينظر إلى لسنغ: «ناتان الحكيم»، الفصل 2، المشهد 2، والفصل 3، المشهد 4)

(527) Kuschel 1998. S. 255. (ينظر إلى كوشل 1998، ص 255)

حيث أراد لسنغ من خلال مشهد المسرحية أن يؤكد للقارئ والمشاهد التزام السلطان صلاح الدين، رغم هول الحروب، بتعاليم القرآن الكريم وسنة رسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومدى احترامه أيضا لتقاليد المسلمين، ويظهر في الوقت نفسه المعرفة الغنية للأديب الألماني لسنغ بتاريخ المسلمين.

خامسا: لسنغ - الثناء والنقد

مما لا شك فيه، فإنه يُنظر إلى مسرحية لسنغ الشعرية «ناتان الحكيم» في القرن الثامن عشر والقرون المتقدمة وحتى يومنا هذا، يقول (شيلسون)، على إنها «مسرحية التسامح»، و«رواية الإسرة الدرامية»، و«مسرحية عصر التنوير»، و«مسرحية إعلان الدين الأصح للبشرية».⁵²⁸

وبالرغم من إن كل هذه القيم الإنسانية قد تجسدت في المسرحية فإن لسنغ لم يتوقف عند هذا الحد، وإنما ذهب إلى أبعد من ذلك مع شخصياته المسلمة. فقد استطاعت شخصية السلطان صلاح الدين الدرامية من خلال إنسانيتها المفرطة وتسامحها المنقطع النظير أن تكسب ليس فقط حب واحترام ودعم الشعب، وإنما تلك من أعداءه في الوسط المسيحي أيضا، ذلك لأن الأسلوب النقدي لرائد حركة التنوير الألماني لسنغ في مسرحيته «ناتان الحكيم» أظهر للمتلقي، ومن خلال مشاهد الحوارات التاريخية عن التسامح والإنسانية، بأن هناك تماسك كبير في الأفكار والطرح الموضوعي، وبين الرؤية الموجهة للواقع التي جسدها في الشكل الأنيق والضمون الرائع لـ «حكاية الخواتم الثلاثة» بهدف الإرتقاء بالادراك الحسي الإنساني إلى مستوى الوعي والطموح.⁵²⁹

حيث يقول الكاتب (بيتر ديمتز) أن صورة شخصية السلطان صلاح الدين بقيت حية على مر العصور في المراجع التاريخية للغات اللاتينية، والعربية، والفرنسية، التي نظرت إليه على

(528) Schilson 1974. Bd. 3. S. 194. (شيلسون 1974، البند 3، ص 194).

(529) Joachim Jungius Gesellschaft der Wissenschaften (Hg.): Lessing und die Zeit der Aufklärung. Göttingen 1968. S. 154. (جمعية يوخيم يونغيوس للعلوم (الناشر). «لسنغ وعصر التنوير».

غوتنغن 1968، ص 154).

انه نموذجاً للحاكم الجيد في حقبة زمنية مزقتها الحروب والصراعات.⁵³⁰

وبذلك وضع لسنغ من خلال عرضه لنموذج القائد المثالي المسلم في مسرحيته «ناتان الحكيم» السلطات المسيحية المعاصرة له أمام مرآة الحقيقة دون تعصب أو تحيز، ذلك لأنه كان يؤمن بأن العبودية، والاستغلال، والقتل، وسلب حرية الشعب لا تتفق قط مع القيم الأخلاقية والإنسانية للسيد المسيح أو الأنبياء والرسل الذين ارسلهم الله تعالى رحمة للعالمين.

وهذا الامر جعل لسنغ يعرض فارس المعبد، الذي عفى عنه صلاح الدين، في بعض المشاهد بصفات الفارس الذي لا يميل كثيراً إلى العنف ويجب مساعدة الآخرين، ليجسد فيه جزءاً من أخلاق السيد المسيح والإسلام، وذلك لانه مسيحي من أصول إسلامية في نظر الكاتب، والذي يظهر جلياً في الفصل الأخير من المسرحية.

يقول (سيغريد سوسه - فيدلر): «عرض لسنغ العدوانية كسمة سلبية لفارس المعبد بوصفه إنساناً وعضواً في مجموعة دينية، حيث عبر عن ذلك في مونولوج له في المسرحية»⁵³¹ بقوله: «هم! أنا أيضاً غاضب جداً».⁵³²

أراد لسنغ من عرضه لشخصية فارس المعبد بصفاتها الإيجابية والسلبية أن يلفت عناية المتلقي إلى النسب الأصلي وأخلاق وشجاعة الفارس كنسان، الذي عرض حياته للخطر من أجل أن ينقذ حياة الآخرين، حين اقتحم النار لينقذ حياة ريشا أبنة التاجر اليهودي ناتان، والذي كان ظهوره في تلك اللحظة بالنسبة للكاتب كظهور الملائكة المبتعثين من الله ليجسد روح الإسلام وأخلاق السيد المسيح في آن واحد حسب ما جاء على لسان السيدة دايا مربية ريشا وهي تروي لسيدها ناتان ما حدث مع ابنته وكيف تم إنقاذها باعجوبة عندما التهمت النيران البيت وهي محبوسة في داخله، وكيف جاء فارس المعبد بشكل مفاجئ وأنتشلها من الموت المحقق، بقولها:

(530) Demetz 1966. S. 133. (ينظر إلى ديمتز 1966، ص 133).

(531) Suesse- Fiedler 1980. S. 249. (سيغريد سوسه - فيدلر 1980، ص 249).

(532) Lessing NdW (V/3). (لسنغ: «ناتان الحكيم»، الفصل 5، المشهد 3).

دايا: «لقد أتى من حيث لا نعلم، وذهب إلى حيث لا نعلم، فبعد أن وصل من غير علم أحد بمعطف مبلل ودخل وسط اللهب وتتبع الصوت الذي كان يستغيث لطلب المساعدة، حسبنا أننا فقدناه، ثم خرج فجأة من وسط الدخان واللهب ووقف أمامنا وهو يحملها بذراعيه القوية، حيث قابل شكرنا له وأمتناننا ببرود ولم يحرك ساكنا ووضعها على الأرض ثم تسلل من بين الناس وأختفى».⁵³³

ثم تؤيد ريشا ما قالته دايا، حيث تصف فارس المعبد بالملك الصالح الذي بعثه الله تعالى لإنقاذها من الموت، بقولها لناتان:

ريشا: «ليس هكذا الملاك، كلا، كلا، إنه ملاك حقيقي، كان بالتأكيد حقيقيا، هل جربت بنفسك امكانية ذلك. إن الله يحسن للذين يحبونه، هل تعلم بأن المعجزة يمكن أن تكون كذلك؟ أنا أحبه بالتأكيد».⁵³⁴

اطلع لسنغ، يقول (ديمتر)، على حقيقة أن الأديب الفرنسي الشهير (فولتير) نعت السلطان صلاح الدين بـ«الفيلسوف ورائد التنوير»، في حين قدمه مواطنه المؤرخ (مارين) كـ«شخصية محافظة تؤكد الإيمان الحقيقي للمسلمين المقلدين».⁵³⁵ لذلك إذا ما أردنا التمعن بحديث (مارين) عن سلوك وشخصية السلطان صلاح الدين، والذي اعتمده لسنغ في صياغة الشخصية الدرامية للقائد المسلم في مسرحيته «ناتان الحكيم»، نستطيع أن نتعرف بسهولة بأنه اعتمد في طرحه للأفكار على تعاليم القرآن الكريم التي تؤكد على تحقيق العدالة بين الناس دون تمييز وفضائل الإنسان، وكما جاء في الآية الكريمة:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (سورة النساء، الآية 58)

ويقول (ديمتر) أيضا: لقد عمل لسنغ بحيوية كبيرة ليجعل من «الفضائل العامة للسلطان صلاح الدين، والتي وجدها في مؤلفات مارين، جزءا من فضائله الشخصية»⁵³⁶، خاصة بعد

(533). (I/1). Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق، الفصل 1، المشهد 1).

(534). (I/2). Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق، الفصل 1، المشهد 2).

(535). Demetz 1966. S. 136. (ينظر إلى ديمتر 1966، ص 136).

(536). Ebd. S. 134. (ينتظر إلى المصدر السابق، ص 134).

أن اكتشف أن صلاح الدين، كمسلم متدين ومؤمن، حكم الرعية ذات الديانات المختلفة وفقا للشريعة الإسلامية. وتجدد الإشارة هنا إلى أن الكثير من المؤرخين الأوروبيين القدماء والمعاصرين يعزّون سر انتصاراته إلى هذه الحقيقة التي تجسدت في عدالته ورحمته وتسامحه.

حيث كان على النقيض من الملك الإنجليزي قلب الأسد الذي كان قد نفذ بيوم واحد حكم الاعدام بثلاثة آلاف مسلم في عكا، في حين يطلق صلاح الدين سراح الأسرى المسيحيين من مختلف الرتب استنادا إلى وحي القرآن، وكما في قوله تعالى:

﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ سورة الأنفال، الآية (67)

ربما ينتقد البعض سلوك صلاح الدين هذا ويعدونه ضعفا أو غباء سياسيا في زمن الحرب، لكنه قيم من قبل لسنغ بتقدير عال واحترام على انه عنصر من عناصر التسامح الإنساني التي فقدت بسبب هيمنة مصالح القوى السياسية الحاكمة. ولذلك عُدَّ من المواضيع الرئيسية والمهمة في مسرحية «ناتان الحكيم» لمعالجة عدة قضايا من بينها قضيتي التسامح الإنساني والحوار البناء بين الحضارات والأديان والمذاهب المختلفة، التي عاجلها لسنغ من خلال حديث الشخصيات الدرامية دايا، وناتان:

ناتان: «من يكون هذا الشخص؟ من أنقذها؟ أين هو الآن؟ من أنقذ ريشا؟

دايا: شاب من المعبد، الذي جُلِبَ أسيرا قبل بضعة أيام إلى هنا وأطلق سراحه صلاح الدين.

ناتان: كيف؟ الشاب من المعبد الذي وهب له صلاح الدين الحياة؟ الله! لو لا هذه المعجزة لما أنقذت ريشا؟»⁵³⁷

نستطيع أن نستنتج من المتابعة لأحداث المسرحية أن لسنغ جعل الشخصيات الرئيسية في مسرحيته «ناتان الحكيم» تمارس السلوك الإنساني العملي المستنير الذي «اتحد من خلاله اليهودي والمسيحي والمسلم» لاقامة وجود إنساني جديد بعيد عن التمييز، والذي يرتقي

(537). Lessing NdW (I/1). (لسنغ: «ناتان الحكيم»، الفصل 1، المشهد 1).

بوعي الإنسان ويدفعه إلى الأمام ويقف في الوقت نفسه بوجه التوجهات الدينية للكنيسة ويقوي من الثقة بين الناس، كما أفرزته أحداث المسرحية: فارس المعبد المسيحي يقوم بإنقاذ حياة ابنة التاجر اليهودي ناتان من الموت المحقق. في حين يقوم القائد المسلم صلاح الدين، الذي يطبق الشريعة الإسلامية في الحكم، بإلغاء حكم الإعدام ضد فارس المعبد ويطلق سراحه رغم الجرائم البشعة التي ارتكبها ويرتكبها المسيحيون ضد المسلمين. أما التاجر اليهودي الغني ناتان فيضع بين يدي القائد الفاضل المسلم صلاح الدين ما يمتلكه من نقود للمساعدة في تجاوزه للضائقة المالية التي يمر بها.⁵³⁸

حيث يقول الكاتب (فولفغانغ كروغر) في كتابه «الجمهور قاضيا - لسنغ وأصغر المشاركين في النزاع» 1979: في حين كانت إنسانية ناتان قائمة على شروط تعجيزية، فإن إنسانية صلاح الدين تظهر في الشفق مبنية على الأسس التي جعلت مسؤول خزانته الحافي درويش يفكر في الهرب بسبب عدم توفر المال لإدارة شؤون الدولة، والذي وزع على الفقراء.

وليس بالمستطاع تقديم شكلا جميلا للفضيلة في المبدأ العقلاني لحركة التنوير كما نشاهده هنا، حين يطلب الحاكم من المتسول أن يعمل بمعيته. وعليه فقد عمل لسنغ على تقييم الأحداث خاصة عندما جعل الحافي درويش يعترف باليأس وتشابك الأمور في إطار الذنب الديني، ليضع بذلك فضيلة الشفقة بشكل عام في تسائل، ولتكون الفرصة الأخيرة للتعبير عن أفكاره التي تؤكد وبجهد حاد إمكانية الإنسان على عمل الخير.⁵³⁹

سادسا: الإسلام والعلاقات الأسرية بين المسلمين والمسيحيين في نظر لسنغ «ناتان الحكيم»

عرض لسنغ في مسرحيته «ناتان الحكيم» ومن خلال شخصية السلطان صلاح الدين الأيوبي وشقيقته سيتا مواضيع عديدة تخص الحوار والتسامح والسلام والاندماج بين

(538) Siehe Lessing: Nathan der Weise 1779. (ينظر إلى لسنغ: «ناتان الحكيم» 1779).
(539) Wolfgang Kröger: Das Publikum als Richter – Lessing und die «kleineren Respondenten»
im Fragmentstreit. Nendeln/ Lichtenstein 1979. S. 114.
وأصغر المشاركين في النزاع» 1979، لينديلن ولشتشتاين، ص 114).

المكونات الإثنية في الإسلام، حيث أشار بشكل مباشر في مشروعه الأدبي المسرحي إلى الاندماج الإنساني المتسامح والتعايش السلمي للإسلام مع الديانات الأخرى، والذي أكد في تعاليمه السماوية على قوة الترابط الأسري في المجتمع وأجاز للمسلمين الزواج من غير المسلمات، وهذا ما بينه لسنغ من خلال عرضه لقصتي مشروع زواج حقيقتين بين المسلمين والمسيحيين، والتي استقاها بلاشك من مصادر الموروث الشرقي الإسلامي للمستشرقين الأوروبيين أثناء قراءاته لها في الفترة التي سبقت وعاصرت كتابته لمسرحية «ناتان الحكيم»، وكما مبين في الآتي:

1- مشروع زواج أشقاء صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد

اطلع لسنغ بشكل مفصل على وجهة النظر الأوروبية عن الإسلام من خلال قراءته لمراجع الاستشراق المختلفة كما اسلفنا، وخاصة في النص الفرنسي الأصلي عن «الحروب الصليبية» في مجلد بعنوان «ميركور فرنسا» 1750، والذي عرف لسنغ من خلاله الكثير عن الإسلام.⁵⁴⁰

ولهذا السبب، يقول (فولفغانغ كروغر)، جعل لسنغ أحداث مسرحية التسامح «ناتان الحكيم» تدور في فترة الحروب الصليبية حيث الطغيان والتعصب الديني. لذا فإن دراسة لسنغ لتاريخ الحروب الصليبية والإنتهاك المتعمد لموقفه ونقده لهذا الطغيان والتعصب خير شاهد على أنه كان متيقنا بأن الإنسانية في هذه المسرحية ستتصدر على وحشية الحروب والتعصب، بحيث تتحقق الإنسانية الأخوية بين الناس في سياق قصة هذه المسرحية.⁵⁴¹

ومن أجل معرفة ردة الفعل الأوروبية تجاه فتح صلاح الدين الأيوبي لبيت المقدس ومدى امكانية الاندماج في الإسلام مع القيم والثقافات الأخرى بعد هذا الإنتصار العظيم وإبراز ذلك للشعوب الأوروبية، استمر لسنغ في متابعته وترجمته لنصوص الفيلسوف الفرنسي (فولتير)، والتي جاء فيها: دعا البابا كليمنت الثالث الفرنسيين والألمان والإنجليز للقيام بحملة صليبية جديدة في الشرق لاستعادة المدينة المقدسة من قبضة المسلمين مرة أخرى، حيث

(540) Pătrăscanu 1929. S.12. (ينظر إلى يوهان فازيل باترسكانو: «ترجمة لسنغ من الفرنسية»، برلين 1929، ص 12).
(541) Kröger 1979. S. 113f. (فولفغانغ كروغر: «الجمهورية قاضيا - لسنغ وأصغر المشاركين في النزاع» 1979، ليندبلن ولشتشتاين، ص 113 يتبع).

تمكنت الجيوش الصليبية بقيادة الملك الفرنسي فيليب والملك الإنجليزي ريتشارد من فتح مدينة بطليموس الواقعة على السواحل الليبية بشكل نهائي سنة 1190، لكن عدم الاتفاق بين الأميرين اللذين جاءوا يحملون نفس الشرف والمزايا والحماس، والذي كان ضروريا، أدى بالنتيجة إلى أفتراقهما بعد أن حققوا انتصارات مفرحة، والذي الحق أيضا اضرارا كبيرة بالحملة الصليبية التي كانت تتألف من ثلاث مائة ألف جندي تحت قيادتهم.⁵⁴²

حيث يقول المؤرخ (أرنولد بوهلر) في كتابه «الحملة الصليبية لفريدريش بارباروسا (1187-1190)» أن الحملة الصليبية للملك الألماني (فريدريش بارباروسا) قد فشلت بسبب موته.⁵⁴³

أما المؤرخ (أمين معلوف) فيقول: استطاع الأسطول الحربي للملك الفرنسي فيليب أوغسطس وقوات الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد الوصول إلى فلسطين بعد سنة من القتال. ولكن، وبعد أن تمكنت هذه القوات من استعادة بعض المدن الساحلية، عاد الملك الفرنسي متقهقرا إلى بلاده بسبب تكبده خسائر جسيمة على يد المسلمين، أما الملك الإنجليزي قلب الأسد فاصر على مواصلة القتال.⁵⁴⁴

وفي ذات السياق، لما ذكره (فولتير) في مؤلفه «تاريخ الحروب الصليبية» يصف (أمين معلوف) كيف عرض لسنغ في مسرحيته «ناتان الحكيم» أن الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد رأى بعد سنة من الحرب الدرامية الغير ناجحة أنه من المستحيل استعادة القدس مرة أخرى، بالإضافة إلى أنه قد تأثر بشخصية السلطان صلاح الدين وطلب مقابلته.⁵⁴⁵ لذلك أرسل قلب الأسد رسالة إلى القائد صلاح الدين مع أخيه الملك العادل⁵⁴⁶ يرجو

(542) Voltaire: Geschichte der Kreuzzüge. S. 80. (فولتير: تاريخ الحروب الصليبية، ص 80).

(543) Vgl. Arnold Bühler: Der Kreuzzug Friedrich Barbarossas (1187-1190). Stuttgart 2002. S. 47.

(أرنولد بوهلر: «الحملة الصليبية لفريدريش بارباروسا (1187-1190)» شتوتغارت 2002، ص 47).

(544) Vgl. Maalouf 2004. S.228. (أمين معلوف: «الحرب المقدسة للبربر...» 2004، ص 228).

(545) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(546) In Nathan der Weise wird sein Name mit «Melek» abgekürzt. (تم اختصار اسم الملك العادل

من قبل لسنغ في مسرحيته «ناتان الحكيم» باسم «ملك».)

فيها عقد لقاء معه للتباحث وإيجاد وسيلة لإنقاذ جيشه المنهار.⁵⁴⁷ ووفقا لما ذكره لسنغ في مسرحيته «ناتان الحكيم» فإن صلاح الدين كان يفضل تجديد تمديد الهدنة الموقعة بين الطرفين قبل لقائه بقلب الأسد.⁵⁴⁸

ورغبة منه بأن يبرهن للجمهور الأوروبي أن الإسلام دين عقلاني طبيعي مستنير، ويبين كذلك مثل وفضائل المسلمين تجاه المسيحيين في القرون الوسطى وفي القرن الثامن عشر، عرض لسنغ في عمله المسرحي «ناتان الحكيم» حقيقة تعامل صلاح الدين مع قلب الأسد، بالإضافة إلى القصة الحقيقية لمشروع زواج الملك العادل شقيق صلاح الدين من (يوهانا) شقيقة الملك الإنجليزي ريتشارد وارملة ملك صقلية، والتي تطرق إليها السلطان صلاح الدين بشكل إيجابي في حديثه مع شقيقته سيتا ضمن حوار الشخصيات الإسلامية في المسرحية:

صلاح الدين: «أتمنى لو يتزوج أختنا الملك العادل من شقيقة ريتشارد ويصبحا شريكين: ها! أي بيت هذا الذي سيجمعهم سوياً! ها، سيكون أول وأسعد البيوت في العالم! أتسمعين، أنا لست كسولا كما تتصورين، أمدح نفسي بنفسي، وأفكر بأن أصدقائي يستحقون التقدير».⁵⁴⁹

وبعد فشل المفاوضات بين صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد بعدة أيام، بشأن تمديد الهدنة وعدم العودة إلى الحرب ثانية، حاول الملك الإنجليزي قلب الأسد، شق صف المسلمين، يقول (أمين معلوف)، حين عرض ضمن شروط على الملك العادل، شقيق صلاح الدين، زواجه من شقيقته يوهانا، أرملة ملك صقلية المتوفي، والتي اسطحبها معه في الحرب ضد المسلمين.⁵⁵⁰ حيث يؤكد (فريدريش نيفونر) في مقالته «الإسلام البعيد والمسيحية القريبة ...» أن لسنغ، وكما هو واضح في مسرحيته «ناتان الحكيم»، كان يعرف هذه السياقات والحقائق التاريخية.⁵⁵¹ لذلك كان لزاما على صلاح الدين، يقول (بهاء الدين)، مستشار

(547) Vgl. Maalouf 2004. S.228. (ينظر إلى أمين معلوف 2004، 228).

(548) Lessing NdW (II/1). (لسنغ: «ناتان الحكيم»، الفصل 2، المشهد 1).

(549) Lessing NdW (II/1). (لسنغ: «ناتان الحكيم»، الفصل 2، المشهد 1).

(550) Vgl. Maalouf 2004. S. 229. (أمين معلوف: «الحرب المقدسة للبربر ...» 2004، ص 229).

(551) Niewöhner 2002. (ينظر إلى مقال فريدريش نيفونر «الإسلام البعيد والمسيحية القريبة - ...» 2002).

السلطان صلاح الدين، القبول بشروط قلب الأسد الخاصة بزواج أخيه الملك العادل من الأميرة الإنجليزية يوهانا، والتي تتلخص بالآتي:

(1) يجب أن تقيم الأميرة (يوهانا) بسكن خاص بها في القدس، وأن يتنازل لها السلطان صلاح الدين عن جميع الأراضي الواقعة بين عكا وعسقلان، وأن يعاد الصليب إلى الفرنجة.

(2) إطلاق سراح الأسرى المسيحيين والمسلمين.

(3) يعود الملك ريتشارد قلب الأسد إلى وطنه بعد إبرام اتفاقية السلام.⁵⁵²

يضيف (أمين معلوف) بأن السلطان صلاح الدين وافق في الحال على هذه الشروط التي نقلها له مستشاره (بهاء الدين)، لكنه كان يخشى أن الملك الإنجليزي لن يلتزم بهذا الاتفاق، وإن اقتراحه مجرد لعبة يخفي ورائها خدعة.⁵⁵³

واستنادا لهذه الحقائق التاريخية التي درسها لسنغ في مراجع الاستشراق الأوروبية جسد شروط هذا الزواج في مسرحيته «ناتان الحكيم» وكما جاء على لسان السلطان صلاح الدين في حديثه مع شقيقته سيتا:

صلاح الدين: «يريدون عكا، يجب أن نقدمها مهرا لزوج أخينا الملك من شقيقة ريتشارد، وبخلافه سوف لا يتحقق هذا الزواج. حين تقتضي مصلحة الفارس رداً الخطر، يقومون بأغراء احد رجال الدين، حين يجدونه تافها، فأذا نجحت اللعبة بالشكل الذي يطمحون إليه، عندها لن يفكروا بفترة انتهاء الهدنة».⁵⁵⁴

يقول المؤرخ (أمين معلوف)، وعليه قام المستشار (بهاء الدين) بإعلام الملك العادل موافقة السلطان صلاح الدين على شروط ريتشارد قلب الأسد مقابل زواجه من يوهانا، والذي أرسل رسولا في الحال إلى قلب الأسد يعلمه بموافقة أخيه.

(552) Vgl. Maalouf 2004. S. 229. (ينظر إلى أمين معلوف 2004، ص 229).

(553) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(554) Lessing NdW (II/1). (لسنغ «ناتان الحكيم»، الفصل 2، المشهد 1).

وفي هذه الحالة استطاع صلاح الدين أن يكشف اللعبة المزدوجة التي كان يخطط لها الملك الإنجليزي، والذي أدعى لاحقا بأن شقيقته قررت عدم الزواج من مسلم. وبذلك تفادى صلاح الدين الإنقسام الذي كان متوقعا أن يحدث في صفوف جيشه في حال عدم موافقته على شروط الزواج، رغم انه رحب بمشروع الزواج المبني على أصول صحيحة بهدف أن تكون هناك صلة قرابة بين المسلمين والمسيحيين يعيشون على أساسها بسلام كبديلا للحرب التي قادها قلب الأسد ضد بلاد المسلمين وقتل أهلها.⁵⁵⁵

رأى لسنغ في هذه القصة استعداد عائلة صلاح الدين المسلمة للموافقة على زواج الملك العادل من المسيحية يوهانا، والذي يعكس بوضوح الاندماج الإنساني والتعايش السلمي للإسلام مع معتنقي الديانات الأخرى.⁵⁵⁶

ويعد ذلك دليلا آخر على أن لسنغ لن يتعامل مع الإسلام بشكل سطحي وإنما درس تاريخه بتمعن، خاصة ما يتعلق بعلاقة المسلمين مع المسيحيين والعكس بالعكس. يقول الكاتب (هانز جورج فيرنر) في مؤلفه «مؤتمر لسنغ»: «تمت في مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم»، وبشكل مطول، مناقشة الأشياء الثنائية، أي، وعلى سبيل المثال، العلاقة المسيحية بالمحمديين أو روحية العرب الوثنيين».⁵⁵⁷

حيث انتقد لسنغ في عمله المسرحي الحكام المسيحيين بسبب وحشية الأعمال التي قاموا بها في الشرق، وذلك من خلال حديث صلاح الدين مع شقيقته سبيتا حول ماهية العلاقة الإنسانية بين المسلمين والمسيحيين، والذي لم يلق اللوم على المسيحيين البسطاء كونهم ابرياء مما قام به هؤلاء الحكام:

صلاح الدين: «المذنبون الحقيقيون هم فرسان المعبد، وليس المسيحيون البسطاء، أنهم مذنبون كمسيحيين وكفرسان للمعبد».⁵⁵⁸

(555) Vgl. Maalouf 2004. S. 229ff. (ينظر إلى أمين معلوف 2004، ص 229 يتبع.)

(556) Vgl. Lessing NdW (II/1). (ينظر إلى لسنغ «ناتان الحكيم»، الفصل 2، المشهد 1.)

(557) Hans-Georg Werner: Lessing-Konferenz. Halle (Saale) 1980. S. 178. (هانز - جورج

فيرنر: مؤتمر لسنغ، هاله 1980، ص 178.)

(558) Lessing NdW (II/1). (لسنغ: «ناتان الحكيم»، الفصل 2، المشهد 1.)

عرف لسنغ من خلال ترجمته لنص فولتير «تاريخ الحروب الصليبية» حقيقة أن صلاح الدين الأيوبي كان شجاعاً ومؤمناً ويراعي الجانب الإنساني أثناء المعارك التي خاضها ضد الصليبيين وانتصر عليهم منطلقاً من الرؤى الدينية التي كان يؤمن بها ويعمل على تحقيقها في جميع مجالات الحياة العامة سواء في الحرب أو السلم.

يقول (فولتير) معلقاً على المآثر الحربية بين صلاح الدين وقلب الأسد، وكما جاء في ترجمة لسنغ: «كان ريتشارد يحمل شرف سيد ميدان الحرب، وأراد اثبات شجاعته في هذا الميدان، إذ كان يختلف عن الكثير من الفرسان الصليبيين، وخاصة الملوك، الذين لم يكونوا متفقيين فيما بينهم. أما صلاح الدين الأيوبي، الذي عاد منتصراً من بلاد ما بين النهرين، فقد التقى الصليبيين في معركة قرب مدينة قيصرية. وحين التقى الجيشان كان الفاتح صلاح الدين في مقدمة جيش المسلمين، وريتشارد قلب الأسد على رأس جيش المسيحيين، القائدان وجها لوجه، كفارسين يتحدى أحدهما الآخر في ميدان المعركة.

كان ريتشارد يمني النفس بأن يهزم صلاح الدين ويلقي به على الأرض من فوق صهوة جواده. لكن ما جناه قلب الأسد من هذه المعركة العجيبة تقريباً هو فقط المتاعب، والأمراض، والمشاكل، والمشاحنات التي ألت بهذا الجيش العظيم، والتي عاد ريتشارد على أثرها مذعوراً، بعد أن حقق من المجد ما لم يحققه الملك الفرنسي فيليب أوغسطس.

أما السلطان صلاح الدين، الذي بنى علاقته بالملك ريتشارد قلب الأسد على أساس الاحترام المتبادل وكذلك الخصومة العسكرية، فقد كان يتصرف بجدية عالية لكي يتوصل إلى قناعة كافية بمدى مصداقية قلب الأسد في القول والفعل. عقد صلاح الدين، هذا الرجل المسلم المشهور، معاهدة مع ريتشارد قلب الأسد تخلى بموجبها عن ساحل البحر الممتد من مدينة صور إلى يافا للمسيحيين، واحتفظ بما تبقى من الأراضي، ليعبر بذلك عن نزاهته والتزامه بكلمته التي كان دائماً ما يرددها بأنه عبد الله.⁵⁵⁹

(559) Lessing: FÜ. S. 129-134 und S. 173-205. (لسنغ: «الترجمة الفرنسية»، ص 129-134 و ص 173-205).

وكان لردة الفعل هذه تأثيرا كبيرا على الاعتبارات والخطط العسكرية الاستراتيجية للملك الإنجليزي قلب الأسد، الأمر الذي جعله يتخلى عن مدينة عسقلان في غضون أيام ويعود إلى إنجلترا بعد أن وقع اتفاقا للهدنة مع صلاح الدين.⁵⁶⁰

إن ما عرضه (فولتير) في مؤلفه «تاريخ الحروب الصليبية» بين للأديب الألماني لسنغ بكل وضوح أن صلاح الدين خرج منتصرا في صراعه مع الفرنجة، لكن حالته الصحية أخذت تتدهور وتسوء يوما بعد يوم نتيجة للصراع العنيف والمير الذي خاضه ضد الصليبيين، بالإضافة إلى أصابته بمرض الملاريا المزمن الذي انهك قواه كثيرا على مرور الأيام، رغم خضوعه للعلاج على يد مجموعة من أشهر الأطباء من مصر وسورية، كان من بينهم الطبيب اليهودي العربي المعروف (موسى بن ميمون) من اسبانيا، والذين لم يستطيعوا إنقاذ حياته.⁵⁶¹ حيث يصف المؤرخ (أمين معلوف) آخر يوم في حياة السلطان بالقول:

«في شباط 1193 م. تدهورت حالة صلاح الدين الصحية، حيث كان يقضي ايامه الأخيرة في دمشق، إلى درجة انه لا يستطيع تناول الطعام أو الشراب. وفي الثاني من آذار 1193 كان يرقد في الفراش ويصارع سكرات الموت، ويجلس بجانبه أحد رجال الدين يقرأ عليه آيات من القرآن، ويقول: «لا اله الا الله، واليه سلمت أمري».

وفي هذه اللحظات يفارق صلاح الدين الحياة عن عمر يناهز الـ 55 عاما وابتسامة السعادة ترسم على محياه، وقد خلف ورائه سبعة عشر ابنا وبنتا واحدة، وكانت ثروته تتألف من عشرين دينار وقطعة ذهبية واحدة.

وهذا ما ذكره أيضا شاهد العيان بهاء الدين: «كانت لحظات لاتطاق، واستمر الحال هكذا حتى صلاة الظهر، بعدها تم غسل الجثة وتكفينها، وكل ما كان يحتاجه المرء لهذه المراسم تم استعارته، لأن السلطان لم يكن يمتلك شيئا لنفسه».⁵⁶²

(560) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(561) Maalouf 2004. S.232. (أمين معلوف 2004، ص 232).

(562) Ebd. S. 234. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 234).

إن الأحداث التاريخية في حياة القائد المسلم التسامح صلاح الدين، كما يسمونه في كتب الأدب والتاريخ الأوروبية، وعلاقتها بالحروب الصليبية وجدت صداها وأنعكست بلا تحيز في أدب الاستشراق في أوروبا، خاصة في أدب رائد حركة التنوير الألماني غوتهولد أفرام لسنغ الذي جعل من «الفضيلة» و«المثل» و«التسامح» للسلطان المسلم ذروة القيم الإنسانية والأخلاقية في مسرحيته «ناتان الحكيم»، وكما وردت في المراجع التاريخية للكتاب الفرنسيين (مارين) وكذلك (فولتير) الذي كتب في السلطان قائلاً:

«كتب صلاح الدين في وصيته مرسوما يقضي بتوزيع مبالغ كبيرة من الأموال كصدقات على فقراء المسلمين واليهود والمسيحيين، حيث أراد من خلال إصدار هذه اللوائح أن يشيع للملأ بأن جميع بني البشر هم أخوة في حقيقة الأمر وعلى المرء واجب مساعدتهم دون أن يفكر بما إذا يؤمنون، وإنما ماذا يحتاجون. فهو لم يضطهد احدا بسبب ميوله الدينية الشخصية، لقد كان «فاتحا» و«إنسانا» و«فيلسوبا» في ذات الوقت».⁵⁶³

أراد لسنغ في السطور الأخيرة من ترجمته لـ(فولتير) وما جسده في «ناتان الحكيم» أيضا أن يبين لجمهور القراء والمشاهدين بأن جميع الناس أخوة في الأصل وإن تعددت معتقداتهم، وإن للفقراء حق في أموال الأغنياء.

وهذا يعني تأكيد لسنغ على ضرورة دعم الفقراء ومساعدتهم اقداء بتعاليم الإسلام، وكما فعل صلاح الدين حين وزع الصدقات عليهم بغض النظر عن الديانات التي ينتمون إليها ويؤمنون بها استنادا إلى ما جاء في الآية القرآنية الكريمة التي قرأها لسنغ وتمعن بها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1)

يقول الكاتب (غوفريد فيتبوغن) في كتابه «دين لسنغ» 1923 ما نصه: «ألبس لسنغ الحقيقة التي أراد اظهارها لمعاصريه رداء عصر الحروب الصليبية، حيث قاد الحماس الديني

(563) Lessing: FÜ. S. 129-134 und S. 173-205. (الترجمة الفرنسية)، ص 129-134 وص 173-205.

المسيحيين إلى فلسطين لاستعادة الأرض المقدسة من المسلمين في معارك دامية واجه فيها التعصب الأعمى التسامح المستنير». ⁵⁶⁴

2- مشروع خطوبة ابنة القيصر الألماني فريدرش بارباروسا لنجل السلطان صلاح الدين

إلى جانب ما كتبه الفرنسيان (فولتير) و(مارين) نجد في مراجع التاريخ والأدب الألماني معلومات مهمة تشير بشكل مباشر إلى ماهية العلاقة التاريخية بين السلطان صلاح الدين والقيصر الألماني فريدرش بارباروسا، والتي ربما عرفها لسنغ وجسدها فيما بعد في مسرحيته الشهيرة «ناتان الحكيم». ⁵⁶⁵

حيث أشار المؤرخ الألماني (أرنولد بوهلر) إلى هذه الحقيقة في كتابه «الحملة الصليبية لفريدرش بارباروسا (1187-1190)» بالقول: كانت هناك علاقة صداقة رسمية وثيقة بين السلطان صلاح الدين والقيصر الألماني فريدرش بارباروسا رغم انهما لم يلتقيا قط، والشيء الذي يؤكد هذه العلاقة هو تبادل المراسيل والهدايا في الماضي، وإن هذه العلاقة المميزة والمصلحة السياسية دفعت صلاح الدين للتفكير بجدية في مشروع زواج أحد أبنائه من بنت القيصر الألماني بارباروسا، وعليه أرسل سنة 1173 وفدا يحمل رسالة وهدايا إلى القيصر الألماني لطلب يد ابنته. ⁵⁶⁶

يضيف (بوهلر): بأن هدف صلاح الدين من هذا الزواج هو تعميق العلاقات الاجتماعية مع البلاط المسيحي بشكل عام وعائلة القيصر الألماني على وجه التحديد من خلال رابطة الدم. وتعبيراً عن حسن النوايا أقترح السلطان صلاح الدين إطلاق سراح جميع الأسرى المسيحيين بهذه المناسبة، لكن قرار القيصر الألماني كان مرتبطاً بالفكر العقائدي الديني للكنيسة تجاه الإسلام، لذلك قرأ رسالة صلاح الدين أمام أتباعه من البارونات والأمراء

(564) Goofried Fittbogen: Die Religion Lessings. Leipzig 1923. S. 150. (غوفريد فيتبوغن: «دين لسنغ» 1923، ص 150.)

(565) Lessing NdW (V). (ينظر إلى لسنغ «ناتان الحكيم» 1779، الفصل 5.)

(566) Vgl. Bühler 2002. S. 44 u. 47. (ينظر إلى أرنولد بوهلر «الحملة الصليبية لفريدرش بارباروسا (1187-1190)» 2002، ص 44 و 47.)

ليبين للكنيسة عدم موافقته على مثل هذا الزواج. وكان موقف القيصر يتفق مع التقاليد الأوروبية القديمة المتبعة من قبل سلالات عوائل الملوك والأمراء والطبقات الاجتماعية العليا في الزواج من بعضها، والذي يدعمه القيصر الألماني، وعليه فقد اضطر وفد السلطان صلاح الدين إلى الانتظار لفترة طويلة، من تشرين الثاني 1173 إلى آذار 1174 أي ما يقارب الخمسة أشهر، للحصول على الإجابة القطعية للقيصر الألماني بهذا الشأن. وكان هدف المبعوثين المسلمين، بالإضافة طموح صلاح الدين وأمله في إحلال السلام في المنطقة، هو تحقيق التوازن السياسي بين السلالات الحاكمة في الشرق المسلم والغرب المسيحي من خلال تعزيز علاقة الصداقة بين هذين الحاكمين لحماية المسيحيين والمسلمين من ويلات الحروب المدمرة. فرغم رفضه لمشروع الزواج لم يكن القيصر الألماني بارباروسا يرغب بقطع العلاقات الدبلوماسية مع صلاح الدين أو انتهاك التعليمات الدينية للكنيسة الكاثوليكية، لذلك كانت إجابته تتسم بالدبلوماسية في الرد على رسالة السلطان:

«صاحب الجلالة: تسلمنا بكل إجلال وتقدير عالي ورغبة كتابكم الذي بعثتموه إلينا، والذي تمت قراءته بحضور البارونات والأمراء في بلادنا... فأذا كانت المسافة البعيدة بين مملكتنا تحول دون لقاءنا شخصيا، فإن قلبنا مرتبط بكم ويكن لسموكم التقدير».⁵⁶⁷

ونتيجة لتأثره الكبير بشخصية صلاح الدين التاريخية، وتقديرا للعلاقة الجيدة التي كانت تربط جلالة الملك بارباروسا بهذا السلطان المسلم، واحتراما للمبادرات السياسية التي قام بها صلاح الدين استجابة لطلب البلاط الألماني في حينه، فقد قام القيصر الألماني فيلهلم الثاني سنة 1898 م. بزيارة ضريح صلاح الدين شخصيا في دمشق ووضع إلى جانب قبره هدية تذكارية وهي عبارة عن نموذج لقبر كتب عليه اسم القيصر، والذي يستطيع المرء أن يراه حاليا في ضريح السلطان صلاح الدين.

3- قصة زواج أسد شقيق صلاح الدين من الألمانية شتاوفن فون فلنك في «ناتان الحكيم»

استطاع المستشرقون والكاتب الأوروبيون أن يستنبطوا من قصة مشروع الزواج المقترح من قبل السلطان صلاح الدين القيم الإنسانية والتسامح والرغبة في إرساء السلام بين

(567) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

الإسلام والغرب. وهذا الأمر جعل لسنغ أيضا يتمعن بالإسلام ويرى فيه امكانية التقارب الإنساني مع الأديان الأخرى، مما قاده إلى تجسيد قصة هذا الزواج في مسرحيته «ناتان الحكيم»، بهدف تشجيع العلاقات الاجتماعية الإنسانية بين المسيحيين والمسلمين بعد جفوة دامت لمدة قرون.

حيث عمل لسنغ في كتابته للمسرحية على تحقيق الزواج من خلال عرضه لقصة زواج أخرى تمثلت بزواج أسد شقيق صلاح الدين من سيدة المانية تدعى شتاوفن فون فلنك، وانجابهما لطفلين في المانيا، هم ليو فون فلنك الملقب بفارس المعبد، وبلاندا فون فلنك الملقبة بريشا، ومثل صلاح الدين دور العم لهؤلاء الأخوة حسب ما جاء على لسان الحكيم اليهودي «ناتان» حين كشف قصة هذا الزواج أمام الملائ في حديثه مع فارس المعبد وصلاح الدين وسيتا وريشا بقوله:

ناتان: «أنت لست من سلالة آل شتاوفن! اسمك ليس كورد فون شتاوفن. اسمك ليو فون فلنك ... والدتك كانت من آل شتاوفن ... والذي قام بتربيتك هو خالك شقيق والدتك ... حين تركك والديك في المانيا بعد ان طرد منها وأتى إلى هنا بسبب فضاعة الوضع ... وكان يسمى كورد فون شتاوفن ... وربما أنت من كان عنده من الاطفال ... حيث كان يسمى نفسه فولف فون فلنك، لكنه لم يكن المانيا ... كان المانيا بالزواج فقط حين تبع والدتك إلى المانيا وعاش معها هناك لفترة قصيرة ... وكان يتحدث الفارسية بطلاقة ... وأنت شقيق ريشا.

صلاح الدين: انه أخي، بالتأكيد! انه أخي أسد! بالتأكيد أخي! ... وأنا لا أعرف أبناء أخي؟ أقصد أبناء الأخ، لا أعرفهم؟ انهم ... انهم ... هم ... سيتا ... انهم ... هم! بالتأكيد انهم ... هم!»⁵⁶⁸

نستنتج من ذلك بأن لسنغ أراد من حوارهِ مع الإسلام أن يبين لقرائه وجمهور المشاهدين الكثير من الحقائق والأفكار الغربية المنحازة إلى المسيحية والمعادية للإسلام، والتي كان

(568) Vgl. Lessing NdW (V). (لسنغ: «ناتان الحكيم» 1779، المشهد الأخير).

يروج لها في أوروبا آنذاك، وليؤكد على انه بصدد الكتابة ضدها وانتقادها بشدة،⁵⁶⁹ ذلك لأنه كان متيقنا بأن عدد غير قليل من رجال الدين المسيحيين والمستشرقين الأوروبيين ينظرون إلى المسلمين على إنهم «شعب همجي»⁵⁷⁰، لذا أراد لسنغ أن يشير من خلال ما عرضه من معلومات عن الإسلام والمسلمين في مؤلفاته الأدبية بأن هذا التحيز ليس له ما يبرره. حيث يقول الكاتب (بوهلر) أن العلاقة بين القيصر الألماني والسلطان المسلم صلاح الدين كانت تعني بالنسبة للسنغ حوار حضاري بين المسيحية والإسلام. وما عزز هذه العلاقة هو قيام وفد الماني بزيارة سورية ومصر بعد استلام صلاح الدين للرسالة التي بعث بها إليه القيصر بارباروسا.⁵⁷¹

4- رابطة الأخوة بين الناس

إن تأثر الفيلسوف الفرنسي (فولتير) ورائد حركة التنوير الألماني لسنغ بالقرآن الكريم فكرا ومضمونا انعكس بشكل أو بآخر في كتاباتهم ومؤلفاتهم الأدبية والدينية النقدية عن العلاقة الجدلية بين الإسلام والمسيحية، والتي ذاع صيتها في أوروبا بالقرن الثامن عشر لتغني الفكر المستنير بروائع المثل والقيم الإنسانية العليا للإسلام التي حُفِظَتْ في ذاكرة التاريخ والموروث الأدبي الأوروبي لتتناقلها الأجيال ولتكون خير شاهد على مدى تأثير الفكر الإسلامي المستنير على حركة التنوير الأوروبية ومنتوجها الحضاري.

الأمر الذي جعل (فولتير) يحتتم مقاله «تاريخ الحروب الصليبية» بعبارة «إنما جميع الناس أخوة»، مستلهما ذلك من وحي القرآن الكريم. وقد استغى لسنغ أيضا حقيقة «أن الناس أخوة» في الأصل من «ترجمة القرآن» للحقوقي الإنجليزي (سيل) لي جسدها في المشهد الأخير من مسرحيته «ناتان الحكيم» ليثبت بذلك بأن جميع الناس الذين يعيشون على سطح الكرة الأرضية من أصل واحد، ولهم إله واحد، وأب واحد، وأم واحدة.

(569) Vgl. Lessing: Rettung des Hier. Cardanus. (لسنغ: «انقاذ السيد كردانيوس»).

(570) Voltaire: Geschichte der Kreuzzüge. S. 79. (فولتير: «تاريخ الحروب الصليبية»، ص 79).

(571) Vgl. Bühler 2002. S. 44ff. (ينظر إلى بوهلر 2002، 44 يتبع).

وكما جاء في نص المسرحية بقوله: «حسنًا! دعهم يدخلون. - إنهم أخوة!»⁵⁷² إنهم أبناء وبنات آدم وحواء، إنهم الأشقاء الذين أعتنقوا الأديان السماوية الثلاثة - اليهودية والمسيحية والإسلام، التي تدعو إلى العدالة الإنسانية والمساواة والتسامح، فضلا عن تحقيق السلام المنشود في العالم. إنهم الناس الذين يديرون حياتهم وفقا لقوانين السماء وبدون اختلاف في طبيعتها وحسب ما جاء في فرائض التوراة والإنجيل والقرآن، ومنهم خرجت القبائل ونشأت الشعوب لتتعارف فيما بينها، وكما جاء في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ سورة النساء، الآية (1)

يقول الكاتب (كريستوف لوري) في مؤلفه «صورة الأسرة للسنغ في مجال تغيير المجتمع والفرد» 1992: «جسد لسنغ في مسرحيته «ناتان الحكيم» بشكل مباشر قيم الأسرة البرجوازية وحدد أعلى نقطة في الحوار الأسري لحركة التنوير الأوروبية كأنعكاس لاأيديولوجية الأسرة التي تشدها، كاشفا في الوقت نفسه آليات عالم الأسرة البطيركية المستبدة الحاكمة وربط هياكل سلطتها بالدولة والكنيسة والمجتمع، مؤكدا على ضرورة بناء مجتمع مسالم ومتسامح على أساس النظام الأسري الذي يجب أن يقوم على الاعتراف بالفرد، والتسامح، والمساواة بين أعضائه للارتقاء بالافراد إلى مستوى النضوج والإنتاج».⁵⁷³

واستنادا إلى هذا الأداء تقف الأسرة في عمل لسنغ المسرحي بوثام مع الفرد الليبرالي ذو الفكر الحر والمجتمع الإسلامي، الذي تتجسد معانيه وقيمة الإنسانية فيما تم ذكره في الآية السابقة وكذلك في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ سورة الحجرات، الآية (13)

(572) Lessing NdW (V). (لسنغ: «ناتان الحكيم»، المشهد الأخير).

(573) Christoph Lorey: Lessings Familienbild im Wechselbereich von Gesellschaft und Individuum. Bonn/ Berlin 1992, (S. vii, Zusammenfassung, ohne Seite, so vii). (كريستوف لوري: «صورة الأسرة للسنغ في مجال تغيير المجتمع والفرد»، بون / برلين 1992، ص.vii).

فرغم كل المعوقات الدينية المعاصرة المتمثلة بالفكر الكنائسي المتشدد غامر لسنغ ليلقي خطابه بشكل مباشر أمام الملأ من خلال مسرحيته الشعرية «ناتان الحكيم» التي تقع في خمسة فصول، إذ تدور أحداث مشاهدتها في القدس، التي وطأتها أقدام أنبياء الديانات الثلاثة، اليهودية والمسيحية والإسلام، والزمان هو القرن الثاني عشر، زمن الحروب الصليبية، التي قادتها أوروبا المسيحية ضد الشرق المسلم، وحكم السلطان صلاح الدين الذي يعد من أهم الشخصيات التاريخية البارزة في المسرحية، القائد الذي تتجسد فيه الاستنارة والمثل العليا والتسامح، وكما جاء في حوار مع فارس المعبد الذي أطلق سراحه:

«... هل ستبقى معي؟ معي؟ كمسيحي... كمسلم... على حد سواء... وإن كنت تلبس معطفك الأبيض أو اللباد... أو القماش الإنجليزي... هل تريد ذلك؟»⁵⁷⁴

ولعبت شخصية «ناتان» دور التاجر اليهودي الذكي، الذي يعمل في تجارة الربى، والإنسان الممتلئ بالحكمة، الذي فقد جميع أفراد عائلته أثناء الحروب الصليبية، حيث استطاع أن يتلغ غضبه تجاه المسيحيين، قتلة عائلته، ويصفح عن ذلك، ويتبنى عوضاً عنهم طفلة مسيحية من أصول مسلمة اسمها ريشا. فقام ذات يوم بسفرة طويلة إلى الاردن ومنها إلى أرض دجلة والفرات لجمع المال من تجارة الربى، وتركها وحدها بخطر مميت مع مربيتها دايا، حين اشتعلت النيران في بيته عند غيابه، كانت ريشا محبوسة في البيت وسط اللهب، وتستغيث لإنقاذها.

وفي تلك اللحظات يأتي فارس المعبد المسيحي كالبرق لينتشلها من وسط اللهب، وليقع في حبها، وكما جاء في حوار مربيتها دايا مع ناتان بقولها: «شاب من المعبد الذي انقذ ريشا من الحريق... والذي عفى عنه صلاح الدين... لو لم يجرأ على فعل ذلك لما كانت ريشا قد نجت».⁵⁷⁵

ومن أجل الوصول إلى التحليل الأمثل والفائدة في استنباط الدروس والعبر من الأفكار التي جاء بها لسنغ في مسرحيته «ناتان الحكيم» يقول الكاتب (بياترس فيرلي): «لو تم

(574). Lessing NdW (IV/4). (لسنغ: «ناتان الحكيم»، الفصل 4، المشهد 4.)

(575). Ebd. (I/1). (ينظر إلى المصدر السابق، الفصل 1، المشهد 1.)

العمل على اساس التحليل الأمثل لعلاقة مسرحية لسنغ «ناتان» بحكاية الخواتم الثلاثة، كانت هناك رغبة في تبرير هذا التحديد حين تبحث هذه الحكاية التي تمثل النواة الاساسية للمسرحية في مفهوم رسالة ناتان بشكلها العام».⁵⁷⁶

وهذا ما تم اتباعه في بحثنا هذا في النقد والتحليل الموضوعي للمسرحية المستند على حقائق تاريخية لا لبس فيها. فقد سعى لسنغ في عمله الأدبي المسرحي التحليلي على أن يلتقي الممثلين الرئيسيين للأديان السماوية - اليهودية والمسيحية والإسلام - في المكان الذي انطلقوا منه أول مرة وهو بيت المقدس لتبيان حقيقة التعايش السلمي الإنساني في المجتمع الجمعي الذي اضحى ضروريا في عصره، وعليه فقد جعل أحداث المسرحية تسير على النحو الآتي:

الحكيم اليهودي ناتان منشغل بتجارة الربى وقد خرج في رحلة بعيدة لجمع المال، وأثناء غيابه الطويل شب حريق في داره، وكانت ابنته الوحيدة ريشا محبوسة في المنزل وتطلب النجدة لإنقاذها، وإذا بفارس المعبد المسيحي المتوتر الذي اطلق سراحه صلاح الدين يلبي نداءها وينقذها من وسط اللهب، وشاءت الصدفة أن يقع في حبها، فاحبها وأحبته. وحين عاد ناتان من رحلته ابلغته مربيتها دايا بحادث حريق البيت، وكذلك عن حب ريشا لفارس المعبد، وقد عارض ناتان بشدة قصة الحب هذه، وحاول أن يجد المبررات لموقفه المتشنج ازاء ذلك. وفي هذه الاثناء يأتي الحافي درويش، المسلم الزاهد وصديق ناتان ومسؤول خزانة السلطان صلاح الدين التي نفذت أموالها، ليبلغ ناتان بأن السلطان طلب لقاءه في الحال ليستلف منه المال لتمويل خزانة الدولة. وحين حضر ناتان ومعه المال طلب منه السلطان صلاح الدين، القائد المسلم الورع والمتسامح، بدل المال أن يقول له الحقيقة في أجابته على السؤال الآتي: أي الديانات أفضل؟ وأمهله بعض الوقت ليجيب على هذا السؤال بصراحة.

وكان لزاما على ناتان أن يجد له مخرجا من هذا المأزق الذي وضع فيه، وحينها خطر على باله أن يروي للسلطان «حكاية الخواتم الثلاثة» التي تمثل الديانات السماوية الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام، والتي تلخص بالآتي:

Beatrice Wehrli: Kommunikative Wahrheitsfindung. Zur Funktion der Sprache in (576 Lessings Dramen. Tübingen 1983. S. 152. (بياترس فيرلي: اختراع الحقيقة التواصلية لوظيفة اللغة في مسرحيات لسنغ. توبنغن 1983، ص 152.)

كانت هناك مملكة في الشرق يتوارث عرشها أعز الأبناء إلى قلب الملك بعد أن يسلمه الخاتم الثمين الذي يمتلكه قبل مماته دون علم أخوته الآخرين، وشاءت الأقدار هذه المرة أن يكون للملك ثلاثة أولاد أعزاء على قلبه بنفس الدرجة، ولم يرغب أن يعطي الخاتم لواحد منهم دون الآخرين، ففكر بأن يصنع خاتمين آخرين بنفس مواصفات الخاتم الأصلي.

وحين أخذ يحتضر على فراش الموت أعطى لكل ولد من أولاده الثلاثة خاتماً دون علم الآخر، وبعد وفاة الملك أخرج كل واحد منهم خاتمه مدعياً بأن خاتمه هو الأصلي، وإنه أحق بعرش المملكة، فتخاصموا وقرروا الذهاب إلى القاضي ليحكم بينهم، ولما رأى القاضي الخواتم الثلاثة لم يستطيع أن يميز الخاتم الأصلي من بينها، وقرر أن يذهب الأخوة الثلاثة ويعملوا صالحاً في الأرض يرضي الله والناس، وأن يعودوا «بعد سنين طويلة» إلى كرسي القاضي ليحكم بينهم بعد أن يرى أيهما عمل من أجل مرضاة الله والناس ليفوز بحكم المملكة.

بعد أن سمع صلاح الدين الحكاية بإمعان ورأى أنها تنطبق على ما جاء به ممثلو الأديان السماوية منذ أن أنزلها الله على عباده وأنطلق كل واحد منهم من بيت المقدس ليعمل صالحاً لما فيه مرضاة الله والناس إلى يوم فتحه للقدس عام 1187 ولقائهم مرة أخرى «بعد سنين طويلة» في هذا المكان المقدس ليحكم بينهم أيهم أحسن عملاً، حينها أيقن صلاح الدين، وكما أراد الكاتب لسنع، بأن الإسلام أحق الديانات بهذا التشفير لما حمله للإنسانية من مبادئ سامية في ذلك الوقت أخرجت البشرية من الظلمات إلى النور وأشاع التسامح والمساواة والتعايش السلمي بين الناس من ديانات وأعراق مختلفة في عصور وصل بها الظلم والطغيان والعبودية إلى أعلى مستوياتها ...

ولذلك حضيت «حكاية الخواتم الثلاثة» التي رواها الحكيم اليهودي ناتان بإعجاب السلطان صلاح الدين وأسرته كثيراً، وعليه فقد طلب منه أن يكون صديقاً له، حسب كاتب المسرحية لسنع. وتستمر أحداث مسرحية «ناتان الحكيم» بعد هذا المشهد ... الذي أثبت الكاتب لسنع من خلاله بأن الإسلام دين سماوي منزل حاله حال الديانة اليهودية والمسيحية ومن حق الناس اعتناقه لما يحمله من مبادئ وتعاليم سامية ...

وحين يبدي فارس المعبد المسيحي وريشا اليهودية رغبتها بالزواج ويحثان عن وسيلة لإقناع ناتان بهذا الأمر، يتوسط صديقه صلاح الدين وشقيقته سينا لديه للموافقة على زواجهما، ويجتمع جميع ممثلي الأديان في قصر السلطان صلاح الدين بالقدس. وهنا يكشف ناتان عن حقيقة أن ريشا البنت اليهودية، والتي تبناها منذ الصغر، وفارس المعبد المسيحي، الذي أدخله سبيله السلطان من الأسر، هم أخوة في حقيقة الأمر وأبناء الرجل المسلم أسد، صديقه القديم وشقيق صلاح الدين وسينا، الذي تزوج امرأة المانية وهاجر معها إلى المانيا وأنجب منها طفلين تمت تربيتهم من قبل خالهما وناتان بعد أن مات والديهما.

وفي المشهد الأخير للمسرحية يلتحق جميع ممثلي الأديان بعائلة صلاح الدين المسلمة ويكون اليهودي ناتان الحكيم شاهدا على هذه الحقيقة، حسب ما أراده وخطط له الكاتب المسرحي ورائد حركة التنوير الألماني لسنغ.⁵⁷⁷

تجدر الإشارة هنا إلى القول أن لسنغ كان على قناعة تامة بأن حوار الأديان الذي عرضه في مسرحيته «ناتان الحكيم» وكما اسلفنا سيفضي بالتالي إلى نهاية سعيدة في الوقت الذي ينبغي على كل فرد من ممثلي الأديان أن يفهم حقيقة الخلق الإلهي وأن يعي بعقلانية ماهية المساواة بين الأديان الساموية وما تقدمه للإنسان، وبناء عليه فقد أراد لسنغ أن يكون لقاء ممثلي الديانات السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام في القدس الشريف. حيث يعلق الكاتب (بيتر ديمتر) على النهاية السعيدة للمسرحية التي قصدها وخطط لها لسنغ بالقول: «إن الخدعة الفنية الرائعة التي قام بها لسنغ في المسرحية أصبحت واضحة للعيان، خاصة حين جعل قصة الأسرة والعناق العائلي في الفصل الأخير يشير إلى الصورة النهائية لعائلة البشرية».⁵⁷⁸

وهذا دليل على أن لسنغ اختار الدين الإسلامي ليكون الدين الطبيعي العقلاني والأصلح لكل البشرية، وعليه فإنه لم يتحدث كطرف في الحوار، وإنما جعل ممثلي الأديان يتحدثون بجدية عن حقيقة التعايش السلمي بين الناس ويعرضونه بشكل إيجابي للمتلقي حين أكد

577. Lessing: «Nathan der Weise» 1779. (لسنغ: «ناتان الحكيم» 1779).

578. Vgl. Demetz 1966. S. 126. (ينظر إلى بيتر ديمتر 1966، ص 126).

على صلة الدم بين ممثلي الأديان على لسان الحكيم ناتان في حوارهِ مع صلاح الدين وريشا وفارس المعبد:

ناتان: «ليس بأكمله! لا أتحدث عن نفسي ولكن عن شخص آخر بعيد كل البعد وأرجو أن تسمعه قبل كل شيء».

صلاح الدين: من؟

ناتان: شقيقها؟

صلاح الدين: شقيق ريشا؟

ناتان: نعم!

ريشا: شقيقي؟ هل لي شقيق؟

فارس المعبد: (يتنبه فجأة من قلقه المتوحش الصامت) ... أين هو هذا الشقيق؟ ليس هنا بعد، ينبغي أن القاه هنا».⁵⁷⁹

يقول الكاتب (كريستوف لوري) في كتابه «صورة الأسرة للسنع في مجال تغيير المجتمع والفرد» ما نصه: «رفض لسنع من حيث المبدأ وجود عالم العوائل المنسجمة الخالي من النزاعات، وانتقد صورة العائلة الحساسة التي عملت حركة التنوير على تنميتها في إطار المعيار المتزايد، عاذا نظام السلطة الأسري للبطارقة وسيلة غير مجدية، وذلك من أجل تأسيس المجتمع المثالي الذي كان يصوره في مخيلته».

ويضيف الكاتب (لوري) بالقول: «ويجسد لسنع صياغته الشخصية لأسرة مجتمع موحد في مسرحيته «ناتان الحكيم» ليغادر بذلك وبشكل واضح كل وسائل القمع والظلم في إطار وحدة الأسرة، وتمثيل نموذجاً جديداً مكتشفاً للأسرة قابل للتحقيق والذي يفهم على انه النواة الأساسية للمجتمع المنشود الذي يتطلع إليه».⁵⁸⁰

(579) Lessing: «Nathan der Weise» 1779, (V). (لسنع: «ناتان الحكيم» 1779، المشهد الأخير).
(580) Lorey 1992. S. 5f. (كريستوف لوري: «صورة الأسرة للسنع في مجال تغيير المجتمع والفرد»، بون /

لذلك أراد لسنغ من خلال تقديمه لهذا الحوار العقلاني الممتع في مسرحيته «ناتان الحكيم» الوصول إلى هدفه المنشود الذي يسعى إلى تحقيقه، وليؤكد من خلاله للناس غير المتنورين بأن هناك صلة أخوة وقاربة تربط بينهم استنادا إلى انطباعاتهم عن الثقافة الإسلامية وما لمسوه فيها. ولهذا عمل لسنغ على أن يقوم الحكيم ناتان بكشف أسرار رابطة الدم بين الشخصيات الرئيسية بشكل تدريجي وفي سياق أحداث قصة المسرحية:

ناتان: «انه والدك ...

فارس المعبد: ماذا؟ هل عرفت انه هو أيضا؟

ناتان: كان صديقي

فارس المعبد: كان صديقك؟ ربما ناتان! ...

ناتان: كان يسمى نفسه فولف فون فلنك ... ولكنه لم يكن المانيا.

فارس المعبد: أتعرف هذا أيضا؟

ناتان: كان المانيا بالزواج فقط ... تبع والدتك إلى المانيا لفترة قصيرة ...

فارس المعبد: ليس أكثر! أتوسل اليك ... ولكن شقيق ريشا ... شقيق ريشا؟

ناتان: أنت!

فارس المعبد: أنا؟ شقيقها؟⁵⁸¹

يقول الكاتب (هلموت غوبل) في مؤلفه «الصورة واللغة عند لسنغ» 1971: «أن التعصب تلاشى بسرعة أمام الحقيقة، ولم يعد فارس المعبد ذلك الملاك المنقذ كما وصفته المربية دايا،

برلين، 1992، ص 5 يتبع.)

(581). Lessing NdW (V). (لسنغ: «ناتان الحكيم» 1979، المشهد الأخير.)

وإنما إنسانا حقيقيا». ⁵⁸² حيث يبدو جليا للناقد والقارئ والمشهد معا بأن لسنغ لم يريد أن يبحث فقط في تاريخ سلالة النسب ورابطة الدم للجنس البشري، وإنما كان يهدف من ذلك توجيه نقد لاذع ومباشر إلى الدور القيادي للكنيسة الكاثوليكية في المجتمع بتلك الفترة والفترات التي سبقتها، والتي حاولت، حسب رأيه، أن تضل الناس وتخدعهم بافكارها.

وهذا لا يعني أن يكون الإنسان ذاته بمنأى عن انتقاد لسنغ له في هذه المسرحية، وكما ذكر ذلك الكاتب (يورغن شرودر) في مؤلفه «غوتهولد أفرايم لسنغ. اللغة والمسرحية» 1972، الذي قال: «كان الإنسان مذنباً أيضاً في إطار رؤية لسنغ النقدية بسبب «الصمت» الذي كان يعتريه، وإنه استسلم لقدره ومصيره، وعليه كان ناتان يرغب في مناقشة كل هذا في حديثه». ⁵⁸³

نستنتج من ذلك أن لسنغ أراد أيضاً من وراء العرض التقديمي للحوار في مسرحيته «ناتان الحكيم» أن يوضح للناقد والمشهد الهدف الذي كان يبتغيه، والذي يتجسد في تلك اللحظة بطلبه: بأنه على الإنسان المذنب الذي استسلم لقدره ومصيره المحتوم أن يؤمن بالله وما خلق بحرية دون توجيه من الآخرين ليتحرر بذلك من أغلال الإيثار بالخرافة، ويستطيع أن يغادر حياة التخريف المفعمة بالشعوذة والتدجيل. ومن أجل إثارة اهتمام الناس بهذا الموضوع لمعرفة ما يدور حولهم استمر لسنغ بالحوار بين شخصيات المسرحية والسلطان المستنير والمتسامح صلاح الدين، وحين تستهجن ريشا ما جاء على لسان ناتان بان فارس المعبد شقيقها في الأصل:

ريشا: «(ريشا تقف وتلتفت إلى ناتان) لا يمكن أن يكون ذلك صحيحاً! لا يمكن أن يكون قلبه لا يعرف شيئاً عن هذا ... نحن مخدوعين ... يا الله!

Helmut Gobel: Bild und Sprache bei Lessing. München 1971. S. 169f. (582)

(هلموت غوبل: الصورة واللغة عند لسنغ، ميونخ 1971، ص 169).

Jurgen Schröder: Gotthold Ephraim Lessing. Sprache und Drama. München 1972. (583)

S. 254. (يورغن شرودر: «غوتهولد أفرايم لسنغ. اللغة والمسرحية» 1972، ص 254).

صلاح الدين: (لفارس المعبد) مخدوعين؟ كيف؟ هذا ما تعتقده؟ هل تستطيع التفكير؟ هل
لفق كل شيء لك ... صورة وصوتا ... ومسيرة الأحداث ... وانت لا تريد أن تعترف
بشقيقة كهذه! اذهب!

فارس المعبد: (يشعر بالذل ...) آه ... آه ... أختي ... آه ... أختي (يعانق ريشا).⁵⁸⁴

تقول الباحثة (آريانه نيوهاوس -كوخ) في معرض تعليقها على الهياكل والروابط الاجتماعية
التي جسدها لسنغ في مسرحيته «ناتان الحكيم» وخاصة فيما يتعلق بعلاقة فارس المعبد بريشا
في كتابها «غوتهولد أفرايم لسنغ. الهياكل الاجتماعية في مسرحياته» 1977: «جسد لسنغ في
شخصية فارس المعبد «العاشق الزائف» الذي تندلق في حبه لريشا المحبة الأخوية، والتي
لا تتعدى ظاهريا حال كونها عواطف جياشة مشابهة بالتردد من أن تكون حبا حقيقيا.

وفي ضوء هذا الترابط الاسري الناشئ بين هذين الشابين - فارس المعبد وريشا - يجب
أن يفسر هذا النوع من الشعور في إطار مشاعر الأخوة الاسرية. لذلك فإن فارس المعبد لم
يتمرد على الحقيقة التي تقف عائقا أمام تحقيق رغبته بأن لا تكون ريشا عشيقته وأن تكون
شقيقته. وفي إطار جمع شمل العائلة غير المتوقع ينمو في داخل فارس المعبد شعور اللقاء
بشقيقته مرة أخرى وليس شعور الخسارة التي لا يمكن التغلب عليها.⁵⁸⁵

ومن أجل الوصول إلى هدفه المنشود بتأكيد رابطة الدم والنسب بين الناس من ديانات
واعراق مختلفة وعولمتها، والتي ذكرت في المقطع الأخير من مقال (فولتير) «تاريخ
الحروب الصليبية»، أوجد لسنغ من خلال شخصية الحكيم ناتان صلة القرابة والدم بين
صلاح الدين «المسلم» وفارس المعبد «المسيحي» وريشا «اليهودية»، من خلال حديث
صلاح الدين وناتان:

(584) Lessing NdW (V). (لسنغ: «ناتان الحكيم»، المشهد الأخير).
Ariane Neuhaus-Koch: G. E. Lessing. Die Sozialstrukturen in seinen Dramen. Bonn (585
1977. S. 80. Auch Lessing: Nathan (V/8).
(آريانه نيوهاوس -كوخ: «غوتهولد أفرايم لسنغ. الهياكل الاجتماعية في مسرحياته» 1977، ص 80 يتبع. كذلك لسنغ:
«ناتان» المشهد الأخير).

صلاح الدين: «إذا لم يكن والدها خارج المانيا ... ولم يكن المانيا بالولادة؟ ماذا كان إذا؟ اين كان ما عدا كونه هنا؟

ناتان: لم يكن يريد أبدا أن يطلعني على هذا الامر ... لم أعرف شيئا منه.

صلاح الدين: ولم يكن أيضا إفرنجيا؟ لم يكن غربيا؟

ناتان: آه ... إنه لم يكن كذلك ... هذا ما أعترف به ... كان يفضل أن يتحدث بالفارسية ...

صلاح الدين: الفارسية؟ ... الفارسية؟ ماذا اريد اكثر من ذلك؟ هو كان هو!

ناتان: من؟

صلاح الدين: أخي! بالتأكيد ... ! أسدي بالتأكيد.

ناتان: لو كان عندك شك خذ اليقين من هذا لكتاب (يسلمه الكتيب الديني)

صلاح الدين: (يفتحه بلهفة) آه ... خطه ... حتى هذا تعرفت عليه ثانية!

ناتان: لا تعرف شيئا غير ذلك! الامر يعود لك لو اردت ان تعرف شيئا غير ذلك.

صلاح الدين: (يقلب الصفحات) أنا لا أعرف أولاد أخي؟ أقصد ابناء الاخ لا أعرفهم أنا؟ وتركهم لك؟ (يصرخ مرة أخرى) إنهم ... إنهم ... سيتا ... إنهم ... هم! ⁵⁸⁶

يمكن التسليم هنا، أن لسنغ أظهر لجمهور المشاهدين للمسرحية بأن علاقة الناس ببعضهم لم تعد فقط من خلال النشأة الأولى للفرد، وإنما يمكن أن تكون أيضا من خلال الزواج بين الناس من ديانات مختلفة بهدف تقوية الأواصر الاجتماعية وقبول الآخر في المجتمع الجمعي، والدليل على ذلك هو اكتشاف المشاهد في نهاية المسرحية أن فارس المعبد «المسيحي» وريشا، التي نشأت وترعرعت في بيت يهودي، هم في الأصل أطفال «المسلم»

586 (Lessing NdW (V/8). (لسنغ: «ناتان الحكيم»، المشهد الأخير).

أسد، الشقيق المتوفي للسلطان صلاح الدين، والذي كان الصديق القديم والحميم للحكيم اليهودي ناتان الذي باح له بهذا السر.

وتتجسد في هذه المسرحية أيضا دعوة لسنغ الصداقة لجميع ممثلي الأديان إلى نسيان الماضي الدموي للحروب الصليبية والبدأ في بناء علاقات خارجية ذات أهمية ومثمرة بين الشرق والغرب في إطار الاحترام المتبادل والتسامح الإنساني، ذلك لأن كل الناس في حقيقة الأمر اخوة في النسب وأشقاء في الدين، وعليه فلا يجوز أو ينبغي أن يقاتل الأخوة بعضهم البعض حسب فلسفته التي استقاها من وحي القرآن الكريم، والذي عبر عنه من خلال حوار الحكيم ناتان مع السلطان صلاح الدين الذي أعطاه هذا «الكتاب» الديني (القرآن) كبرهان على علاقة النسب التي تحدثنا عنها:

ناتان: «لو كان عندك شك خذ اليقين من هذا الكتاب (يسلمه الكتيب الديني).

صلاح الدين: (يقلب الصفحات) ... (يصرخ مرة أخرى) ... إنها ... أولاد أخيك ...

سيتا: (تتبعه) ماذا اسمع ... هل يمكن أن يكون هذا ... هناك شيء آخر.

صلاح الدين: (لفارس المعبد) يجب عليك الان ايها العنيد أن تحبني ... (لريشا) الآن هذا ما أردته أن يكون؟ سواء شئت أم أبيت! ... (لفارس المعبد ثانية) إبني ... أسدي ... إبن الأسد.

فارس المعبد: أنا من دمك! إذا كانت أحلامي كلها حقيقة (يرتمي تحت قدمي صلاح الدين)

صلاح الدين: (ينهضه) أنظر ... الوغد! إنه يعرف شيئا ويستطيع أن يجعلني قاتله! أنظر! (وبينما الجميع يقبل أحدهم الآخر تسدل الستارة)

وبناء على ما تقدم، نستطيع القول بأن القارئ والمشاهد للمسرحية يستطيع أن يلاحظ أو يستنتج بأن لسنغ عمل في المشهد الأخير على جمع شمل ممثلي الأديان السماوية، اليهودية

والمسيحية والإسلام، في مجتمع إسلامي موحد تتوفر فيه كل القيم الإنسانية التي كان ينشدها، بحيث جعل هذا النموذج المصغر للمجتمع الجمعي الذي كان يبتغيه ويدعو إليه، والذي ينبغي أن تسود فيه الألفة والمحبة والتسامح والوئام والتعايش السلمي بين الناس، المحصلة أو الهدف النهائي الذي كتبت من أجله مسرحية «ناتان الحكيم»، الذي تجسد بشكل واضح وجلي في قصة علاقة الأبوة بين ريشا وفارس المعبد، والتي تلخص بأن أسد، شقيق صلاح الدين، تزوج من امرأة مسيحية وسافر معها إلى المانيا، وأنجب منها طفلا وتركه مع أحد أقرباء زوجته في المانيا وعاد معها إلى الشرق، وقد انجبت له طفلة قبل وفاتها، كما ذكر ذلك ناتان في الفصل الأخير للمسرحية، وشاءت الأقدار أن يتبنى الحكيم ناتان هذه البنت الصغيرة حين جلبها له سائسه السابق الفرنجي، الذي أصبح راهبا فيما بعد، وذلك بعد أن تمكن الفرنجة من أبيها أسد وقتلوه في مدينة عسقلان، كما أوضح ذلك لسنغ في حديث ناتان مع الراهب المسيحي وسائسه السابق:

الراهب: «... ألم يجلب لك السائس طفلة قبل 18 عاما؟

ناتان: وكيف لا؟ طبعاً - بلا شك.

الراهب: آه، أنظر لي جيدا، هذا السائس هو أنا.

ناتان: صحيح!

الراهب: لأن الأم كانت قد ماتت قبل هذا بقليل ونقل الأب إلى غزة، حيث لم تستطيع الطفلة أن تلحق به، لذلك أرسلها والدها اليك، ألم التق بك في دارون؟

ناتان: صحيح!

الراهب: ليس من العجب أن تخونني ذاكرتي، لقد كان لي عند الرجل الشجاع الكثير، وقد خدمته لفترة قصيرة، وبقي هو بعد ذلك في عسقلان - وما عدا ذلك كان سيدا عزيزا.

ناتان: صحيح، صحيح! وأنا أشكره كثيرا! لقد جردني أكثر من مرة من سيفي!

الراهب: ولذلك فضلت أن تأخذ أبنته الصغيرة عندك.

ناتان: يمكنك أن تقول ذلك». ⁵⁸⁷

أما فارس المعبد، الذي جاء إلى الشرق ضمن الحملات الصليبية ليحارب ضد صلاح الدين، ويقع في الأسر ويطلق سراحه السلطان، فكان ابن أسد وشقيق ريشا التي تم تبنيها من قبل ناتان كبنت يهودية كما اسلفنا، حيث يتضح في المحصلة النهائية أن هؤلاء كانوا أطفال أسد شقيق صلاح الدين.

إن هذه العلاقة العائلية الإنسانية العظيمة التي تم اختيارها وعرضها من قبل الأديب الألماني لسنغ في مسرحيته «ناتان الحكيم» قد حظيت باعتراف وثناء الشاعر والباحث الألماني (بيتر هورست نويان) على الرغم من إنه قد فسر بشكل معاكس ومنحاز استعداد الشخصيات الرئيسية في المسرحية للاندماج في عائلة موحدة تحت رابطة الأبوة والدم والقرابة، وبطريقة قلل فيها من قيمة الجهود الاستثنائية التي بذلها لسنغ في مجال دراما الأسرة. وقد جاء هذا الاعتراف في تعليقه الذي جاء فيه: «ركز لسنغ جميع أفكاره في مسرحيته «ناتان الحكيم» على موضوع الأبوة. إن المسرحية تظهر بشكل أكثر وضوحاً من غيرها من المسرحيات مجتمعة بأن هذه القضية مرتبطة مع كل ما يشكل عمق وتعقيدات في صياغة تفكير الكاتب لسنغ». ⁵⁸⁸

وفي ضوء ما تقدم، يستطيع المرء أن يستنتج، حسب الباحث (فيلهيلم غروسه)، بأن مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم» هي «مسرحية تربوية»، ذلك لأن جميع الشخصيات الرئيسية للمسرحية قد تغيرت وأصبحت مختلفة في النهاية عما كانت عليه في بداية العمل الدرامي. صلاح الدين وسيتا، فارس المعبد وريشا قد تغيروا، فقط شخصية ناتان لم يطرأ عليها تغييرات أكثر من قبل الكاتب. إن كشف لسنغ عن أخوة فارس المعبد وريشا، وإنهم أبناء أسد، شكل الخيط الرابط أو حلقة الوصل الحقيقية بين فصول وأحداث المسرحية الرئيسية حتى النهاية. ⁵⁸⁹

(587) Lessing: «Nathan der Weise» 1779, (IV/7.). (لسنغ: «ناتان الحكيم» 1779، الفصل الرابع، المشهد 7.)

(588) Lorey 1992. S. 227. Zitiert von Neumann, 60-61. (Italique P.H.N.).

(ينظر إلى لوري 1992، ص 227. تم الاقتباس عن نيومان، ص 60-61.)

(589) Gröse 1996. S. 61-64. (ينظر إلى غروسه 1996، ص 61-64.)

إن ما تضمنته المسرحية من أفكار وحملته من طموحات تعبر عن ما يدور في ذهن المتلقي من جمهور النقاد والقراء جعلها تحظى بثناء الأديب الألماني المعروف (هيردر) الذي قال بحق المسرحية وكاتبها في رسالته الموجهة إلى لسنغ، حسب الكاتب (زيغفريد زايدل)، ما نصه: «... إن العمل يثني على خبرة فاعله، وإن هذا العمل هو عمل رجل».⁵⁹⁰

يقول الباحث (شيلسون): «أن مودة صلاح الدين لفارس المعبد واستعداده لإنقاذ حياته من الموت المؤكد حافظ على أعترافه بابن الأخ لاحقاً، والذي كان يكتنفه الغموض نوعاً ما في بداية العمل المسرحي وأكتشف من خلال المعرفة المادية والفكرية لعلاقة الشخصيات الرئيسية مع بعضها البعض، والتي كان من الصعب تحقيقها لو لا الأعمال السابقة التي قام بها الحكيم ناتان، والسلطان صلاح الدين، وفارس المعبد».⁵⁹¹

ويفسر (آرنو شيلسون) في كتابه «تاريخ في أفق الإرادة الإلهية - مساهمة غوتهولد أفرايم لسنغ في تاريخ اللاهوت» 1974 حظوظ أو قدر هذه العائلة المسلمة بقوله: «يبين لنا الكاتب في حظوظ العائلة الموحدة هنا الطرق المتتوية للإرادة الإلهية التي على أساسها يتم تحقيق الأهداف الكبيرة للإنسانية، ويريد بذلك أن يزرع في نفوسنا الثقة المفعمة بالبهجة بأن وراء كل هذه التطلعات تكمن سلطة عليا مطلقة حامية ومشجعة للجميع. إن معرفة أو التزام لسنغ هذا بعالم تقوده العناية الإلهية لم يكن محمداً على مسار العمل المسرحي، حيث تم العثور على الكثير من التلميحات والايحاءات التي تعبر بوضوح عن ذلك».⁵⁹²

يبدو واضحاً أن ممثلي الأديان السماوية - اليهودية والمسيحية والإسلام - في مسرحية «ناتان الحكيم» قد تجاوزوا حدود أعمال التآمر ضد بعضهم البعض وكذلك الحدود التقليدية لدياناتهم المعنية من أجل بناء خلفية مشتركة للفكر الإنساني المستنير الذي يحفظ طاعتهم وولائهم للمجتمعات التي ينتمون إليها ويؤمنون بها مع البقاء ملتزمين بروح التسامح لحفظ أرواح الأبرياء من ما تأول إليه الصراعات السياسية الدموية في العالم. لذلك ينبغي

Seidel 1963. S. 130. (590) (زيغفريد زايدل: «غوتهولد أفرايم لسنغ. مقدمة عن حياته 1729-1781»، برلين

1963، ص 130)

Schilson 1974. Bd. 3. S. 195. (591) (شيلسون ١٩٧٤، ص ١٩٥).

Vgl. ebd. S. 195f. (592) (ينظر إلى المصدر السابق، 195 يتبع).

علينا أن نتطرق في بحثنا هذا إلى الخلفيات التاريخية والدينية التي على أساسها اختار لسنغ شخصياته الفنية، المسلمة واليهودية خاصة، في مسرحيته «ناتان الحكيم» لكي تتضح الصورة لدى الناقد والقارئ والمشاهد عن هذه الشخصيات.

الباب الرابع

اختيار لسنغ للشخصيات الفنية الإسلامية في مسرحيته «ناتان الحكيم»

إن ما يميز لسنغ عند تعامله مع الأعمال الدرامية هو قيامه دائماً بوضع «تصميم الشخصيات» الذي يستطيع المرء من خلاله ان يلاحظ بدقة عملية تكرار عرض بعض الشخصيات لديه، وإن العلامة المميزة لهذا التصميم هو ألقاب الشخصيات، التي يتم مناداتهم بها في العمل المسرحي، حيث تشير إلى انتماءاتهم الطبقية مثل: رجل الأعمال، سلطان، فارس المعبد، الأمير، الأميرة، الخياط، الشحاذ، البطيريك، الرسام، درويش ... الخ هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى لم يذكر لسنغ في كتابة النص المسرحي أسماء الشخصيات، واعتمد على حديثهم الذي يعبر عن مرتبتهم الاجتماعية، وهذا ما نلاحظه في مسرحيته التراجيدية «فاطمة».⁵⁹³

إن الاستمرار في متابعة تجربة لسنغ مع الأعمال الدرامية وإختيار الادوار استناداً على الخلفية التاريخية للشخصيات المسلمة في مسرحيته «ناتان الحكيم»، صلاح الدين، وسيتا، والحافي، يقودنا إلى القول بأن اختياره للشخصيات في أي عمل مسرحي له أهمية كبيرة تتجسد بدراسته العلمية والفنية للتاريخ والسيرة الذاتية للشخصية ليتم على أساس هذه الحقائق صياغة افكاره الأدبية بحيادية، وقد ساعده هذا التوجه الأدبي ذو القيمة العالية خاصة في مسرحيته «ناتان الحكيم» بأن يربح حب واحترام وثناء الناس له أكثر من المال.

إن الخبرة الواسعة والكم الهائل من المعلومات التي أكتسبها لسنغ خلال قراءاته الكثيرة عن الإسلام والمعتقدات الأخرى للشروع بكتابة مسرحيته «ناتان» تجسدت في التاريخ

Ekiko Kobayashi: Lessings Anfänge – die frühen Lustspiele im Kontext der Zeit. (593

Bochum/Freiburg 2003. S. 32. (أكيكو كوباياشي: «بدايات لسنغ – أوائل مسرحياته الكوميدية في سياق

الزمن. بوخم / فرايبورغ 2003، ص 32.)

الإنساني للشخصيات الرئيسية لمثلي الديانات السماوية - اليهودية والمسيحية والإسلام - بحيث يمكن الشخصيات الإسلامية أن ترسم للإسلام صورة ايجابية ومشرقة بكل تفاصيلها إلى جانب الشخصيات الأخرى، وعلى عكس العروض التي نشاهدها اليوم على خشبة المسرح الألماني، خاصة مسرح برشت في برلين⁵⁹⁴، التي سبست بشكل كبير واصبحت منافية للأفكار التي استقاها الكاتب لسنغ من امهات مراجع التاريخ والأدب الشرقي⁵⁹⁵ وذلك من خلال حذف الكثير من عبارات الحوار وتغيير مظهر الشخصيات الإسلامية واليهودية التاريخية، وبالشكل الذي يقوض الكثير من القيم الإنسانية التي كتبت من أجلها المسرحية، ناهيك عن عمل المخرج على ترجيح كفة التصعيد والمظلومية والشعور الدائم بالذنب على كفة الدعوة إلى التسامح والتعايش السلمي بين المكونات الاجتماعية المختلفة التي دعا إليها لسنغ في حينه وعمل من أجلها.

وبناء عليه، يقول المخرج المسرحي العراقي المعروف الدكتور (عوني كرومي)⁵⁹⁶ في لقائي معه في برلين قبل وفاته بقليل في 27/4/2006: «إن للعرض المسرحي لغة ذو معاني كثيرة، والتي تعد خليط فني من لغات إيمائية مهمة تتمثل في لغة الحوار، ولغة المظهر، ولغة الضوء، ولغة المسرح، بالإضافة إلى إيماءات لغوية أخرى تكمل لغة العمل المسرحي، ومن خلال جسور اللغة المتنوعة هذه يستطيع كاتب المسرحية والمخرج إيصال الفكرة المقصودة من العمل المسرحي إلى المتلقي».⁵⁹⁷

Claus Peymanns Nathan der Weise-Inszenierung im Berliner Ensemble ab 2002. (594)

(العرض المسرحي لمسرحية «ناتان الحكيم» على مسرح برشت في برلين للمخرج كلاوس بايمان.)

Vgl. Wolfgang Albrecht (Hg.): Aufklärung nach Lessing, Beiträge zur gemeinsamen (595) Tagung der Lessing Society und des Lessing-Museums Kamenz aus Anlas seines 60jährigen Bestehens, Kamenz 1992. S. 152ff. (التنوير بعد لسنغ»، مساهمات للمؤتمر العام لمجتمع لسنغ ومتحف لسنغ في مدينة كامنز من موروته لستين سنة، كامنز 1992، ص 152 يتبع.)

Ali Gewad Al-Taher, „Awni Karoumi wal- Masrah al- Shabi«. Kairo 2002. (596) (ينظر إلى علي

جواد الطاهر: «عوني كرومي والمسرح الشعبي»، القاهرة 2002)

Awni Karoumi: Gespräch über Lessings Nathan der Weise-Inszenierung. Berlin (597)

2006. (الدكتور عوني كرومي في حديث حول الاخراج المسرحي الحالي لمسرحية لسنغ «ناتان الحكيم» 2006.)

وهذا الأمر جعلني أناقش بشكل تفصيلي في الفصل الأخير من هذا العمل مسألة عمل المخرجين على إفراغ مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم» من محتواها وجعلها تصب في مصلحة اذكاء الصراع الحضاري والسياسي - الذي يرفضه الكاتب لسنغ بشدة - بدلا من ترسيخ ثقافة الحوار بين الشرق والغرب ... وعليه فلا بد هنا من اعطاء فكرة عامة عن الأسس التاريخية والصفات الإنسانية للشخصيات الإسلامية الأخرى مثل - سيتا - شقيقة صلاح الدين - والحافي درويش -، وكذلك الشخصية اليهودية الحكيم - ناتان -، وكما فهمها لسنغ في المراجع الدينية والتاريخية وجسدها في العمل المسرحي:

أولا: سيتا - الأميرة والمرأة المسلمة

كما لا شك فيه ان لسنغ كان من الداعين إلى أن تأخذ المرأة دورها الحقيقي والفاعل في المجتمع الإنساني جنبا إلى جنب مع الرجل، لذلك سعى في مسرحية «ناتان الحكيم» على تصنيف فضيلة المرأة ضمن الصفات المميزة لها، والتي تدل على الأخلاق الحميدة التي تواكب المدنية والحداثة والتطور، رغم إن الرأي السائد في المجتمع الغربي آنذاك كان يعتبر المرأة أكثر ميولا للتدين ولديها الهاما أكبر من الرجل بسبب العاطفة التي تتميز بها، مما جعل لسنغ يدعوا إلى إعادة النظر في هذا الرأي من خلال الصفات التي ضمنها لشخصية الأميرة سيتا، والتي جسدت الفكر النسائي الإنساني الطبيعي،⁵⁹⁸ الذي إتضح جليا في حوارها مع ريشا بقولها:

سيتا: «لا على الإطلاق! لا تسميني أميرة! سمني سيتا! - صديقتك - أختك. نادني أمك! - أنا موافقة على ذلك. - شابة بهذا الريع! ذكية جدا! متدينة جدا! ما كنتي لتعرفي كل شيء! وتقرئي كل شيء!»⁵⁹⁹

Hannelore Scholz: Widersprüche im bürgerlichen Frauenbild – zur ästhetischen (598 Reflexion und politischen Praxis bei Lessing, Friedrich Schlegel und Schiller. Weinheim 1992. S.45. (هانيلور شولز: التناقضات في صورة المرأة البرجوازية - لجمالية التفكير والممارسة السياسية عند لسنغ وفريدريش شليغل وشلر. فاينهايم 1992، ص 45، 81)

(599). Lessing: Nathan der Weise, (V/6). (لسنغ: ناتان الحكيم، الفصل الرابع، المشهد 6.)

وخلافا لمنطقة العرض المسرحي التقليدي للطبقة الاجتماعية العليا من الملوك والأمراء التي تسيدت العمل المسرحي التراجيدي في أوروبا لسنوات سبقت ظهور حركة التنوير في القرن الثامن عشر، عرض لسنغ بشكل إيجابي شخصيات إسلامية دينية سياسية وشعبية تمثلت في السلطان صلاح الدين وشقيقته سيتا كممثلان للبلاط الإسلامي في جميع فصول مسرحيته «ناتان الحكيم». كان هدف لسنغ من العرض المسرحي للممثل العليا لبلاط المسلمين هو تقديم صورة نقدية مغايرة تماما لحياة البلاط الأوروبية التي دامت لقرون، حيث اتضح ذلك جليا من خلال التجسيد التاريخي القيم والمهم للأحداث الدينية والسياسية والإنسانية في تفكير وتصرف ممثلي البلاط الإسلامي، الذين أعطاهم الكاتب القدرة على التسامح، والقيادة العادلة، والتعاطف الإنساني حسب ما موثق في مراجع المستشرقين.⁶⁰⁰

وهذا الأمر قاد لسنغ إلى الدخول في صراع حاد مع السلطات الدينية والعلمانية الغربية، وكثيرا ما تتم الإشارة إلى ذلك في المصادر الكثيرة التي تتحدث عن الصراع الديني بين لسنغ و(يوهان ميلشيور غوتسه) كبير القساوسة في مدينة هامبورغ الألمانية. حيث كتب لسنغ مخاطبا (غوتسه) بالقول: «إن أفضل فترة في حياتي، لسوء الطالع أو لحسن الحظ، هي الفترة التي كتبت فيها مخطوطات عن حقيقة الدين المسيحي، والتي كانت بحق مخطوطات نموذجية».⁶⁰¹

1 - الدور المزدوج للأميرة سيتا

ترك لسنغ في سياق قصة مسرحيته «ناتان الحكيم» بعدا للتعاطف الإنساني بين أبناء العائلة الواحدة في المجتمع الإسلامي، والذي تم التعبير عنه بوضوح من خلال سلوك الشخصيات الإسلامية - صلاح الدين وسيتا - في حديثهم كأخوة متحابين يتبادلون الآراء ويفهم بعضهم بعضا، وذلك في إطار العروض العائلية في المسرحية على مدى

(600) Kuschel 1998. S. 239. (ينظر إلى: كوشل 1998، ص 239).

(601) Lessing: Aus dem Fragmenten-Streit. Duffel 1972. S. 87ff. (لسنغ: أجزاء من وثائق الصراع

(دوفل 1972، ص 87 يتبع).

أحد عشر مشهدا، والتي أعطيت فيها الأميرة سيتا أدوارا مزدوجة كونها أميرة في البلاط الإسلامي ورمزا أو نموذجا للمرأة المسلمة المتنورة واسعة الثقافة وسديدة الرأي.

حيث يستطيع المشاهد للمسرحية ان يرى ذلك بوضوح في الفصل الثاني - المشهد الأول للمسرحية حين تكون سيتا طرفا في لعبة الشطرنج مع شقيقها السلطان صلاح الدين وتتغلب عليه، وفي ذات الوقت مستشارة سياسية له، تبدي الرأي المنطقي الذي يؤخذ به من قبل السلطان حين يكون بحاجة إلى الاستشارة في أمور ادارة الدولة ورعاية شؤونها.

يقول الكاتب (أوتو مان) في مؤلفه «لسنغ، الوجود والإنجاز» 1949 ما نصه: «إن الشيء الرائع والمثير للاعجاب يتجسد في الحكمة والذكاء الهادىء للأميرة سيتا».⁶⁰² وكذلك حال كونها امرأة مسلمة مؤمنة، تهتم كثيرا بحقيقة الأديان السماوية وتدعو إلى التعايش السلمي بين الاثنيات الدينية، وكان لديها تأثيرا على السلطان صلاح الدين في اتخاذ القرار على المستويين الديني والدينيوي. يقول الكاتب (تيودور بيلستر) في مؤلفه «مفاتيح القراءة. غوتهولد افرام لسنغ «ناتان الحكيم»، ما نصه أيضا: «كان السلطان صلاح الدين يناقش المسائل السياسية مع شقيقته الأميرة سيتا، وأخذ بنصيحتها في استدعاء اليهودي ناتان للحوار».⁶⁰³

حيث أراد لسنغ من اشارك المرأة في الحوار والتصرف الحكيم للأميرة سيتا تجاه السلطان أن يعكس المساواة الاجتماعية بين الرجل والمرأة في الإسلام التي كانت تفتقر إليها المجتمعات الأخرى ومنها المسيحية آنذاك. فعلى أساس نصيحتها استدعى صلاح الدين اليهودي ناتان وفارس المعبد للحوار في البلاط، وبحضور شقيقته الأميرة سيتا التي كانت تحتمي خلف الستار في إحدى الغرف الجانبية للقصر، لترتدي الحجاب وتشاركهم الحديث لاحقا.

يعلق الأديب (كلاوس بوهنن) في كتابه «لسنغ - ناتان الحكيم» 1984 على هذا اللقاء بالقول: «توقعت الأميرة سيتا بأن يكون ناتان سعيدا حين يستطيع أن يشتري بحفنة من

Otto Mann 1949. S. 369. (ينظر إلى أوتو مان 1949، ص 369).

Pelster 2005. S. 23. (ينظر إلى بيلستر 2005، ص 23).

النقود موافقة السلطان صلاح الدين بعدم الإجابة على الاسئلة التي تتطرق إلى حقيقة الأديان السماوية، لأن ناتان يهودي ويجب أن يلتزم برأي اليهود الذين يقولون بأن اليهودية فقط هي الدين الحقيقي».⁶⁰⁴

لكنه وبسبب ضعفه ومخافته لم يجرأ أن يقول شيئاً عندما قدم المال إلى السلطان، الذي طلب منه الاجابة على السؤال الآتي بدلا من المال: أية عقيدة وأي قانون سماوي كان على الأرجح الأفضل بالنسبة اليك؟

وبناء على ذكائها وحكمتها تعد الأميرة سيتا بالنسبة للكاتب المسرحي لسنغ رمزا للمرأة المسلمة المثقفة، التي اطلع على حقوقها وواجباتها عن كذب في ترجمة القرآن الكريم للحقوقي الإنجليزي (سيل).

ومن هذا المنطلق نستطيع ان نضيف بأن هناك الكثير من النساء المسلمات العربيات اللاتي كان لهن دورا بارزا ومهم على الساحتين الثقافية والسياسية قبل الإسلام وبعده وتم ذكرهن في القرآن الكريم، ومنهن آسيا بنت مزاحم زوجة فرعون، والملكة بلقيس الهدهاد بن شرحبيل التي ذكر اسمها في القرآن الذي قرأه لسنغ، وفاطمة بنت الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، التي جسد لسنغ اسمها في مسرحيته التراجيدية «فاطمة» عام 1759، ونساء أخريات كثيرات.

2- المكانة الاجتماعية للأميرة سيتا وحقوق المرأة وواجباتها في الإسلام

إن أوضاع المرأة المسلمة ارتبطت في القرون الأخيرة، للأسف الشديد، بالمصالح السياسية والظروف الاجتماعية غير المستقرة التي يتعرض لها العالم الإسلامي منذ فترة طويلة، والتي أدت بالنتيجة إلى تراجع دور المرأة ونشاطها في المجتمع، ولذلك يتم تجاهل حقيقة أن الإسلام ومنذ أربعة عشر قرنا منح الكثير من الحقوق والإمتميازات للنساء التي كانت

(604) Klaus Bohnen: Lessings Nathan der Weise. Darmstadt 1984. (كلوس بوهنين: لسنغ - ناتان الحكيم. دارمشتات 1984، 65).

معدومة، ولهذا تم التطرق في هذا المبحث إلى مكانة المرأة وحقوقها رغم انها تمثل الحلقة الاضعف في المجتمع.

يشير الله سبحانه وتعالى في محكم آياته إلى المساواة بين الجنسين، ويؤكد على إن الرجل والمرأة خلقوا من نفس واحدة، ويمتلكان نفس الخصائص، وحين استغوى الشيطان آدم وحواء في الجنة كانت المسؤولية مشتركة في تحمل الذنب والنتائج المترتبة عليه، حيث يحاول البعض أن يجعل حواء هي المسؤولة عن ارتكاب آدم للذنب، لكن الله برأها تماما في آياته الكريمه وجعل المسؤولية مشتركة بين الاثنين كما في قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (24)﴾ (الاعراف).

لذلك نجد في هذه الآيات وآيات أخرى في القرآن الكريم أيضا أن الله يؤكد على أن المرأة تقف روحيا بنفس المستوى مع الرجل في الثواب والعقاب في حالة طاعة الله سبحانه والامثال لأمره، وكذلك الأمر في عدم طاعته.

ومن الواجبات الروحية والطقوس التي الزمت المرأة بتأديتها كما الزم بتأديتها الرجل على قدر المساواة بين الجنسين وهي تأدية الصلوات الخمس في اليوم، وصوم رمضان، وأداء الزكاة، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا. كذلك حث الإسلام الرجل والمرأة على مساعدة بعضهما البعض الآخر في جميع مرافق الحياة الاجتماعية لادامة الصلة وتعميق العلاقة الإنسانية بينهما، وكما جاء في سورة «التوبة»:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (71) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (72)﴾

وهكذا يجد المرء في الإسلام عند المقارنة بين الأديان السماوية بأنه الدين الأول الذي أقر المساواة بين الرجل والمرأة «المؤمنين»، وحتى تعيش النساء المسلمات بشكل عام في ظل ظروف أكثر ملائمة.

إن هذه المساواة في الحقوق تجعل للمرأة المسلمة حق في الحصول على حياة معيشية فيها من المزايا ما يتمتع به الرجل، وتستطيع أن تلعب دورا مهما في مجال العلوم الإسلامية التي مازالت تحمل من العلوم الدينية ما يؤهلها للعب هذا الدور، وكما تمت الإشارة إليه في الآيات القرآنية سالفة الذكر. أما فيما يتعلق بالاستقرار الاجتماعي والأنظمة المعمول بها التي تنظم العلاقة المثلث بين الرجل والمرأة على أساس مبدأ المسؤولية المتبادلة والتعاون فتبدو واضحة من خلال مشاركة المرأة المسلمة في الحياة العامة وفرص التعليم والعمل، وهناك أمثلة كثيرة وكافية في التاريخ الإسلامي التي تبين أن المرأة المسلمة استطاعت أن تشغل مناصب مهمة وبارزة في المجتمع وأن يكون لها دورا مؤثرا فيه.

وعليه فقد جسد الأديب الألماني لسنغ هذه الحقيقة في سلوك وتفكير شخصية المرأة المسلمة «سيتا» في مسرحيته «ناتان الحكيم» بنهاية القرن الثامن عشر. حيث يقول الكاتب (أوتو مان) في مؤلفه «لسنغ، الوجود والإنجاز» 1949: «إن أذكى الشخصيات في المسرحية بعد ناتان هم صلاح الدين وسيتا، اللذان تسمو بهم الكرامة المعنوية، وجلبوا لنا على مقربة وبشكل مباشر الصفات الشخصية الأكثر بشرية وإنسانية».⁶⁰⁵ ويتضح ذلك من خلال حديث صلاح الدين وسيتا مع بنت التاجر اليهودي ريشا:

صلاح الدين: «لا تدع القلق يسيطر عليك... هل تعرفين شيئا؟ لو تنازع أبوان من أجلك أتركي الاثنين وخذي الثالث! خذيني أنا... لأكون والدك!

سيتا: آه أفعل ذلك! أفعل ذلك!»⁶⁰⁶

(605) Mann 1949, S. 375. (ينظر الى مان 1949، ص 375).
(606) Lessing NdW V/7. (لسنغ: «ناتان الحكيم»، الفصل 5، المشهد 7).

3- الأميرة سيتا وصورة المرأة المسلمة المعتمدة في الأدب الأوروبي

اطلع المواطن الأوروبي في حقيقة الأمر على المكانة التاريخية المرموقة للمرأة المسلمة في المجتمع منذ قرون في أدب الاستشراق، ومن خلال تقليد الأوروبيين لموروث الأدب العربي الإسلامي الذي تم نقله عن طريق الترجمة إلى أكثر البلدان الأوروبية كاسبانيا وإيطاليا وفرنسا وألمانيا وإنجلترا والدول الأوروبية الأخرى. وكانت اسبانيا وصقلية المراكز والقنوات الرئيسية لترجمة العلوم الأدبية ومنها الأدب القصصي والعلوم الطبيعية للمسلمين ونقلها إلى أوروبا في القرون الوسطى.

كذلك تمت ترجمة القرآن الكريم عام 1143 إلى اللغة اللاتينية لدراسته من قبل الكنيسة واستخدام ذلك في الجدل الدائر حول معاداة الإسلام آنذاك.⁶⁰⁷ حيث ذكرت أسماء لنساء عربيات مسلمات في موروث الأدب الأوروبي الشرقي مثل (ست الشام) و(فاطمة) و(سيتا) وغيرهن من الأسماء اللامعات في الموروث الإسلامي.

تشير رائدة الاستشراق والعلوم الإسلامية الكاتبة والاستاذة الألمانية المعروفة (أنهاري شمل)، التي تجيد اللغة العربية أيضا، في مؤلفها «التقارب الغربي - الشرقي . أوروبا في لقاء مع العالم الإسلامي» عام 1995، بأنه تم مؤخرا عرض واحدة من أبرز الأميرات المسلمات في البلاط العربي الإسلامي، وهي (العباسة)، شقيقة أشهر الخلفاء العباسيين، الذي حكم الدولة الإسلامية ما يقارب الـ 23 عاما للفترة من (170-193 هـ)، في عمل فني مسرحي من قبل الكاتب والفنان الألماني المعروف في القرن التاسع عشر (ماكس كلينغر) - (1857-1920) - حين اناط لها دورا رئيسيا في مسرحيته «جعفر البرمكي».⁶⁰⁸

Robert Irwin: Die Welt von Tausendundeiner Nacht. Frankfurt a. M./ Leipzig 1997. S. (607

117. (ينظر إلى روبرت إرفن: «عالم ألف ليلة وليلة»، فرانكفورت أم ماين / لايبزك 1997، ص 117)

Vgl. Annemarie Schimmel: West-Östliche Annäherung. Europa in der Begegnung (608 mit der islamischen Welt. Stuttgart/ Berlin/ Köln 1998. S. 56. Auch Kuschel 1998. S. 245.

(ينظر إلى أنهاري شمل: «التقارب الغربي-الشرقي. أوروبا في لقاء مع العالم الإسلامي»، شتوتغارت، برلين، كولون 1995، ص 56.)

وخلافاً لدور المرأة المسلمة الإيجابي الذي عرض في مسرحيات الأديب الألماني لسنغ كـ«ناتان الحكيم» و«مأساة فاطمة»، فقد سعى (كلينغر) في مسرحيته «جعفر البرمكي»، حسب (شيمل)، لتقديم صورة مشوهة ومعتمدة عن نساء البلاط المسلمات في الأدب الأوروبي من خلال الطعن بشرفهن وعفتنهن وعلى غرار ما جاء في بعض حكايات «الف ليلة وليلة» التي تميل إلى الرومانسية والجنس، حيث تناول فيها أيضاً مشاكل الخليفة هارون الرشيد مع البرامكة والنكبة التي لحقت بهم، في وقت كانت مادة العمل المسرحي للبرامكة التي تتجسد فيها الجشع والخيانة والاستبداد، تقول شيمل، مفضلة كثيراً لدى الأوساط الأدبية الألمانية في العام 1800، وقد تعامل معها عدد من المؤلفين في كتابة النص المسرحي الشرقي والشعري ومنهم (جوزيف فون هامر) و(بلاتن).

وترى شيمل بأن العرض الإيجابي والسلبي للمرأة المسلمة في الأدب الأوروبي يتحدد للأسف من خلال الموقف الديني والسياسي للكاتب من الإسلام، ولذلك ما أريد من مسرحية «جعفر البرمكي» هو التعبير عن نقد سياسي، الذي من الممكن إخفاءه في مسرحيات أخرى، وبذلك تكون مسرحية «جعفر البرمكي» ل(ماكس كلينغر) مثلاً جيداً.⁶⁰⁹

تضيف الكاتبة (أنهاري شيمل) «بأنه، ومن أجل عرض صورة تاريخية غير متكاملة عن المرأة المسلمة في الأدب الأوروبي، تم تأليف الكثير من الكتب حول المرأة في الإسلام دون معرفة حقيقية أو دراية بالحقائق التاريخية، كذلك وقبل كل شيء دون معرفة باللغة العربية والأدب الإسلامي».⁶¹⁰ وعليه فقد كتبت (شيمل) تعليقاً في مقدمة مؤلفها «روحي امرأة - الأنثى في الإسلام» عام 1995 ما نصه:

«إن أعداد الكتب التي تناولت المرأة في الإسلام تزايدت بلا هوادة وفي مجالات مختلفة منها دراسات اجتماعية، ومشاكل طبية مختلفة، ومنها ما تناولت جناح الحريم في البلاط الإسلامي بالمفهوم السلبي والايجابي، وألفت أعمال حول النساء العربيات والتركيات الحاكمات، وكتب عن المسائل الجنسية، وتربية الأطفال ...

609 Ebd. ينظر إلى المصدر السابق.

Annemarie Schimmel: Meine Seele ist eine Frau. Das Weibliche im Islam. München (610

1995. S. 7. (ينظر إلى أنهاري شيمل: «روحي امرأة. الأنثى في الإسلام»، ميونخ 1995، ص 7).

بإختصار: أصبح موضوع «المرأة في الإسلام» موضوعاً مألوفاً، حيث تناولته بشكل خاص وبشغف وحرية مفرطة للغاية الناشطات في مجال الحركات النسائية دون معرفة كافية بالحقائق التاريخية، وقبل كل شيء دون معرفة بعلم اللغات والأدب الإسلامي».⁶¹¹

وبالإشارة إلى دور الأميرة سيتا في مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم» تقول (شيميل) مخمئة: «من الممكن ان يكون دور شقيقة هارون الرشيد في مسرحية البرامكة مصدر الهام للكاتب لسنغ في اكتشاف دور الأميرة سيتا شقيقة صلاح الدين في مسرحيته «ناتان الحكيم». وأضافت: «إن مسرحية «ناتان الحكيم» بلا شك من أجمل مسرحيات أدب حركة التنوير لتناولها موضوع التسامح بين الديانات الإبراهيمية الثلاثة، وهي العمل المسرحي الوحيد في مجال الاستشراق بالقرن الثامن عشر الذي مازال عرضه مستمراً على مر الزمن».⁶¹²

4- الأميرة سيتا ومصادر تسميتها

تؤكد المصادر الألمانية على أن اسم الأميرة سيتا في مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم» موثق تاريخياً ويعود إلى شخصية تاريخية نسائية مرموقة، وقد ذكرت كشقيقة لصلاح الدين في مؤلفات لسنغ الأدبية. يقول الكاتب (هندريك بيروس) في مؤلفه «التسمية الشعرية لمعنى الاسماء في مسرحية لسنغ ناتان الحكيم» ما نصه:

«من المعروف أن اسم سيتا أو أي اسم مماثل له في الشكل قد ذكر في اللغة العربية وكذلك الفارسية، ويجد المرء في المصادر التاريخية التي استخدمها لسنغ اشكالا عديدة لكتابة اسم سيتا منها **Sittolsyama, Sittalscham, Sittal Scham, Sittah Alscham, Sillalscham, Sillah Alscham** حيث يتبين من خلال المقارنة بين أنواع الاسماء ان هناك خطأ مطبعياً في كتابة الاسم، لذلك بني شكل اسم - سيتا الشام - على سوء فهم في الكتابة، والتي اشتق منها لسنغ اسم سيتا».⁶¹³

(611) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(612) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(613) Hendrik Birus: Poetische Namensgebung zur Bedeutung der Namen in Lessings

«Nathan der Weise». Göttingen 1978. S. 139f. (هندريك بيروس: «التسمية الشعرية لمعنى الاسماء في

مسرحية لسنغ ناتان الحكيم»، غوتنغن 1978، ص 139-140).

ويضيف (هندريك) بأن «هناك توضيح قد ذكر في الاصدار العربي - اللاتيني لـ (ابي الفداء) للكاتب (شولتين) يؤكد أنه في حقيقة الأمر كان لصالح الدين شقيقة اسمها ست الشام [Sitt aš-šam]. وهناك تدوين آخر لاسم ست الشام Siit es-Scham وجده لسنغ في ترجمة (رايسكه) من تحريره الكبير لـ (أبي الفداء) «حوليات المسلمين» التي صدرت مطبوعة بعد وفاة لسنغ الذي سبق وأن قرأ مخطوطاتها منذ العام 1774 واحتفظ بها لعدة سنوات مع مخطوطات أخرى لـ (رايسكه). وفي هذه الحالة يكون وصف سيتا بـ «الملكة» أو «الأميرة» ممكنا ودلالة تشير إلى أهمية وقيمة اسمها».⁶¹⁴

نستنتج من ذلك أن لسنغ، ومن خلال قراءته عن تاريخ الخلفاء المسلمين، كان قد وجد قصصا أدبية ونصوص تحكي عن دور المرأة السلمة الإيجابي كـ «أميرة» و«ملكة» في البلاط الإسلامي، الأمر الذي جعله يبني تقييمه الدرامي والفني لتسمية وشخصية سيتا في مسرحيته «ناتان الحكيم» على أساس هذا الموروث التاريخي والأدبي لصور المرأة المسلمة المشرقة.

وتجدر الإشارة إلى أن الباحثين كانوا قد وجدوا في مصادر الاستشراق الأوروبية التي درسها لسنغ أشكالا مختلفة لكتابة اسم الأميرة سيتا أو اسماء نساء مشابهة لهذا الاسم مثل «ست الزويده» و«ست الملوك» اللاتي لهن مكانتهن الاجتماعية والعلمية والأدبية والدينية في التاريخ الإسلامي. لكن المصدر الرئيسي الذي وجد فيه لسنغ التسمية الصحيحة لـ «سيتا» والصفات القيمة لشخصيتها كطرف في الحوار المسرحي كان بعنوان «تاريخ صلاح الدين» الصادر عام 1758 للمؤرخ الفرنسي (مارين)، نذكر مقتطفات منه للدلالة:

يقول مارين: «وزع صلاح الدين الصدقات بنفسه على جميع الفقراء والمحتاجين المسيحيين الذين كانوا في مدينة القدس، وصرف كل ما يحتاجه في حياته ولم يحتفظ بشيء لذاته الأمر الذي جعل المرء يضطر - بعد وفاته - إلى بيع أثاث بيته لعمل مراسيم الجنازة». ويضيف قائلا: «وكانت هناك واحدة من شقيقات صلاح الدين - اسمها Sill-alscham oder

Ebd. (614) (ينظر إلى المصدر السابق).

Sillah Alscham التي كانت تحب أن تطبق عمل الخير بشغف - قد وضعت كل ما تملك من صيغتها لأجل أن تكون أموال الصدقات أكثر وفرة». ⁶¹⁵

5- دور الأميرة سيتا كرمز للمرأة المسلمة الفاضلة

سعى لسنغ في مسرحيته «ناتان الحكيم» إلى أن تكون الصفات الإنسانية الفاضلة للأميرة سيتا في مسألة الاستعداد الدائم لمساعدة الفقراء والمحتاجين والنباهة والحنكة والذكاء في التعامل مع القضايا السياسية متوازية مع الصفات والمشاعر والميول التي يتحلّى بها شقيقها صلاح الدين.

حيث اثبتت ذلك كمتبعية للوضع السياسي للدولة وفي دورها بتقديم الاستشارة السديدة لأخيها السلطان في معالجة بعض القضايا السياسية العالقة، بالإضافة إلى أنها كانت تحلم بضرورة ارتباط الاسر المسيحية والمسلمة الحاكمة مع بعضها من خلال الزواج لغرض إدامة العلاقة الإنسانية والتواصل بينها لتجنب البشرية ويلات الحروب. وهي بذلك تعكس النموذج الحي والدور الإنساني والسياسي الفاعل للمرأة السلمة في التاريخ حسب قراءات لسنغ، ولذلك نرى، ومن خلال أحداث المسرحية، أن السلطان صلاح الدين يستأنس برأيها في حال قدومه على اتخاذ القرارات السياسية المصيرية التي تهم مصلحة الدولة. ⁶¹⁶

يقول بروفيسور علم اللاهوت الألماني (كوشل): «أثبتت الأميرة سيتا بحواراتها في مسرحية «ناتان الحكيم» بأنها ليست فقط امرأة مثقفة وذكية للغاية في معترك الحياة، وإنما محاورة نشطة ولديها رؤية ثابتة للمستقبل». ⁶¹⁷

Marin: Geschichte Saladins, Sulthans von Ägypten und Syrien, zwei Theile. Aus (615 dem Französischen übersetzt von E. G. Küster. Zelle 1761. Bd. II. S. 319. Auch in den anderen Quellen wie Lessings «Schultens und d'Herbelot» und Kuschel 1998. S. 246.

(مارين: «تاريخ صلاح الدين، سلطان مصر وسورية»)

Thomas Möbius: Erläuterung zu Gotthold Ephraim Lessing «Nathan der Weise». (616 Holfeld 2005. S. 73. (ينظر إلى توماس موبوس: «شرح لمسرحية غوتهولد أفرام لسنغ «ناتان الحكيم»، هولفيلد

2005، ص 73.)

Kuschel 2004. S. 104. (ينظر إلى كوشل 2004، ص 104.) (617

لذلك نرى أن الصفات العديدة والغير اعتيادية التي جسدها لسنغ في شخصية المرأة المسلمة سبباً كان لها وقع في إثارة إنتباه جمهور النقاد والقراء والمُشاهدين تجاهها، حيث استطاعت الأميرة سبيتا كإمرأة مثقفة ولها باع في حقل السياسة أن تلعب دوراً بارزاً ومثيراً وحاسماً كلاعبة ماهرة في لعبة الشطرنج وكمستشارة سياسية بارعة لشقيقها صلاح الدين من خلال النصائح التي كانت تقدمها له خلال مناقشاتها معه للوضع السياسي والمالي للدولة وقيامها بدفع تكاليف مصاريف البلاط من الأصول الخاصة بها.

إن الخبرة والذكاء جعلتها تكون أماً جريئة بتقديم النصيحة لشقيقها صلاح الدين بإستدعاء التاجر اليهودي الغني ناتان لاقتراض المال منه وتجاوز الازمة المالية التي يمر بها السلطان في تلك الايام بسبب توزيع الأموال على الفقراء والمحتاجين، ودفعها قناعتها أن تطلب من رئيس الخزانة (الحافي درويش) أن يقدم لها تقريراً عن التاجر اليهودي ناتان وثروته، حيث يتبين ذلك من خلال حديثها مع صلاح الدين:

صلاح الدين: «إنه يتاجر، كما سمعت.

سبيتا: لقد أخبرني الحافي بأن ماشيته تملأ الشوارع ويمكن رؤيتها في كل مكان حتى في الصحاري، وسفنه راسية في الموانئ. واضاف بكل بهجة وسرور قائلاً بأن صديقه نبيل، وكم هو كبير. كذلك يمتاز بالذكاء والمرح بالنسبة لشخص صغير غير محترم، كما إن روحه غير منحازة، وقلبه منفتح للفضيلة، ويشارك في كل شيء جميل». («ناتان الحكيم»، ف2، م3)

يمكن للمرء أن يلاحظ أن الكاتب جعل ثقة سبيتا بنفسها تنمو تدريجياً، بحيث أكتسب فهمها الهادئ والسريع للظروف والأحداث السياسية وتفكيرها الإنساني المتسامح تجاه الفقراء مصداقية المتلقي. ويظهر ذلك جلياً في حديثها مع السلطان صلاح الدين حول التاجر اليهودي ناتان وتقديم النصح له بعدم استخدام القوة المفرطة لتأمين استقرار الدولة ومعاملة الناس المستضعفين برفق بعيداً عن الإحتقار والاستهتار:

صلاح الدين: «ولكن لايمكن أن تأخذي ما يخصه بالقوة يا أختاه؟

سيتا: نعم. ما الذي تقصده بالقوة؟ بالنار والسيف؟ لا ... لا. بماذا يفيد استخدام القوة مع الضعفاء أكثر من ضعفهم؟» («ناتان الحكيم»، ف2، م3)

إن التأثير المباشر للأميرة سيتا على اللقاء الحاسم لشقيقها السلطان صلاح الدين مع اليهودي ناتان بدى واضحا تماما في الفصل الثالث من أحداث هذه المسرحية، رغم أن صلاح الدين كـ «فاتح» منتصر يستطيع أن يحدد ويحسم نتائج اللقاء، لكنه سمح لشقيقته سيتا أن تكون مستشارة له وتشارك في المفاوضات السرية لإسلوها التكتيكي ودهائها وما تمتلكه من حكمة في إدارة النقاش، علما بأنه قد أوضح لها مسبقا كيف سيتعامل مع التاجر اليهودي ناتان للحصول على الدعم المالي الممكن الذي يحتاجه منه:

صلاح الدين: «إني أرغب باغتناء الشيء الناعم، فالشيء المدبب ينكسر بيدي الجبارة، شيء يتم تنفيذه كما تم اختراعه بكل خفة ودقة وذكاء ... لو إني كنت هكذا لكنت سأفرح قدر ما استطعت ويكون حالي حين ذاك أقرب إلى السئ منه إلى الجيد.

سيتا: لا تقلل من الثقة بالنفس، ساقف إلى جانب إذا ترغب، الرجال أمثالك يرغبون في الحديث هكذا ... فقط سيفك، سيفك فقط يكفي لهم الذي تجاوز كل الحدود. بالطبع ان الأسد ينجل عندما يصطاد مع الثعلب ... انها حيلة الثعلب.

صلاح الدين: وستكون النساء مسرورات حين يغلبن الرجال ... أذهبي ... أذهبي ... أعتقد بانني استوعبت الدرس.

سيتا: ماذا؟ ينبغي أن أذهب»

صلاح الدين: إنك لا ترغين بالبقاء اليس كذلك؟

سيتا: لم لا سأبقى قريبة عنك في الغرفة المجاورة.

صلاح الدين: تسترقن السمع؟ لا ... لا تفعلي يا اختاه ... ينبغي أن أصر على ذلك .. امضي ... امضي الستائر تسترق السمع ... لقد وصل ... وانت لا تستطيعين المكوث هنا! سأطلع اليك». («ناتان الحكيم»، ف3، م4)

6- الأميرة سيتا - الثناء على السيد المسيح وإنتقاد المسيحيين

كان هدف الكاتب المسرحي الألماني الشهير لسنغ من عرض الحوارات بين الشخصيات المسلمة - صلاح الدين مع شقيقته سيتا - ليلفت عناية المتلقي - الناقد والمشهد للمسرحية - إلى تقييمه للمرحلة التاريخية في حياة المسلمين التي تتمثل بالمساواة بين الرجل والمرأة التي أقرتها التعاليم الإسلامية ودورها الفاعل ومشاركتها في الحياة السياسية، في الوقت الذي كانت فيه المرأة الأوروبية مهمشة ودورها في الحياة الاجتماعية والسياسية غائب تماما. ولذلك، يقول (كوشل)، عرض لسنغ الأميرة سيتا «كأمرأة أكثر نشاطا وحيوية وذكاء ولها القدرة على وضع الخطط، باختصار: امرأة ذكية ومثقفة سياسيا لا يمكن للسلطان الاستغناء عنها».⁶¹⁸

حيث لم يحيد لسنغ عن الالتزام بالتقاليد الإسلامية وخاصة العربية منها التي تقضي بجلوس النساء في جناح الحريم المخصص لهن عندما يأتي زائر إلى القصر، ولذلك جعل السلطان صلاح الدين أن يطلب من شقيقته سيتا الدخول إلى جناح الحريم وألا تبعد كثيرا عن صالة الاستقبال، وعليها البقاء في الغرفة المجاورة لتستمع إلى الحديث الذي سيدور في لقاء مع التاجر اليهودي ناتان.

يبين لسنغ في سياق قصة العمل المسرحي لـ«ناتان الحكيم» بأن الأميرة سيتا امرأة لديها رؤية واسعة وفاحصة يغلب عليها الجانب الإنساني في معالجة المواقف، ويتضح ذلك جليا من خلال ردة فعلها عندما كشف اليهودي ناتان بأن ريشا بنت مسيحية الأصل تم تبنيها من قبله وهي صغيرة، فأبدت سيتا استعدادها لاستقبالها والترحيب بها بكل سرور في قصر أخيها السلطان.

أما من ناحية تعاطيها مع القضايا السياسية والإنسانية فكانت تتصرف كأمرأة مسلمة بحزم وبعطف وحسب ما يستدعي الموقف، فحين عرفت بأن ريشا وفارس المعبد أخوة في حقيقة الامر ذهبت اليهم فجأة وهي مسرورة لتحبيهم. وهنا تتضح براعة الكاتب من

(618) Kuschel 2004. S. 106. (ينظر إلى كوشل 2004، ص 106).

خلال طرح الفكرة وتتابع الأحداث في مجال الدراما التحليلية للوصول إلى المغزى الحقيقي الذي يتوخاه في نهاية العمل المسرحي، حيث يتبين بعد ذلك بأن ريشا وفارس المعبد ليسوا اخوان فقط وإنما أبناء الرجل المسلم (أسد) شقيق السلطان صلاح الدين والأميرة سيتا، للذان يمثلان الآن العم والعمة بالنسبة لأبناء أسد.

ولذلك كانت ردة فعل سيتا عند سماعها الخبر من اليهودي ناتان في الفصل الأخير مذهلة جدا حين قالت: «ماذا اسمع؟ هل يمكن أن يكون هذا ... هل هناك شيء آخر». (الفصل 5، المشهد الأخير)

أما ما يخص الجانب الديني للمرأة المسلمة، فلا يرى المتلقي في شخصية الأميرة سيتا بأن هناك ممارسة للشعائر الدينية على الرغم من انها تعد من استراتيجيات لسنغ التي اراد من خلالها أن يعكس علاقة المسيحيين مع الناس الآخرين ليس من خلال المسيحيين انفسهم وإنما من خلال ما تجود به شخصية المرأة المسلمة على وجه التحديد.

وبهذه الطريقة، يقول (كوشل)، استطاع لسنغ أن يضع المسيحيين أمام مرآة النقد المباشر استنادا إلى رؤيتهم المبنية على احتقار المسلمين والاستهانة بهم، وتم في المقابل أيضا اجراء تقييم لوجهة نظرة المسلمين تجاه هذه المواقف المتشددة.⁶¹⁹

ولهذا جعل لسنغ شخصياته المسلمة - صلاح الدين وسيتا - يتجاذبان اطراف الحديث حول الديانة المسيحية وامكانية التصاهر بين المسلمين والمسيحيين، تماما كما أوضحنا ذلك للقارئ في الفصل الثالث من هذه الدراسة ما يتعلق بأمنية السلطان صلاح الدين في هذا الجانب وقصة خطوبة أحد اولاده عام 1173 من ابنة القيصر الألماني فريدريش بارباروسا، ومشروع زواج شقيقه الملك العادل من (يوهانا) أرملة ملك جزيرة صقلية وشقيقة الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد، وكذلك كما قرأنا في الأدب الغربي أيضا رغبة الأميرة سيتا بالزواج من شقيق ريتشارد، وهذا ما يؤكد لنا اطلاع لسنغ المفصل على السيرة الذاتية للشخصيات الإسلامية في المسرحية بحيث تجاوزت هذه المعرفة ما وجده من معلومات

(619). Kuschel 2004. S. 107. (ينظر إلى كوشل 2004، ص 107).

في مؤلفات الكاتيين الفرنسيين (فولتير) و(مارين)، وكما عرضه في حديث صلاح الدين مع شقيقته سيتا:

صلاح الدين: «هكذا نلعب بكل نشاط. هل تعين انها ستبدأ مرة أخرى؟ ربما لم أسحب أي شيء في البدء. إذ إنني أرغب بتمديد الهدنة من جديد لو استطاعت شقيقتي سيتا أن تجد لها رجلا مناسباً، ويجب أن يكون هذا الرجل أخا لريتشارد، إنه بالفعل شقيق ريتشارد».

(ف2، م1)

استطاع لسنغ من خلال العرض الفني الرائع لأمنيات شخصيته الرئيسية المسلمة صلاح الدين أن يعطي للجمهور متسعا من الوقت ليشارك السلطان بحلم الزواج بين المسيحيين والمسلمين في تلك الفترة الموعلة بالقدم في الوقت الذي ترك الأميرة سيتا تعبر عن رأيها بشأن الشروط الدينية التي تحول دون ذلك. ولتبرير هذه الحجة في سياق التعاليم الإسلامية في القرآن تجاه السيد المسيح وتصرف المسيحيين، قالت سيتا في حديثها مع صلاح الدين ما نصه:

سيتا: «هل أضحك بسبب هذا الحلم الجميل؟ إنك لا تعرف المسيحيين ولا تريد أن تعرفهم، إنهم يفتخرون كونهم مسيحيون وليس لكونهم بشرا فقط. ويحبون ما تقوم به مؤسساتهم الدينية من تجميل لمعتقداتهم الدينية، ليس لأنها أكثر إنسانية، بل لأنهم يعلمون ما جاء به المسيح - لان المسيح عمل لصالحهم، فهم يستطيعون ان يأخذوا منه الفضيلة والمعتقد، ولكن ما هي الفضيلة؟ ليس فضيلته، يعملون من أجل أن ينشر اسمه في كل مكان، وأن تشوه وتبتلع اسماء الناس الخيرين، انهم يعملون من أجل الاسم فقط». (ف2، م1)

إن تطرق رائد حركة التنوير لسنغ إلى موضوع نقد المسيحيين والثناء على ما جاء به السيد المسيح وطرحه للمشهد على لسان الشخصيات المسلمة أراد منه أن يفصح أمام كل الناس ومن مختلف الطبقات الاجتماعية في المجتمع الأوروبي حقيقة التصرفات والسلوك غير اللائق والمخالف لتعاليم الديانة المسيحية وفضائل السيد المسيح لرجالات الكنيسة في تلك الفترة من خلال حوار الأميرة سيتا مع شقيقها صلاح الدين الذي كان متفائلا جدا

ويجلم بان تكون هناك رابطة دم حقيقية بين المسيحيين والمسلمين لتجنب اراقة الدماء بينهما كما صورته لسنغ.

وعليه يقول (كوشل): «إن هذا التناقض في الشاء على السيد المسيح وانتقاد المسيحيين مشهود عليه في القرآن، وان لسنغ يعرف ذلك جيدا، حيث ذكر المسيح في السور القرآنية بقدسية، وهناك 108 آية قرآنية تشير اليه، وعيسى في القرآن هو اسم المسيح في اللغة العربية».⁶²⁰ قال تعالى:

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا (20) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلْنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (21) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (22) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا (23) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا نَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24) وَهَزِي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقُطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا (25) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (26) فَاتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27) يَا أخت هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا (28) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (33) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34)﴾ (مريم 16: 19-34)

واستنادا إلى وصف الله تعالى للسيد المسيح في القرآن، هذا الوصف الذي اطلع عليه المسلمون وفهموه وآمنوا به، أشار لسنغ إلى النظرة العقائدية الدينية الاستعلائية للمسيحيين المعاصرين له تجاه المعتقدات الأخرى، مؤكدا على أن المسيحيين يحبون الناس معتنقي

(620) Kuschel 2004. S. 108. (ينظر إلى كوشل 2004، ص 108).

الديانة المسيحية فقط ويحتقرون الآخرين الذين يؤمنون بالديانات غير المسيحية، وبذلك فهم يتعدون كثيرا عن فضائل وعقيدة السيد المسيح. وهذا التوجه في الماضي ينسحب في طبيعة الحال على تفكيرهم وتصرفاتهم تجاه المسلمين في الوقت الحاضر، وكما جاء في قول استاذ علم اللاهوت الألماني (كوشل):

«يريد المسيحيون أن يفرضوا معتقداتهم على أتباع الديانات الأخرى، بدلا من أن يحيا فضائل نبيهم. لكن هذه الممارسة في نشر الديانة المسيحية من شأنها أن تلحق الضرر باسماء كل الشخصيات الفاضلة الأخرى، نعم وتفترسهم، ذلك لأنها لا تشتمل على حب الناس الآخرين وفقا لروح السيد المسيح التي تدعو للتعايش مع الديانات الأخرى.

أليست هذه هي ممارسة المسيحيين التي يراد منها السعي لتحقيق اندثار وجود المعتقدات الأخرى من خلال الارتداد والتعميد، وبالتالي اكمال حقيقة أن الدين المسيحي هو الدين الحقيقي بلا منازع».⁶²¹

لذلك نرى أن المصالح الدينية والسياسية أصبحت من ضمن أولويات عمل الطبقة المسيحية الحاكمة منذ زمن الحروب الصليبية، رغم إنهم يعرفون جيدا بأنهم يتصرفون خلافا لإرادة نبيهم وتطلعات شعوبهم. وعليه تقول «صحيفة برلين» في نعيها للأديب لسنغ وكما ورد في كتاب (هانز فريدريش) بأن «ما قدمه (لسنغ) من خدمة في مجال الأدب سيبقى يحظى باحترام وثناء المانيا المستنيرة على مر الزمن».⁶²²

أتضح للأديب الألماني لسنغ، من خلال قراءته لمخطوطات وتفسير الأديان السماوية الثلاثة - اليهودية والمسيحية والإسلام -، بأن الله سبحانه وتعالى خلق جميع الكائنات منذ بداية الخليقة وقد فضل الإنسان عليها بدون استثناء وبغض النظر عن المعتقد الذي يؤمن به، وجعله ينادى باسم إنسان تعبيرا عن إنسانيته وأدميته التي يجب ان يتصف بها، ولذلك

(621) Kuschel 2004. S. 108. (ينظر إلى كوشل 2004، ص 108).

Hans-Friedrich Wessels: Lessings «Nathan der Weise» – seine Wirkungsgeschichte (622 bis zum Ende der Goethezeit. Königstein 1979. S. 89. (هانس فريدريش فيسيلس: لسنغ «ناتان

الحكيم» - تأثير تاريخه حتى نهاية عصر غوته. كونغشتاين 1979، ص 89).

أمر الله سبحانه وتعالى في كتبه السماوية الناس بأن يحب بعضهم بعضا. فحين خلق الإنسان من نطفة أو تراب وأعطاه السمع والبصر ليختبره فيما جاحدا أو شكورا.

وهذا الامر يحدد ويثبت من خلال التزام الفرد في تصرفه وتعامله الحسن مع الناس في محيطه، وفي النهاية سوف يعاقب السيئون - أعداء الله والإنسانية - ويكافأ الطيبون المؤمنون بالله والإنسانية. حيث وجد لسنغ وعد الله هذا للناس في آيات سورة «الإنسان» في القرآن الكريم التي تؤكد على هذا المنطق وتقره:

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا (1) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (3) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (4) إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (5) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (6) يُوفُونَ بِالْذِّكْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (7) وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8) إِنَّا نَنْطَعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (10) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (11) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَخَرِيرًا (12) مُتَكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا (13) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (14) وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ (15) قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا (16) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (17) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (18) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنُورًا (19) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلَكًا كَبِيرًا (20) عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (21) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا (22) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا (23) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا (24) وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (25) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (26) إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا (27) نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا (28) إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (29) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا

حَكِيمًا (30) يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾ (القرآن: سورة الإنسان، الآيات 1-31)

إن الدرس التربوي العظيم الذي علمنا إياه لسنغ من خلال مسرحية التسامح «ناتان الحكيم»، والتي استوحى أكثر افكارها من تعاليم الإسلام، وما أراد أن يقوله، بأن علينا أن لا نقوم بأعمال عدائية وشريرة ضد الآخرين نغضب بها الله والإنسانية، وعليه فقد بقي لسنغ على مر العصور نصبا تذكاريا حيا عائشا بيننا كرمز للحوار والتسامح الإنساني، والحقيقة، وحرية الضمير، والعدالة، والاخلاص لله، ذلك لأن مسرحيته «ناتان» تقدم للقارئ والمشاهد باستمرار القيمة الحقيقية للإسلام والأديان السماوية الأخرى، وعليه تعد نموذجا حيا لـ «جراة» الكاتب في دراسة وتحليل واختبار الظواهر الدينية وتفنيدها.

إن المنافع والحقائق العلمية العملية الكثيرة التي جسدها لسنغ في شخصيات مسرحيته «ناتان الحكيم»، الذين جمعت بينهم رابطة الدم الإسلامية في نهاية العرض المسرحي، لم يكن قد عرضها بهذه الروحية في اعماله المسرحية السابقة، وأظهر قناعة متزنة بتبسيط وعدم تجزأة الحقيقة «للفكر السليم» في الدعوة إلى معرفة العقيدة الدينية الحقيقية، بحيث بينت مسرحيته الشعرية النمو الايجابي في مجال الادراك والفهم للإنسانية المتساحمة في التطبيق العملي بعد أن نجح في التغلب على الافكار والتحيزات والاحكام الاجتماعية والدينية المسبقة تجاه الديانات الأخرى التي كانت سائدة في المجتمع الكنائسي الأوروبي ليتعرف على حقيقة العالم الطبيعي.

إن الخلفية التاريخية للحروب الصليبية التي ضمنها لسنغ للعمل المسرحي تشير إلى العلاقات الاجتماعية بين الاشخاص كمجموعة وتعطي للشخصيات طابع تاريخي شهير، والذي اعطى بدوره للقصة الدرامية قيمة حقيقية. أما فيما يتعلق بالإسلام، يقول الكاتب (هانز فريدريش فيسيلس) ان الاديب لسنغ ربط العناصر التاريخية بروعة لقاء الامم المختلفة والاقرباء في الدين في مسرحيته «ناتان الحكيم».⁶²³

Ebd. S. 64 u. 228. (623) (ينظر إلى المصدر السابق، ص 64 و228).

وبناء على ما تقدم يجب التذكير هنا، بأن الموقف الايجابي لرائد حركة التنوير لسنغ من الدين والفكر الإسلامي ورأيه بالديانات الأخرى كاليهودية والمسيحية أضحى لا يتفق اليوم مع آراء الباحثين والمختصين في مجال الأدب الألماني الحديث، الذين يعدونه واحدا من انصار «الماسونية» ومؤيدا لها ويستعيرون له الالقاب كـ «ماسوني» Freimaurer في كتاباتهم وبحوثهم، دون أن يكلفوا أنفسهم للبحث عميقا في الموروث الأدبي للكاتب والأديب الشهير لسنغ ليكتشفوا عن كذب أية شخصية إنسانية طبيعية يمتلك هذا الرجل واي اتجاه ديني يمثل، اذا ما أخذنا بنظر الاعتبار بأن لسنغ لم يقصد في كتاباته الترويج للماسونية كاتجاه ديني بحث يجب اعتناقه والاقتراء به، حسب قوله، وإنما استعار هذا المصطلح من التقارير التي كانت تصله مكتوبة باللغة الإنجليزية وضمنه لبعض اعماله الأدبية ولم يكن يقصد به «الماسونية» وإنما «الجرأة» و«الصراحة» في التعبير عن الرأي، ذلك لأن كلمة «حر» Free في اللغة الإنجليزية لم تكن تعني له «حر» فقط وإنما «السلاسة» و«الانتظام» الفكري أيضا، والتي استطاع من خلالها أن يكون «صريحا» في التعبير عن رأيه دون تردد في قول «الحقيقة» ومنها حقيقة الأديان السماوية الثلاثة - اليهودية والمسيحية والإسلام - حيث كانت لديه وجهة نظر لم تتغير في التعبير عن «حرية» و«تحرير» الإنسان من قيود عبودية المسيحية المعاصرة له.

يقول لسنغ: «لاحظت في صحيفة «أخبار الصراحة»، الصفحة 147، في بداية السنة الثانية من صدورها بأن الكلمة الإنجليزية «ماسون» تعني «نحات الحجر»، وإن كلمة «حر» لا تعني فقط «حر» وإنما «سلس» و«منتظم» أيضا، ولقد نسيت، لأي سبب تمت الإشارة لهذه الكلمة هنا، وهل تستحق من الجهد أن أفتش عنها مرة أخرى». ⁶²⁴ واستنادا لهذا التصريح لا يمكن للمرء القول بأن لسنغ كان «ماسونيا»، والصحيح انه كان «صريحا» في طرح أفكاره وايصالها إلى الجمهور الألماني والإنسانية جمعاء رغم كل المخاطر والتحديات التي كانت تواجهه.

Lessing W. Bd. 8. S.389. (624) (لسنغ: «أعمال»، البند 8، نشر من قبل هيربرت ج. غوبفرت، ميونخ 1970 -

1979، ص 389).

إن القارئ لمخطوطة لسنغ الدينية الفلسفية «إنقاذ السيد كردانيوس» والمشاهد لمسرحيته «ناتان الحكيم» (الفصل الثاني/ المشهد الاول) سيلاحظ بكل وضوح انتقاده لموقف المسيحيين السلبي في الغرب تجاه المسلمين في تلك الفترة، ومن خلال الحوار بين الشخصيات الفنية لأعماله الأدبية.

وجاء ذلك مقرونا بشهادة الدكتور (كوشل) استاذ علم اللاهوت في جامعة توبنغن الألمانية الذي اقتبسنا منه نقلا عن لسنغ ما نصه: «لكن هؤلاء المسيحيين لا يسمحون بالحب إلا بين المسيحيين انفسهم، ومن يريد أن يحب من قبل المسيحيين يجب أن يكون مسيحيا قبل ذلك».⁶²⁵

وهذا ما وثقه لسنغ تاريخيا ودينيا منذ الخليقة على لسان شخصيته المسلمة سيتا التي اشارت إلى بداية الخليقة الإلهية التي سبقت تاريخيا وحي الديانات السماوية. حيث يقول (كوشل): «من الواضح ان لسنغ كان يعي جيدا ماذا يفعل. ومن السهل الملاحظة هنا انه عرض اهتماماته الدينية الخاصة من خلال الرداء الإسلامي».⁶²⁶

ويتجسد هذا الرأي في مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم» حين عرض بمفهوم البعد الديني والسياسي والعلاقات العائلية وجود شقيقة للسلطان المتمثلة بشخصية الأميرة سيتا وماهية الاتحاد الروحي الواضح بين الاشقاء في ممارسة الرحمة التي تنص عليها تعاليم الدين. حيث قصد لسنغ تقديم المرأة المسلمة سيتا للجمهور وجعلها تقول بأن القناعات الدينية ممكن أن تقود الإنسان إلى الوحشية.

يقول (كوشل): «ان الإيمان بمعتقد المسيح لا يجعل الإنسان إنسانيا، وإنما قاسي القلب، ومتهورا، نعم وعنيفا». وعلى عكس ذلك، «وثق لسنغ بكل وضوح وفي اماكن كثيرة قناعته بأن المسلمين ممكن أن يكونوا دعاة ومدافعين عن العقل والإنسانية». وهذا يعني «بالنسبة له أن المفهوم الحقيقي للمسيحية لا يعني توارث الخطيئة - الرحمة - سياق الخلاص، وإنما توارث الفضيلة»، يقول لسنغ: «ممارسة الحب والرحمة وفقا لروح النبي يسوع نفسه».⁶²⁷

(625) Kuschel 2004. S. 108. (ينظر إلى كوشل 2004، ص 108).

(626) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(627) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

والى جانب السلطان صلاح الدين والأميرة سيتا يستطيع المرء أن يتعرف أيضا في مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم» على شخصية اسلامية تجسد التسامح والزهد وروح التصوف في الإسلام متمثلة بشخصية (الحافي درويش).

ثانيا: شخصية الحافي درويش والخلفية الأدبية التي استند عليها لسنغ

1- معنى اسم الحافي درويش

جسد الحافي درويش، من الناحية الدينية في مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم»، الشخصية الزاهدة المتسامحة، وإن الخلفية الدينية لهذه الشخصية هو التصوف الذي يشير بشكل مباشر إلى مذهب الصوفية المعروف في الإسلام، والذي ألم به الكاتب المسرحي لسنغ. يقول (توماس باتريك هيوس) في مؤلفه «موسوعة الإسلام» 2000، بأن كلمة «درويш» جاءت من الفارسية وتعني «متسول». و«الحافي» كلمة عربية تعني «حافي القدمين».

فمن يريد أن يأخذ البعد التاريخي الديني لتسمية الحافي على محمل الجد يجب عليه أن يعرف أولا معاني الاجزاء التي يتكون منها الاسم في اللغة العربية. حيث يوجد في الإسلام، كما في المسيحية، تيارات دينية انقسمت لاحقا إلى اتجاهات دينية مذهبية مختلفة، واحدى هذه المذاهب الإسلامية هي الصوفية، مفردتها في العربية «صوفي» وجمعها «صوفية»، حيث يسمى بعض انصارها، يقول (هيوس)، بـ «ال دراويش» ومفردهم «درويش» بسبب إنهم عاشوا لدينهم فقراء، حيث تعني كلمة «درويش» التي جاءت من الفارسية بالراهب أو رجل الدين الزاهد الذي يبحث عن مرضاة الله.

واستخدمت هذه التسمية للتعبير عن الموقف الزاهد الثابت لأنصار الصوفية المجرد من الميول إلى اغتناء الممتلكات والاشياء المادية، لكنه من الضروري أن يفهم، بأن ليس كل ما يكتب حرفيا أو يقرأ ويقال عن تسمية «درويش» يعني «متسول» وإنما يتم استخدام هذا المصطلح أيضا كرمز أو دلالة على حقيقة الشخص الذي يقلد الطريقة الصوفية في العبادة

ويعترف بضعفه وفقر حاله امام كنوز الرحمة التي يمتلكها الله تعالى، والتي تعني في مفهوم الرمزية الصوفية بأن هناك عتبة بين الاعتراف بالعالم الدنيوي وعالم الآخرة الإلهي.⁶²⁸

2- الحافي درويش - مذهب الصوفية ونظرية الفيلسوف الهولندي شبينوتزا

يقول (هويس) في مؤلفه «موسوعة الإسلام» إن واحدة من تعاليم الصوفية تقضي بأن «الله مالك الوجود، وهو موجود في كل الأشياء، وكل الأشياء تتجسد فيه».⁶²⁹ وإن ذلك يتفق مع ما جاء في القرآن (سورة 50، الآية 16) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَا تَوْسُوسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (16)﴾، حيث تمت معالجة هذه العقيدة القرآنية ودراستها من قبل الفيلسوف الهولندي (شبينوتزا) ونشرت على اساس انها نظرية فلسفية من اكتشافه مفادها: «الله كل شيء، وكل شيء الله»⁶³⁰، والتي تم تأييدها في وقت لاحق من قبل الفيلسوف الألماني لسنغ بإشارة إلى القرآن.

ولكن «رغم دراسة لسنغ للتتاج الأدبي للفيلسوف الهولندي الموثقة تاريخياً»، يقول (فيسيلس)، «فانه يبقى قبل كل شيء مدافعا عن مبادئ الدين الطبيعي».⁶³¹ لذلك نجد أن لسنغ اشتق اسم شخصيته المسلمة الحافي في مسرحيته «ناتان الحكيم» من هذه التسمية لأنه يعرف تماما بأن الصوفية في الإسلام تعني «النقاء» و«الحكمة».

وهذا هو السبب الذي جعل لسنغ يعطيه دور أمين الخزانة الصادق للسلطان صلاح الدين الأيوبي، والذي يتفق مع ما عرضه (هويس) عن الصوفية في معجمه «موسوعة الإسلام» الذي جاء فيه:

«تعني كلمة صوف في العربية «الصوف»، وفقا لثياب الصوف التي كان يرتديها الكثير من الزاهدين المسلمين، أما كلمة «صفو» فتعني «النقاء» كإشارة إلى هدف انصار مذهب

Thomas Patrick Hughes: Lexikon des Islam. München 2000. S. 111, 683. (628)

(ينظر إلى توماس باتريك هويس: «موسوعة الإسلام»، ميونخ 2000، ص 111 و 683).

Ebd. (629) (ينظر إلى المصدر السابق).

Schilson 1974. S. 216. (ينظر إلى شيلسون 1974، ص 216.) (630)

Wessels 1979. S. 108. (ينظر إلى فيسيلس 1979، ص 108.) (631)

الصوفية للوصول إلى «النقاء» الميتافيزيقي، و«صوفيا» في اليونانية تعني «الحكمة»، و«صوفا» اسم قبيلة عربية في زمن الجاهلية، والتي تركت الحياة الدنيوية وتفرغت لخدمة دار العبادة في مكة. وانقسم الصوفيون إلى طوائف لا حصر لها وأخذوا يعبرون عن انفسهم في مجاميع مختلفة من الفقراء وال دراویش، ورغم انهم يختلفون في التسمية والعادات الدينية لكنهم يتفقون تقريبا في جميع الاهداف الاساسية لدينهم».⁶³²

يرى الصوفيون، يقول هويس (ص 683)، بأن الله موجود في جميع الاشياء المرئية وغير المرئية وحسب ما ذكر في القرآن، وهم يؤمنون بالإسلام كأول وآخر الديانات السماوية، وإن الله وحده الذي يحدد في النهاية المؤمنين والسيئين واعد لهم الجنة ثوابا والنار عقابا، وإن عملية تنقية النفوس التي لم تكن على استعداد لتتوحد مع المشيئة الإلهية تتم من خلال تجوال وتقمص الروح، حيث يكون عملها الرئيسي هو «التأمل الفكري العقلاني بوحدانية الله»، والذي استخدمه فيما بعد الكتاب الأوروبيين الذين يؤمنون بعقلانية الفكر الحر ومن بينهم الفيلسوف الألماني لسنغ كواحد من المواضيع الروحية الرئيسية لحركة التنوير الأوروبية في القرن الثامن عشر.

ولهذا السبب تم استخدام تسمية الحافي درویش في الكثير من الأعمال الأدبية الألمانية والأوروبية.⁶³³ لذلك كتب (هويس) أيضا عن التعاليم الاساسية للصوفية في الإسلام ما نصه:

«1. الله مالک الوجود، وهو موجود في كل الأشياء، وكل الأشياء تتجسد فيه. 2. كل الاشياء المرئية وغير المرئية هي انبثاق من الله وليست مختلفة حقا عنه. 3. الديانات السماوية هي الامكانيات التي تقود الإنسان إلى الحقائق ليس إلا. 4. الله هو المؤلف الحقيقي لجميع

(632) Hughes 2000. S. 683. (ينظر إلى هويس 2000، ص 683).

Beleg dazu bei Christoph Martin Wieland: Geschichte des weisen Danischmend (633 1775. R. H. Farquharson: Lessing's Dervish and the Mystery of the Dervish- «Nachspiel», in: Lessing Yearbook 18 (1986), S. 47-67. Schon früher: D. von König: Natürlichkeit und Wirklichkeit. Studien zu Lessings «Nathan der Weise». Bonn 1976. S. 50-66. und E. Schmidt: Lessing. Geschichte seines Lebens und seiner Schriften. Berlin 1892. S. 542-

547. (ينظر إلى كريستوف مارتن فيلاند: «قصة دانشمند الحكيم»، 1775، وغيرها من الاعمال).

الأنشطة البشرية. 5. إن الله هو الذي يحدد ارادة الإنسان، فالإنسان ليس حراً في تصرفه. 6. الهدف الحقيقي للصوفية ينبغي أن يكون الموت، ليتم بعد ذلك رجوع الروح إلى حضن الرحمن. 7. يتم من خلال هذا التقيص (التناسخ) تطهير الأرواح. 8. لا يمكن لأحد الوصول إلى درجة التطهير الروحي إلا برحمة من الله. 9. إن العمل الرئيسي للصوفية هو التأمل بوحداية الله وذكر اسم الله والتقدم في رحلة الحياة».⁶³⁴

وبالتالي يمكن للمرء أن يستنتج مما تقدم بأن حياة الصوفية المسلمين تعتبر أشبه برحلة البحث عن الله في الدنيا الواسعة، حيث يسعى المسافرون المؤمنون للحصول على كمال المعرفة عن الخالق، فهم يرون بأن روح الإنسان تكون في منفى من الله، بعد أن تم إبعادها عنه في زمن بدء الوجود الإنساني.

وعليه، يقول (هويس)، «أن الموت هو نهاية الرحلة للقاء الروح مع الخالق، ذلك لأن هدف مذهب الصوفية يؤمن بهدف وحيد مبني على أن الروح تمر في مراحل حين صعودها إلى الأعلى، للوصول إلى الهدف المنشود، والاتحاد الكامل مع الله».⁶³⁵ وعلى أساس هذا الفهم الروحي ينبغي على الإنسان أن يتخذ شرع الله دستوراً ويؤمن به حين يكون في رحلة البحث عن المعرفة الحقيقية للوصول إلى الهدف الذي يبتغيه خلال المراحل التي يجب أن يمر بها، والتي اتفقت عليها مراجع الصوفية، وكما مبين في معجم (هويس) «موسوعة الإسلام» الذي كتب يقول:

«إن المرحلة الأولى للوجود الإنساني تتمثل بـ(الإنصات)، والتي يتم فيها مراعاة كل قواعد الدين. المرحلة الثانية هي طبيعة الملائكة (الملوكوت)، ويمثل المسار الذي يقود إلى النقاء (الطريقة). المرحلة الثالثة هي امتلاك القوة (الجبروت)، الذي يمكن الوصول إليه عن طريق (المعرفة). المرحلة الرابعة هي الإبادة أي (الفناء)، وتعني الارتقاء بالإلهية التي تقود إلى (الحقيقة)».⁶³⁶

(634) Hughes 2000. S. 683. (ينظر إلى هويس 2000، ص 683).

(635) Ebd. S. 684. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 684).

(636) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

وتأسيسا على ما تقدم، يمكن أن نفترض بأن وحدانية الله وتطهير الروح هي الهدف الاساسي لتعاليم أنصار مذهب الصوفية في الإسلام، الذين يؤمنون بحقيقة انه ينبغي على المرء ألا يمتلك الثروة خلال مسيرة حياته، وأن يظهر تواضعه وسروره تجاه الله الخالق.

وبناء على ذلك عمل الكاتب لسنغ ليكون «صوفيا»، فعاش فقيرا طوال حياته، حيث عرض هذه الخصائص للقارئ والمشهد لكي يلاحظها من خلال الشخصيات الإسلامية مثل السلطان صلاح الدين، وسيتا، والحافي درويش على وجه التحديد، وليوجه انتقادا مباشرا للملوك والامراء ورجال الدين المسيحيين الذين كانوا يكتزون الثروات ويتركون الرعاية جياعا.

وهذا ما استوحاه لسنغ من كتب التاريخ وجسده في مسرحيته «ناتان الحكيم» خاصة حينما يرى المرء في عروض مشاهدها بأن خزانة السلطان صلاح الدين ليس فيها من المال ما يكفي لتغطية النفقات بسبب قيامه بتوزيع الأموال على الفقراء من الرعاية إلى الحد الذي جعل القائمين على جنازته يستعيرون كفنا لكي يدفن به، بسبب عدم امتلاكه للمال الخاص أو الثروة أيضا، التي كان يمتلكها الملوك في الشرق والغرب.

وكما لاحظنا في مشاهد المسرحية بأن شقيقته سيتا لم تملك المزيد من المال أو الثروة الخاصة التي تمتلكها الاميرات مثيلاتها، ذلك لانها قامت بصرف كل ما تملك من المال على ادارة شؤون الخدمات في بلاط اخيها السلطان، الامر الذي جعلها تقترح عليه استدعاء التاجر اليهودي ناتان ليستلفوا منه النقود التي كانوا بحاجة اليها.

3- الحافي درويش كشخصية كوميدية ومفتاح لأحداث العمل المسرحي

عرض لسنغ الحافي (درويш) كشخصية مضحكة ومثيرة للسخرية تميل إلى الكوميديا الجادة، حيث عاش في حقيقة الامر حياة الفقر المدقع والتسول، الامر الذي جعله يتردد دائما على بيت التاجر اليهودي ناتان، ونتيجة لوضع الحافي وامانته تكونت علاقة صداقة بينه وبين ناتان إلى درجة انها أمسيا يلعبان الشطرنج سوية. وبما أن السلطان صلاح الدين يعرف عن أمانة هذا الرجل وزهده في الحياة فقد عينه لاحقا كأمين لخزانة الدولة.

واستنادا لهذا الطابع الديني الاستثنائي وخصائصه تطورت صفات التسامح والفضيلة للشخصيات الإسلامية كمحاور رئيسية ومهمة تتلائم وفكر حركة التنوير الأوروبية، التي جسدها لسنغ بمفهومية واتقان عالي المستوى في مسرحيته «ناتان الحكيم».

حيث اتضح بأن لسنغ كان قد تطرق إلى الدور المسرحي والصفات الفاضلة للحافي درويش في ثلاثة رسائل وجهها إلى أخيه (كارل لسنغ) والتي اشار فيها كمختص في شؤون المسرح بأنه ركز في مقدمة مسرحيته «ناتان الحكيم» على أهمية علامات الترقيم أو التسلسل لكل الممثلين في افتتاحية المسرحية، والتي تعد من وجهة نظره العلمية والفكرية ضرورية في العمل المسرحي.⁶³⁷

إن هذا الوضع أو الحالة الفنية في العمل الدرامي قادت الكاتب لسنغ إلى الربط بين الأحداث التاريخية التي اطلع عليها واختار لها مكانا محددًا «مدينة القدس» لعرضها للمشاهدين والقراء، بحيث جعل الحافي يظهر كشخصية رئيسية ومفتاحا لأحداث القصة التي تحقق من خلالها الوفاء بجميع متطلبات العمل الدرامي التي ينشدها الكاتب لسنغ، ودور الحافي درويش كشخصية ساذجة ومنهزمة باتجاه الآخرة بسبب جهلها لما يدور في الدنيا، لكنها مريحة وفخورة ومتحمسة لذلك، والنند للتاجر اليهودي ناتان.

وتعد مهمة تعيينه أمينًا للخزانة - الدفتر دار كما يسمونه سابقا - نقطة تحول في حياته خاصة وأنه عرف فقط كيفية التعامل مع التسول بطريقة إنسانية. وهذا الأمر جعله يتردد كثيرا على ناتان ليخبره بأنه أصبح الدفتر دار وإن صلاح الدين بعثه إليه لكي يأمره بالمثل أمامه ليقترض منه المال.

قال الحافي لصديقه ناتان ما نصه: «اجلب الحقيقة في الحال مع الاكياس، الآن، المال الذي ستقدمه إلى صلاح الدين»، (ناتان 2 / 9)، مجسدا في حديثه مع التاجر، المعروف على مستوى العالم، الثقة بالنفس وجدية أمين الخزانة الموثوق به.

Vgl. Lessings Brief an Karl Lessing, Wolfenbüttel, den 15. Januar 1779. (Düffel (637 1972. S. 107f.). (ينظر إلى دوفيل 1972، ص 107 يتبع. كذلك رسائل لسنغ إلى كارل لسنغ، فولفنبوتل 15 كانون الثاني 1779).

ومن الواضح، يقول (كوشل)، أن مقصد لسنغ من اعطاء هذا الدور للحافي هو لإبراز القيمة الحقيقية لقصة الدرويش كمحرك ودافع نحو الامام لدور ناتان في العمل المسرحي.⁶³⁸ حيث كتب لسنغ لشقيقه صاحب المطبعة (كارل لسنغ) في رسالته الثانية حول ما يتعلق بنصوص حوارات الحافي في المسرحية قائلا: «سأسمح بطباعة جميع النصوص المتبقية التي تخص حوارات شخصية الحافي المكمل لدور ناتان وبنفس الطريقة المثبتة في المسودة، أما اذا رايت غير ذلك، فاعلم انه يستحق الجهد».⁶³⁹

وهذا يعني أن لسنغ حاول وبذل مجهودا سخيا ليجعل المسرحية في وئام بين العناصر التاريخية والعناصر الفنية الأدبية لخلق ايماءات مختلفة في إطار العمل الدرامي الفكري الإنساني التربوي الذي يتماشى مع فكر حركة التنوير والنقد الساخر للوضع السياسي والديني التاريخي في أوروبا بتلك الفترة.

استطاع لسنغ أيضا ان يجعل حركة الشخصيات في العمل المسرحي تسير في إطار علامات الترقيم التي وضعها لها ضمن تعاقب فصول المسرحية ومشاهدها التي جعل أحداثها تدور من خلال شخصية الحافي درويش الزاهدة والمرحة. وأشار لسنغ في الرسالة التي وجهها إلى شقيقه (كارل لسنغ) بتاريخ 16 آذار 1779 إلى معاناته حين كتب مسرحية «ناتان الحكيم» بعد أن جمع أفكارها من بين أمهات الكتب والمراجع الشرقية التي قرأها ليجسدها في هذا العمل من خلال جهد ومسؤولية كبيرة، قائلا:

«سوف لن تصدق كيف إنني كنت مكروبا، وسيكون مثارا للعجب حين لم يلاحظ أحد في عملي، تحت أي ضغط وقلق كتبته، وانا لا أعرف كم هي الصفحات التي ستصل إليها المسرحية، وإن ما أدليت به لا يمثل مطلقا مقدمة لها، وانما اضافات تمثلت بدور الدرويش، والأيضاحات المختلفة، والطروحات حول علامات الترقيم، فاما ان تكون جزءا ثانيا أو يتم الاحتفاظ بها لاصدار جديد».⁶⁴⁰

(638) Kuschel 1998. S.231. (ينظر إلى كوشل 8991، ص 231).

(639) Lessings Brief an Karl Lessing, Wolfenbüttel, den 19. März 1779. (Ebd. S. 109). (ينظر

إلى دوفيل 1972، ص 109 يتبع. كذلك رسائل لسنغ إلى كارل لسنغ، فولفنبوتل 15 كانون الثاني 1779).

(640) Lessings Brief an Karl Lessing, Wolfenbüttel, den 16. März 1779. (Ebd. S. 109).

4- الحافي درويش في عمل الكاتب الألماني فيلاند «قصة دانشمند الحكيم»

كان لسنغ و(كرستوف مارتن فيلاند) من أهم وألعب رواد الأدب الألماني الحديث في القرنين الثامن والتاسع عشر. يقول الكاتب (يان فيليب ريمتسما) في كتابه «لسنغ في هامبورغ 1766-1770» ما نصه:

«إن ما أنجزه لسنغ وقبل كل شيء في مجال المسرح وكتابة المقالات الخاصة بالنقد الأدبي والأدب التاريخي وكذلك في مجال الأدب الجدلي، قابله أيضا مساهمة فيلاند في انجازه لكتابة الكثير من الأعمال الأدبية منها الرواية والمقال السياسي والشعر الملحمي واشكالا من أدب الحوار وفن الأدب القصصي. حيث كان للأديبين مساهمات فعالة ومهمة في حركة تطوير الأدب الألماني الحديث. فعندما يريد المرء أن يثني على هذين الكاتبين يجب أن يأخذ بنظر الاعتبار تنمية وتطور الأدب الألماني وإنقطاعهما عنه».⁶⁴¹

يلاحظ من خلال المصادر أن لسنغ لم يكن الكاتب الأول أو الأخير الذي تناول قصة الدراويش في أعماله الأدبية، إنما أيضا معاصره الأديب الألماني (كرستوف مارتن فيلاند) - (1733-1813) - الذي كتب مؤلفه «قصة دانشمند الحكيم» الذي صدر عام 1775، تناول فيه قصة الدراويش قبل أن ينشر لسنغ مسرحيته الشهيرة «ناتان الحكيم» عام 1779، حيث عرفه لسنغ، يقول (كوشل)، «وتأثر به واستوحى منه شخصية الراهب المسلم الحافي درويش».

حيث يستطيع المرء من خلال المقارنة العلمية الأدبية بين أعمال كلا الأديبين ورائدي حركة التنوير الأوروبية في القرن الثامن عشر أن يستنتج بأن لسنغ استوحى جزءا من قصة الحافي درويش وفي ثلاثة فصول على أقل تقدير في مسرحيته «ناتان الحكيم» من عمل الكاتب (فيلاند) المشار إليه سلفا، إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أن قصة الصوفي درويش في عمل (فيلاند) قد تم تناوؤها تفصيليا وبشكل مختلف تماما عما هي عليه في مسرحية لسنغ «ناتان

(ينظر إلى دوفيل 1972، ص 109. كذلك رسائل لسنغ إلى كارل لسنغ، فولفنبوتل 16 آذار 1779).

Jan Philipp Reemtsma: Lessing in Hamburg 1766-1770. München 2007. S. 46. (641)

(يان فيليب ريمتسما: «لسنغ في هامبورغ 1766-1770»، ميونخ 2007، ص 46).

الحكيم» خاصة من حيث المحتوى، حسب (كوشل)، الذي يقول: «إن التكهّنات في هذا الموضوع ستكون مغامرة من ناحية الوجوب في الصيرورة. فبدل أن يثار الجدل حول المستقبل غير المكتوب للدرويش، يكون من الأفضل على المرء أن يقيم الحاضر المكتوب ويتمعن به».⁶⁴²

وبذلك نستطيع القول بأن لسنغ كان قد استفاد من التسمية والفكرة في شخصية الدرويش التي عرضها (فيلاند) في عمله، واطاف عليها الشيء الكثير من خبرته التي اكتسبها من خلال دراسة مراجع الاستشراق الإسلامية لكي يظهرها للمشاهد بهذه الصورة. ولكن مع ذلك يوجد هناك نوع من التشابه الذي يبدو مختلفا في لعب الادوار بكلا القصتين، فدور الدرويش المتسول وأمين الخزانة وصديق التاجر ناتان في مسرحية لسنغ يختلف نوعا ما عن دور الدرويش الراعي والحامي، والمشرّف الحنون على مذهب الدراويش، وصديق كالندر، حيث ظهر ذلك في الجزء (12) من «قصة دانشمند الحكيم» (لـ فيلاند)، التي جاء فيها ما نصه:

«... علاوة على ذلك فإن (الدرويش) صديق، أو بالأحرى راعي وحامي، ورئيس مذهب الدراويش، وإن آرائه اليومية التي يؤمن بها لا تجعله يتصرف بشكل سيء ضدنا... لقد عشت حياة الطفولة سعيدا على عكس ما يعيش المرء في هذه المرحلة، والفضل يعود إلى الدراويش الطيبين...»⁶⁴³

وتمت الإشارة أيضا في مصادر أدبية أخرى إلى أن لسنغ كان قد تأثر بعمل (فيلاند) حين بدأ يجمع أفكاره لكتابة اسم ودور الحافي درويش في مسرحيته «ناتان الحكيم». وهذا ما أكده الكاتب (هندريك بيروس) حين قال: «بقدر ما يتعلق الأمر باصل شخصية الحافي المتحدث، فقد اشار (اريش شمت) إلى عمل فيلاند «قصة دانشمند الحكيم» 1775».⁶⁴⁴

(642) Kuschel 1998. S.232. (ينظر إلى كوشل 1998، ص 232).

(643) Wieland: Geschichte des Weisen Danischmend 1775. C. M. Wieland: Sämtliche Werke, hrsg. von Hans Radspieler u. Neu-Ulm. Bd. 8. Hamburg 1984. S. 90ff.

(مارتن فيلاند: «قصة دانشمند الحكيم» 1775).

(644) Birus 1978. S. 154. (ينظر إلى بيروس 1978، ص 154).

5- لسنغ وقصة بشر الحافي الشخصية التاريخية الإسلامية

تعرف لسنغ عمليا على الشخصية التاريخية الشرقية بشر الحافي - ولد حوالي عام 767 م. بمدينة مارو (Marw) في الشرق، وتوفي نحو عام 840 م. في بغداد - في مؤلفات صديقه الحميم المستشرق الألماني واستاذ اللغة العربية الشهير (رايسكه). حيث كان بشر الحافي أحد اعضاء حركة الصوفية في الإسلام بتلك الفترة، والذي تم ذكره من قبل المستشرق (رايسكه) في مؤلفه «حوليات المسلمين» لأبي الفداء (البند 1، ص 1754، حسب (كوشل)، الذي يشير إلى أن لسنغ كان قرأ أيضا مؤلف «مكتبة الشرق» للمستشرق الفرنسي (بارتهولوم - هيريلوت) الذي يحتوي على مقال مطبوع عن بشر الحافي.⁶⁴⁵ وعلى هذا الأساس دون المؤرخون والكتاب معارفهم وانطباعاتهم وتعليقاتهم عن تاريخ الشخصية الإسلامية المتصوفة الحافي درويش التي عرضت مؤخرا في مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم»، والتي لا تتعارض مع الرأي السائد اليوم الذي دون حديثا في مجلد «موسوعة الإسلام» عن هذه الشخصية، والتي جاء فيها ما نصه:

«حين خير الحافي بين الله والدنيا اختار الله دون تردد، محتقرا كل أشكال الطموحات الدنيوية والانانية لذاته. وهو الذي بشر بالفقر، الذي ينبغي أن يكون مصحوبا بالصبر والاحسان، وهو القائل، انه اذا التقى في يوم من الأيام رجلا يعاني من البرد، ولم يجد وسيلة أخرى يساعده بها غير خلع ملابسه وتقديمها له، وبهذه الطريقة يكون قد عبر عن تعاطفه تجاهه واعطى مثالا على ذلك.

توفي الحافي وهو يرتدي قميصا كان قد استعاره، لأنه كان أعطى كل ما يملك إلى رجل فقير ... وكان ينفق الصدقات على الحج والجهاد، ذلك لأنك يمكن أن تعطي الصدقات في السر دون معرفة الآخرين بذلك».⁶⁴⁶

Man findet die Artikel von „Bishir al-Hafi« in: The Encyclopaedia of Islam« New Edition (645 Bd. I, Leiden/London 1960. S. 1244-1246. Ähnlich Kuschel 1998. S.234. Und bei J. van Ess: Theologie und Gesellschaft im 2. und 3. Jahrhundert Hidschra. Eine Geschichte des religiösen Denkens im frühen Islam. Berlin/ New York 1992. (ينظر إلى كوشل 1998، ص 234).

The Encyclopaedia of Islam. New Edition Bd. I. Leiden/ London 1960. S. 1244f. (646 Zitiert von Kuschel 1998 S. 234. (ينظر إلى «موسوعة الإسلام»، البند 1، لايدن / لندن 1960، ص 1244.

كذلك كوشل 1998، ص 234).

هذا الوصف لشخصية الحافي درويش الزاهد في الحياة، ينطبق أيضا على ما قرأه لسنغ عن الأيام الأخيرة في حياة السلطان صلاح الدين ويوم وفاته حين دفن في كفن تم اقتراضه له، لأنه لم يكن يوفر المال بسبب الزهد الذي عاشه في حياته. أما ما يتعلق بتاريخ الحافي في علم اللاهوت الإسلامي القديم فقد تم التطرق اليه من قبل المختص بالعلوم الإسلامية في مدينة توبنغن الألمانية الكاتب (جوزيف فون أس) في مؤلفه «اصول الدين والمجتمع في القرنين الثاني والثالث الهجريين» الذي يتكون من ستة أجزاء، والذي يلاحظ المرء فيه مدى التشابه بين سلوك وردة الفعل المتحفظة لبشر الحافي وبين ما جسده لسنغ في شخصية الحافي درويش بمسرحيته «ناتان الحكيم». يقول (جوزيف فون أس):

«عانى بشر كثيرا في المدينة التي عاش فيها. حيث يعتبر العيش في بغداد محرجا للبشر الذي يخشى الله. فما من مؤمن ينبغي أن يقيم فيها، كما سمع عنها. كان مدرسه ايراني، وهو ايراني أيضا، لم يمكث بشر هناك طويلا، لأنه كان يعتقد بأن المرء لا يستطيع أن يصلي هناك، ذلك لأن الارض مغتصبة. وهذا هو حديث الورع الذي كان معروفا للزاهد بشر وللكتيرين غيره لتلافي الوقوع بالخطيئة، وعليه يجب على المرء، كما يبدو واضحا، أن يحافظ على نفسه من المحرمات المحيطة به. وحسب وجهة نظر بشر فإن ذلك لا ينسحب بالضرورة على المدينة نفسها وإنما على الناس الذين يعيشون فيها، والذين مكث عنهم بشر بعيدا».⁶⁴⁷

وهذا الكلام يعني، بأن بغداد كانت خاضعة للاحتلال الفارسي في الزمن الذي عاش فيها بشر الحافي، وان الفترة المحددة لحياته بين 767 - 840 غير صحيحة، لأن بغداد في تلك الفترة كانت خاضعة للحكم العباسي، وهذا يعني، إن بشر كان قد عاش في بغداد، على أكثر تقدير، في فترة الاحتلال البويهي الذي دام (113) عاما بعد ضعف دولة الخلافة العباسية حين عدها ارضا مغتصبة.

وبناء على ما تقدم، يستطيع المرء أن يستنتج بأن هدف لسنغ من عرضه لشخصية الحافي درويش في مسرحية «ناتان الحكيم» كان واضحا جدا، وهو وضع حياة الترف والبذخ

Vgl. J. van Ess: Theologie und Gesellschaft im 2. und 3. Jahrhundert Hidschra. (647 Eine Geschichte des religiösen Denkens im frühen Islam. Berlin/ New York 1992. S. 105f. ähnlich Kuschel 1998. S. 234f. (جوزيف فون أس: «اصول الدين والمجتمع في القرنين الثاني والثالث الهجريين. تاريخ الفكر الديني في صدر الإسلام»، برلين / نيويورك 1992، ص 105 يتبع).

المعاصرة التي كان يعيشها البلاط الأوروبي أمام صورة الفكر وحياة الزهد والعفة للدراويش بالمجتمع الإسلامي في إطار الأفكار الفاضلة والعقلانية لحركة التنوير في تلك الفترة، والتي اخذت من الفكر الإسلامي الشيء الكثير.

بالإضافة إلى ذلك أراد لسنغ، يقول (كوشل)، أن يلفت عناية المشاهد والقارئ الأوروبي إلى أن الدراويش الصوفية في الإسلام قاموا بحركة كبيرة في القرنين الثامن والتاسع كمبادرة لتأسيس مذهب ديني رسمي على أساس القواعد والتعاليم الإسلامية في القرآن.⁶⁴⁸ حيث عكسوا في اتجاههم الديني الفاضل هذا الصورة النقية لمثل التسامح والإنسانية الزاهدة.

يقول (فريمبغن) في كتابه - «الدراويش. الصوفية الحية» - وبذلك جسد الصوفيون بطريقة خاصة، «مثل التسامح والإنسانية في الإسلام المتمثلة بمحبة الله والناس وتقديرهم للتجربة الصوفية للأديان الأخرى، حيث عبروا بذلك عن موقفهم اللبرالي المتسامح تجاه غير المسلمين».⁶⁴⁹ وفي هذا السياق أوضح استاذ علم اللاهوت الألماني (كارل جوزيف كوشل) في كتابه «من جدل إلى تنافس الأديان» ما نصه:

«في هذا التقليد تتمثل طبيعة الدراويش. حيث تتحدث المثل الحقيقية: كثيرا ما يتبع الصوفي الطريقة الصوفية باعتبارها الطريق الأمثل للوصول إلى الله وذلك من خلال الرؤية الفلسفية الدينية. وهكذا عاشها وطبقها الدراويش في كل ما يصل اليه وحتى في نمط حياته من خلال الالتزام بوصية الفقر قبل كل شيء، وأخيرا التسول.

وعلى النقيض مما عليه التصوف في المذهب الارثوذكسي فإن الدراويش في الإسلام يجب أن يتأثر بالفقر بشدة. بحيث يعكس فقر الدراويش المادي وشغفهم بالدين، وفي نفس الوقت حاجتهم إلى الله، غنى الله لهم».⁶⁵⁰

(648) Kuschel 2004. S. 99. (ينظر إلى كوشل 2004، ص 99).

(649) J. Frembgen: Derwische. Gelebter Sufismus. Köln 1993. S. 16. auch Kuschel S. 235.

(650) Kuschel 1998. S. 235f. (كوشل 1998، ص 235 يتبع).

وعلى هذا الاساس جسد لسنغ بحرفية عالية نمط حياة الدراويش هذه في شخصية الحافي بمسرحيته «ناتان الحكيم»، والتي وصف فيها الدراويش المتسول بالملك الحقيقي في النهاية، بقوله: «المتسول الحقيقي هو الملك الحقيقي فقط لا غيره».⁶⁵¹

6- زهد الدراويش في كتاب «وادي الزهور الفارسي» للمستشرق آدم أولياروس

نستطيع أن نستدل على قراءة لسنغ لمؤلف «وادي الزهور الفارسي» (1654) للمستشرق (آدم أولياروس)⁶⁵² من خلال ما كتبه الألماني (أرش شمت) في مؤلفه «لسنغ. تاريخ حياته ومخطوطاته» الذي يعتبر اثباتا لهذه الحقيقة، حيث يمكن من خلاله معرفة ما جسده الكاتب الألماني في مسرحيته «ناتان الحكيم»، حين قدم فيه للقارئ من الوصف العام ما نصه: «إن مؤلفات أفضل الكتاب مثل هيريلوت والسعدي «وادي الزهور الفارسي» كانت موضوعا امام الأديب لسنغ على طاولة قراءته. وهذه الكتب مليئة بالحكايات التي تعكس جواهر الكلام مثل «صيد الأسد مع الثعلب»، والمقارنات الحادة مثل «الأفضل ان يكون الامير نسرا»، والامثلة المتنوعة عن الحكمة في الحياة مثل «الاخلاق» و«الطرفة».⁶⁵³

رافق (أولياروس)، الذي عاش في الفترة من 03 - 1671 تقريبا، بعثة تجارية لهولشتاين وصف خلالها ليس فقط رحلاته إلى موسكو وإيران للاعوام من 33-1635 ومن 35-1639 وإنما نشر أيضا ولاول مرة عينات من الأدب الفارسي في ترجمة باللغة الألمانية.⁶⁵⁴ حيث يؤكد (كوشل) بان لسنغ قرأ اثناء انشغاله بكتابة مسرحية «ناتان الحكيم» مؤلف (آدم أولياروس) - (1599-1671) - بثقة عالية، والذي قام ببعثة تجارية من هولشتاين غوتروب إلى روسيا وبعد ذلك إلى بلاد فارس بتكليف من قبل الدوق فريدريك الثالث.⁶⁵⁵

(651) Lessing: NdW (II/9). (لسنغ: «ناتان الحكيم»، الفصل 2، المشهد 9).

(652) Vgl. Demetz 1966. S. 133. (ينظر إلى بيتر ديمتز 1966، ص 133).

(653) Erich Schmidt: Lessing. Geschichte seines Lebens und seiner Schriften. Berlin

S. 544. 1892. (أرش شمت: «لسنغ. تاريخ حياته ومخطوطاته»، البند الاول، برلين 1892، ص 544).

(654) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(655) Kuschel 2004. S. 100. (ينظر إلى كوشل 2004، ص 100).

وحسب (شمدت) فإنه كتب خلال سفره عام 1647 وصف بعنوان «الرحلة الشرقية الجديدة» التي عُدَّتْ من أهم مصادر تاريخ الأدب الروسي والفارسي، وبفضله أصبح عمل النثر الشعبي في الأدب الفارسي «حديقة الزهور» معروفا في ألمانيا، وهي نصوص كتبها الأديب الفارسي (سعدي) - حوالي 1215-1292 في روح كونية الحكمة الصوفية ونشرها (أوليافوس) بخط يده الشخصي عام 1654 في ألمانيا تحت عنوان «وادي الزهور الفارسي».⁶⁵⁶

ونشر (أوليافوس) في وقت لاحق النصين الأدبيين «الرحلة الشرقية الجديدة» و«وادي الزهور الفارسي» في إصدار واحد شامل، والذي كان في متناول يد لسنغ.⁶⁵⁷

يقول (كوشل)، إن ما يهمننا في الجانب الأدبي لهذا العمل الشامل هو قيام الأديب الفارسي (سعدي) بتناول، ومنذ البداية، ليس فقط حياة وأخلاق الملوك، وإنما شخصية الدراويش أيضا، التي وضع لها تأملات بشأن تحقيق الاكتفاء.

ويمكن للمرء أن يتصور - في حال كان لسنغ اغتنى مؤلف الكاتب (سعدي) «حديقة الزهور» أثناء انشغاله بكتابة مسرحية «ناتان الحكيم» - بأنه استوحى أفكاره من هذه النصوص، حيث يبدو هذا الإيجاء والتأثر واضحا في تعليقه على حياة الدراويش، التي عكست بطريقة فنية رائعة في أدب (سعدي)،⁶⁵⁸ الذي كتب قائلا:

«في إحدى المرات رأيت أحد الدراويش وقد اكتوى بنار الفقر، يرتدي الملابس المرقعة، لكنه يواسي النفس بهذه الأبيات الشعرية:

كن سعيدا،

فأنت تأكل الخبز الجاف وتلبس الثياب الخرقية،

وهذا أفضل ملائمة لبئسك،

من الخير الغريب!

(656) Erich Schmidt 1892. S. 544. (ينظر إلى ارش شمدت 1892، 544).

(657) Kuschel 2004. S. 100. (ينظر إلى كوشل 2004، ص 100).

(658) Ebd. S. 101. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 101).

فساله احدهم: «لماذا تجلس هنا؟ حيث يوجد رجل في هذه المدينة، والذي لديه روح الكمال في الشهامة والسخاء والكرم! انه يستمع إلى كلام كل الناس حسني النية ويجلس كخادم في بوابة القلب. فاذا وصفت حالتك اليه فإنه بالتأكيد سيضعها ضمن أولوياته لتقديم المساعدة لك، انه رجل نتوسم فيه الثقة، كما تكون انت! فاجاب الدرويش بهدوء: «الأفضل أن أتحمل الفقر حتى أحمل إلى القبر، من أن أحصل على مساعدته التي سيقاضيني آخر عليها».

الأفضل ارتداء ملابس الشحاذ المرقعة،

في زاوية البؤس،

من أن ترتدي الملابس التي يهبها لك الاغنياء،

بعد خطابات الاستجداء!

آه بالتاكيد، انها ليست اسوأ،

أن تعاني العقاب في الجحيم،

من أن تضع قدميك مع الجار في الجنة».⁶⁵⁹

ولذلك وصف الكاتب لسنغ شخصية الحافي درويش في مسرحية «ناتان الحكيم» بـ«المتألق المتألق»، ذلك لأنه كان يؤمن بضرورة التمييز بين الاشرار والاخيار، ولكي لاتعطى القيمة العليا للأغنياء فقط. وعليه يقول الحافي:

«أنا العايب! أنا المتألق المتألق! هكذا! ألا يعد عبثا حين يظلم مئات الآلاف من الناس ويعذبون وينهبون وتكتم أفواههم، ويراد من صديق لشخص أن يبدو بهذه الصورة؟ ألا يعد عبثا حين يتم الحديث عن الاعتدال العالي في الاختيار الخاص الذي يسري على الخير

Muslih al-Din Sa'di: Der Rosengarten. Nach der Übersetzung von K. H. Graf, neu (659 bearbeitet v. D. Bellmann, Bremen 1982. S. 117f. auch Kuschel 2004. S. 101. سعدي: «حديقة الزهور»، عن ترجمة لـ: كي أج غراف، بريمن 1982، ص 117 يتبع. كذلك كوشل 2004، ص 101).

والشر، والرواق والتصحّر، وفي ضوء الشمس والمطر، أليس الاعلى هو الذي ممثلة يده دائماً؟ ماذا؟ ألا يعد ذلك عبثاً؟»⁶⁶⁰

اراد لسنغ من خلال مشاهد العرض المسرحي لشخصية الحافي درويش أن يبين للمشاهد والقارىء الأوروبي موقف صلاح الدين في الصفح من الثأر للمسلمين، الذين قتلهم جيوش الصليبيين ونهبت أموالهم عبثاً قبل واثناء احتلال القدس، وشعار التسامح الذي رفعه من اجل الإنسانية والسلام العالمي، ولذلك جعل الحافي يطور من عمله كدفتر دار بما يتلائم وهذا التوجه.

7- الحافي درويش في مقارنة مع الراهب في مسرحية «ناتان الحكيم»

كان مظهر شخصية الحافي درويش بأول ظهور لها في مسرحية «ناتان الحكيم» تحمل تعابير كوميدية مضحكة، حيث يبدأ الخط البياني لهذه الشخصية يرتفع بهدف تحريك الأحداث، فيحاول في المشهد الثاني اقناع الآخرين بأسلوب جميل وفكاهي بأن السلطان صلاح الدين يعاني من ضائقة مالية، لكنه لم يكن يرغب بإقحام صديقه وخصمه في لعبة الشطرنج التاجر ناتان في الامر الذي طُلب منه. أما في المشهد الثالث (1 / 3) فيأتي الحافي إلى صديقه ناتان ليتأكد فيما إذا لديه رصيد غير محدد للقرض، حيث أراد من خلال هذه المخاوف أن يوفق بين مسألتين أساسيتين هما الصداقة والعمل، واللذان لا يمكن أن تكونا مرتبطتين مع بعضهما في هذه الحالة. وعليه فقد كتب (دومينيك فون كونغ) في مؤلفه «الطبيعة والواقع» ما نصه:

«ان التشديد على أهمية الصداقة بين الناس جعل من الإضافات على الدور كالرداء الملقى جانبا، بحيث لم يكن لها تأثير على الصداقة - ولم يكن لها تأثير أيضا في موضوعة إدعاء الصداقة - ففي هذا المشهد لم يقف الحافي وناتان ضد بعضهما، إنما التاجر والدفتر دار (أمين الخزانة)».⁶⁶¹

660 Lessing NdW (I/3)... (لسنغ: «ناتان الحكيم»، الفصل 1، المشهد 3).
661 Dominik von König: Natürlichkeit und Wirklichkeit – Studien zu Lessings «Nathan der Weise». Bonn 1976. S. 53.
«دومينيك فون كونغ: الطبيعة والواقع - دراسة لمسرحية لسنغ «ناتان الحكيم»،
بون 1976، ص 53).

لذلك فإن التاجر ناتان لم يكن يفكر بمواجهة صديقه الحافي، حيث يتضح من خلال أحداث المسرحية بأن التصرف الغريب للحافي هو مجرد تمويه أو غطاء بسبب الخوف من السلطة، والذي اسماه «تصنع» في الفصل الثاني (2)، ذلك لأنه لم يكن مستعدا او على قناعة ليكون أميناً لخزانة الدولة، لكنه لم يكشف عن هذا السر، فهياً له الكاتب المسرحي المساحة الكافية ليكمل مقدمة حوارهِ مع التاجر ناتان، حيث نشأت كوميديا الحافي من الحرج الذي كان ينتابه باعتباره يمثل أحد عناصر هيكل سلطة السلطان صلاح الدين.

وكان عليه أن يقوم بعملية التمويه لينقذ حياته وحياة صديقه ناتان من غضب السلطان، حسب (كوشل).⁶⁶² أما الراهب فأوحى في أول ظهور له في حوارهِ مع فارس المعبد بأنه جاء لتنفيذ أمر البطريك. حيث قال لفارس المعبد معتذرا: «يجب أن أكون مطيعا، سيدي». وكرر خمس مرات عبارات: «قال البطريك»، و«كما قال البطريك». (1 / 5) بحيث ربط بين الواجب المكلف به وبين ما أمر به سيده الذي أوكل اليه المهمة، ليعمل على تأكيد «ذاته الحقيقية»، حسب (فونهاوسن)،⁶⁶³ وعلى النقيض تماما عما قاله الحافي للتاجر ناتان.

وبقدر ما يتعلق الأمر بمقدمة أحداث العرض المسرحي فإن قصة الحافي درويش متوازية تماما مع قصة الراهب التي تعتبر واحدة من الخيوط التي تقود المشاهد في النهاية إلى اكتشاف رابطة القرابة بين ريشا وفارس المعبد حين يصرح التاجر ناتان بأنهم أبناء السيد فيلنيك.

فالراهب، الذي لم يعره الكاتب اسما معينا، كان يقوم بدور رسول البطريك للاستفسار لدى التاجر ناتان عن الطفلة المسيحية اليتيمة «ريشا» التي سبق وان سلمها اياه، أمانة لإنقاذها، قبل (18) سنة وعمرها لا يتجاوز الاسبوعين بعد وفاة أمها وهروب ابيها إلى غزة، حيث كان من الصعب على ناتان أن يتذكر اسم واوصاف الراهب بعد هذه الفترة الطويلة. وهنا ينتقد الكاتب لسنغ بشكل مباشر على لسان الراهب قسوة المسيحية

(662) Kuschel 1998. S. 233. (ينظر إلى كوشل 1998، ص 233).

(663) Astrid J. Vonhausen: Rolle und Individualität. Zur Funktion der Familie in Lessings (663

Dramen. Bern/ Berlin/ Paris/Wien 1993. S. 127. (استريد يوت فونهاوسن: «الدور والانسانية. دور

الاسرة في اعمال لسنغ الدرامية»، بيرن، برلين، باريس، فيينا 1993، ص 127).

المعاصرة في تعاملها مع البشر وخاصة الاطفال بقوله: «يحتاج الاطفال إلى الحب ... أكثر من المسيحية». (7 / 4)

وهذا يبين للمشاهد بأن الراهب لم يكن راض على الافعال التي يقوم بها سيده البطريك وغير مقتنع بالدور الذي أوكل اليه تماما كما كان الحافي، الذي مثل دور أمين الخزانة والرسول بين السلطان صلاح الدين واليهودي ناتان، والتي لم تلائم رغباته بسبب زهده.

حيث يلتقي الحافي درويش والراهب بنفس الهدف والرغبة للعيش في صومعة بعيدا عن الضوضاء للتعبد، ذلك حين عبر الراهب عن رغبته بالعيش في مكان بعيد يقضي فيه ما تبقى من عمره في عبادة الله، بعد أن تم تحريره من مخبأ كانت تحتجزه فيه مجموعة من قطاع الطرق، ووعد البطريك بإيجاد سكن له في منطقة تابور الجبلية في التشيك في حال أن يقدم له الخدمة في هذه القضية. (7 / 4) وكما كان الراهب يتمنى الذهاب بعيدا حيث العزلة والتعبد بقلب خاشع، كان الحافي درويش يرغب بالعيش مع رجال الدين المتصوفة على سواحل نهر الغانج بالهند حيث الصفاء والرمال التي تكوي القدمين في الصيف. (3 / 3) وفي الوقت الذي كان فيه الحافي محرجا للحديث مع التاجر اليهودي حول أمر السلطان صلاح الدين، بدت على وجه الراهب علامات الحيرة والخرج حين التقى بفارس المعبد، حيث أخذ يردد عبارات: «قال البطريك»، و«كما قال البطريك» (5 / 1)، لكي يبرر موقفه.

تماما كما فعل الحافي، كشف الراهب لليهودي ناتان طلب سيده البطريك، مشددا على عدم ارتكاب الخيانة والتحريض ضده. ينتمي الحافي إلى مجموعة من الدراويش المسلمين الذين غالبا ما يفنون حياتهم بالتعبد في بيوت الله ومعتادين على حرية الترحال. ولهذا السبب فضل الحافي الابتعاد عن الحياة السياسية، حيث كان يتطلع إلى حرية الزهد الروحي والإنسانية النقية.

عمل الكاتب لسنغ على ربط ما تقدم مع الإيحاء الروحي للموقف الإنساني والصادق لرسول البطريك مع اليهودي ناتان ومع ما يمكن أن يتعلمه الإنسان من دروس في قصة

الخواتم الثلاثة، 664 التي تعني الأديان الثلاثة - اليهودية والمسيحية والإسلام. وبالتالي جاءت خيوط العمل المسرحي بمجاميع من الشخصيات ممثلة بأوجه التشابه بين الحافي والراهب من جهة، وعلاقة القرابة بين أسد وصلاح الدين، وفارس المعبد وريشا من جهة أخرى.

يقول (تيودور بيلستر) حول أوجه التشابه في المقارنة بين شخصية الحافي والراهب ما نصه: «إن الراهب إنسان صادق مغفل بعض الشيء ولديه احساس طبيعي، لكنه يتجنب الصراع العلني مع السلطات. حيث سمح له بالعيش وحيدا في جبال تابو حسب رغبته، تماما كما أراد الحافي العيش منعزلا على سواحل نهر الغانج. فكلا الشخصيتين لهما أدوارا متشابهة في المسرحية».⁶⁶⁵

تجدد الإشارة هنا إلى أن لسنغ كان قد عرض بشكل واضح في مشاهد المسرحية الحافي كشخصية دينية إنسانية متسامحة وفاضلة إلى جانب الشخصيات الإسلامية الرئيسية الأخرى مثل السلطان صلاح الدين والأميرة سيتا، بحيث جسد الحافي الروحانية الإسلامية الاصيلية في روح فكر التصوف.

لذلك فإن نقطة ظهور الحافي يقول (كوشل) تمثلت في «التسول والملكة وما يترتب على ذلك من تسامح عالمي».⁶⁶⁶ إن ثقة الحافي وإيمانه بالله جعلته يخافه ويخاف حسابه يوم القيامة. ويضيف (كوشل): «إن البعد الإسلامي يجب أن يكون تحت الأضواء - مقارنة بالبعد الروحي في المسيحية من خلال الراهب-، وبالشكل الذي يساعد الناس على الخروج من التطرف في الاستسلام لله إلى نقد السلطة، وأن يكونوا فعالين في الحياة الدنيا والإنسانية الكونية. ومن المؤكد بأن هذا الاستسلام لله سيمكن المسلم من النظر إلى لعبة السلطة في العالم بعين المنتقد وسي تغلب عليها من خلال التسامي».⁶⁶⁷

(664). Möbius 2005. S. 76. Vgl. auch Lessing: NdW (III/7). (ينظر إلى موبوس 2005، ص 76.

ولسنغ: «ناتان الحكيم»، 3/ 7).

(665). Pelster 2005. S. 32. (تيودور بيلستر 2005، 32).

(666). Kuschel 2004. S. 103. (كوشل 2004، ص 103).

(667). Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

ثالثاً: التقاليد الإسلامية الشرقية في شخصية الحكيم ناتان

1 - التقليد التاريخي لتسمية «الحكيم» في الأدب العربي

إنه من الخطأ القول بأن لسنغ قد اختار عنوان مسرحيته «ناتان الحكيم» عن طريق الصدفة ودون الاعتماد على مادة أدبية تاريخية تقليدية ترتبط بها هذه التسمية أو تشير إليها. بلا شك، أن الكاتب لسنغ كان قد قرأ حكايات كثيرة في المجموعات القصصية الأوروبية مثل (Gesta Romanorum) و (Decamerone) و (Disciplina Clericalis) التي رويت من قبل العرب في المجموعة القصصية المعروفة «الف ليلة وليلة»، ونقلت إلى أوروبا وترجمت إلى اللغات الأوروبية الحية.⁶⁶⁸

حيث عمل المؤلفون العرب لهذه القصص التي تدور أحداثها في الشرق على أن يكون بطلها رجل حكيم يعطي الموعدة والحكمة لأبنائه وللآخرين. وكما متعارف عليه فإن العرب يطلقون على الطبيب في الماضي والحاضر تسمية «الحكيم» ويسمون الرجل الذي يعطي الحكمة والمشورة الحسنة بـ «الحكيم» أيضاً،⁶⁶⁹ التي استمدوها من القرآن الكريم حين وردت في السورة (12-1 / 31) والتي وصف الله تعالى بها القرآن بالكتاب الحكيم: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾.

وعليه يمكن القول بأن القصص والحكايات ذات التقليد والاصل الشرقي العربي الإسلامي التي وجدت مترجمة في المجموعات القصصية الأوروبية تمت قراءتها واستخدامها كمصادر من قبل الكاتب والمؤلف المسرحي الألماني لسنغ. ولذلك يمكن مقارنة اسم ولقب اليهودي ناتان كـ «حكيم» مع ما جاء في القصص الأدبية القديمة الواردة في المجموعات القصصية الأوروبية سالف الذكر التي تم استقاء أفكارها واقتباس الكثير منها من الأمثال والقصص والحكم العربية المستمدة من وحي الآيات القرآنية.⁶⁷⁰

(668) Vgl. Alfonsi 1970. S. 16ff. (ينظر إلى الفونسي 1970، ص 16 يتبع.)

(669) Hughes 2000. S. 274. (ينظر إلى هويس 2000، ص 274.)

(670) Alfonsi 1970. S. 22, 138, 139, 140, 145, 148, 151, 153, 158, 180, 187, 188, 190.

(ينظر إلى الفونسي 1970، ص 22، 138، 139، 145، 148، 151، 153، 158، 180، 187، 188، 190.)

المعروف للجميع إن رواية القصص في صدر الإسلام اعتمدت على صياغات دينية ودينية. فمن وجهة النظر الدينية كان لرجال الدين المسلمين المعروفين بالورع والتقوى، والذين كانت لديهم شعبية بين الناس، الدور الكبير في رواية القصص الدينية التي تدعو للحكمة والموعظة الحسنة خاصة في صلاة الجمعة.

ومن المتعارف عليه أن يقوم إمام الجمعة في السابق وفي الوقت الحاضر باقتباس قصص من القرآن الكريم فيها الكثير من الحكم والمواعظ والارشادات للناس. وإلى جانب ذلك كان هناك رواة للقصص نقلوا قصصا دينية ودينية شعبية مشهورة وتصورات من تراث العرب قبل الإسلام، وقد وجد هذا الخليط من القصص الدينية والدينية في المجموعة القصصية «الف ليلة وليلة» التي قراها الكثير من المستشرقين والفلاسفة والمفكرين والمثقفين الأوروبيين من بينهم رائد حركة التنوير الألماني لسنغ.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أكثر من قرأ «الف ليلة وليلة» هو الفيلسوف الفرنسي (فولتير)، حسب الكاتب (إرفن)، الذي ذكر بأن (فولتير) «كان متذوقا ممتازا للقصص ألف ليلة وليلة، والذي يدعي بأنه قرأها أربعة عشر مرة، واستغنى منها المواضيع والزخارف التي استخدمها بحكمة في مواضع كثيرة بأعماله الأدبية».⁶⁷¹ لذا نلاحظ بأن مصطلح أو تسمية «الحكيم» في الأدب الأوروبي وخاصة في مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم» يحمل نكهة شرقية.

2- التقليد التاريخي لتسمية «ناتان» في التوراة القديمة والقرآن

نود أن نذكر هنا بأن الكاتب المسرحي لسنغ يحضى باحترام كبير من قبل اليهود في المانيا وباقي الدول الأوروبية لم يحض به كاتب الماني آخر من غير اليهود، حيث يتضح ذلك من خلال الطقوس التي يقيمونها والكلمات التي يتم القائها بمناسبات ولادته ووفاته.

يقول الكاتب الألماني وأستاذ الفلسفة التاريخية (فريدريش نيفونر) في مقالته الشهيرة «الإسلام البعيد والمسيحية القريبة - أفكار حول قصة الخواتم لسنغ»، التي نشرت في 30 آذار 2002، بأن الأديب لسنغ يعتبر بالنسبة لليهود المانيا «الراعي لبني إسرائيل»، ويطلقون

(671) Irwin 1997. S. 299. (ينظر إلى إرفن 1997، ص 299).

عليه اسم «محبوب الرب أفرايم لسنغ»، ويضيف (نيفونر) بأن ترجمة تسمية «محبوب الرب» بالعبرية لا تعني بالضبط «محبوب الرب» في ترجمة اسم لسنغ الأول Gotthold بالألمانية، لان «محبوب الرب» بالعبرية تعني «محبوب الرب جاهويس».⁶⁷²

ويذكر في الكتاب المقدس (2 سموئيل 12 / 25) أن الله أحب سليمان وبعث له النبي ناتان ليمنحه تسمية «محبوب الرب». وقد ذكرت هذه التسمية فقط في واحدة من المقاطع في الكتاب المقدس اليهودي التي نصها: «ووضع داود ابنه سليمان تحت رعاية النبي ناتان الذي اسماه محبوب الرب حسب ارادة الله». (2 سموئيل 12 / 21)

يقول (نيفونر) أيضا حسب قناعته التي توصل اليها، بأنه يجب على كل شخص يطلق على لسنغ اسم «محبوب الرب» أن يتذكر النبي «ناتان» في الكتاب المقدس و«شخصية ناتان» في مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم» التي كتبها عام 1779. حيث يلاحظ (نيفونر) بأن لسنغ كان قد حصل على «اسم الشرف» هذا في اللغة العربية أيضا، والذي لم يكن بالتأكيد معروفا من قبله، ويبدو ل(نيفونر) كذلك أن مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم» لم تكن ملحمة رائعة لكاتب الماني عن ما يسمى بالتعايش الألماني - اليهودي باعتبارها وقع لصداقة لسنغ مع الفيلسوف اليهودي (موسس مندلسون)، إنها هي، أي مسرحية «ناتان الحكيم»، مستوحاة أيضا من الدين الإسلامي رغم أن لسنغ استطاع أن يجد في التوراة القديمة تقليدا لشخصية الحكيم ناتان في قصة الحكيم سليمان، نجل الملك داود، الذي عاش في زمن ناتان. (1 ملوك 32: 1)

حيث يروى أن الملك سليمان أخذ يوما ما قرارا حكيما ليقتضي بين امرأتين احتكمن اليه في قضية طفل، تدعي كل واحدة منهن بأنه طفلها، فحين رأى الاتفاق وفض النزاع بينهما مستحيلا أمر حارسه بأن يستل سيفه ليقسم الطفل نصفين، ويعطي لكل واحدة منهن نصفها، وبينما السيف يهيم لتنفيذ أمر الملك أعلنت أحدها استعدادها للتنازل عن حقها في الطفل. وبذلك عرف الملك سليمان الأم الحقيقية للطفل. فعرف ذلك الحكم فيما بعد بـ«القرار السليماني» كما جاء في التوراة القديمة.

Niewöhner 2002. (672) (فريدريش نيفونر 2002).

إن المتتبع لإهتمامات لسنغ بالموروث الأدبي الشرقي الثقافي والديني، يقول الكاتب (هندريك بيروس)، يرى بأنه لم تقتصر على مدى معرفته باللغة العبرية وإنما تعدت إلى أكثر من ذلك، فرغم عدم معرفته أو دراسته واجادته للغات الشرقية الأخرى ومنها اللغة العربية لكنه كان يفتني ويستخدم معاجم اللغة العربية- اللاتينية ومنها «معجم لاتيني - عربي» 1635 لـ (غوليوس) و«معجم عربي - لاتيني» 1769 لـ (شاید).⁶⁷³

بالإضافة إلى ذلك كان لسنغ سعيداً، يقول (بيروس)، في تكريس اهتمامه للبحث في تفاصيل معاني الكلمات والاسماء العربية مثل ترجمة الاسم العربي «جبل المقضب»، الوارد في دليل السفر الذي يتناول وصف الجبال في صحراء سيناء بمصر، وكذلك أصل اسماء المدن مثل «سمارية» المشتقة من أصل كلمة اثيوبية «سمارة».⁶⁷⁴

ويستطرد (بيروس) بالقول بأن معرفة لسنغ بالاسماء الجغرافية الشرقية كانت قد ارتفعت إلى أكثر من (29) اسماً، وذلك خلال عمله في مسرحية «ناتان الحكيم» الذي استغرق ما يقارب الثلاثون عاماً، وبذلك استطاع (لسنغ) ان يبرز لجمهور المشاهدين الأوروبيين الصوت الشرقي الإسلامي ويعرض لمعظم القراء وبكل سرور التعابير الإسلامية غير المعروفة لديهم.⁶⁷⁵

وهناك نمط تاريخي مماثل لتقليد اسم وحكمة ناتان في مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم»، يقول (نيفونر)، يستطيع المرء أن يستدل عليه في عدد من الآيات في ترجمة القرآن التاريخية (سورة 12/31-19) للمستشرق الإنجليزي (سيل)، خاصة حين نقارن شخصية لسنغ الأدبية «ناتان» الحكيم مع قصة «لقمان» الحكيم في القرآن الكريم حين علّم لقمان نجله الحكمة والموعظة الحسنة، والتي علمها لسنغ من بعده لجمهور المشاهدين في قصة الخواتم الثلاثة التي احتوتها مسرحيته «ناتان الحكيم»، إذا ما اخذنا بنظر الاعتبار أن الترجمة الأدبية العربية لاسم «ناتان» هو «لقمان»، وكما جاء في قوله تعالى:

(673) Birus 1978. S. 124f. (ينظر إلى هندريك بيروس 1978، ص 124 يتبع.)

(674) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(675) Ebd. S. 129f. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 129 يتبع.)

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (12) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (13) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّالَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ (14) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (15) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (16) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (17) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (18) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (19)﴾

يذكر في الكتاب اليهودي المقدس أن ناتان - لقمان في القرآن - كان من أنبياء اليهود في العهد القديم، عاش في زمن داود ملك إسرائيل، وكان رسول الله إلى داود، بمعنى أن «الرب أرسل ناتان إلى داود» (2 سموئيل 12، 1-23) لينقل له كلام الله ويقدم له النصيحة والمشورة، حيث وجهت نصائح إلى الملك داود مباشرة، ومن الأمور التي علمها إياه، والصادرة من الله جل جلاله، بأنه ليس هو وإنما ابنه وخليفته من سبيني بيت الله، وإن البيت الملكي لداود سيبقى خالدًا إلى الأبد. وهذا يعتبر بمثابة إعلان عن السيد المسيح يسوع من الناصرة، ابن يوسف الذي ينحدر من داود. (2 سموئيل 7، 1-17)⁶⁷⁶ لذلك نستطيع القول بأن لسنغ وبها لا يقبل الشك كان قد قرأ القصة الدينية التاريخية لـ«ناتان الحكيم» في التوراة القديمة وكذلك القصة الدينية لـ«لقمان الحكيم» في القرآن، وجسدهما في شخصية دينية مؤمنة واحدة، امتازت بالحكمة والموعظة الحسنة، واستطاع أن يصهر صفاتها الحميدة هذه بشخصية ناتان الفنية في مسرحيته «ناتان الحكيم».⁶⁷⁷

Vgl. Karl Gutbrod: Das Buch vom Reich. Das zweite Buch Samuel, Übersetzt und (676 verlegt von Karl Gutbrod, Stuttgart 1958. S. 96f. (ينظر إلى كارل غوتبرود: «كتاب المملكة. الكتاب الثاني

سموئيل»، ترجم ونشر من قبل كارل غوتبرود، شتوتغارت 1958، ص 96 يتبع.)

Vgl. Neue-Welt-Übersetzung der Heiligen Schrift, 2. Samuel 12:1-23. 1971. (677

(ينظر إلى الترجمة العالمية الجديدة للكتاب المقدس (2 سموئيل 12: 1-23) 1971.)

وجد لسنغ من خلال قراءته للمجموعات القصصية العالمية اسم اليهودي «ملجيسيدج» في احدى قصص المجموعة القصصية «ديكامرون» للكاتب الإيطالي (غيوفاني بوكاشيو) واستبدله باسم «ناتان» في مسرحيته «ناتان الحكيم»، حيث لم يكن لسنغ يعني الكاتب اليهودي (موسس مندلسون) صديقه في برلين كنموذج اولى لهذه التسمية كما يخمن الكثير من الكتاب الألمان في ابحاثهم الأدبية عن علاقة لسنغ بـ(مندلسون). حيث يرى (نيفونر) أن سبب تغيير الاسم من قبل لسنغ موجود في الكنوز العلمية لمكتبة هيرتسوغ أوغوست في مدينة فولفنبوتل التي كان يعمل فيها لسنغ، وهو أعرف جيدا بذلك من غيره.⁶⁷⁸

كان الكاتب الألماني (جورج فيليب هاردسدورفر) - (1607-1658) - الذي عاصر الفترة الأدبية المسماة «باروك»، قد اصدر عام 1659 كتابا على نفس الشاكلة بعنوان «ناتان ويوثام» يحتوي على قصائد شعرية تعليمية دينية ودنيوية،⁶⁷⁹ والذي ربما تأثر به لسنغ أيضا حين كتب مسرحيته «ناتان الحكيم». حيث كتبت القصيدة الأولى في هذا الكتاب تحت عنوان «العشاء المقدس للسيد المسيح». وهذه القصيدة تروى من قبل ناتان حالها حال كل قصائد الجزء الأول من هذا الكتاب.

وعمل الكاتب (هاردسدورفر) - كما فعل لسنغ بعد ذلك - على أن تروى هذه القصائد التعليمية من قبل رموز معروفين في التوراة القديمة. فقد كان «ناتان يحدث الملك داود عن جرائمه مع (بشبع) ابنة القس (واث) وزوجها (أوريا)، من خلال قصة الرجل الغني الذي سرق خروف الفقراء، ليلفت انتباهه إلى أعماله الدنيئة».⁶⁸⁰ وبناء على ما تقدم تشير تسمية «ناتان» إلى هذه القصائد التعليمية الدينية التي تجاوز عددها الثلاثمائة نوعا، والتي تدعو إلى التقوى الحقيقية لله.

(678) Niewöhner 2002. (ينظر إلى نيفونر 2002).

Georg Ph. Harsdörffer: Nathan und Jotham – Geistliche und weltliche Lehrgedichte, (679) Neudruck der Ausgabe Nürnberg 1659, hrsg. u. eingeleitet v. Guillaume van Gemert, Bd. I. Frankfurt am Main 1991. S. XVII. (ينظر إلى جورج فيليب هاردسدورفر: «ناتان ويوثام» - قصص تعليمية دينية ودنيوية، طبعة جديدة، نورنبيرغ 1659، الناشر وكاتب المقدمة غوليوم فان غيمرت، البند 1، فرانكفورت أم ماين 1991، ص. XVII)

(680) Ebd. S. XVIII, u. (2 sam 12). (ينظر إلى المصدر السابق، ص XVIII، و(2 سموئيل 12))

ففي مقدمة الجزء الأول من هذا العمل «ناتان ويوثام»، كتب (غوليوم فان غيمرت)، بأن الشخصيات الثلاث المستوحاة من التوراة القديمة، والتي وضع منها اسمي «ناتان» و«يوثام» على صدر الكتاب الذي يتألف من جزئين، ساعد في عرض صفاتها وتكوين فكرة لدى القارئ من خلال عنوان الكتاب، والتي تتمثل بـ«ناتان والحمل ويوثام وغصن الشجرة وشمشون والأسد»، حيث جعل الكاتب (جورج فيليب هاردسدورفر) قصصه تروى على لسان ناتان، وهي مشابهة تماما للقصّة الرمزية للكاتب الإيطالي (بوكاشيو) التي تأثر بها الكاتب الألماني لسنغ، وبذلك عدت شخصية الراوي «ناتان» التي تكررت في مؤلفات (هاردسدورفر) و(بوكاشيو) كسلف لشخصية «ناتان» الدرامية التي اختارها لسنغ في مسرحيته «ناتان الحكيم»، وعليه يستطيع المرء أن يستنتج بأن لسنغ كان قد تعرف على هذه الشخصيات أيضا من خلال قراءته لمؤلفات (هاردسدورفر) و(بوكاشيو) التي أثبتت جدواها.⁶⁸¹

درس الباحثون الأوروبيون في مجال الأدب الشرقي تسمية الشخصيات الفنية الشرقية التي كانت تستخدم على مر العصور من قبل الكتاب والمؤلفين الأوروبيين في أعمالهم الأدبية، مما أدى إلى ظهور معارضة من ناحية الدوافع بين الاسماء ذات الاصول العربية والعبرية والأوروبية، وبذلك برزت الاسماء الشرقية في حكايات استخدمت منذ فترة طويلة كمصادر لشخصية لسنغ «ناتان» الحكيم منها «حكاية سخاء ناتان»، وحكايات أخرى منها ما تم ذكره في المجموعة القصصية «ديكامرون» للكاتب الإيطالي (بوكاشيو) التي تعتبر المعيار المكاني والتاريخي للتسمية.⁶⁸²

لذلك يمكن أن تعزى تسمية «ناتان» إلى كل المعطيات التاريخية المحلية والأمثلة التاريخية المقنعة التي أوجدت علاقة وثيقة بين الاسم المختار للشخصية الشرقية وخلفيتها التاريخية. يقول (بيروس) بأنه قبل عملية التسمية هذه ظهرت بدايات لتسميات شرقية مميزة في الأدب الألماني خلال الفترة الأدبية التي عرضت فيها مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم» وحكاية صلاح الدين المستوحاة من المجموعة القصصية «ديكامرون»، وعليه فإن الباحث

Ebd. S. XVIII, u. XIX. (681 ينظر إلى المصدر السابق، ص XVIII و XIX).

Birus 1978. S. 96. (682 ينظر إلى بيروس 1978، ص 96).

لايستطيع في النهاية أن يقرر بحرية بأن هذه أو تلك الاسماء المزعومة التي تنسج من الخيال تعزى إلى اسماء شرقية، فهناك اسماء شرقية ليست ماثار للشك مثل «القسيم» وكذلك «لقمان» الأثيوبي العربي، والتي ورد ذكرها في مؤلفات (أوقاسين) و(كونده لوكانور).

لذلك ظهرت دراسات مهمة عن حقائق الشرق البعيد لعدد من المختصين الألمان في أدب الاستشراق تناولت أصل التسميات الشرقية في الأدب الألماني والأوروبي الحديث والقديم ومنها «لائحة اسماء الكواكب العربية السبعة أو اسماء البلدان الشرقية السبعة» لـ(كوندريس) و«التسمية الشعرية لمعنى الاسماء في مسرحية لسنغ ناتان الحكيم» لـ(بيروس).⁶⁸³

يقول المستشرق (بيروس)، أن هناك اسماء شرقية حقيقية ظهرت في الأعمال الأدبية المعاصرة لمشاهير الكتاب الألمان من بينهم (لسنغ) و(غوته) و(فيلاند)، وتبين أن لبعض الاسماء معنى وأصل إسلامي واحد، ومن هذه الاسماء ما ظهر أخيراً، والتي تعود إلى شخصيات عربية حقيقية معروفة، حيث اعتمد لسنغ في تسمية شخصياته الفنية على قراءته المعمقة للعلوم الدينية والأدبية الشرقية، ولذلك تميز عن غيره من الكتاب الألمان المعاصرين في هذا المجال.

ويضيف (بيروس): «كانت لدى لسنغ علاقة مثمرة جداً مع العلوم الشرقية المزدهرة في حينه منذ بدايات حياته الأدبية، والتي أغنت ذاكرته بالمعلومات وكونت لديه أساساً أدبياً مهماً وأكثر شمولاً مما كان يتحلّى به معاصره الكاتب الألماني (فيلاند)».⁶⁸⁴

توجد في المراجع الأدبية والدينية الإسلامية دلائل تؤكد حقيقة أصل وتاريخ «لقمان الحكيم» الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، والتي تعزیه بشكل مباشر إلى الشخصية الدينية التاريخية لـ«ناتان الحكيم» التي ورد ذكرها في التوراة القديمة (2 سموئيل 12) واستخدمها لسنغ كشخصية رئيسية في مسرحيته «ناتان الحكيم» لأنها تعد بالنسبة له شخصية جامعة لفكر جميع الأديان السماوية - اليهودية والمسيحية والإسلام.

(683) Ebd. S. 96 ff. u. 98, 100. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 96 يتبع، ص 98، 100).

(684) Ebd. S. 104, 122. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 104، 122).

ومن الاحاديث النبوية الشريفة التي تدل على العلاقة الدينية التاريخية بين «ناتان الحكيم» في التوراة و«لقمان الحكيم» في القرآن هو ما نقله الصحابة ورواة الحديث عن الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): عن (أنس بن مالك) قال: «لقمان (ناتان) ليس داود، لكنه عاش في زمن داود». وهذا القول يتفق مع ما جاء في التوراة القديم (2 سموئيل 12) التي تروي لنا قصة ناتان مع الملك (داود). وهذا يعد ردا على ما خمنه البعض بأن «لقمان» (ناتان) هو نفسه داود، ذلك لانهم كانوا يرون بأن «ناتان» كان يمتلك نفس صفات الأنبياء، وقد ذكر في مصادر الديانة اليهودية على انه نبي.⁶⁸⁵

أما رواية الحديث الآخرون فقد ذكروا بانهم سمعوا الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «حقا أقول لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا كثير التفكير حسن اليقين أحب الله فأحبه ومن عليه بالحكمة».⁶⁸⁶

وكتب (ابن مردويه) يقول بأن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «أتعلمون ماذا كان لقمان؟» قالوا: «إن الله ورسوله يعلمان ذلك». قال: «انه كان أثيوبي». وقال (حماد): «سمعت ابا عبد الله يتحدث عن لقمان وحكمته التي ذكرت في القرآن» بقوله: «... حين رفض لقمان (ناتان) بحكمة عرض الله عليه بان يكون خليفة الله في الارض خوفا من ارتكابه للمعاصي، أمر الله الملائكة بأن تذهب إلى داود ليكون بديلا عن لقمان، فقبل داود بأمر الله. وحين اخذ داود يرتكب المعاصي صدر الله أمره عليه لكنه عفى عنه. فاخذ لقمان يتردد على داود باستمرار ليعلمه الحكمة والموعظة الحسنة».⁶⁸⁷

وبذلك وضح المسلمون قصة لقمان (ناتان) في القرآن اعتمادا على ما تم ذكره في التوراة القديمة التي وصفته بالإنسان الحكيم الذي يخشى الله، وكما جاء في القرآن أيضا واعتمد عليه الكاتب المسرحي الألماني لسنغ لجسد شخصيته في مسرحية التسامح الشهيرة «ناتان الحكيم».

Vgl. Salah-aldin Ibrahim Abu Arafh: Artikel; «Luqman ... Abd Habashi, am Nabiyy (685 und 2003. azeem!?)» (صلاح الدين ابراهيم ابو عرفة: مقال «لقمان ... عبد حبشي، أم نبي عظيم!؟» (2003-2005).

Mohammed Hussein Al-Tabatabaiy: «Qusas al- Anbiya». Beirut 2002. S. 362ff. (686

(محمد حسين الطباطبائي: «قصص الانبياء»، بيروت 2002، ص 362).

Ebd. (687) (ينظر إلى المصدر السابق).

الجدير بالذكر، يقول (إرفن)، أن هناك قصص وردت في المجاميع القصصية العربية الإسلامية مثل «الف ليلة وليلة»، والتي نقلت إلى أوروبا من خلال أدب الاستشراق الذي عرفه لسنغ، أعتمد كتابها تسمية «الحكيم» ومنها قصة الطبيب الحكيم «لقمان»⁶⁸⁸ ذلك لأن العرب القدماء كانوا يسمون الطبيب حكيمًا كتعبير عن الحكمة الإلهية والوعي الديني للإنسان. وبما إن الطبيب المعالج يعد عالماً في مجال اختصاصه فيجب أن يمتلك قدرات خارقة، ولذلك كان يتوقع المرء من الطبيب لقمان هذه القدرات والامكانيات الخارقة في العلاج.

حيث يقول الكاتب القصصي (الفونسي): «تروي إحدى الأساطير في طهران بأن لقمان، الذي تم ذكره في المجموعة القصصية *Disciplina Clericalis*، كان يمتلك علاج يستطيع بواسطته إحياء الموتى»⁶⁸⁹. حيث استفاد لسنغ من هذه المعارف في كتابة رسائله النقدية السبعة والاربعون وتحريره لمخطوطته الدينية الشهيرة «برهاني بأن العرب، وليس اليهود، هم من النسل الحقيقي لنبي الله إبراهيم»⁶⁹⁰ 1771-1777.

نستنتج من ذلك بأن لسنغ كان قد تحقق من السيرة الذاتية التاريخية لشخصيته الرئيسية الحكيم ناتان في التوراة والقرآن وكذلك في المجموعة القصصية العربية «الف ليلة وليلة»، وإلا لما كان قد سمى مسرحيته «ناتان الحكيم»، بالإضافة إلى أن جميع الأنبياء والشخصيات التاريخية الدينية المؤمنة، والتي ذكرت اسماءهم في قصص بالقرآن الكريم، يشار اليهم على انهم «مسلمون» (سورة 31).

وعلى أساس هذا العرض الأدبي الديني نستطيع القول بأن لسنغ قد اعطى شخصيته الرئيسية الحكيم ناتان صفات تاريخية ودينية مزدوجة ليكون عارفا وذو خبرة بجميع الأديان السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام. ف ناتان في التوراة يمثل للسنغ الرسول ذو الحكمة الذي بعثه الله تعالى لنبيه داود (2 سموئيل 12)، والذي يرتبط زمن بعثته مع

(688) Vgl. Irwin 1997. S.280. (ينظر إلى إرفن 1997، ص 280).

(689) Alfonsi 1970. S. 83. (ينظر إلى الفونسي 1970، 83).

(690) Birus 1978.S. 123. (ينظر إلى بيروس 1978، ص 123).

الاعلان عن يسوع النصراني⁶⁹¹، حيث من الممكن ملاحظة ذلك في مسرحيته «ناتان الحكيم» حين جعل رجل المعبد المسيحي يقول لناتان: «إن سيدنا كان يهوديا»، وقد وافقه الأخير الرأي. ويناديه مرة أخرى قائلا: «ناتان! ناتان! أنت مسيحي - والله، أنت مسيحيا! (الفصل 4 / المشهد7).

إذا في تلك اللحظة كان ناتان قد ودع اليهودية واصبح مسيحيا جيدا حسب قناعة الكاتب لسنغ حين جعل رجل المعبد يكرر على ناتان القول: «أنت أصبحت أفضل مسيحي» (7 / 4).

لكنه كان عليه أن يؤهل نفسه للمرحلة النهائية التي تمثل اعتناقه للإسلام حسب المعلومات التاريخية التي حصل عليها الكاتب من الترجمة التاريخية للقرآن (سورة 31)، أي اعتناقه بشكل كامل لليهودية والمسيحية والإسلام ليكون ملما بما انزل فيها وليصبح حكيما ومفتيا لانصار هذه الديانات السماوية الثلاثة في مسرحيته «ناتان الحكيم» (3 / 5).

لذلك كان لزاما على الحكيم ناتان بعد مرور «آلاف آلاف السنين» أن يجيب بحكمة وخبرة دينية كبيرة على سؤال السلطان صلاح الدين بشأن أفضل الديانات السماوية الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام، حين ساله قائلا: ناتان «لقد حضرت الآن / ويقال إنك حكيما - لذلك قلي مرة واحدة - أية عقيدة سماوية، أي كتاب منزل، كان معقولا بالنسبة لك؟» («ناتان الحكيم» 3 / 5). وبذلك أظهر ناتان الحكيم من خلال إجابته للسلطان التي استذكر فيها قصة الاخوة الثلاثة في الماضي السحيق قمة التطور التي وصل اليها الكاتب الألماني لسنغ في الإنجاز والبناء الدرامي الذي بدئه منذ نهاية الخمسينات من القرن الثامن عشر الميلادي على أقل تقدير.⁶⁹²

Vgl. Karl Gutbrod: Das Buch vom Reich. Das zweite Buch Samuel. Übersetzt und (691 verlegt von Karl Gutbrod. Stuttgart 1958. S. 96f. (ينظر إلى كارل غوتبرود: «كتاب المملكة. الكتاب الثاني

سموئيل»، ترجمة ونشر من قبل كارل غوتبرود، شتوتغارت 1958، ص 96).
Schilson 1974. Bd. 3. S. 199. (692 ينظر إلى شيلسون 1974، البند 3، ص 199).

واستنادا على الأدلة التي تم عرضها آنفا يمكن القول بأن تاريخ السيرة الذاتية للحكيم ناتان ومضمون القصة الرمزية للخواتم الثلاثة التي ذكرها في حضرة السلطان، والتي استقاها الكاتب المسرحي لسنغ من المجموعة القصصية «ديكاميرون» للكاتب الإيطالي المعروف (بوكاشيو)، يمكن أن تنسب إلى ما جاء في المجاميع القصصية العربية مثل «الف ليلة وليلة»، وما جاء في القرآن الكريم والتوراة القديم والحديث، حيث تم تثبيت هذا الرأي في إصدارنا السابق في اللغة الألمانية تحت عنوان: Lessing und der Islam عام 2011.

الباب الخامس

الخلفيات الأدبية الشرقية لقصة الخاتم الرمزية للكاتب لسنغ ولقاء الثقافات

إن الباحث في موروث الأدب الأوروبي للقرون الوسطى يستطيع أن يجد آثارا لحكايات الخاتم الرمزية، والتي ترتبط طريقة لقاءها الأدبية بشكل مباشر بالحوار العقائدي التقليدي التاريخي بين الثقافات والديانات السماوية الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام، ولذلك تم تداولها في الأدب العالمي بوصفها نموذجا لهذه الأديان السماوية التوحيدية الكبرى.

وعليه يقول المفكر واستاذ علم اللاهوت الألماني (كوشل): «حين تروى هذه الحكاية، في أي مكان وزمان لاحق، تشم من خلالها رائحة الحرب الدينية، خطر يهدد الحياة، التعصب، الطرد والابعاد القسري والتهجير، حيث كان نمط الحياة الأوروبية المرتبطة بقصة الخاتم شيئا مختلفا تماما خاصة حين تروى مثل هذه القصة من قبل المسيحيين».⁶⁹³ لكنه من الصعب القول بأن الأوروبيين كانوا قد اخترعوا قصة الخاتم الرمزية التي اضاف عليها لسنغ الشيء الكثير في مسرحية التسامح «ناتان الحكيم» ليخرجها بهذا الشكل، وإنما يمكن أن تنسب نشأتها إلى المجاميع القصصية العربية ومنها «الف ليلة وليلة»، والتي وصلت إلى أوروبا من خلال عملية التجوال والترحال التي شهدتها الأدب العربي والعالمي في القرون الوسطى، الذي أدى بالنتيجة إلى لقاء الثقافات في الشرق والغرب.

(693) Kuschel 1998. S. 273. (ينظر إلى كوشل 1998، ص 273).

أولاً: تأثير «الف ليلة وليلة» على المجاميع القصصية الأوروبية

1 - «الف ليلة وليلة» والمجموعة القصصية Disciplina Clericalis للكاتب الإسباني الفونسي

إن استخدام الشعر من قبل لسنغ في كتابة أعماله الأدبية وخاصة مسرحيته الشعرية «ناتان الحكيم» كان «الوسيلة التي حافظ من خلالها على الصوت الشرقي». وفي هذا المعنى، يقول (هلموت غوبل)، يجب أن يوضح لسنغ ما قصده في المحافظة على الصوت الشرقي، وبالتالي يمكن تبرير الصوت الشرقي الذي حافظ عليه في مسرحيته «ناتان الحكيم».

ويضيف على أنه «من المؤكد أن جميع المشاهد التي صورت في الشرق وجدت لتحديد هذا الصوت»، الذي جسده لسنغ في البلاط الشرقي للسلطان صلاح الدين الأيوبي وفي عمل وتفكير وملابس الشخصيات الإسلامية. ويشير (غوبل) أيضاً إلى أنه، وقبل كل شيء، جعل الشاعر لسنغ المشاهد وصياغة الحوار تحدد هذا الصوت وبالشكل الذي لا يسمح لأحد تزويره، ولذلك طغى على لغة الحوار الطابع الملحمي أكثر من الطابع الدرامي، حيث يوجد الغزل الشرقي في التعبير اللغوي وفي العناصر الصغيرة وفي حكاية الخواتم أيضاً.

فقد جسد لسنغ التقاليد العربية الإسلامية الشرقية في شخصية السلطان صلاح الدين والأميرة سبتا والحافي درويش، ويظهر هذا الاستنتاج جلياً في استعداد السلطان صلاح الدين لسماع حكاية الخاتم التي رواها اليهودي ناتان، التي تحكي قصة أزلية في سفر التاريخ القديم عن تقاليد مملكة في الشرق، والتي اعجب بها صلاح الدين وطلب أن يكون صديقاً للراوي اليهودي، وسميت القصة من قبلها بـ «الخرافة» أو حكاية فيها ضرب من الخيال، حيث يقف لسنغ وراء ناتان ليكون راوياً للقصة الشرقية وصديقاً للسلطان.⁶⁹⁴ وفي ضوء ذلك كتب لسنغ عام 1778 في رسالته المعنونة إلى (كارل فيلهلم راملر) الآتي:

Göbel 1971. S. 161f. (694) (ينظر إلى غوبل 1971، ص 161 يتبع.)

«إنها مجرد محاولة، كانت على عجلة، التي استطعت فيها إلى حد كبير أن ابتعد عن الالتزام بعذوبة اللحن كما أعتقد، ذلك لانني مؤمن بأن الصوت الشرقي، الذي يجب علي أن أذكره هنا وهناك، سيكون واضحا جدا في النص النثري».⁶⁹⁵

يستطيع المرء أن يجد تأثير تقليد الصوت الشرقي الذي حافظ عليه الكاتب الألماني لسنغ في اعماله الأدبية في الموروث الأدبي الفرنسي، حيث يوجد هناك نصين لحكاية الخواتم الثلاثة التي دونت في المجموعة القصصية للقرون الوسطى وعرضت بوصفها رمزا للأديان السماوية الثلاثة. إن المجاميع القصصية الخيالية *Anecdotes Historiques* و *Légendes et Apologues* للدومينيكاني (أتين دي بوربون) - الذي توفي عام 1261 - تعتبر هنا كأقدم موروث أدبي أوروبي، والتي يعرض فيها الخاتم الحقيقي «المعجزة» كرمز للدين المسيحي.⁶⁹⁶

حيث تدور الأحداث في حكاية (أتين) حول رجل غني، يمتلك خاتما يستطيع بواسطته أن يشفي جميع المرضى، وكان لديه بنت شرعية من زوجته، التي إرتكبت الزنا وأنجبت له بنتين غير شرعيتين، وهنا كتب الرجل وصيته التي أكد فيها على أن الخاتم سيكون من نصيب ابنته الشرعية بعد وفاته، وحين سمعت البنتان غير الشرعيتين بذلك قمن بصنع خاتمين آخرين يشبهان الخاتم الاصيل، وحين توفي الرجل تم فتح الوصية من قبل أحد القضاة، فاضحت كل واحدة منهن تحمل نفس الخاتم وتدعي بأنها البنت الشرعية التي تمتلك الخاتم الاصيل، وهنا قرر القاضي أن يحكم بينهما على أساس قوة الشفاء للخاتم، والذي تمتلكه البنت الشرعية فقط.⁶⁹⁷

يقول الكاتب (بيتر ديمتر) بأن الفكرة الأساسية لحكاية الخاتم للكاتب الدومينيكاني (أتين) تشير تعبيريا إلى إثبات العقيدة الحقيقية، وكما هي الفكرة الأساسية لقصة الخاتم في

Ebd. S. 161. (An Karl Wilhelm Ramler v. 18.12. 1778 in: Lessing SS. Bd. XVIII. 296.). (695)
(ينظر إلى المصدر السابق.)

Düffel 1972. S. 73. (696) (ينظر إلى بيتر دوفيل 1972، ص 73.)

Vgl. Demetz 1966. S. 200-213; hier S. 201. Vgl. auch Kuschel 1998. S. 273f. (697)

(ينظر إلى بيتر ديمتر 1966، ص 200-213. كذلك كوشل 1998، ص 273 يتبع.)

مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم». ان الحكاية، يضيف (ديمتز)، رويت بشكل كامل من قبل (أتين) وفق المنطق الأخلاقي وتحت شعار: «الله واحد، دين شرعي واحد، وهذا الدين الشرعي في طبيعة الحال هو المسيحية». وفي الإطار التصوري لهذه الحكاية ينظر إلى اليهود والمسلمين على انهم «أنصار لديانات غير شرعية».⁶⁹⁸

أما حكاية الخاتم الثانية فهي موروثة من الحكاية الفرنسية القديمة عن الخاتم الحقيقي، والتي كتبت بالنص الشعري، التي يعود تاريخ كتابتها إلى الفترة الزمنية ما بين 1270 إلى 1294.⁶⁹⁹ جعل الكاتب أحداث هذه القصة تدور بالشرق، في مصر، حيث يستذكر القارئ في هذه الاثناء مدينة القدس المقدسة، التي فيها تلتقي الأديان السماوية الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام.

وتدور قصة هذه الحكاية حول رجل يمتلك خاتما «معجزة»، بواسطته يستطيع الرجل ليس فقط أن يشفي المرضى وإنما يحيي الموتى أيضا. وبهذا السخاء والثناء جلب للرجل أعمال الرحمة، كان لديه ثلاثة أبناء، وكان أصغرهم فاضلا، أما الاثنان الآخران فكانوا اشرارا.

ولذلك أراد الاب أن يورث الخاتم لأبنه الاصغر، لكنه كان يخشى ردة فعل أبناء الكبار، ولذلك قام بعمل خاتمين يشبهان الخاتم الاصيل، وأعطى كل واحد من ابناؤه الثلاثة خاتما وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة على فراش الموت. وبعد ممات الأب كشف الابن الاصغر بأن خاتمه هو الحقيقي، وإن اشقائه الآخرين قد خدعوا. وعليه قرر الاخوة الكبار أن يطردوا اخوهم الاصغر خارج البلاد، لأن خاتمه فقط هو الفعال. وبذلك أهمل الخاتم المعجزة وفقد قوته. وحين جاءت قوة أجنبية من الخارج، وهجمت على البلاد، وأبعدت الأخوين الكبيرين خارجها، عاد الاخ الاصغر بالخاتم وعادت اليه القوة من جديد.⁷⁰⁰

Ebd. (698) (ينظر إلى المصدر السابق).

Düffel 1972. S. 73. (699) (ينظر إلى دوفيل 1972، ص 73).

Vgl. Demetz 1966. S. 202-211. Vgl. auch Kuschel 1998. S. 274f. (700) (ينظر إلى ديمتز 1966،

ص 202-211. كذلك كوشل 1998، ص 274).

في هذه الحكاية، يقول (كوشل)، جسد الأبناء الثلاثة الأديان السماوية الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام، حيث مثل الأبناء الكبار الأشرار الديانتين اليهودية والإسلام، وكان الابن الاصغر رمز للديانة المسيحية، أما البلاد فتمثل الأرض المقدسة التي احتلها اليهود والمسلمون وطردها النصارى منها.

ويشير (كوشل) إلى انه يستطيع المرء أن يلاحظ في مفهوم هذه الحكاية سيطرة الشعور الديني والسياسي وكأنه في نفس الوقت جزءا من الصراع السياسي الديني الذي يعود بنا إلى ماضي الحروب الصليبية للتأكيد مرة أخرى وبشكل رمزي بأن المسيحية هي أفضل من كافة الديانات السماوية.

ويضيف (كوشل)، انه يتضح أيضا الحس الأخلاقي للقصة من خلال النية أو المقصد السياسي بحيث تحفز الشخصيات الثلاثة التي تمثل مفاتيح الحكاية الفرنسية في ذلك الوقت الملك - بعد ان كونت مدينة أرتويز ومدينة فلاندرن - على القيام بحملة صليبية لتحرير الأرض المقدسة. ذلك لأنه في إطار مفهوم قصة الابن الاصغر الذي تم ابعاده من قبل اخوانه الأشرار خارج البلاد وعاش فقيرا، يشير (كوشل)، ينبغي على السلطات القطاعية في أوروبا أن تهاجم أو تتصرف بشكل عاجل لتقديم المساعدة المطلوبة للمسيحية في الأرض المقدسة،⁷⁰¹ تماما كما هاجم الأعداء البلاد وأبعدوا الأخوة الأشرار منها ليستردوا الحياة الطبيعية للابن الاصغر، وبذلك تستعيد المسيحية قوتها في الشرق من خلال قيام الفرسان بحرب صليبية. وكما جاء في المقطع الآتي:

«من خلالها ستستعاد السلطة إلى الابن الاصغر بسهولة، وكما تحدثت عنه كيف نجح في ذلك، فالثناء على الخاتم، ثناء على مجد عقيدتنا المسيحية النبيلة، التي تستغيث الآن».⁷⁰²

وهناك حكاية أخرى، تم تداولها كثيرا في الوسط الثقافي الأوروبي، نقلت من مجموعة الأساطير الأدبية المسيحية للقرون الوسطى Gesta Romanorum، وترجمتها الحرفية

(701) Kuschel 1998. S. 275. (ينظر إلى كوشل 1998، ص 275).

(702) Demetz 1966. S. 211. ähnlich Kuschel 1998. S. 175. (ينظر إلى ديمتز 1966، ص 211. كذلك

كوشل 1998، ص 175.)

«أفعال الرومان»، التي تعتبر عنوانا للموروث الأدبي المسيحي لمنتصف القرن الرابع عشر الميلادي.

يقول الكاتب (إرفن) إن المجموعات القصصية الأوروبية التي ظهرت مؤخرا تأثرت بقوة بواعز المجاميع القصصية الشرقية الإسلامية العربية بعد أن نقل العرب من بين أمور أخرى أنماط السرد الشعبي العربي إلى البيزنطيين. وقد حان الوقت الآن للتفكير والتذكير، يقول (إرفن)، إلى أي مدى مدانة بالفضل العصور الوسطى الأوروبية إلى فن السرد العربي⁷⁰³... وعليه «لا يطبق التمييز هنا على علاقة الرواية بفن المحاكاة الشرقي فقط، وإنما أيضا على علاقته بأنواع السرد الروائي المباشر للكاتب الإيطالي (بوكاشيو) في القرون الوسطى».⁷⁰⁴

حيث ترجمت في بيزنطة بالقرون القديمة الحكايات الشعبية العربية في المجاميع القصصية مثل «الف ليلة وليلة» التي لم يذكر اسم مؤلفها وغيرها، وقد نقل الكثير من موروث الدوريات وأدب المحاكات الشعبي العربي عبر اسبانيا وصقلية إلى وسط أوروبا. وكانت هناك دار للترجمة أسست في القرن العاشر الميلادي في اسبانيا تعنى بترجمة الإنجازات العلمية والأدبية للعرب إلى اللغة اللاتينية.

ازدهرت ترجمات الأوروبيين المهنية والصحيحة للموروث الشرقي العربي أول مرة في القرن الثاني عشر الميلادي، حيث كانت مدينة «توليدو» واحدة من أهم وأكبر مراكز الترجمة في اسبانيا. واهتم المترجمون في بادئ الأمر بترجمة علوم الفلسفة والرياضيات العربية إلى اللغة اليونانية. وترجم القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية عام 1143 بأمر من الكنيسة لكي يتم توظيفها في الجدل المعادي للإسلام كما كان معروفا في ذلك الزمن.⁷⁰⁵

(703) Irwin 1997. S. 117. (ينظر إلى إرفن 1997، ص 117).

(704) Wolfgang Eitel: Die romanische Novelle. Darmstadt 1977. S. 67. (ينظر إلى فولفغانغ آيتل:

«الحكاية الرومانية»، دارمشتات 1977، ص 67).

(705) Vgl. Irwin 1997. S. 117. (ينظر إلى إرفن 1997، ص 117).

ونتيجة لحركة الترجمة الأوروبية في القرون الوسطى لموروث الأدب العربي فقد أثر ذلك على صياغة الكثير من الأعمال الأدبية للكتاب الأوروبيين خاصة في مجال أدب المحاكاة والرواية الشعبية التي استندت على مصادر عربية وقرأها لسنغ لاحقاً.

يقول (إرفن): «من المحتمل أن يكون أول عمل أدبي أوروبي كتب باللغة اللاتينية وأعتمد كثيراً على أدب المحاكاة العربي هي المجموعة القصصية *Disciplina Clericalis*، ترجمتها الحرفية «تعليمات رجال الدين»، للكاتب الأسباني (بيتروس الفونسي)، الذي عاش في الفترة ما بين 1062-1110 تقريباً، والذي قام بكتابة هذه المجموعة القصصية كمختارات عمل على تجميعها ونشرها في مدينة توليدو الأسبانية التي كانت مقراً لدور الترجمة والنشر للمؤلفات العربية. أعتنق الكاتب (بيتروس الفونسي)، الذي ينحدر من أصول يهودية، الديانة المسيحية عام 1106، حيث كان متمكناً من اللغة العربية بشكل جيد».⁷⁰⁶

نود الإشارة هنا إلى أن الكاتب (بيتروس الفونسي) لم يتأثر فقط في فن كتابة القصة العربية وإنما قام باقتباس وترجمة العديد من الحكايات من المؤلفات العربية وأدخالها ضمن مجموعته القصصية «تعليمات رجال الدين»، والتي ترجمت مجموعة من قصصها العربية في مؤلف (روبرت إرفن) الذي يحمل عنوان «عالم ألف ليلة وليلة» 1997.

استطاع (الفونسي) أن يوحد في مجموعته القصصية مدار البحث، والتي قيمت على أنها المحطة الأولى لانتقال مادة الحكاية الشرقية إلى الغرب ومجال للبحث في أدب المحاكاة، ما يقارب 34 حكاية في إطار قصة واحدة.⁷⁰⁷

وكان (الفونسي) قد أعلن في مقدمة مجموعته القصصية بأن هذه الحكايات كانت قد جمعت من قبله ل إعطاء الناس أفكار أفضل عن خالقهم ولمساعدتهم للعيش في حياة عقلانية وفاضلة، والتي يكون فيها التعامل بشكل سليم، بحيث ان القراءة للكتاب ليست مملة بالنسبة للقارئ، لأن الكاتب عمد على تجزئته إلى مقاطع صغيرة، حيث قال:

(706) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(707) Alfonsi 1970. S. 16. (ينظر إلى الفونسي 1970، ص 16).

«كنت أفكر أيضا بضعف الطبيعة الجسدية للإنسان، التي تجعل الامر ضروريا أن يتعلم المعرفة تدريجيا حتى لا يكون متعبا لها. وفي نفس الوقت لم أنسى بأن حياة الإنسان غنية ويجب أن تسهل عليه بطريقة صحيحة وممتعة حتى يكون التعلم لديه اسهل ... ولهذا السبب قمت بتأليف هذا الكتاب الصغير من عدة أجزاء، جزء من أقوال الرجال الحكماء وتعاليمهم، وجزء من الأمثال والحكم والقصص والمقتبسات العربية، وجزء من القصص العربية التي تقوم بادوارها الحيوانات والطيور».⁷⁰⁸

لذلك أضحى من المؤكد بأن الكاتب ومترجم اللغة العربية (بيتروس الفونسي) كان قد ألف مجموعته القصصية «تعليمات رجال الدين» استنادا إلى حكايات الاساطير العربية بحيث جمع أغلب حكاياته من الموروث الأدبي للغة العربية ومنها «كليلة ودمنة» التي ترجمت بعدة لغات في الفترة من 560-570 م، والتي نشرت بعد ذلك باللغة العربية من قبل (ابن المقفى) المتوفي سنة 757 م، وترجمت لاحقا باللغة اليونانية، كذلك حكايات السندباد البحري في المجموعة القصصية العربية «ألف ليلة وليلة» التي كان لها تاثيرا مباشرا على أدب المحاكاة الأوروبي.⁷⁰⁹

وعليه يمكن أن نخلص إلى القول بأن اسلوب كتابة أدب المحاكاة العربي نقل إلى أوروبا من خلال المجموعة القصصية الأدبية *Disciplina Clericalis* للكاتب الاسباني (الفونسي) وكذلك عبر أعمال أدبية أخرى لكبار المستشرقين الأوروبيين الذين تم التطرق إلى أعمالهم في فصول هذه الدراسة، الامر الذي ولد علاقة وثيقة بين الكثير من الأعمال الأدبية العربية والأوروبية، حيث يذكر (إرفن) شيئا عن هذه العلاقة بالقول:

«كانت المجموعة القصصية «تعليمات رجال الدين» تتمتع بشعبية كبيرة، حيث وجدت بعدة ترجمات، وأصبحت المادة لموروث كثير من القصص العربية التي دونت مؤخرا في الكثير من المجموعات القصصية الأوروبية، فعلى سبيل المثال استنسخت الكثير من

(708) Irwin 1997. S.118. 391. (ينظر إلى إرفن 1997، ص 118 و 391).

Vgl. dazu siehe auch Alfonsi 1970. S. 137 -216. Hier findet man viele Geschichten, (709) die von Alfonsi aus den arabischen Erzählsammlungen übersetzt werden. (ينظر إلى الفونسي

1970، ص 137-216).

الحكايات العربية من **Disciplina Clericalis** واستخدمت كمادة في المجموعة القصصية **Gesta Romanorum**، وترجمتها الحرفية: «أعمال الرومان»، التي ظهرت على الأرجح في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي في انجلترا، والتي تحتوي على أغلب السير الذاتية للقديسين من العصر الروماني⁷¹⁰.

يضيف (إرفن) على أن هذا الأمر أعطى ميول إلى المهتمين بالأدب العربي لترجمة الحكايات العربية إلى اللغة الأسبانية العامية في القرن الثالث عشر خاصة في عصر حكم الملك (الفونسو الحكيم)، الذي حكم للفترة ما بين 1252 إلى 1284، والذي طلب ترجمة حكاية «كليلة ودمنة» إلى اللغة الأسبانية، كذلك ترجمت في عهده «مغامرات السندباد البحري» برعاية وإشراف الأمير (فادريكو) شقيق الملك (الفونسو) في الوقت الذي كانت تتم ترجمة كتاب «مكر وغدر النساء» عام 1253 إلى اللغة الأسبانية⁷¹¹.

وعليه نستطيع أن نستنتج مما تقدم بأن الكاتب ورائد حركة التنوير الألماني لسنغ كان قد اطلع على القصص الرمزية والحكايات التي تميل إلى الخرافة في المجاميع القصصية للقرون الوسطى المسيحية، خاصة إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أن بعض المخطوطات اللاتينية للمجموعة القصصية **Gesta Romanorum** نقلت بترجمتها الألمانية القديمة عام 1489 من مدينة أوغسبورغ إلى مكتبة مدينة فولفنبوتل الألمانية التي كان يعمل فيها لسنغ⁷¹².

لذلك فإن حكاية الخاتم التي عرضها لسنغ بشكل مفصل في مسرحيته «ناتان الحكيم» كانت قد نقلت مع تعليق حولها إلى اللغة الألمانية الفصحى، والتي كانت تدور أحداثها حول أحد الفرسان الذي كان لديه ثلاثة أبناء، وقد أعطى، قبل وفاته، لابنه الأكبر ميراثا من الأملاك، وأعطى لابنه الثاني في الولادة كنزا كان قد جمعه، أما الابن الثالث فقد أعطاه خاتما ثميناً وقيم جداً، وكان قد أعطى ولديه الكبارين خاتمين أيضاً مشابهي لخاتم الابن الأصغر ولكن أقل قيمة وثمان.

(710). Irwin 1997. S. 118. (ينظر إلى إرفن 1997، ص 118).

(711). Ebd. S. 118f. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 118 يتبع).

(712). Düffel 1972. S. 74. (ينظر إلى دوفيل 1972، ص 74).

وبعد وفاة الاب تحدث الابن الاكبر قائلاً بأنه يملك خاتم أبيه الثمين. بعدها أدعى الابن الثاني بأنه يمتلك الخاتم الثمين. أما الابن الاصغر فقد أوضح بشكل معقول بأنه هو الذي يجب أن يمتلك الخاتم الثمين، ذلك لان الأخ الأكبر كان قد ورث أملاكاً، والأخ الثاني كان قد حصل على كنز. وهنا دعى الابن الاكبر إلى الاثبات عملياً أي الخواتم هو الاثمن والافضل. وتم جلب العديد من المرضى على الفور، الذين تم شفاؤهم جميعاً بواسطة خاتم الابن الاصغر.⁷¹³

يقول (ديمتر): في مفهوم قصة الخاتم هذه تحمل الشخصيات الفنية معان ذات دلالات دينية، فالفارسي يقصد به السيد المسيح، الذي لديه ثلاثة أبناء، وهؤلاء هم اليهود والمسلمين والمسيحيين، حيث أعطى لليهودي أرض الميعاد، وأعطى للمسلم كنز هذا العالم المتمثل بالثروة والسلطة.

أما المسيحي فقد أعطاه الخاتم الثمين، والذي يعني العقيدة الدينية، التي يستطيع المسيحي من خلالها معالجة الامراض المختلفة وتراخي الروح، وحسب الشعائر الآتية: «كل شيء ممكن للمؤمن». وكذلك القول: «الإيمان كحبة الخردل»، ... والقول أيضاً: «من غير الممكن ارضاء الله بدون الإيمان».⁷¹⁴

وخلاصة لما تقدم يمكن القول بأن حكايات الخاتم كانت قد رويت من قبل المسيحيين في القرون المظلمة كنتيجة للصراع التاريخي الديني السياسي بين الأديان، والتي تمت المحاولة فيها بتسليط الضوء على المسيحية وتصويرها كدين حقيقي مقابل الأديان الأخرى، حيث ينظر إلى هذه النزعة الدينية السياسية على إنها نتيجة للتحدي والتنافس بين الأديان التي انعكست في مفهوم حكايات الخاتم في النصوص المسيحية كمحاولة للحد من الآخر وتحجيم دوره. ولذلك تم عرض أنصار الديانتين اليهودية والإسلام في الحكايات الفرنسية على إنهم قتلة مجرمين وملحدين.

(713) Vgl. Demetz 1966. S. 213. Vgl. dazu auch Kuschel 1998. S. 276f. (ينظر إلى ديمتر 1966،

ص 213. كذلك كوشل 1998، ص 276 يتبع)

(714) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

2- «الف ليلة وليلة» والمجموعة القصصية «ديكامرون» للكاتب الإيطالي بوكاشيو

يقول الكاتب (إرفن) إن المجاميع القصصية الأوروبية، التي سبقت ظهور ترجمة الفرنسي (أنطوان جالان) لـ «ألف ليلة وليلة» في مطلع القرن الثامن عشر، كانت تحتوي على «الكثير جدا من المواد الأدبية والقصص التي تم العثور عليها أخيرا في المجموعة القصصية العربية لـ «الف ليلة وليلة». ولذلك أتفق علماء الأدب الأوروبيين على أن «الف ليلة وليلة» كانت معروفة في أوروبا منذ الأزل بترجمات قديمة مختلفة، وربما عرفت بترجمتها إلى اللغة اللاتينية في إسبانيا بالقرن الثاني عشر، ومن أجل تأكيد ذلك نستطيع أن نقول»، يضيف (روبرت إرفن)، «بأن هناك مؤشرات كثيرة تم التطرق إليها وكذلك اثباتات كثيرة تشير إلى ذلك التأثير منها جزء من حكايات السندباد البحري، والقصة الغربية للحصان الخشبي، وقصة قمر الزمان أو قصة الاحدب، التي تعتبر جواهر النص الاصيل لـ «الف ليلة وليلة»، والتي تمت اعادة سردها لاحقا بطرق مختلفة باللغة اللاتينية واللغات الأوروبية المحلية الأخرى».⁷¹⁵

فلم يبق لدينا هناك من شك بأن الكاتب الإيطالي (بوكاشيو) كان قد اخترع بشكل عفوي حكاية الخاتم، كما يدعي بعض الكتاب الأوروبيون، دون الاستناد على أسس أدبية تاريخية في المادة وطريقة السرد، والتي استقاها لسنغ من مجموعته القصصية «ديكامرون» و اضاف عليها وطورها ليستخدمها في مسرحيته «ناتان الحكيم».

بالإضافة إلى ذلك يقول (آيتل): «أن بوكاشيو لم يشر إلى نفسه بأنه مخترع الحكايات ووضع شروطا خاصة بهذا الصدد»⁷¹⁶ خاصة بعد أن وجدنا، يقول (فالتر فييكة) في كتابه «الف ليلة وليلة. تمهيد» 1987، التقليد الأدبي لحكاية الخاتم للكاتب الإيطالي (بوكاشيو) في العديد من الحكايات العربية لقصص «علاء الدين والمصباح السحري»، و«معروف الاسكافي»، وقصة «السندباد».⁷¹⁷

(715) Irwin 1997. S. 123. (ينظر إلى إرفن 1997، ص 123).

(716) Eitel 1977. S. 45. (ينظر إلى آيتل 1977، ص 45).

Vgl. Walther Wiebke: Tausendundeine Nacht. Eine Einführung. München und Zürich (717

1987. S. 95 – 139. (ينظر إلى فالتر فييكة: «الف ليلة وليلة. تمهيد»، ميونخ / زيورخ 1987، ص من 95 – 139)

ولذلك بدأ (بوكاشيو) حكاية اليوم التاسع في مجموعته القصصية «ديكامرون» بالكلام: «رغم إنكن، سيداتي الجميلات، توقعتن بأنني سأروي اليكن اليوم حكايتين، لكنه توجد لدي حكاية أخرى أيضا».⁷¹⁸

وهذا يثبت، يقول (آيتل)، بأن الحكايات القديمة في «ديكامرون» كانت قد «جددت» من قبل الكاتب، وإن «صدى الماضي أو ما يقال عنه بـ «الاقتراض» قد أصبحت له فحوى جديدة حين ترد الحكاية في تسلسل جديد. فقد اتبع بوكاشيو في عمله دائما أسلوب التكرار للمواضيع في أعمال أدبية مختلفة، لكنه لم يلاحظ دائما بأن الظاهرة لا تتكرر، وإنما تحتوي على فحوى جديدة».⁷¹⁹ حيث يستطيع المرء أن يجد في «ديكامرون»، يقول (آيتل)، أن بانفيلو قد روى الحكاية السابعة في اليوم الثاني، والتي أعطاها (بوكاشيو) نفسه مضمون جديد حسب الكلام الآتي:

«أرسل سلطان بابل ابنته خطيبة لملك الجارف، لكنها تعرضت في طريقها إليه لحوادث سلبية أوقعتها في قبضة تسعة رجال في أماكن مختلفة خلال فترة اربعة سنوات. وأخيرا عادت إلى والدها الذي قام بارساها مرة أخرى إلى ملك الجارف كزوجة وعلى انها بنت عذراء عفيفة كما كانت أول مرة».⁷²⁰

يقول (فولفغانغ آيتل) في كتابه «الحكايات الرومانية» أن الكاتب (أي. أن. فيسلوفسكي) «أهتم في معرفة أصل هذه الحكاية، وبعد أن بحث عنها في عدة مصادر أشار إلى إحدى الحكايات في «الف ليلة وليلة»، لكن في هذه الحكاية بقيت البطلة طوال الوقت عذراء». فمن الواضح إن (بوكاشيو) لم يكن لديه حكايات من هذا النمط وبهذا المعنى، وإنما كانت لديه حكايات أخرى تكون العفة المشؤومة فيها هي الأساس.

Boccaccio: 9. Novelle des Decamerone. Vgl. dazu auch Eitel 1977. S. 45. (718 بوكاشيو):

«ديكامرون»، الحكاية التاسعة. ينظر أيضا إلى آيتل 1977، ص 45.

Eitel 1977. S. 45. (ينظر إلى آيتل 1977، ص 45 يتبع).

Boccaccio: 7. Novelle des „Decamerone«. Vgl. dazu auch Eitel 1977. S. 57. (720 ينظر إلى

بوكاشيو: «ديكامرون»، الحكاية السابعة. كذلك آيتل 1977، ص 57).

واستنادا إلى رأي (فيلسوفسكي)، يقول (آيتل)، بالامكان أن تكون القصة قد وصلت إلى (بوكاشيو) عبر رواية القصص الإسلامية. وعند هذه النقطة يمكن أن نفترض ان القصص القديمة في «ديكامرون» قد رويت لكي تعطي بالتالي معنى جديد. ولهذا السبب تمت إعادة كتابة وتحوير هذه الحكاية لكي تعطي معنى آخر.⁷²¹

وأسنادا إلى هذا التحليل، يستطيع المرء أن يستنتج دون شك بأن لسنغ كان قد وجد دوافع وخلفيات أدبية قديمة لحكاية الخاتم التي عرضها في مسرحيته «ناتان الحكيم»، والتي قرأها في المجموعة القصصية للكاتب (بوكاشيو)، واختار على هذا الأساس الشخصيات والاسماء الفنية في اعماله المسرحية مثل «ناتان» ومسرحيته التراجيدية «فاطمة».⁷²²

وعليه، يقول (إرفن)، فإن «ديكامرون» و«الف ليلة وليلة» تحتوي على عدد من الحكايات المتشابهة، ولذلك تكون بعض الحكايات في المجموعة القصصية ل(بوكاشيو) بطبيعتها هي نفس الحكايات التي تم تداولها في بغداد في القرنين السابع والعاشر الميلاديين.⁷²³ ومن الملاحظ أيضا أن فحوى المادة الأدبية للحكايات في «ديكامرون» لم تعرض بشكل متكامل دائما بصياغة جديدة لكي تعطي فحوى متكاملة كما شاهدنا في حكاية الخاتم التي وجدت لدى لسنغ.⁷²⁴

أعتمد لسنغ في بعض التفاصيل والدوافع للشخصيات الإسلامية على العمل الأدبي «مكتبة الشرق» للكاتب (دي هيريلوت)، الذي يحتوي على قصص أصلية من «الف ليلة وليلة». حيث تؤكد الأدلة التي قدمها العلماء المختصون بالأدب عن الحقيقة التاريخية للتواصل الأدبي بين الثقافات العالمية على أن أعظم الابداعات الأدبية للامم المختلفة قد ترجمت عن بعضها البعض وتم تداولها على مر القرون القديمة وكما قرأ لسنغ في مصادر الاستشراق.

لهذا يستطيع المرء أن يكتشف من وقت إلى آخر شيئا جديدا عن هذه العلاقة الأدبية القديمة بين موروثي الأدبين الشرقي - العربي والغربي - الأوروبي، ذلك لأن الأعمال الوطنية

(721) Eitel 1977. S. 58,60. (ينظر إلى آيتل 1977، 58، 60).

(722) Vgl. Wiebke 1987. S. 95 –139. (ينظر إلى فيبكه 1987، ص 95-139).

(723) Irwin 1997. S. 280. (ينظر إلى إرفن 1997، ص 280).

(724) Eitel 1977. S. 60. (ينظر إلى آيتل 1977، ص 60).

والعالمية في مجال الرواية الشعبية والحكاية الشعبية والعلوم الطبيعية نقلت في طبيعة الحال إلى بلدان أخرى من خلال تجوال الشعوب والحروب والفتوحات، ولهذا السبب قسم علماء أدب الثقافات المختلفة السابقين والحاليين تاريخ الأدب الوطني والعالمي إلى فترات زمنية محددة للتعبير عن العلاقة التاريخية والتأثير الأدبي في ماضي وحاضر ومستقبل تاريخ الأدب.⁷²⁵

إن هذه الحالة الأدبية المتعلقة بالتأثير والتأثر بين أدب الثقافات لاتنسحب فقط على الفترة الزمنية التي سبقت الفترة الحالية، كما مشار إليها في قصة الخاتم التي عرضها لسنغ في مسرحيته «ناتان الحكيم» ودراسته للمصادر الإسلامية، وإنما تشمل العصور القديمة والوسطى لتاريخ الأدب.

ومن خلال هذه العلاقة التاريخية تمت عملية نسخ وإعادة رسم، وتحريك، واختصار، وتعليق وربط للقصص والحكايات حتى تختلف بنيتها خلال النقل في لعبة لا نهاية لها. لذلك يصبح من الصعب القول، يضيف (إرفن)، متى رويت هذه الحكاية أول مرة، ومتى كتبت، أو متى نقلت ضمن الموروث الأدبي، وعليه لا يستطيع المرء أيضا تحديد الصيغة النهائية والفحوى للقصة، وهذا الامر يعني وجود حدود ثقافية ولغوية قليلة جدا للقصص الجيدة.

فمن ينظر إلى المجاميع القصصية عن قرب بنظرة فاحصة دائما يجد هناك محيط من الحكايات العائمة، ومحيط عميق متلاطم الامواج ليس له حدود.⁷²⁶

إن هذا الوصف الرائع للكاتب (إرفن) يحرك في داخلنا يناييع الاهتمام والتواصل لكشف الكثير من الامور الخاصة بتأثر الآداب العالمية ببعضها البعض فيما يتعلق بتأثر الأدب القصصي الأوروبي بالأدب القصصي الشرقي - العربي الذي يعد بمثابة حوارا بين مكونات هذه الثقافات المختلفة دينيا والمتفقة روحيا.

(725). Vgl. Irwin 1997. S.83ff, 311. (ينظر إلى إرفن 1997، 83 يتبع، 311).

(726). Vgl. Ebd. S. 85. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 85).

3- «ألف ليلة وليلة» وأصل المجموعة القصصية «ديكامرون» للكاتب بوكاشيو

من أجل اغناء الموضوع بالدلائل والاثباتات العلمية حرصنا على عرض ما تحدث به العلماء والباحثون الأوروبيون في حقل الأدب المحلي والعالمي، حيث يقول الكاتب (أكهارد هفترش)، في مستهل تعليقه حول تصاهر الثقافتين الشرقية والغربية بالإشارة إلى المادتين الأدبية والتاريخية وأصل حكاية الخواتم الثلاثة التي استند عليها لسنغ في كتابة مسرحيته الشهيرة «ناتان الحكيم»: «من المعروف ان المواد والمصادر الأدبية لمسرحية «ناتان» قد وجدت في مؤلفات بوكاشيو وآخرين».⁷²⁷

لذلك فإن المجاميع القصصية العربية القديمة مثل «ألف ليلة وليلة»، يقول (ماليس روتفين)، كانت قدمت الأسس الأدبية للمجاميع القصصية الأوروبية التي كتبت مؤخرا، حيث خلدت حكاية «ألف ليلة وليلة» عظمة الخليفة العباسي هارون الرشيد (786-809) وازدهار فترة حكمه التي تدل على أوج وعظم وقوة الامبراطورية العربية آنذاك.⁷²⁸

وعليه، يقول (آيتل)، «أن الحكاية الأولى في المجموعة القصصية «ديكامرون» للكاتب بوكاشيو مقتبسة من النص الاصيل القديم للمجموعة القصصية العربية «ألف ليلة وليلة».⁷²⁹ وفي ضوء ذلك، يضيف الكاتب (إرفن) على ما قاله (آيتل)، يستطيع المرء أن يفهم المجموعة القصصية العربية فقط «حين يصنفها عالميا ويقارنها مع نظائرها في اللغات السنسكريتية، واليونانية، واللاتينية، ومع اللغات الأخرى».⁷³⁰

ولذلك، يستطرد (آيتل)، يستطيع المرء أيضا أن «يجد وضعا مماثلا في الحكاية السابعة التي وردت في الفصل الرابع لمجموعة بوكاشيو القصصية «ديكامرون»، وكما هو الحال

Eckhard Heftrich: Lessings Aufklärung zu den theologisch-philosophischen (727 Spätschriften. Frankfurt am Main 1978. S. 10. (أكهارد هفترش: «تنوير لسنغ لما كتب من مخطوطات

لاهوتية وفلسفية». فرانكفورت أم ماين 1978، ص 10.)

Malise Ruthven: Der Islam. Eine kurze Einführung. Stuttgart 2000. S. 28. (ماليس

روتفين: «الإسلام. تمهيد مختصر»، شتوتغارت 2000، ص 28.)

Eitel 1977. S. 62. (ينظر إلى آيتل 1977، ص 62.)

Irwin 1997. S. 83. (ينظر إلى إرفن 1997، ص 83.)

في المجموعة القصصية لـ «الف ليلة وليلة». ذلك لأن الأحداث الاستثنائية في الحكاية الشرقية، يقول (آيتل)، تكون ذات مرتبة أعلى».

ولذلك فقد «برز في الحكاية الغربية الاستثناء وليس القاعدة، والتشكيك بالتنظيم وليس التأكيد حين مقارنتها بقصة «الف ليلة وليلة» العربية»، خاصة إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار «أن نص الحكاية يركز بشكل مباشر على حيرة وإضطراب القاضي التي يوضح من خلالها تأثير الحدث الذي لا يصدق». حيث أكد دور القاضي وقوة عملة وإيضاحه الصائب للقضية، كما هو الحال في حكاية «الف ليلة وليلة»، بشكل كبير ومنقطع النظير بحدوث شيئاً استثنائياً مناف نوعاً ما للتصنيف القصصي». وعليه يمكن للمرء أن يرى بأن «سحر الحكاية الشرقية مقارنة بالغربية يكمن في التصنيف النهائي للأحداث التي يبدو محكوم عليها بالفشل في أول ظهورها».⁷³¹

وعن هذا التميز وعلاقة الحكايات القصيرة لـ (بوكاشيو) بفن الأدب القصصي الشرقي واستخدامه المباشر في الانواع السردية للقرون الوسطى يقول (آيتل) ما نصه:

«إن الحدث الاستثنائي في الانواع السردية لما يسمى بقصص القرون الوسطى، والتي لا تبعد كثيراً عن ذلك، بقي غير مسموعاً، ذلك لأنه بقي مليئاً بالفحوى وجزء من التصنيف القصصي العالي، بحيث أصبحت انواع التصنيف مثل الإنقاذ، الحماية والرحمة، الثواب والعقاب، والوفاء، كذلك الاعتدال والغلو هي التي تحدد الحدث في هذه الانواع القصصية السردية».⁷³²

شمل هذا التقييم لخبراء الأدب الأوروبي الجزء الأكبر من المجاميع القصصية للكتاب الأوروبيين من بينها المجموعة القصصية «ديكامرون» التي نشرت في الفترة ما بين 1349-52 للكاتب الروائي الإيطالي (جيوفاني بوكاشيو)، الذي عاش في الفترة من 1313-1375، والتي أُنخذت من قبل لسنغ كواحدة من بين المصادر الرئيسية المهمة التي استخدمها في بلورة افكاره لكتابه مسرحيته الشهيرة «ناتان الحكيم» وكذلك لاعادة

(731) Eitel 1977. S. 64- 66. (ينظر إلى آيتل 1977، ص 64-66).

(732) Ebd. S. 67. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 67).

صياغة حكاية الخاتم التي عرضها في هذه المسرحية وكما جاء في كتابات لسنغ حول هذا الموضوع في مناسبات عديدة.

حيث تفيد الحكاية الثالثة لليوم الأول في المجموعة القصصية «ديكامرون» بأن السلطان صلاح الدين كان شجاعا بشكل كبير وإن شجاعته هذه لم ترفعه فقط من إنسان عادي إلى سلطان بابل بل جعلته يحقق الانتصارات المتتالية على الأمراء المسلمين والمسيحيين، بحيث صرف جميع ما يملك من أموال أثناء الحروب والثورات العديدة التي خاضها، علما بأنه يعرف بحاجته للأموال الكثيرة لينفقها على ما يستجد من الأحداث ولسد الإحتياجات الأخرى، التي تتطلب منه حشد الأموال ليس كما يريد وإنما كما تفرضه الحاجة إليها.⁷³³

كتب (بوكاشيو) أيضا حول تجارة الربا التي يمارسها اليهود والشدة التي لا تخلو من الرحمة للسلطان صلاح الدين الأيوبي، والتي جسدها لسنغ بكل وضوح في مسرحيته «ناتان الحكيم»: «وتذكر السلطان صلاح الدين أحد اليهود الاغنياء اسمه ملكيسيدج، الذي كان يمارس تجارة الربا في الاسكندرية، وقد دعاه السلطان إلى حضرته ليقترض منه ما يحتاجه من المال، لكنه كان بخيلا بيد انه لا يفعل ذلك من محض إرادته.

ولم يكن صلاح الدين بحاجة إلى استخدام القوة رغم حاجته الملحة إلى المال، وكان ذلك واضحا تماما، فهذه الطريقة او بتلك ينبغي على اليهودي أن يساعده. وأخذ السلطان يفكر بحجة يستطيع من خلالها اجباره على ذلك تحت بعض مظاهر العدالة».⁷³⁴

يقول الكاتب (فولفغانغ آيتل): «في حكاية بوكاشيو يعتبر الإسلام بالنسبة للمسلمين الدين الحقيقي، أما اليهودية والمسيحية التي ورد ذكرها في القرآن فينظر إليها على انها ديانات للتسامح».

Boccaccio: Das 3. Dekameron. Übers. Von Karl Witte. Bd. 1. Leipzig 1859. S. 49- 53. (733
Vgl. dazu Jäger 1984. S. 76ff. (ينظر إلى بوكاشيو: «ديكامرون»، الحكاية 3، ترجمة كارل فتنه، البند 1، لايزك
1859، ص 49-53. كذلك يغر 1984، ص 76 يتبع.)
Ebd. (734) (ينظر إلى المصدر السابق.)

إن قصة الخواتم الثلاثة «بنيت على اساس تاريخي»، ذلك لان حكايتها تم تداولها «وبقيت موجودة منذ زمن طويل»، وكانت محاولة، يضيف (آيتل)، «للذين يؤمنون بديانات اخرى لتأمين حقهم أمام ممثلي الديانات الحاكمة في اعتناق عبادة معينة، في حين عبرت حكاية بوكاشيو بغرابة عن التسامح الدبلوماسي المعتدل تجاه العقيدة الاجنبية». حيث تعتمد بوكاشيو، يقول (آيتل)، أن يكتب «ما تسمى بحكاياته الدينية» في مقدمة مجموعته القصصية «ديكامرون» بهدف «اعادة عرض الدين كمعيار، والذي يزود الناس بمبادئ وقواعد الأخلاق والسلوك المعتدل، وهذا يعني ان العقيدة الدينية القديمة قد أحرقت في حكاية بوكاشيو كما أحرق بعض الناس اثناء انتشار وباء الطاعون لأغراض التطهير».⁷³⁵

وبالتالي فإن المادة الرائعة للمجموعة القصصية «ديكامرون» قد حملت المادة التاريخية إلى الكاتب لسنع عن الشخصية الإسلامية للقائد صلاح الدين الأيوبي، «والتي لم يعتن بها بوكاشيو»⁷³⁶.

ووفقا لما ذكره (آري دفوريتزكي) تم العثور على الكثير من السير الذاتية لشخصية القائد الإسلامي صلاح الدين الأيوبي الذي كان وما يزال مثالا للأمير المستنير في الغرب، الذي عمل على تأسيس الجمعيات الخيرية والتخفيضات الضريبية التي عدت من اولويات اعماله حين تسلم مهام السلطة، حيث قدم هذه النعم أيضا إلى البلدان التي حررها من احتلال الفرنجة الصليبيين. واشتقت منه المقولة الشهيرة: «لباس، وحصان، والله».

وبعد فاة السلطان صلاح الدين وجد انه لايمتلك من ماله الخاص به شيئا سوى دوقية واحدة، الامر الذي جعل وزيره (القاضي الفاضل) أن يدفع ثمن كفن جنازته.⁷³⁷ وعرض (بوكاشيو) في حكايته لقاء ناتان - صلاح الدين الذي قادهم إلى ان يصبحوا صديقين حميمين بقوله: «وأخيرا دعا صلاح الدين اليهودي ناتان إلى حضرته، واستقبله بودية أكثر، وكان يجلس بجواره ويتحدث معه قائلا: صديقي، لقد سمعت من الكثيرين

735. Eitel 1977. S. 44. (ينظر إلى آيتل 1977، ص 44).

736. Edward Dvoretzky (Hg.): Lessing Heute. Beiträge zur Wirkungsgeschichte. Stuttgart (1981. S. 230. (ادوارد دفوريتزكي (ناشر): «لسنع اليوم. مساهمات في تأثير التاريخ»، شتوتغارت 1981، ص 230).

737. Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

هنا بانك حكيم ولديك وجهة نظر عميقة بالأمور الدينية، والآن أريد أن أعرف منك، أي من الأديان السماوية الثلاثة - اليهودي، الإسلامي، المسيحي - يعتبر الدين الحقيقي حسب تقييمك؟»

وتابع قائلاً: «إن اليهودي كان حكيماً ويعرف جيداً بأن صلاح الدين سي طرح عليه مثل هكذا سؤال ليمسكه من لسانه. ورأى أيضاً بأنه يرغب بالثناء على واحد من هذه الأديان لأن صلاح الدين يروم الوصول دائماً إلى هدفه، ولذلك حاول اليهودي الاستعانة على وجه السرعة بذاكرته المتقدمة لايجاد اجابة معتدلة ومقنعة لا تخلو من الحقيقة، وفي هذه الاثناء نزلت عليه الفكرة فجأة ليقول ما ينبغي عليه أن يقوله للسلطان».⁷³⁸

لم يفضل (بوكاشيو) في قصته أي دين من الأديان الثلاثة على الأخرى، وعليه كان الحديث بين صلاح الدين وناتان جزءاً من مشهد حوارى، والذي عرض فيه لسنغ بعد ذلك النتيجة النهائية لاعتباراته الدينية الفلسفية، معتمداً في عرضه الأدبي للمشكلة الاجتماعية القائمة على الإفصاح عن الشرعية العلمية القانونية، والتي نتج تأثيرها من خلال قيام لسنغ بتطوير المبادئ الأساسية للفنون التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالسياقات المجتمعية.⁷³⁹

حيث يواصل (بوكاشيو) سرد حكايته وكما جاء على لسان اليهودي (ملجيسيدج) حين قال: كان هناك رجل غني، عاش منذ زمن بعيد، كانت له مكانة اجتماعية مرموقة، وكان يمتلك في كنز مجهوراته خاتماً جميلاً وثيراً. فقام بوضع نظام يتم بموجبه تداول الخاتم بين الأبناء على مر الزمن بعد أن يقوم الأب بمنحه لأحب أبناءه إليه لكي يورثه بعد مماته ويحظى باحترام وتقدير الآخرين.

وبعد فترة قصيرة تم تداول الخاتم بين الأبناء الورثة بالتعاقب. وأخيراً وقع بيد أحد الرجال الذي كان لديه ثلاثة أبناء يحبهم قلبياً بنفس الدرجة لفضلهم وطاعتهم له. وعليه قام الأب

(738) Boccaccio: Das 3. Dekameron. (بوكاشيو: «ديكامرون»، الحكاية 3.)

(739) Hans-Georg Werner: Lessing-Konferenz. Halle (Saale) 1980. S. 183. (هانس - جورج

فيرنر: «مؤتمر لسنغ»، هاله (سالة) 1980، ص 183، 184، 199.)

وبدون علم أحد بصنع خاتمين آخرين يشبهان الخاتم الأصلي بحيث ان الأب الذي أمر بذلك شخصيا لم يستطيع أن يميز الخاتم الأصلي من بين الخواتم الثلاثة.

وحين اقتربت ساعة وفاته وكان مستلقيا على فراش الموت أعطى لكل واحد من أبناءه خاتما بدون علم الآخرين. وبعد وفاة الأب أظهر كل واحد من الأبناء خاتمه، واتضح فيما بعد أن الخواتم متشابهة تماما، وعليه فإنه ليس من حق أي الأبناء أن يورث أبيه لأنه لا أحد يستطيع أن يعرف أي الخواتم هو الأصلي، ولذلك بقي السؤال مطروحا إلى يومنا هذا ... أي الأبناء سيكون الوريث الحقيقي لأبيه؟⁷⁴⁰

قام لسنغ باعادة صياغة الحكاية وعلى «النقيض الكامل» لما كتبه (بوكاشيو)، يقول (ادوارد دفوريتزكي)، حيث حاول صلاح الدين في حكاية لسنغ أن يجد في ناتان «الشريك الروحي»، ولذلك افتعل ذريعة المال المؤدية لدعوة اليهودي إلى حضرته». وكان هذا اللقاء يمثل الخطر الوحيد الذي يهدد ناتان، الذي كان بإمكانه أن يجعل السلطان صلاح الدين يصاب بخيبة أمل، ولكن هذا لم يحصل لأن صلاح الدين اراد أن يصل إلى حقيقة الأديان من خلال ناتان، التي بانت واضحة تماما للكاتب لسنغ.

حيث يجتمع كل ذلك في الجملة التي قالها لسنغ: «الرجل الصادق، باي لباس يرغب أن يظهر، يجب على المرء أن يحبه».⁷⁴¹ وهذا يعني إن مسألة حقيقة الأديان في حكاية لسنغ قد حسمت، أما في حكاية (بوكاشيو) فبقيت غير محددة وكما مبين في الآتي: «الشرائع الثلاثة اعطاها الله، الأب، إلى ثلاثة شعوب، وأصبح كل شعب يؤمن بميراثه، وانه يمتلك الشريعة الصحيحة ووصاياها، ولذلك يتبعها. ولكن من يمتلكها حقا ستكون قضيته كحكاية الخاتم التي لم تحسم بعد».⁷⁴²

وعلى عكس ما عرضه لسنغ في مسرحيته «ناتان الحكيم» حول لقاء السلطان صلاح الدين باليهودي ناتان، أوضح (بوكاشيو) للقارئ كيف انتهت الحكاية الثالثة في مجموعته

(740) Vgl. Boccaccio: Das 3. Dekameron. (ينظر إلى بوكاشيو: «ديكامرون»، الحكاية 3.)

(741) Dvoretzky 1981. S. 231. (ادوارد دفوريتزكي 1981، ص 231.)

(742) Boccaccio: Das 3. Dekameron. (بوكاشيو: «ديكامرون»، الحكاية 3.)

القصصية «ديكامرون»: «قدم اليهودي كل شيء طلبه منه السلطان، فبالإضافة إلى أعطائه القرض الكامل أمطره بالهدايا أيضاً، الأمر الذي جعل السلطان يقربه إليه ويرفع من مكانته بين أولئك المقرين منه في البلاط، واخذ يعامله كصديق».⁷⁴³

ونتيجة للبحث المتواصل من قبل الكتاب الأوروبيين عن النشأة التاريخية لحكاية الخواتم اتضح أن المجاميع القصصية الأوروبية القديمة والتي من بينها على سبيل المثال *Disciplina Clericalis* للكاتب الاسباني (الفونسي)، و *Decamerone* للكاتب الإيطالي (بوكاشيو)، وكذلك نموذج المجموعة القصصية الذي ظهر في القرن الثالث عشر *Gesta Romanorum* تمت صياغتها على أساس نموذج النمط الأدبي للمجاميع القصصية الشرقية - العربية القديمة بحيث قام المؤلفون بنقل وإعادة صياغة حكايات عربية كثيرة كانت قد كتبت باللغات الاغريقية واللاتينية واللغات الأوروبية الأخرى وتدوينها في مجاميعهم القصصية.

استخدم (بيتروس الفونسي) ثلاثة كتب عربية لكتابة مجموعته القصصية *Disciplina Clericalis* والتي ترجمت فيما بعد إلى اللغة الاسبانية واصبحت لها شعبيتها. بحيث استفاد الواعضون وعلماء الأخلاق من كل الدول الأوروبية والاطراس الاجتماعية والرواة مثل (بوكاشيو) و(تشوسر) و(شتاينهوفيل) من كنز الكتب العربية التي كان يمتلكها الكاتب اليهودي الاسباني الأصل (الفونسي)، والذين حققوا أغراضهم الخاصة من خلال حصولهم على أنماط أدبية وأقوال مأثورة مكتهم من الاطلاع على علم اللغة العربية.

يقول (الفونسي): «(حين نريد أن نتبع تفاصيل معلومات المادة التاريخية يجب علينا أن نبحت في الأدب العالمي ككل، وإن اكتشاف ذلك من قبل المؤلف نفسه أفضل من لا شيء)».⁷⁴⁴

يذكر إن الحكايات الشعبية الشرقية كانت قد نقلت في مجاميع قصصية عربية فنية متكاملة إلى الامبراطورية الرومانية واسبانيا، وتمت ترجمتها فيما بعد إلى اللغات الأوروبية الحديثة،

Ebd. (743) (ينظر إلى المصدر السابق).

Alfonsi 1970. S. 11, 14, 16f. (744) (الفونسي 1970، ص 11، 14، 16 يتبع).

وكما كتب (ابرهارد هيرميس) قائلاً: «ولكن يبقى الطريق مفتوحاً إلى إسبانيا، حيث نقلت الحكايات من اللغة العربية إلى اللغة العبرية ومنها إلى اللاتينية وكذلك إلى اللهجات المحلية حتى وصلت أوروبا بشكل سري».⁷⁴⁵

وهذا لا يعني، في طبيعة الحال، إن كل الحكايات القديمة التي وردت في المجاميع القصصية الأوروبية من أصول شرقية عربية، فالأدب الأوروبي يزخر بكم هائل من الحكايات الشعبية ذات الأصول الغربية البحتة. لكننا نستطيع أن نستنتج في إطار هذا العرض الأدبي أن أكثر المجاميع القصصية للمؤلفات الأوروبية تحتوي على مؤثرات عربية حقيقية، من ضمنها الحكايات التي استخدمها لسنغ مؤخراً كمصادر في كتابة مسرحيته «ناتان الحكيم»، والتي أخذت من المجاميع القصصية العربية مثل «الف ليلة وليلة»، التي قرأها لسنغ، و«كليلة ودمنة»، ومنها ما اقتبس من الحكم التي وردت في القرآن الكريم وأحاديث الرسول محمد (صلاة الله عليه) التي لا يمكن مقارنتها هنا بهذه السهولة وإنما يحتاج لها دراسة خاصة.

واستناداً لهذه الإثباتات الأدبية المادية، يمكن القول بأن الكاتب الإيطالي (بوكاشيو) كان قد تأثر كثيراً بحكايات المجاميع القصصية الشرقية العربية عندما دون قصصه في مؤلفه «ديكاميرون»، بحيث يستطيع القارئ ببساطة أن يجد في هذه المجموعة القصصية، والتي كانت موجودة على طاولة القراءة للكاتب الألماني لسنغ حين كان يقرأ عن الإسلام في تلك الفترة، حكايات عربية من بينها قصة «الكلبة الباكية»، التي تتألف في حقيقة الأمر من عنصرين مرتبطين ببعضهما وهما مكر الكلبة اليافعة الباكية وذكاء المرأة. حيث تم العثور على هذه الحكاية في المجموعة القصصية العربية «الف ليلة وليلة» وفي مغامرات السندباد (قصص مكر النساء) وكذلك حكاية المرأة التي تريد أن تخدع زوجها.

ويذكر أن شطري هذه القصة قد ظهرا في مواقع عديدة أخرى للمجاميع القصصية الأوروبية منها Katha Sagit Sagara التي كتبت باللغة السنسكريتية وDisciplina Clericalis، «تعليمات رجال الدين»، للكاتب الإسباني (بيتروس الفونسي)، والتي كتبت باللغة اللاتينية ونشرت في بداية القرن الثاني عشر، أو في القصة الشعرية القصيرة Dame

⁷⁴⁵ Vgl. Alfonsi 1970. S. 19. (ينظر إلى الفونسي 1970، ص 19).

Sirith im Tuti-Name وفي «كتاب البيغاء» للكاتب (ناجشاي) الذي نشر في القرن الرابع عشر، وكذلك في المجموعة القصصية «ديكاميرون» للكاتب الإيطالي (بوكاشيو) التي ظهرت في القرن الرابع عشر أيضا.⁷⁴⁶

لذلك يجب الاعتراف هنا بأنه ينبغي على علماء الأدب العربي أن يقيموا الدور الاستثنائي الذي قام به الأدباء الأوروبيون حين أدخلوا جزءا كبيرا من الأدب العربي إلى ثقافتهم أثناء فترة الاستعمار الغربي للمنطقة العربية للمحافظة عليه من التدمير. «وإن الأدب الأوروبي مدان من جانبه»، يقول (إرفن)، «إلى هؤلاء الأفراد المبدعين الرائعين أمثال (دانتي) و(بوكاشيو) و(تشوسر)، والرواة المجهولين الكثيرين جدا من العالم العربي، «العرب» اخترعوا وصدروا الكثير من القصص وبقدر ما استوردوا، التي أخذها المسيحيون وأخفوا معالمها الإسلامية».⁷⁴⁷

4- «الف ليلة وليلة» في مقارنة مع «ديكاميرون»

في ضوء العلاقة الأدبية بين الغرب والعالم العربي التي أصبحت معروفة على مستوى عالمي نستطيع أن نقارن الأسلوب السردي للمجموعة القصصية العربية «الف ليلة وليلة» مع المجموعة القصصية الأوروبية «ديكاميرون». ففي المجموعة القصصية العربية تروي شهرزاد للملك شهریار حكاية كل ليلة، وتبدأ في اليوم التالي بحكاية جديدة لم يتم اكملها في الليلة السابقة، بحيث يجبر الملك شهریار على تأجيل تنفيذ حكم اعدامها إلى اليوم الذي يليه بسبب اعجابه الكبير بالقصص ورغبته في معرفة نهاياتها في اليوم التالي.

ولكي تستطيع شهرزاد إنقاذ نفسها من الموت أخذت تروي الحكايات تباعا في كل يوم دون انقطاع حتى استطاعت أن تروي له (1001) حكاية بلياليها، وقد نجحت بمساعها في نهاية الامر حين جعلت الملك شهریار يعدل عن قراره وعن العهد الذي قطعه على

(746). Irwin 1997. S. 82. (ينظر إلى إرفن 1997، ص 82).

(747). Ebd. S. 98. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 98).

نفسه. حيث وجد الأديب الألماني لسنغ صدى طريقة السرد هذه في المجاميع القصصية الأوروبية وخاصة في «ديكاميرون» للكاتب الإيطالي (بوكاشيو).⁷⁴⁸

نقل الكاتب الإيطالي (بوكاشيو) الأسلوب السردى لمجموعته القصصية «ديكاميرون» الذي ألفه القارئ في «الف ليلة وليلة» في أحد البيوت الريفية عند تلال مدينة فلورنس الإيطالية التي تبعد حوالي ميلين عن مركز مدينة فلورنس القديمة، حيث يوجد في هذا البيت سبع فتيات وثلاثة شبان كانوا قد لجأوا خفية في فصل الربيع وصيف سنة 1348 إلى ريف هذه المدينة خوفا من الإصابة بوباء مرض الطاعون.

ومن اجل نسيان الخوف الشديد الذي ينتابهم من جراء انتشار هذا الوباء القاتل أخذوا يرون تباعا حكايات وقصص بعد ان اتفقوا على اختيار ملك أو ملكة من بينهم يقع على عاتقه ادارة موضوع الجلسة، وكان لزاما على كل واحد منهم أن يفكر بحكاية يرويها للحضور يوميا لاغناء الجلسة بالحديث، وبعد عشرة أيام حيث رويت عشر حكايات عادت المجموعة إلى مدينة فلورنس.

وفي ضوء المعطيات الفنية وتشابه المصير في الحكايات العربية والغربية رأى لسنغ من خلال قراءته المتكررة بأن الرواة في المجموعتين القصصيتين العربية «الف ليلة وليلة» والأوروبية «ديكاميرون» ينتظرون نفس المصير القاتل، بحيث لا أحد يستطيع حمايتهم من خطر الملك أو الإصابة بمرض الطاعون المميت.

بالإضافة إلى ذلك يستطيع القارئ ان يلاحظ بسهولة في البند الأول/ الحكاية الثالثة من المجموعة القصصية «ديكاميرون» نفس العبارة التي يتم ترديدها من قبل الراوي في حكايات «الف ليلة وليلة»، ونصها: «حين سكت نيفيل عن الكلام وحضيت حكايته ببناء الجميع، بدأت فيلوميل بالكلام وفقا لرغبة الملكة»، تماما كما يذكر المؤلف غير المعروف لـ«الف ليلة وليلة» في بداية ونهاية حكاياته ما نصه: «وحين أدرك شهرزاد الصباح وسكت عن الكلام المباح، بدأت بسرد حكاية جديدة».

Vgl. Irwin 1997. S. 9f. (748) (ينظر إلى إرفن 1997، ص 9 يتبع).

وعليه يستطيع المرء أن يشير، يقول الكاتب (إرفن) في مؤلفه «عالم الف ليلة وليلة» 1997، إلى أن المجموعة القصصية للكاتب الإيطالي (بوكاشيو) «تحتوي على الكثير من حكايات المجاميع القصصية العربية مثل «الف ليلة وليلة» وغيرها». ويضيف: «يتظاهر هذا العمل من محتواه بالاصالة المشكوك بامرها، ذلك لان القصص التي رواها أفراد الحاشية، الذين فروا من مدينة فلورنس هربا من موت الطاعون الاسود، لها اسلاف بنسبة تسعة أعشار من عشرة يمكن التعرف عليها».⁷⁴⁹

ثانيا: التقاليد اليهودية في حكاية الخاتم

تايدا لما ذكر آتفا عن قول الباحثين الأوروبيين في مجال الأدب من أن القصص والحكايات الشعبية الشرقية العربية نقلت بواسطة اللغة العبرية واللاتينية واللغات الأوروبية الحية الأخرى إلى الغرب، نود أن نشير إلى انه يوجد هناك قصص رويت عن الخاتم بالغة العبرية من قبل بعض الكتاب تتشابه نوعا ما في انماطها السردية ومادتها الأدبية مع حكايات الخاتم المسيحية التي وردت في المجاميع القصصية لعدد من الكتاب الأوروبيين ومنها «ديكاميرون».

كما سلط الباحثون الأوروبيون الضوء أيضا على حكاية اللؤلؤة، إلى جانب عدد كبير من المخطوطات الصوفية، التي كتبها اليهودي المتصوف الحالم (إبراهيم ابو العافية القبلاي) - الذي ولد عام 1240 وتوفي تقريبا عام 1291⁷⁵⁰. حيث تدور الأحداث في هذه الحكاية حول لؤلؤة ثمينة، استند فيها الكاتب (ابو العافية) على حقيقة «أن الله وهب ولمرة واحدة الشعب اليهودي مزايا غريبة، لكنه يعيش الآن في حالة يرثى لها، وبدون ذلك التفضيل الأصلي الذي كرمهم الله به منذ الازل وأبطله عنهم بعد ذلك».⁷⁵¹

(749) Irwin 1997. S. 122f. (ينظر إلى إرفن 1997، ص 122 يتبع).
Vgl. dazu Artikel: Abulafia, Abraham Ben Semuel, in Encyclopaedia Judaica, Bd. 750 II, Jerusalem 1971, Sp. 185f. Ausführliche Material zu Leben und Werk von Abraham Abulafia bei M. Idel: Werk und Lehre Abraham Abulafia, Jerusalem 1976. (ينظر إلى مقال إبراهيم بن سموئيل ابو العافية، موسوعة يوديتا، البند 2، القدس 1971. نقل عن كوشل 1998، ص 278).
(751) Kuschel 1998. S. 278. (ينظر إلى كوشل 1998، ص 278).

وهذا يعني أن الكاتب اليهودي (ابو العافية) كان على قناعة تامة بأن الله الذي يدعو من خلال أديانه السماوية إلى السلام والمحبة والتسامح والتعايش السلمي بين أبناء البشر سوف لن يغفر للآخرين آثامهم وسوء سلوكهم، وإنما سيلاقون العذاب وسوء المصير عاجلاً أم آجلاً.

يتضح من ذلك، بأن الكاتب الصوفي اليهودي (إبراهيم أبو العافية) أعترف في إطار مفهوم قصة اللؤلؤة التي كتبها بأن اليهود ارتكبوا ذنب تاريخي كبير حين قتلوا في الماضي الكثير من الأنبياء الذين أرسلهم الله تعالى، وحاول جاهداً من خلال سرد حكايته كمتصوف حالم أن يحمل صورة الشعب اليهودي التي شوهها الآخرون، بقوله في الملخص الآتي للقصة: «كان هناك أب يمتلك لؤلؤة ثمينة، فكر أن يورثها لابنه. وحين بدأ الأب يعلم ابنه كيف يقدر هذه الحجرة الكريمة ويجدها نبيلة وثرنية كما وجدها والده، غضب الابن من الأب. فغضب الأب من الابن وألقى باللؤلؤة في حفرة متمنياً ألا يخسرهما.

بقيت اللؤلؤة محفوظة في تلك الحفرة. وحين أعلن الابن عن ندمه لما قام به تجاه والده، أسرع الأب وجلب اللؤلؤة وسلمها له في الحال. ويتضح لاحقاً بأن خدام الأب هم ممن شجع الابن كثيراً على إعلان ندمه لآبيه لكي يسامحه ويعطيه اللؤلؤة بعد أن يجلبها من تلك الحفرة. وحين رأى الخدم أن جهودهم تكلفت بالنجاح سعوا جاهدين إلى تهديئة الابن».⁷⁵² وعليه يقول الكاتب (هيلر): وهذا ما يحدث لليهود مع الشعوب الذين يزعمون «أن الله جعلها في مكاننا».⁷⁵³

أراد (أبو العافية)، من خلال قصة اللؤلؤة، أن يوصل رسالة، يقول (كوشل)، مفادها أن الديانة اليهودية هي الأفضل، لذكر بذلك اليهود بخطاياهم وسلوكهم السيئ، وهو على عكس الغرض الشرعي الذي دونه لسنغ بحكاية الخاتم التي عرضها في مسرحيته «ناتان الحكيم».

Vgl. B. Heller: Grundliteratur zu Lessing. S. 481f. Vgl. dazu auch Kuschel 1998. S. (752 279. (ينظر إلى بي. هيلر: «المراجع الأساسية للسنغ»، ص 481 يتبع. أيضاً كوشل 1998، ص 279).
(753) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

وفي ضوء هذه التعاليم التي تشير إلى أن هذا الدين أو ذاك هو الأفضل يستطيع علم اللاهوت أن يؤثر في مشاعر الناس سلبا أو ايجابا ويثير إهتمامهم ويوجههم نحو المصلحة الدينية والسياسية أو المصلحة الشخصية.

أما بالنسبة لقصة اللؤلؤة فيبدو أن (إبراهيم ابو العافية) كان معاصرا للفرنسي (اتيان دي بوربون)، وهنا حاول اليهودي كما النصراني العمل بالمعتقدات الآتية: «يوجد هناك حقيقة إلهية واحدة فقط، وان هذه الحقيقة متطابقة مع الدين اليهودي. فرغم انها حجت في الوقت الحاضر، لكنها لم ترفع. ان الله لم يضع أيا من الأمم في مكان الاسرائيليين. وان الحالة التي يرثى لها، والتي يعيشها الشعب اليهودي في الوقت الحاضر، هي نتيجة لخطاياهم وعقوبات لما ارتكبه من ذنوب، لكنها لاتعني الانسحاب من اختيار الله له.

أما المسيحي فانه في وضع مختلف تماما. فالمسيحية بالنسبة له توجد في ركن واحد من الارض، في فلسطين، وهي في خطر، إلا في حال أن تكون في موقف قوي. ومنذ ذلك الحين جاء التعصب للمسيحي من مشاعر النشوة بالانتصار، والتفوق الأساسي للمسيحية كدين الأغلبية على سائر الأديان الأخرى».⁷⁵⁴

وعليه يعتقد اليهود بانه سيأتي يوما ما ذلك «القاضي الإلهي» ليعيد للشعب اليهودي كل حقوقه. ولذلك فإن الانتقادات بارتكاب الذنوب تكون ملحوظة في تاريخ اليهود. «إن مثال قصة اللؤلؤة المفقودة يثبت بأن كبرياء العقيدة اليهودية أصاغ رمزيتها، وأن فيها التعصب، لانها لا تتحدث عن الاخ وإنما عن ابن رب المنزل والكثير من الخدم».⁷⁵⁵

ولهذا السبب استند كبرياء العقيدتين المسيحية واليهودية على خلفيات وأسس دينية مختلفة. ولهذا فان كل واحد منهم حين يتطرق إلى هذه الحكاية يرويها بوضع مختلف وحسب المفاهيم الدينية التي يؤمن بها، وكما جاء في الحكاية الآتية للكاتب اليهودي (رابي ابن فرجا) التي تعد من أقدم القصص التي رويت عن الخاتم.

(754) Kuschel 1998. S. 280. (ينظر إلى كوشل 1998، ص 280).

(755) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

حكاية رابي ابن فرجا كأقدم المصادر لقصة الخاتم

وجد الباحثون «أن النص الاقدم والأشد إثارة (لحكاية الخاتم) كان للكاتب ورجل الدين اليهودي المتصوف (رابي سليمان ابن فرجا)، الذي نشر في النصف الثاني من القرن الخامس عشر ضمن مؤلفه «بلاء اليهود» (Geißel Jehudas Schevet Jehuda)، الذي صدر وتم تداوله في حوالي العام 1480⁷⁵⁶. ولد (ابن فرجا) في الجزء الجنوبي من مدينة اشبيلية الاسبانية، وكان يتمتع بمكانة مرموقة لدى حكام قشتالة في اسبانيا وكذلك بين يهود تلك المنطقة. وقد أجبر على الهرب اثناء حملة طرد اليهود من اسبانيا إلى البرتغال عام 1492.

واستقر في نهاية المطاف بمدينة نابولي الإيطالية، وهنا انتهى رائعته «بلاء اليهود» Schevet Jehuda، التي دون في فصولها الاثنين والثلاثين نموذجا لنفس حكاية الخاتم للكاتب المسرحي الألماني لسنغ، وهي قصة شقيقين وأثنين من الاحجار الكريمة. حيث رويت هذه القصة لاحقا في عهد الملك المسيحي (دون بيدرو)⁷⁵⁷ حاكم مدينة ارغون (1094 - 1104) في اسبانيا حين اقترح عليه مستشاره (نيكولاس) من مدينة فالنسيا محاربة اليهود في بلاده بحجة أن كرههم للمسيحيين اصبح لا يطاق، وعلى المسيحيين ألا يحيوهم أو يردون لهم التحية، وكما ذكر في الكتب اليهودية المقدسة. ونتيجة لذلك دفعه الحزن والجرأة اليهودية بالتاكيد على ان ما استند عليه المسيحيون كان خطأ.⁷⁵⁸

وفي إطار الخلفية السياسية والدينية والتاريخية وطريقة العرض الديني للحكايتين اليهودية والمسيحية، التي استمدت من تقاليدھا قصة الخاتم للكاتب المسرحي لسنغ، استطاع استاذ علم اللاهوت الألماني (كوشل) أن يؤشر الفرق الحاسم بين اثنين من فروع التقليد لكلاهما وعلى النحو الاتي: «حين يروي المسيحيون قصة الخواتم، فإنهم يقومون بذلك انطلاقا من نشوة امتلاك الحقيقة - ضد اليهود والمسلمين.

(756) Horsch 2004. S. 86. (ينظر إلى سلفيا هورش 2004، ص 86).

(757) Düffel 1972. S. 73. (ينظر إلى دوفيل 1972، ص 73).

(758) Kuschel 1998. S. 281f. (ينظر إلى كوشل 1998، ص 281 يتبع).

وحين يروي اليهود ما شابه ذلك من القصص، فانهم يحاولون في الاساس التمويه على حقهم في الحقيقة ... ليستطيعوا بعد ذلك الوصول إلى خلاصة مفادها: السماح لدينهم على الارض من خلال النداء المباشر إلى الله».⁷⁵⁹

ومن أجل تحفيز المخيلة التاريخية للقارئ والباحث على حد سواء أمسى من الضروري ذكر أن قصة الخاتم رويت بالأصل في أحد البلدان «اسبانيا»، التي عاش فيها سوية ولأول مرة في فترة الحكم الإسلامي انصار الأديان السماوية الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام بسلام. ولهذا السبب يتم طرح السؤال الآتي: هل كان للمسلمين مساهمة فعلية في نشأة قصة الخاتم؟

ثالثاً: التقاليد الإسلامية في قصة الخاتم

من خلال رحلة البحث عن الجذور والمتوازيات الأدبية والتاريخية لقصة الخاتم في العالم الإسلامي وجدنا أن العلماء الأوروبيين المختصين بالعلوم الإسلامية وخاصة الألمان منهم اكتشفوا خلفيات ومتوازيات أدبية في موروث الثقافة الإسلامية يمكن أن تشكل الأساس لحكاية الخاتم التي وردت في مسرحية الكاتب الألماني لسنغ «ناتان الحكيم».

وهذه العلاقة الأدبية تعود إلى الازدهار الثقافي في زمن الخلافة العباسية وعاصمتها بغداد حيث ظهر الأسلوب الأدبي السردى الروائي لحكايات «الف ليلة وليلة» التي تمت ترجمتها وتقليدها من قبل الأوروبيين في فترة القرون الوسطى وما بعدها. حيث يوجد هناك ثلاثة نصوص جديرة بالاهتمام التي تكشف على أقل تقدير صدى هذا التأثير الأوروبي بالأسلوب السردى للقصص العربية ومنها حكاية الخاتم التي جسدها لسنغ في عمله الدرامي، والتي دافع من خلالها عن الإسلام كدين حقيقي.

يقول استاذ علم اللاهوت الألماني (كوشل) عن مصادر هذه النصوص ما نصه: «ان احد هذه النصوص ظهر في فضاء الدولة الإسلامية في اسبانيا، في حين جاء النصان الآخران من المدينة العظيمة بغداد، التي وكما يُعرف اسسها الخليفة المنصور (754-775) ثاني

(759) Kuschel 1998. S. 284. (ينظر إلى كوشل 1998، 284).

خلفاء السلالة العباسية، والتي انتقلت لها مكانة العاصمة السورية دمشق كمركز اسلامي للسياسة والدين والثقافة.

نعم، انها بغداد، التي كانت أكبر من القسطنطينية حيث يقطنها أكثر من أحد عشر مليون نسمة في القرن العاشر، وأصبحت لعدة قرون العاصمة الثقافية للعالم الإسلامي، وعاش فيها الناس من ديانات، وطبقات، وثقافات مختلفة بسلام. ولا عجب أن تناقش في هذه المدينة العالمية متعددة الشعوب مسألة التعددية الدينية.

والسؤال إذا، أي الأديان هو الصحيح، وكيف ينبغي للمرء أن يتصرف في السؤال عن الحقيقة في ضوء تنوع الأديان؟⁷⁶⁰

1 - حكاية اللؤلؤة المفقودة كأقدم نموذج لحكاية الخاتم

يقول الباحث الألماني (فريدريش نيفونر) انه في زمن الخليفة العباسي الثالث المهدي (775-786)، ابن الخليفة المنصور (754-775) ازدات بشكل ملحوظ في العاصمة العباسية بغداد ظاهرة الزندقة، وهم مجموعة من الاشرار والمحتالين في الدين، وعليه قرر الخليفة المهدي، الذي حكم المسلمين باسم أمير المؤمنين، ملاحقة هؤلاء شخصا وقتلهم وتدمير مؤلفاتهم. وطلب في نفس الوقت من رجال الدين المسلمين التعاطي مع ظاهرة الزندقة للحفاظ على الدين من البدع. حيث اراد الخليفة المهدي من خلال ذلك تصفية خصومه الدينيين السياسيين أيضا، ولذلك وضع نوع خاص من المتابعة للزندقة.⁷⁶¹

ولكن هذه القضية المعروفة للجميع والمخيفة في نفس الوقت لم تمنع الخليفة المهدي من عقد حوار ديني لمدة يومين مع الزعيم الروحي للكنيسة السريانية الشرقية البطريرك تيموتئوس الأول (780-823) في سنة 780 / 781. ودار الحديث في هذا اللقاء المكثف حول اللؤلؤة، والتي تعني في مفهومها الديني العقيدة الحقيقية والصحيحة، تماما كما هي

(760) Kuschel 1998. S. 284. (ينظر إلى كوشل 1998، 284).

(761) Friedrich Niewöhner: Veritas sive Varietas, Lessings Toleranzparabel und das Buch von den drei Betrügnern. Heidelberg 1988. S. 254. (ينظر إلى فريدريش نيفونر: Veritas sive Varietas، لسنغ ونموذج التسامح وكتاب المحتالين الثلاثة. هايدلبرغ 1988، ص 254).

قصة الخاتم التي عرضها لسنغ في مسرحيته «ناتان الحكيم» وحوار السلطان صلاح الدين مع الحكيم اليهودي ناتان (الفصل 3 / المشهد 7).

حيث روى البطريق تيموتيوس للخليفة بان الناس بالنسبة للعقيدة كما انهم في بيت أظلم بمنتصف الليل. وحين تسقط بينهم فجأة للؤلؤة في هذا الظلام الحالك، والجميع يعلم بسقوطها، فيسعى كل واحد منهم للحصول عليها وبالطريقة التي يراها مناسبة في الوصول اليها. ومن المعروف انها سوف لن تسقط على الجميع وانما على واحد فقط. وأثناء ما يحصل واحد منهم على اللؤلؤة، ترى الثاني يلتقط قطعة من زجاج، أما الثالث فسيحصل على قطعة حجر او حجارة، ولكن كل واحد منهم سيكون فرحا وفخورا بانه المالك الحقيقي للؤلؤة.

وحين ينقشع الليل والظلام ويحل محلها النهار والضوء سيعرف كل واحد منهم ما يحمل بيده. فالذي يمتلك اللؤلؤة، يقول البطريق تيموتيوس، سيحتفل بالانتصار، ويكون سعيدا وراضيا بالبقاء معها، في الوقت الذي سيحزن ويجهش بالبكاء الذين حصلوا على قطعة الزجاج او الحجر. انهم سيتنهدون ومقلهم تدمع.⁷⁶²

خلاصة القول أن اللؤلؤة أو خاتم العقيدة الحقيقية موجود بيننا جميعا، وانه موجود بلا شك بيد أحدهنا، في الوقت الذي نعتقد جميعنا باننا نمتلك هذا الشيء الثمين. وفي العالم الآخر الذي سيأتي سينقشع الظلام عن الاموات وينجلي الضباب عن الجهل، وسيشع النور الحقيقي الساطع، وحينها يكون ضباب الجهل غريبا تماما، حينها سيحتفل ويكون سعيدا وفرحا من يحمل بيده اللؤلؤة أو الخاتم الحقيقي، وسيتنهد ويكي ويذرف الدموع من يحمل بيده قطعة الحجر الصغيرة والحجارة.⁷⁶³

Vgl. Das Dokument dieses Religionsgesprächs ist in Originalsprache und ins Englische (762 übersetzt durch: A. Mingana, Timothy's Apology for Christianity, in: Woodbrook Studies. Christian Documents in Syriac, Arabic, and Garshuni, Bd. II. Cambridge 1928. S. 15-90 (englischer Text) S. 91-162 (syrischer Text) . Ei- gene Übersetzung aus dem Englischen (287). (ينظر إلى كوشل 1998، ص 287).

Ebd. (763) (ينظر إلى المصدر السابق).

وهذا ما يجده المرء أيضا، يقول (كوشل)، في مفهوم حكاية الخاتم للكاتب الألماني لسنغ حين يكون المالكين الاصليين للخاتم الحقيقي غير معروفين في هذا العالم، ولكن يمكن ان نستدل عليهم من خلال الأعمال الحسنة والافعال الفاضلة،⁷⁶⁴ والتي يمكن أن ينظر لها بشكل كامل في مسرحية «ناتان الحكيم» (III/7 u. V) كجزء في غاية الأهمية يبين العقيدة الربانية الحقيقية. وهنا يحاول البطريرك المسيحي (تيموثيوس)، كما هو حال اليهودي ناتان في مسرحية لسنغ أيضا، أن يروي حكاية اللؤلؤة بحذر، ولذلك ترك نهاية القصة مفتوحة وبدون قرار نهائي - وهذا الامر يتماشى متوازيا مع قصة الخاتم للكاتب لسنغ التي لم يضع لها نهاية ولكن القرار النهائي كان متروكا للمتلقي في خاتمة أحداث المسرحية حين انتهت بلم شمل العائلة المسلمة -، والتي اشار فيها إلى الأعمال الحسنة والافعال الفاضلة كمعيار موضوعي للعقيدة الافضل التي تكون فيها الازدواجية غير ممكنة.

يتضح من أحداث القصة بأن اللؤلؤة الاصلية المفقودة تعني بالنسبة للمحاور المسيحي الديانة المسيحية وعلى عكس ما عرضه لسنغ في قصة الخاتم لاحقا. حيث كان الخليفة المهدي يأمل أن يكون المسلمين هم من يمتلك اللؤلؤة الحقيقية في نهاية المطاف. وحال ان الراوي كان مسيحيا لذلك تم تقييم القصة من قبل الباحثين الأوروبيين على انها مصدر لقصة الخاتم المسيحية في إطار الموقف السياسي لرجل الدين المسيحي تجاه الحاكم المسلم. يقول (كوشل):

«ان النص الذي بين أيدينا حاليا عن الحوار الديني جاء من الموروث المسيحي. وبسبب أن الرسائل التي تتحدث عن طرف الحوار الإسلامي لا يسمح باكتشافها، لكنها تركت اصداء تشير إلى المناصب في الإسلام بذلك الوقت. وهنا تكمن أهمية مصدر الحكاية المسيحية بالنسبة للقضية التي نبحث من اجلها».⁷⁶⁵

أما ما يخص حكاية الخاتم التي كتبت لاحقا، فيمكن للمرء أن يجد في الحوار الديني بين البطريرك المسيحي والخليفة المهدي، والذي استمع فيه الإسلام والمسيحية لبعضهم البعض، نموذجا لحكاية الخاتم للكاتب المسرحي الألماني لسنغ وبحثه عن حقيقة الأديان.

Ebd. (764) (ينظر إلى المصدر السابق).

Kuschel 1998. S. 287. (765) (ينظر إلى كوشل 1998، ص 287).

وهنا يعترف الكاتب (جوزيف فان ايس) بوجود سلف لحكاية الخاتم الحالية، مشيراً إلى أنه في حقيقة الامر هناك نماذج في متناول اليد استند عليها لسنغ في كتابته لقصة الخاتم التي يوجد فيها خاتم حقيقي أيضاً، والذي يمكن التعرف عليه من قبل الناس ضمن شروط دنيوية، حيث تبان اصالته من خلال العمل الصالح، وفي المستقبل بعد مرور «آلاف، آلاف السنين» سيعلم القاضي قراره بشأن الخاتم الحقيقي.

فحين يفتح الضوء، ويبدو كل شيء واضحاً للعيان، سيبان مع من سيكون الخاتم الحقيقي.⁷⁶⁶ ومن الواضح أن الرواة كانوا قد شفروا فحوى حكاية اللؤلؤة والخاتم لغرض ربط موضوع الاصاله مع التصرف الجيد والمسيء لأنصار الأديان جميعاً كتعبير عن العقيدة الأفضل.

2- حقيقة حكاية الخاتم في القرآن

حين يدعي المرء بأنه لا يوجد في الأدب الشرقي نموذجاً لحكاية الخاتم التي تعبر عن تصورات الإسلام، لذلك لا بد من التذكير، تقول (هورش)، بأن هناك نماذج معروفة لقصة الخاتم تحتوي ليس فقط على ايماءات يهودية ومسيحية «وإنها اسلامية أيضاً»، من ضمنها وقبل كل شيء رؤية الحكم النهائي الصادر من القاضي عن أفضل الأديان، والذي استمدت تقاليده من الجانب الإسلامي. ذلك لأن القاضي الذي نصح الأبناء بالإيمان بحقيقة واصله الخاتم من خلال الأفعال الفاضلة والأعمال الحسنة التي تساعد على الوصول إلى هذه الحقيقة، والتي تعتبر اضافة من اضافات الكاتب الألماني لسنغ الكثيرة على حكاية الخاتم، والتي من ضمنها «نصيحة القاضي الخاصة بالأفعال الفاضلة التي تهدي إلى الحقيقة الدينية، والتي استبدلها لسنغ بثقافة الصراع بين انصار الأديان السماوية، حيث توجد هناك أمثلة في القرآن الكريم حول اصاله الخاتم التي ورد ذكرها وضمن منظور التنافس للوصول إلى الحقيقة الدينية التي يجب أن يؤمن بها الناس».⁷⁶⁷

(766) J. von Ess: Die Erkenntnisslehre. S. 227. Vgl. dazu auch Kuschel 1998. S. 289. (ينظر

إلى المصدر السابق، ص 289.)

(767) Horsch 2004. S. 87. (ينظر إلى سيلفيا هورش 2004، ص 87.)

في القرآن الكريم يعتبر الله الخالق هو القاضي العادل، الذي يرشد المؤمنين إلى حقيقة الإسلام، والتي تم توضيحها بشكل معمق وصریح من قبل الفيلسوف ورائد حركة التنوير الألماني لسنغ في مخطوطته اللاهوتية الشهيرة «إنقاذ السيد كردانيوس» التي نشرت عام 1754.

وكما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمَنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (سورة المائدة 5- / الآية 48)

مما لاشك فيه، ان رجال الدين المسيحيين واليهود يعرفون جيدا هذه الحقيقة، لكنهم يحاولون اخفاءها بسبب الخوف التاريخي والمعاصر من الإسلام باعتباره ظاهرة دينية جديدة في العالم. لكن لسنغ، يقول الكاتب (أوتو مان)، أثبت في السنوات الأخيرة من حياته ومن خلال أعماله الأدبية الشهيرة وخاصة مسرحياته النقدية الهادفة «أميليا غالوتي» التي كتبها عام 1772 و«ناتان الحكيم» عام 1779 «بأن الله سبحانه وتعالى هو سيد العالم الطبيعي، وهو الذي يسخره في هذا السياق لخدمة أغراضه. ولذلك فإن سيادة العناية الإلهية في هذا الكون عملت على تأسيس وانتشار الديانة المسيحية».

واستنادا على تقييماته وفرضياته الدينية الفلسفية أثبت لسنغ في حكاية الخاتم أن المسيحية «أسست في المحتوى والمضمون لقيمة الإيحاء الإلهي وليس في الكشف الخارجي المصطنع لموثوقية تقارير الإنجيليين». ففي حكاية الخواتم الثلاثة تحدثت شخصية لسنغ الفنية ناتان عن الأديان الثلاثة - اليهودية والمسيحية والإسلام -، «التي أسست بمجملها عن طريق الوحي الإلهي وفي نفس الإيحاء».⁷⁶⁸ ولذلك جعل لسنغ الممثلين الرئيسيين للأديان - ناتان وصلاح الدين وفارس المعبد - يتوحدون من خلال موقف عالي المستوى ومتساوي.

Otto Mann: Lessing Kommentar zu den Dichtungen und ästhetischen Schriften. (768 München 1971. S. 87, 95, 97f. (أوتو مان: «تعليق لسنغ على الآداب والمخطوطات الجمالية»، ميونخ 1971، ص 87، 95، 97، 98.)

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن «نزاع لسنغ الديني الفلسفي مع رجالات الكنيسة كان منصبا في البحث عن الحقيقة الدينية ومن أجل الحرية والإنسانية». حيث طرح وجهة نظره في حديث مع الكاتب (فريدريش هاينريش ياكوبي) الذي عاصر حركة التنوير (1743-1819) موضحا: «إن المفاهيم الارثوذكسية عن الربوبية لاتعني شيئا بالنسبة لي، ولا استمتع بسماعها».⁷⁶⁹

وقد حدد لسنغ رأيه بشكل واضح وصريح للملأ حول حقيقة المسيحية كدين في كتاباته الدينية الفلسفية المسماة «صراع لسنغ»، والتي كان يرد بها على ادعاءات (غوتسه) كبير القساوسة في مقاطعة هامبورغ آنذاك، قائلا: «لهذا أنا لذي رأيا راسخا بأن العالم والمسيحية سيقفان طويلا وبما فيه الكفاية في إطار دين الكتاب للألفي سنة الأولى بعد ولادة السيد المسيح بشكل مهم وأفضل مما نحياه الآن لكتاب القرنين الماضيين».

حيث كتب لسنغ أيضا إلى كبير القساوسة (غوتسه) حول أصل وطريقة كتابة الإنجيل مشيرا: «أريد أن أقول فقط بأن الدين المسيحي كان على أقل تقدير الدين الذي أنزل أول مرة، وحتى قبل الكتاب الذي الفتموه بأيديكم وقبل أن توجد النسخة الحالية الوحيدة للكتاب المقدس، الذي ينبغي أن يكون نفسه في الوقت الحاضر».⁷⁷⁰

لذلك تم التأكيد والاثبات مؤخرا من قبل الباحثين في مجال الأدب وعلم اللاهوت المسيحي واليهودي والعلوم الإسلامية بأن الأفكار الأساسية لحكاية الخواتم ومن ضمنها الحكم القضائي التي كتبها لسنغ ونشرها في مسرحيته «ناتان الحكيم» التي اشتهرت في الاوساط الأدبية والشعبية منذ القرن الثامن عشر ولحد الآن كانت مستقاة بالأصل من وحي القرآن الكريم (المائدة-سورة 5- / الآيات من 44-48)، وكما سنعرضه في الآتي:

Dieter- Jürgen Löwisch: Gotthold Ephraim Lessing. Interpretation zur Anthropologie. (769 Münster 1970. S. 7, 58. (ديتر - يورغن لوفش: «غوتهولد أفرايم لسنغ. تفسير لعلم الإنسان (الانثروبولوجيا)»، مونستر 1970، ص 7 و 58.)

Kurt Wölfel (Hg.): Lessings Werke. Schriften II, Antiquarische Schriften, Theologische (770 und philosophische Schriften, Bd. 3. Frankfurt am Main 1967. S. 411, 426. (كورت فولفيل (الناشر): «أعمال لسنغ وكتاباته II، مخطوطاته القديمة، الكتابات الدينية والفلسفية»، البند 3، فرانكفورت أم ماين 1967، ص 411، 426.)

تقول (سيلفيا هورش) الباحثة في مجال العلوم الدينية الإسلامية والأدبية الألمانية انه «تمت الإشارة عام 1805 في «صحيفة الصباح للقراء المثقفين» التي تصدر في شتوتغارت إلى أوجه التشابه في الآيات القرآنية وأفكار حكاية الخاتم التي عرضت مؤخرا من قبل لسنغ، وذلك من خلال النص المختصر الذي نشرته الصحيفة تحت عنوان «الفكرة الأساسية لمسرحية لسنغ (ناتان الحكيم)» والتي تشير فيه إلى أن هناك دليل حاسم في القرآن الكريم على أصالتها ومرجعيتها الفكرية الإسلامية الأساسية».⁷⁷¹ وحسب النص الآتي:

«من بين انواع الآيات القرآنية تسطع دائما في السورة الخامسة - الآية 42 وما يليها، حيث، وبعد مناقشة مستفيضة لفسفساء القانون والإنجيل المسيحي المستوحى من الله، بالإضافة إلى ما قاله النبي، اتضح:

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (48)﴾

فحين لم تذكر هذه الآية بمسرحية لسنغ «ناتان الحكيم» فإنها تشير على أقل تقدير إلى الفكرة الأساسية لقرار القاضي الذي ختمت به حكاية الخاتم؟»⁷⁷²

حيث لم يتم العثور على أكثر من هذه الإشارة في صحيفة الصباح. ولم يجرؤ الباحثون منذ قرون على الانخراط في البحث عن قضية الحقيقة الدينية وأصالتها رغم وجود أكثر من إثبات لذلك، يقول (كوشل)، «بأن لسنغ قرأ في وقتها الآيات القرآنية واستخدم افكارها».⁷⁷³ ولذلك نشر بعض الكتاب نصوصهم الدينية بدون ذكر اسمائهم خوفا من ملاحقة سلطات الكنيسة لهم ومعاقبتهم. لكنه في القرن الماضي، أي قبل مئة وخمسين عاما

(771) Horsch 2004. S. 87. (سيلفيا هورش 2004، ص 87).

(772) Morgenblatt für gebildete Leser. S. 1033. Zitiert von Silvia Horsch 2004. S. 87f.

(صحيفة الصباح للقراء المثقفين، ص 1033. مقتبس من سيلفيا هورش 2004، ص 87 يتبع.)

(773) Kuschel 1998. S.317. (كوشل 1998، ص 317).

تقريبا، تم بحث هذه القضية من قبل المستشرقين وعلماء اللاهوت والباحثين في العلوم الإسلامية الألمان: 774

أشار الباحث الألماني (فريدريش نيفونر) عام 1996 في كتابه «لقاء الإبرة المسلمة» إلى هذه الآيات القرآنية، حيث شملت اهتماماته البحثية بالإضافة إلى علم اللاهوت المسيحي الفلسفة اليهودية والعربية للقرون الوسطى والعصر الحديث. 775 إلى جانب ذلك استطاع (كارل- جوزيف كوشل)، استاذ علم اللاهوت الكاثوليكي، أن يناقش بالتفصيل في دراسته القيمة والغنية بالمعلومات «من صراع إلى سباق الأديان» قضية حكاية الخاتم القديمة والمعاصرة وعلاقتها بحقيقة وأصالة الأديان السماوية الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام، والذي استطاع التوصل إلى الحقيقة الدينية المفقودة وأصلاتها عند القاضي الإلهي المتمثل بالخالق الله تعالى استنادا على ما آمن به لسنغ من استنتاجات في هذه القضية.

يستطيع المرء أن يفترض أيضا، يقول (شيلسون)، «بأن محاولة لسنغ، التي كانت تهدف إلى فهم الدين الإيجابي أو الموحى في نشأته من خلال التفسير المعقول والتبرير لوجوده، قادت بالنتيجة إلى البيان العملي للعقلانية العميقة والمبررة». 776

واستنادا على دراسة لسنغ «حول أصول الدين» فإن «أفضل دين موحى أو إيجابي هو الدين الذي يحتوي على مواد تقليدية مضافة للدين الطبيعي، الذي يحدد التأثيرات الجيدة للدين الطبيعي على أقل تقدير». 777 حيث عبر الكاتب الألماني (نيفونر) عن رأيه بصراحة مطلقة أيضا حول الدين الطبيعي الذي كان يدور في مخيلة رائد حركة التنوير الألماني لسنغ بالقول: «يمكن القول ان لسنغ كان يعتبر الدين الإسلامي الأفضل بين الأديان السماوية الثلاثة». 778

774. S. 88. Horsch 2004. (هورش 2004، ص 88).

775. Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق)

776. Schilson 1974. Bd. 3. S. 68. (ينظر إلى شيلسون 1974، البند 3، ص 68).

777. Schilson 1974. Bd. 3. S. 68. Vgl. dazu auch die knappe Deutung von Thielickes «Offenbarung», S. 47, der in der offenen Frage den Sinn des Fragmentes sieht. Vgl.

Niewöhner 2002. (ينظر إلى المصدر السابق. ونيفونر 2002).

778. Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

وتأييدا لما قاله الكاتب (نيفونر) يتضح جليا الميول الديني للكاتب لسنغ إلى الإسلام في حكاية الخاتم التي ضمنها لمسرحيته «ناتان الحكيم»، حيث بين ذلك للعيان حين جعل ظهور القاضي الحكيم بصفة الناصح للأبناء وليس المدعي بالحقيقة، قائلا: «ليطلع كل واحد منكم خلال اليوم إلى التسابق مع الآخر في عمل الخير، لكي يكتسب خاتمه قوة الحجر الكريم، والتي لا تأتي إلا من خلال الوداعة، والتوافق الروحي، والإحسان، والإخلاص الصادق إلى الله». (ناتان/ الفصل 3/ المشهد 7)

واستنادا إلى هذا المفهوم ستفقد كل الخطب والعبارات العقائدية المتطرفة صداها تلقائيا، وتحل محلها مفاهيم إنسانية جديدة تتمثل في الوداعة ودماثة الخلق، والتسامح الروحي والقلبي، وقبل كل هذا وذاك الاخلاص والإيمان الصادق بالله تعالى.

فحين سمع السلطان صلاح الدين، الذي اضحت صفاته التقوى والفضيلة والتسامح معروفة لدى الناس والكاتب على وجه الخصوص، هذه الكلمات التي انطلقت من فم اليهودي الحكيم ناتان حين ذهب فكره إلى الآيات القرآنية (34 و 35) من سورة القلم (68)، يقول (نيفونر) معللا، ان الحوار الذي دار بين هذين الرجلين كان مسندا إلى العربية، مضيفا، ان الآية القرآنية تؤكد على ان الله تعالى سيهب الصالحين جنات النعيم يوم القيامة، ومتسائلا: هل ينبغي علينا ان نساوي بين أولئك المؤمنين الذين يكرسون حياتهم في عبادة الله والاخلاص اليه والفاسقين؟ وهذا يعني ان أولئك الذين يؤمنون بالله ويسلمون امرهم اليه يسمون في اللغة العربية «مسلمين».

وكانت خلاصة افكار الكاتب الالماني (نيفونر) وقناعاته تؤكد على ان مصطلح «المسلمين» و«الإسلام» مبني على أساس مفهوم هذه الآية القرآنية، وان الترجمة الحرفية لكلمة «المسلمين» تعني ممن فوض أمره واسلم إلى الله.⁷⁷⁹

يستطرد الكاتب (نيفونر) قائلا: أن الكاتب المسرحي لسنغ كان قد كلف اليهودي الحكيم ناتان بواجب ان يلفت عناية المسلم المتدين صلاح الدين إلى الشيء الذي يمثل نواة الإسلام

(779) Niewöhner 2002. (نيفونر 2002).

ألا وهو الاستسلام لله والإيمان به، وذلك من خلال ما رواه عن حديث القاضي مع الأبناء في حكاية الخاتم.

حيث نجد أيضا هذا النداء والطرح الشجاع والاستثنائي لفرضية رائد حركة التنوير لسنغ التي اشار فيها إلى الإسلام بهذه الجرأة في كتاب الأمثال «ديوان الغرب-والشرق» للمفكر الألماني ورائد حركة الأدب الكلاسيكي (يوهان فولفغانغ غوته) الذي عاصر لسنغ في تلك الفترة ودون فيه قائلا: «ماجن، من يشيد في دعواه، ويمدح حسب رأيه الخاص! فحين يعني الإسلام «الاستسلام لله»، فإننا نحيا ونموت جميعا في الإسلام».⁷⁸⁰

في هذا المعنى، ينبغي على كل إبن من الأبناء الذين عرضهم لسنغ في مسرحيته «ناتان الحكيم» أن يثني على رأيه الخاص ويشيد به، ولكن في نهاية المطاف ينبغي على كل واحد منهم أن يفوض أمره إلى الله كمسلم. حيث يقول (نيفونر): «وجد غوته بأن ذلك مجون وأقترح أن يكون الاستسلام لله كتعويض وقاسم مشترك للمتخاصمين. وعليه فإن (غوته) بقدر ما يتفق مع لسنغ في التقييم. يشير تقييمه اللاهوتي للإسلام بشكل مباشر إلى الاستسلام لله، ثم يعرض بعد ذلك اسم «الإسلام».

وعلى أساس ما سمعناه حول تمجيد لسنغ للإسلام، فإنه من المحتمل أن جعل معنى الآيات القرآنية عن الاستسلام لله يتردد في تلك السطور، حتى ولو لم يكن قد اصاغها بشكل صريح».⁷⁸¹ وناقش (غوته)، رائد حركة الأدب الكلاسيكي الألماني، في حواراته ومناقشاته الدينية مع صديقه المقرب الشاعر الألماني (يوهان بيتر أكرمان) - (1792-1854) - بإسهاب نظرة لسنغ إلى الحياة والمفاهيم الإسلامية.

وبعد الاعتراف بطريقة الدراسة والفلسفة الإسلامية أشار (أكرمان) في حديثه إلى لسنغ في هذا الجانب كما تحدث عنه (غوته) أيضا، وفي الحادي عشر من نيسان عام 1827 تكرر حديثهما دون تعليق عن الإسلام، وبعدها تطرقا إلى لسنغ والإسلام وخاصة مسرحيته «ناتان الحكيم»، حيث يقول (أكرمان) عن لسنغ ما نصه: «من الغريب انه لم يذهب في

(780) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(781) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

كتاباته النظرية إلى النتائج بشكل كامل، إنما يلف بنا حولها في بادئ الأمر دائماً بطريقة فلسفية ومن خلال الرأي والرأي المضاد والتشكيك، قبل أن يأتي بنا في نهاية المطاف إلى نوع من القناعة».⁷⁸²

ومن أجل تأكيد الحقائق، يستطرد (أكرمان) قائلاً: «نرى دائماً الكثير من عمليات التفكير والتقصي حين نطلع على وجهات نظر وحقائق رائعة، والتي تحفز تفكيرنا الخاص وتجعلنا في ذات الوقت منتجين في تقديم أنفسنا».

حيث يجيبه (غوته) بالقول: «أنت محق فيما تقول، ولكن ينبغي على لسنغ أن يصرح بالحقيقة من ذاته، بأنه رفض هذه الهدية، حين أراد الله أن يوحى له بالحقيقة، وفضل بذل المزيد من الجهود للبحث عنها بنفسه». وأضاف: «إن هذا النظام الفلسفي للنبي محمد (صلاة الله عليه) هو المعيار الأفضل، الذي يستطيع المرء أن يستثمره في نفسه والآخرين، ليعرف واقعياً على أي مستوى من الفضيلة الفكرية يقف».

وكان (غوته) قد عبر عن رأيه بشكل صريح حول الدين الطبيعي الذي تبناه لسنغ ليكون الأفضل لكل البشرية بقوله: «توقف لسنغ، حسب طبيعته الجدلية، وخير ما فعل عند دين التناقضات والشكوك، وكان الاختلاف تجارته، وبذلك أتى به عقله الكبير ليتزود بما هو أروع».⁷⁸³ ويعلق الكاتب (نيفونر) على ما طرحه (غوته) بالقول: «أن غوته قارن هنا بين موقف لسنغ الفلسفي وفلسفة لسنغ الخاصة بالإسلام، فأصبح الإسلام مكملًا لفهم لسنغ ولسنغ مكملًا لفهم الإسلام».⁷⁸⁴

إذا؛ لسنغ جعل قصة الخاتم تروى على لسان اليهودي الحكيم ناتان لكي يثبت للجميع بأن الإسلام دين حقيقي منزل كباقي الأديان السماوية الأخرى كاليهودية والمسيحية (ناتان الحكيم - ف 3 م 7)، ولكي لا تفقد القصة أو المسرحية طابعها الفني الدرامي وتتحول

Goethe: Gespräch mit Eckermann vom 11. April 1827. (Edward Dvoretzky: Lessing (782 Dokumente zur Wirkungsgeschichte, Bd. I. Göppingen 1971. S. 170). (غوته: حديثه مع أكرمان

في 11/4/1827. المصدر: ادوارد دفوريتزكي: وثائق لسنغ وتأثيرها التاريخي، البند 1، غوبنغن 1971، ص 170).

Ebd. (783 ينظر إلى المصدر السابق).

Niewöhner 2002. (784 نيفونر 2002).

إلى مجرد اثبات وجود لدى المتلقي، «أخذ ناتان يروي القصة فقط كسبيل لإنقاذ نفسه من الموقف المثير للشكوك الذي وضع فيه».

واستنادا لما قاله (نيفونر) فإن ناتان كشخصية فنية روى قصة الخاتم، «والتي كانت تعني له مجرد حكاية أطفال، كما قال بذاته، حيث كان يتمنى أن يفهمها السلطان المسلم ويوافقه الرأي فيها»، باعتبار أن السلطان سبق وتحدث عن رجل المعبد قائلا: «أنا لم أطلب مطلقا بأن ينمو لجميع الأشجار لحاء. هذا ما لم أمر به أبدا».

وهذا يعني ان السلطان كان متسامحا أيضا قبل أن يسمع قصة الخاتم من ناتان. ويضيف (نيفونر): «لذلك حسبها ناتان الذكي بشكل صحيح. فالسلطان لم يعترض على قصة الخاتم لأنها ناقشت تفكيره النقي المتسامح، ورويت في فكر صدر الإسلام».⁷⁸⁵

كذلك، وفي إطار البحث العلمي الأدبي عن علاقة لسنغ بالإسلام وبالإشارة إلى مسرحيته المشهورة عالميا «ناتان الحكيم»، استطاعت الكاتبة الألمانية (سيلفيا هورش) أن تواصل البحث في دراستها الأدبية «العقلانية والتسامح» 2004 عن حوار لسنغ مع الإسلام، مبينة عدة حقائق لم يكن القارئ الألماني على دراية كاملة بها، لتثبت، استنادا إلى السورة (5) - الآيات القرآنية (44 إلى 48) وحكاية الخاتم الأخيرة للكاتب ورائد حركة التنوير الألماني لسنغ، بأن الإسلام دين حقيقي منزل، مؤكدة أن الآيات القرآنية آنفا تمثل اثبات مادي حقيقي للعلاقة الأدبية بالنسبة للكتابات والمناقشات بشأن نشأة حكايات الخاتم التي كتبت في الماضي البعيد وأعيد انتاجها في الماضي القريب، «والتي تبين الفرضيات بانها مبنية على اسس حقيقية تؤكد أن مشروع لسنغ عن حوار الحضارات والأديان وتعايشها جنبا إلى جنب أو مع بعضها يحمل أصداء إسلامية».⁷⁸⁶

ان أهمية العلاقة التاريخية بين الأديان السماوية - اليهودية والمسيحية والإسلام - تظهر جليا في سورة المائدة (الآيات 44-48) التي أوحى بها الله سبحانه وتعالى على نبيه محمد (صلاة الله عليه):

(785) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(786) Kuschel 1998. S.317. (كوشل 1998، ص 317).

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ
وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنَ وَلَا
تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (44) وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ
فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذْنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ
قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (45)
وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ
هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (46) وَلَيَحْكُمَ أَهْلُ
الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (47) وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا
تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ
أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا
كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (48)﴾

يستطيع المرء ومن خلال الآية (48) من سورة المائدة أنفا الاستدلال على الوحي القرآني الذي جسده الكاتب لسنغ في تنافس ممثلي الأديان، وكذلك فيما يتعلق بأن يكون الإنسان مطيعاً لله، وأيضاً فيما يخص دور القاضي في حكاية الخاتم (ناتان الحكيم - 7 / III).

تقول الكاتبة الألمانية (هورش)، ان هذه الآية القرآنية تتوافق مع لاهوت الدين العقلاني للكاتب لسنغ والفهم التعددي العام ما بعد الحداثة، بحيث يستطيع المرء أن يجد متوازيات فيما تمت الإشارة إليه في الآية القرآنية وفي حكاية الخاتم التي تشير إلى وجود ثلاثة خواتم تتشابه مع بعضها البعض كما هي الأديان السماوية الثلاثة، وهذا ما كان وراء القصد.

وعليه فإن القاضي كان على يقين أن الأب لم يرد الاستمرار بلعبة طغيان الخاتم الواحد الذي يتم توارثه على مر الزمن من قبل أحب الأبناء إلى أبيه، ولذلك صنع أكثر من خاتم مشابه له. حيث يعد هذا العمل تعبيراً عن حب الأب لجميع أبنائه،⁷⁸⁷ أي حب الله لجميع أبناء خلقه. يقول القاضي في حكاية الخاتم للسنغ:

(787) Horsch 2004. S. 88, 89. (هورش 2004، ص 88، 89).

«نصيحتي لكم على النحو الآتي: تاخذون الشيء كما هو تماما. ألا يمتلك كل واحد منكم خاتما من أبيه، ويعتقد بأنه الخاتم الحقيقي. من المحتمل، أن والدكم لم يعد يتحمل أن يستمر طويلا طغيان الخاتم الواحد في منزله... ومن المؤكد أنه يحبكم أنتم الثلاثة، وبنفس المستوى...

بيد انه لم يريد أن يضطهد اثنين على حساب حبه لواحد منكم. الاجدر انه دفع كل واحد منكم على النزاهة، ولم يكن منحازا بحبه إلى أحد منكم. لذلك على كل واحد منكم ان يسعى في النهار لحل لغز الرهان في قوة خاتمه، والتي لم تأت إلا من خلال الحلم والأناة والخشوع العميق لله...» (ناتان الحكيم-III/7)

واستنادا إلى التعاليم القرآنية وما جاء في سورة المائدة/ الآية (48) سيصبح التعايش جنبا إلى جنب والتعددية الدينية مرتبطان بالأعمال والأفعال الصالحة كما يريد الله جل جلاله، ومن خلال ذلك يستطيع الناس التحقق من الأديان المختلفة. حيث يريد الله جل جلاله أن يختبر الإنسان فيما أعطاه ومن عليه بفضلله، وهذا المطلب الإلهي، تقول (هورش)، تضمنته جميع الأديان السماوية التي تدعوا إلى التعايش السلمي والعدل بين الناس.

وتضيف، ان تبعية الناس إلى أديان مختلفة وضعت رجال الدين المؤمنين من كل دين على المحك لتنفيذ هذا المطلب. كذلك بالنسبة لحالة الإبناء الثلاثة فقد وضعت التعايش بين الخواتم المختلفة كمعيار للإختبار، والتي بدأت بالنزاع والتهديد ولم يكن الاختبار موجودا، حتى جاءت نصحية القاضي لترشدهم على الطريق الصحيح. بهذه الطريقة، والمنافسة من أجل الخير، كانت هناك فكرة لم تظهر فقط في الآيات القرآنية التي تم اقتباسها آنفا وإنما في أماكن أخرى من القرآن.⁷⁸⁸

يبدو للكاتب الألماني (كوشل) أن الحافز للتعايش كمفتاح لتصنيف حكاية الخاتم هو التنافس من أجل عمل الخير. وهذا يتطابق تعبيريا من ناحية «الحماس» في الحب غير المنحاز والسعي للخير. وان فكرة الحماس والسعي إلى الخير متجذرة في القرآن الكريم كما

Horsch. 2004. S. 89. (هورش 2004، ص 89).

في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة البقرة، الآية 148).

لذلك طلب القاضي من الأشقاء الثلاثة المتخاصمين اثبات القوة الخارقة للخاتم، وهذا يعني جعل هذه القوة ذات السرية الكبيرة مقبولة من الله والناس، ولا يتحقق ذلك إلا ضمن شروط معينة يجب أن يتحلى بها كل واحد منهم كـ «الحلم»، والتوافق الروحي، والإحسان، والإخلاص الصادق إلى الله جل جلاله كما أسلفنا. ويجب على الأبناء تجنب الصراع فيما بينهم للمطالبة بأحقية الحقيقة ويحل مكان ذلك التنافس لعمل الخير، بعدها يستطيع المرء أن يتوقع القرار الإلهي والأيضاح النهائي حول مسألة الحقيقة الدينية يوم القيامة، لإظهار فيما إذا استطاع الأشقاء الثلاثة ومن معهم من أنصار الديانات المختلفة الأخرى أن ينجحوا «بعد آلاف آلاف السنين» بالاختبار الإلهي حسب ما صورته لسنغ في مسرحيته «ناتان الحكيم».

وتجدر الإشارة أن نذكر هنا ما جاء في القرآن الكريم واحاديث الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الحلم والأناة والرفق التي يجب أن يتحلى بها الإنسان الذي يرجو من ربه مغفرة ورحمة:

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (134) ﴿آل عمران 134-﴾.

وقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (199) ﴿الاعراف- 199﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (34) ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (35) (فصلت: 34-35)

وقال تعالى أيضا: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (43) ﴿الشورى- 43﴾.

(789) Kuschel 1998. S.321. (كوشل 1998، ص 321).

وقال رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في الحلم والاناة والرفق: «إن فيك لخصلتين يجبهما الله ورسوله الحلم والاناة». (رواه مسلم). وقال رسول الرحمة أيضا: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله». (متفق عليه). وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه». (رواه مسلم). وقال النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديث آخر: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه». (رواه مسلم).⁷⁹⁰

وبناء على ما جاء في القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة ربط لسنغ مسالة صلاح حال الأخوة المتخاصمين بالتحلي بـ «الصبر» اذا كانوا يرجون الرضى والرحمة والمغفرة من الله جل جلاله، وكما جاء في الحديث الشريف الذي خص «الحلم والاناة» وجعلها من الخصال التي يجبهها الله في عبده المؤمن.

ويواصل لسنغ توأمة فكره الأدبي الديني مع ما جاء في القرآن والسنة حين يشير إلى حساب يوم القيامة، يوم لا ضل إلا ضله، يوم ينادي في الصور وتجتمع الأمم أمام العرش العظيم واجفة ابصارها راجفة، فيكون الله الواحد القهار، القاضي العادل الذي لا تضيع عنده مثقال ذرة من الأعمال، بعد أن جعل لكل أمة شرعا ومنهاجا، ولو شاء لجعلهم أمة واحدة، ولكن ليلوهم أيهم أحسن عملا، حين يكون مرجعهم اليه جميعا فينبئهم بما كانوا فيه يختلفون.

وهذا ما جسده لسنغ في حكاية الخاتم حين أمر القاضي الأشقاء المتخاصمين بالعودة امام القضاء مرة اخرى بعد آلاف السنين من العمل الصالح الذي يرضي الله والعباد:

«ألم يأخذ كل واحد منكم خاتمه من أبيه، ويعتقد مؤمنا بأن خاتمه هو الأصلي: لذا سادعوكم بعد آلاف آلاف السنين أمام هذا الكرسي، وسيكون هناك رجل أكثر حكمة جالس عليه، كما انا الآن، ويتحدث معكم ... الله، الله». (ناتان الحكيم - 7 / III)

Riath Alsaleheen, S. 269, 270. (790) (رياض الصالحين، ص 269، 270).

تدل هذه الاستشهادات القرآنية والأدبية على أن لسنغ كان قد قرأ القرآن الكريم وتمعن بمعاني آياته الكريمة، وعليه يجب على المختصين والباحثين في مجال أدب حركة التنوير الأوروبية الاعتراف بحقيقة أن لسنغ لم يعتمد فقط على مراجع مسيحية ويهودية في كتابة قصة الخاتم وإنما على مصادر إسلامية أيضاً، والتي لا تقبل التأويل والمراوغة في التحليل العلمي الأدبي لما جاد به عقل الكاتب حين دون أفكار مسرحية «ناتان الحكيم» التي تعد مرجعاً عظيماً لحوار الحضارات والأديان. حيث مكنته بصيرته الثاقبة على السمو بحيادية في عرض القضية الدينية المثيرة للجدل.

واستناداً لذلك أعلن لسنغ عن «العالم الطبيعي» في رسالته الموجهة إلى شقيقه (كارل لسنغ) عام 1778، والتي تطرق فيها إلى اكتمال كتابة مسرحيته «ناتان الحكيم» وما تحمله من أفكار عن ذلك العالم الطبيعي الذي صورته لذاته، والذي يعني في طبيعة الحال «العالم العربي الإسلامي» الذي من حق كل إنسان الإنتهاء إليه في نهاية المطاف، حسب ما جاء في رسالته ومسرحيته «ناتان الحكيم» - المشهد الأخير.⁷⁹¹

ومن أجل إثبات هذه الحقيقة كتب (أرنو شيلسون): «يدور الحديث عن العالم الطبيعي الذي يعني مسار الأحداث وتصرف الإنسان، التي تنشأ من ذاتها بشكل طبيعي جداً، وتتحد مع بعضها بإنسجام في نهاية المطاف». حيث يشير بوضوح في دراسته إلى هذا «العالم الحقيقي» النهائي القادر على كل شيء للكاتب لسنغ، مضيفاً: «من المؤكد أن لسنغ أراد أن يعرض هذا «العالم الطبيعي» على خشبة المسرح أمام أعين الناس كبديل حقيقي للعالم الذي يبدو للآخرين الحقيقي الوحيد». حيث «أصبحت الإشارة إلى الإنتعاش الفكري والوسائل النهائية لتحقيق الأهداف تعرض من قبل لسنغ أمام الملائ كآهم النتائج ذات الصلة في النزاع اللاهوتي الذي يجب أن يكون فيه مبرراً تاريخياً بأحقية صلاحية أحد الأديان».

Lessing GW.Bd 2. S. 321. Auf diese natürliche Welt, die er sich wünschte, hat (791 Lessing in seinem Brief an dessen Bruder Karl Lessing vom 11. Aug. 1778 verwiesen, als er erst das Drama «Nathan der Weise» angekündigt hatte. (Vgl. dazu auch siehe Düffel 1972. S. 99f.). (لسنغ: «أعمال لسنغ»، البند 2، ص 321).

وهذا الأمر «لا ينطبق فقط على المسيحية، وإنما على الإسلام أيضا بأعتبره دين عظيم موحي، جسده ناتان بوضوح وبمفارقة رائعة في حكاية الخاتم. حيث كان عليه أن يغوص في التاريخ بعيدا إلى الوراء في إجابته المباشرة على سؤال السلطان صلاح الدين».⁷⁹² وعليه لا بد من إثبات الوطن الأصلي لحكاية الخاتم بعد أن تعددت مصادرها الأدبية وكثرت الآراء حوله.

3- أول من اخترع قصة الخاتم

في إطار رحلة الأدب العربي العالمية، تجدر الإشارة إلى مسألة مثيرة للجدل، ألا وهي الجذور التاريخية التقليدية الأصلية لحكاية الخاتم التي جسدها لسنغ في مسرحيته «ناتان الحكيم»، والتي نقلها العرب في القرون الوسطى من بغداد إلى بلاد الاندلس في اسبانيا، بيد يمكن للمرء أن يتحسس تقاليدھا الدينية في القرآن الكريم كما أسلفنا.

حيث كُتِبَتْ قصة الخاتم اليهودية استنادا إلى النموذج العربي الذي تُرجم في اسبانيا آنذاك، وأخذ الرواة والكتاب يتناقلون الحكاية في البلاد الأوروبية، بعدها تُرجمت إلى عدة لغات ليذيع صيتها في مؤلفات الأدب الأوروبي الذي تأثر كثيرا بالموروث الثقافي للحضارة الإسلامية. فحين فتح العرب اسبانيا سنة 711 هددوا، كأقلية تمتلك القوة والنفوذ السياسي والديني، اليهود والنصارى من أجل بسط الاستقرار والأمن في البلاد من ناحية، ومنح «حرية الدين» من ناحية أخرى.⁷⁹³

ونتيجة للظلم والقهر الاجتماعي الذي كان يمارسه الحكام المسيحيين في أوروبا عامة واسبانيا خاصة ضد الأقلية اليهودية آنذاك، التجأ اليهود إلى العرب فاتحي بلاد الأندلس لحماية أنفسهم من خلال التعاليم التي يحملها الإسلام في مجال التسامح والتعايش السلمي بين الشعوب، فاحتضنهم العرب، وأصبحوا على مر الزمن أقلية لا يمكن الاستغناء عنها

Arno Schilson: «... auf meiner alten Kanzel, dem Theater». Über Religion und Theater bei Gotthold Ephraim Lessing. Göttingen 1997. S. 10. (آرنو شيلسون 1997، ص 10).

Alfonsi 1970. S. 69. (الفونسي 1970، ص 69).

من قبل المسلمين، مستغلين بذلك تردد المسيحيين بالاندماج مع المجتمع الإسلامي في بادئ الأمر.

عمل اليهود سوية مع المسلمين في مجال الأعمال الحرفية والزراعة والطب والترجمة والعلوم الأخرى، بحيث أصبحت اسبانيا العربية ملاذهم الأمن في عموم البلدان الأوروبية، وأعتبرت فترة الثلاثة قرون والنصف اللاحقة «العصر الذهبي» في تاريخهم المقدس. ومع مرور الوقت استطاع اليهود من إتقان اللغة العربية بشكل جيد الأمر الذي أدى إلى رفع مستواهم الإقتصادي والاجتماعي في ربوع الدولة حسب الكاتب اليهودي (الفونسي).⁷⁹⁴

يقول الكاتب اليهودي في ذلك الزمان (الفونسي) أن الشعراء والكتاب اليهود في اسبانيا تعلموا من المسلمين العرب اللغة العربية الفصيحة وأخذوا يكتبون بها قصائدهم ومؤلفاتهم كلغة متكاملة يمكن ترجمتها إلى اللغات الأخرى. وبهذه الطريقة استطاع اليهود والمسيحيين نقل العلوم الطبيعية والأدبية العربية بشكل مباشر إلى أوروبا. وتم تأكيد هذا السرور باللغة العربية من قبل الكاتب والمترجم اليهودي (يهودا ابن طيبو) في رسالته إلى ابنه (صموئيل)، والتي جاء فيها: «أنت تعرف ان شعبنا العظيم كبر حجمه وعلت مرتبته عن طريق تعلم اللغة العربية».⁷⁹⁵

ان لقاء الأديان العالمي في اسبانيا، خاصة في مدينتي توليدو وقرطبة، والذي فيه كون العرب واليهود والمسيحيين امة واحدة في القرن العاشر الميلادي، مكن الرواة من مواصلة تطوير النموذج السردى لحكاية «عالم الخواتم الثلاثة» القيمة، والتي ضمنها لسنغ من جديد إلى مسرحيته «ناتان الحكيم» في القرن الثامن عشر بأعبارها موروثا عربيا إسلاميا، وذلك لتنمية ثقافة حوار الحضارات والأديان بهدف تقارب الشعوب وتلافي التصادم الذي قد يحدث بين الأقليات ذات الديانات المختلفة.

(794) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

(795) Ebd. S.69, 70. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 69، 70).

ومن هذا المجتمع متنوع الديانات انبعثت روح «التسامح» التي جسدها لسنغ في حكاية الخاتم،⁷⁹⁶ والتي ستبقى تروي للأجيال السابقة واللاحقة في أوروبا والعالم التعاليم السمحاء للدين الإسلامي الحنيف بعيدا عن التطرف والمغالاة، التي غزت العالم الإسلامي في الألفية الثالثة بعد ظهور القاعدة وما يسمى بالدولة الإسلامية في سوريا والعراق (داعش).

إذا، فإن تأثير الأدب العربي على الأدب الأوروبي في القرون الوسطى لم يكن مقتصرًا على إسبانيا فقط، يقول الكاتب (روبرت إرفن)، إنما تلاحظ البواعث والمخططات في كتابات الحكايات الأوروبية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، والتي أغلبها قصائد ملحمية قصيرة مسلية، مستقاة من مواد قصص عربية.⁷⁹⁷

وردا على الشكوك والإفراضات والتخمينات الأوروبية التي تعود باصل «حكاية الخاتم» إلى الكاتب الإيطالي (بوكاشيو)، كتب الأديب السويسري (ماكس بولغر) مانصه: «بوكاشيو نفسه لم يخترع حكاية الخاتم، وإنما عرفها من القصص الخيالية والحكايات للمجموعة القصصية Gesta Romanorum التي كانت مشهورة في ذلك الوقت»،⁷⁹⁸ والتي يطغي عليها المادة والأسلوب السردي للمجاميع القصصية العربية ومنها «الف ليلة وليلة». ويضيف (إرفن) أن قصص الخيال والحكمة مثل «كليلة ودمنة» و«رحلة السندباد البحري» و«حكاية الثور والحمار» و«التاجر والعفريت» في المجموعة القصصية السردية «الف ليلة وليلة» «تم تداولها في المجاميع القصصية الأوروبية للقرون الوسطى ومنها Gesta Romanorum التي يرجح ظهورها في القرن الثالث عشر الميلادي» (إرفن 1997، ص 84).

مما لا شك فيه، فإن الخلفيات التاريخية القديمة لحكاية الخاتم التي عرضها لسنغ في مسرحيته «ناتان الحكيم» متداولة في حكاية المجاميع القصصية العالمية لـ «الف ليلة وليلة»

(796). Ebd. S. 68. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 68).

(797). Irwin 1997. S. 121. (روبرت إرفن 1997، ص 121).

(798). Max Bolliger: Die Geschichte des weisen Nathan, Freiburg im Breisgau 2004. S. 20.

(ماكس بولغر: «قصة الحكيم ناتان»، فرايبورغ 2004، ص 20).

وGesta Romanorum وDisciplina Clericalis، والتي نشأت من مجموعة قصصية واحدة كنوع من أنواع أدب الأمراء، حيث كانت موجهة إلى جمهور الناس الكبير، وذات هدف معنوي وأخلاقي. فهي تروي، كما يروي ناتان حكايته عن الأب وأبنائه الثلاثة، «بأن براهمان الحكيم كان يعلم الحكمة لثلاثة أمراء شباب، والتي يجب أن يعرفونها حين يتصرفون بشكل جيد في أي وقت».

وهذا يعني، عندما يتصرف الإنسان بشكل صحيح ويقوم بأعمال صالحة يكون أقرب إلى الله جل جلاله الذي يمن عليه بالحكمة في الدنيا وجنات الخلد في الآخرة جزاء لهذه الأعمال. وهنا من الجائز أن نفترض بأن هدف مؤلف الحكاية كان أن يحل الأمراء الثلاثة محل ممثلي الأديان السماوية.

إن التقليد القديم لهذه القصة، والذي يتطابق مع قصة الخاتم للإيطالي بوكاشيو في مجموعته القصصية Decamerone والمخطوطة اللاتينية للحكاية التي تمت إعادة صياغتها باللغة الألمانية القديمة في المجموعة القصصية Gesta Romanorum، واستفاد منها لسنغ في صياغة أفكار حكاية الخاتم في مسرحيته «ناتان الحكيم»، كان موجودا أيضا في القرآن الكريم (سورة - 5 الآيات 44-48) كما اسلفنا.⁷⁹⁹

كان البحث جاريا على قدم وساق في الأوساط العلمية الأدبية الأوروبية في القرن التاسع عشر عن الأصول الشرقية - العربية للثقافة الأوروبية والعلوم الأخرى، لإثبات حقيقة أن «جوانب الثقافة لها مصدر واحد، ومن هناك أمتدت إلى الثقافات الأخرى». وتم تطوير هذه الفكرة إلى أحدث صيحاتها، بحيث أصبحت هذه النظرية تعني انه «من الاستخفاف القول أن الأشياء في الثقافات المختلفة تنشأ بشكل مستقل وبمنعزل عن تأثير الثقافات الأخرى». كذلك من غير الممكن القول، حسب المثل الهولندي في العصور الوسطى، أن «الاسماك الكبيرة تأكل الاسماك الصغيرة»، خاصة عندما يتم هيكلة مجموعات قصصية جديدة كبيرة استنادا إلى المجموعات القصصية المهاجرة والقصص القصيرة القديمة، كما

Irwin 1997. S. 87. (799) (روبرت إرفن 1997، ص 87).

ذكر الكاتب (بيتروس الفونسي) في مؤلفه «الفن يحيا بعقلانية».⁸⁰⁰ وهذا يعني أن حكاية الخاتم للكاتب لسنغ تنحدر من أصول الحكايات الشرقية العربية المستوحاة من الذكر الحكيم.

رابعا: تحليل حكاية الخاتم في مسرحية «ناتان الحكيم»

1 - الأسلوب السردى

«ليس الأطفال فقط يمكن تغذيتهم بالحكايات».⁸⁰¹ هكذا قالها لسنغ، وحرص على أن تنصدر هذه العبارة بداية مسرحيته «ناتان الحكيم»، التي اطلق عليها اسم «القصيدة الدرامية»، إيماناً منه بأهمية مغزى الحكايات وعبرها بالنسبة للكبار خاصة حين يكون هناك إدراكا حقيقيا لفهم النص الأدبي الشعري والنثري الذي يوثق الأحداث التاريخية في حياة الشعوب والأمم، والتي تشير إلى فن الخيال العلمي الأدبي في «حكاية الخاتم» التي حملت في ثنايا سطورها معان كثيرة تحاكي العقل البشرية الراجحة والساذجة في آن واحد، حيث ربط الكاتب مادة الحكاية بالزمان والمكان الذي تدور فيه أحداث المسرحية التاريخية في بيت المقدس، ذلك المكان المقدس الذي التقت فيه الحضارات والأديان السماوية الثلاثة - اليهودية والمسيحية والإسلام - لتحاوّر بعضها في فترة موعلة بالقدم.

ويعود استيحاء لسنغ لبيت المقدس كمكان للعرض على المسرح إلى تأثره بمسرحية Zaire للكاتب الفرنسي (فولتير).⁸⁰² ذلك المكان الذي فتحه المسلمون، حسب وصف الكاتب، ودخله الصليبيون لتحرير قبر السيد المسيح كما يزعمون، ولكن في حقيقة الأمر من أجل إنشاء مراكز سياسية وأقتصادية لهم في الشرق الأدنى.⁸⁰³

(800) Ebd. S. 86, 87. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 86، 87).

(801) Lessing NdW (III/6). (لسنغ: «ناتان الحكيم»، الفصل الثالث، المشهد 6).

(802) Vgl. Gotthold Ephraim Lessing: Nathan der Weise. Ein dramatisches Gedicht in fünf Aufzügen mit einem Nachwort von Willhelm Grenzmann. Paderborn 1963. S. 153.

(803) (غوتفولد أفرام لسنغ: «ناتان الحكيم». قصيدة درامية في خمسة فصول مع خاتمة للكاتب فلهلم غرنزمان. بادربورن 1963، ص 153).

(803) Dvoretzky 1981. S. 230. (آري دفوريتزكي 1981، ص 230).

يقول الكاتب (ادغار نايس)، كان لسنغ يبتغي من حكاية الخاتم الوصول إلى هدف، يتطلب تحقيقه من المرء من خلال القيام بعدة أمور منها «الأعداد الطويل، البصيرة العميقة، الحياء التام، الصبر المطلق والتسامح، والنضوج الذاتي».⁸⁰⁴ ويجب على المرء تحقيق ذلك وفقا لأفكار المؤلف، رغم انه ذكر بأن فترة بلوغ ذلك الهدف لا تتم إلا بعد مرور «آلاف آلاف السنين».

لذلك جعل لسنغ (الحكيم ناتان) يروي الحكاية بالشكل الذي تكون فيه حدود المعرفة الإنسانية واضحة، بحيث لم يدع أحدا يتصور بأن عقديته الدينية تمتلك الحقيقة المطلقة. وربط الإمتلاك بسعي المتنافسين، ممثلي الأديان، في الوصول إلى الحقيقة من خلال العمل الصالح، أيكم أحسن عملا. ويتم على هذا الأساس ومبدأ أفكار حركة التنوير الوصول إلى الخاتم الأصلي، الدين الحقيقي، حين يفكر الإنسان بحرية وعقلانية دون تدخل الآخرين لكي يستطيع اتخاذ القرار الصحيح بنفسه في تحديد الخاتم الأصلي من بين الخواتم الثلاثة، بمعنى أي الأديان هو الأصلح للبشرية من بين الديانات الساموية الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام؟

ان مغزى حكاية الخاتم المستوحاة من الخيال محكوم بالعمل الصالح من أجل الوصول إلى الهدف في نهاية المطاف، كما صوره الكاتب لسنغ، في الوقت الذي كان يعرف الحقيقة جيدا، لكنه لم يصرح بها، ذلك لأنه لم يُرد أن يحجم متعة وأهتمام القارئ والمشاهد للمسرحية في الفكر والتفكير العقلاني المستنير والمستمر لأكتشاف الحقيقة الذاتي، في الوقت الذي أعطى إشارات استدلال على الحقيقة من خلال التقييمات الإيجابية للاختلافات والموروث التاريخي للأديان الساموية، والتي يجب أن تقبل وحدها على أساس الثقة والإيمان. (ناتان الحكيم - ف 3، م 7)

يقول الكاتب (شيلسون): «إن الأسلوب السردى الخيالي الذي ضمنه لسنغ لحكاية الخاتم أظهر للقارئ والمشاهد كيف ينبغي أن يكون العالم، وبين أيضا كيف يمكن أن يتحقق ذلك العالم، وما الشيء الذي يجب القيام به لتقليل الفجوة».⁸⁰⁵

Edgar Neis: Klassische Dramen und Erzählungen aus heutiger Sicht. Hollfeld 1994. (804

S. 7. (ادغار نايس: «المسرحيات والحكايات الكلاسيكية من وجهة نظر اليوم». هولفيلد 1994، ص 7.)

Schilson 1997. S. 449. (شيلسون 1997، ص 449.)

يرى الباحثون في الموروث الأدبي للكاتب الألماني لسنغ، بأنه حين يدعي البعض أن مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم» تعد مجرد «دراما خيالية» بالنسبة لمعاصريه وكذلك لقراء اليوم والمشاهدين، فإنها تكون أيضا باعثة بالنسبة للممثلين والقراء والمشاهدين.

وحين يتسائل المرء، لماذا إذا يتعد المستقبل في هذه المسرحية بدلا من أن يقترب؟ نستطيع أن نقول بأن الخيال الدرامي كان موجودا فقط في القصة القديمة لحكاية الخاتم وليس في مسرحية «ناتان الحكيم» ككل، وإلا لكانت القصيدة الدرامية قد سميت من قبل الكاتب «مسرحية الخاتم» وليس «ناتان الحكيم». بحيث جعل لسنغ الناس يفكرون بعقلانية وفقا لمبدأ حركة التنوير لاكتشاف حقيقة الأديان بأنفسهم. وإن لم شمل العائلة «المسلمة» في نهاية المسرحية ما هو إلا إجابة واضحة للكاتب على كل التساؤلات المطروحة من قبل الباحثين والقراء والمشاهدين للمسرحية. لكن هذه الحقيقة أخفيت على مر التاريخ ولم يصرح بها من قبل المختصين والباحثين في مجال الأدب الألماني الحديث.⁸⁰⁶

إذا، يقول (شيلسون)، «إن حكمة العقل وفيها حقيقة الدين الحق عاجلها لسنغ في قصيدته الدرامية «ناتان الحكيم»، وهكذا استطاع أن يوعظ بها بشكل حقيقي وبحرية على المسرح. ولم يفهم أحد سواه أن يستخدم خشبة المسرح منبرا ليعطي للحقيقة فضاء ارحب».⁸⁰⁷

لم يرتق الأسلوب السردي الخيالي لحكاية الخاتم في الماضي، والتي تستهدف الأديان السماوية في الفحوى، إلى مستوى الأسلوب المميز والطريقة المبدعة لعرض التباين بين الأبناء للكاتب الألماني لسنغ، لأن في محتوى الحكايات القديمة كان هناك ابن واحد يورث الخاتم استنادا إلى إرادة الأب وأختياره له، أما الآن فقد أصبح التمايز بين الأبناء في حكاية لسنغ الدينية مبني على أساس المساواة بين الأديان السماوية الثلاثة وفقا لإرادة الله جل جلاله، حيث بين الكاتب امكانية أن تكون المتابعة والتمييز بين تلك الأديان من خلال قوة الله الجبارة تارة ومن خلال الناس تارة أخرى.⁸⁰⁸

(806) Lessing 1997. S. 225. (لسنغ 1997، ص 225).

(807) Schilson 1997. S. 45. (شيلسون 1997، ص 45).

(808) Vgl. dazu auch Kuschel 2004. S. 164. (ينظر إلى لسنغ: «ناتان الحكيم»، الفصل الثالث والرابع.

كذلك (كوشل) 2004، ص 164).

وهنا يظهر تغيير كبير في القصة لدى لسنغ مقارنة بحكاية الخاتم للكاتب الإيطالي (بوكاشيو) التي فيها وجد الأب صعوبة كبيرة في التمييز بين الخواتم الثلاثة، أما في حكاية لسنغ، يقول (كوشل)، فكان «التمييز غير ممكن من قبل الأب (الله جل جلاله)».⁸⁰⁹

وهذا الأمر يعد اعترافاً من قبل الكاتب لسنغ بالدين الإسلامي أمام رفض الكنيسة الصارم في ذلك الوقت، ويشير إلى أن الله تعالى يحب جميع خلقه بنفس المستوى ولا يفرق بينهما إلا بتقوى الله وطاعته، ويعد شيئاً مركزياً لفهم الكاتب لله جل جلاله. وبذلك لم يكن هدف الحكاية بحاجة إلى السرد المؤطر بالخيال، إنما يوجد هناك عدم كفاية وذنوب الإنسان بقناعته انه لا يستطيع الوصول إلى هدفه المنشود.

يقول الكاتب (ادغار نايس) معرجاً: «ان عدم امكانية الوصول البشري هذه نابعة من عدم القدرة على التفاهم المتبادل، وعدم القدرة على حب الناس في العالم، والمعرفة المحدودة بالحقيقة، والاحترام المحدود لقداسة وكرامة الإنسان كمخلوق الله جل جلاله».⁸¹⁰

2- محبة الله لجميع خلقه ودياناته

حين نتحدث عن حب الله جل جلاله لعباده يكون لكل واحد منا رأي في هذا الموضوع، تارة يكون مسند كما مشار إليه في القرآن الكريم وتارة يكون ارتجالياً يعتمد على الأحداث والوقائع التاريخية المرتبطة بحياة الشعوب وحراكها الاجتماعي الإنساني. ويعد حب الله لعباده بالنسبة للكاتب الألماني لسنغ أعمق الأسس للمساواة بين الأديان السماوية كما يشير لاحقاً، والذي يرى استناداً إلى الكتب السماوية للأديان الثلاثة بأن الله اتخذ قراراً بحب الناس جميعاً من معتنقي الأديان وغيرهم، لأن الإنسان ببساطة أعظم خلق الله وأكثرهم قداسة في هذه الدنيا.

حيث يقول لسنغ في مسرحيته «ناتان الحكيم» تأييداً لرأيه: «انه يحب الثلاثة على حد سواء».
(3 / 7) ولكن هذا لا يعني أن الناس لا يعاقبون في الآخرة إذا ما تصرفوا وعملوا ضد ارادة

(809) Kuschel 2004. S. 164. (كوشل 2004، ص 164).

(810) Neis 1994. S. 7. (ادغار نايس 1994، ص 7).

الله جل جلاله وتعاليمه السماوية التي تنظم العلاقات الإنسانية بين الناس حسبما جاء في القرآن الكريم والكتب المقدسة الأخرى.

فبعد «آلاف آلاف السنين»، يقول لسنغ، سيعرض الناس للحساب أمام عرش الله العظيم، أمام القاضي العادل، وسيصدر الحكم بكل واحد منهم على أساس عمله. وتعليقا على ما يؤمن به لسنغ ويجب يقول الكاتب (بيرند بوته): «ان الإخلاص لله هو المفهوم الأساسي لتقوى لسنغ المرتبطة بالحب بشكل وثيق».⁸¹¹ ولذلك فإن «مسرحية ناتان نادت بالحياة المثالية الجديدة جدا المغلفة بالمثل العليا والصفاء للزمن القديم وكذلك بالمثل العليا والعاطفة للزمن الجديد. ان الحياة المثالية الجديدة تجد تحقيقها في التوازن الدقيق بين الصفاء والعاطفة».⁸¹²

أشار لسنغ إلى ان الأب، مالك الخاتم الحقيقي، أراد أن يعطيه إلى أحب الأبناء اليه وليس بالضرورة إلى الأبن الأكبر ليكون رئيسا للدولة وأميرا للبلاط. وهذا يعني، حسب لسنغ، ان الله لم يفضل اليهودية باعتبارها أقدم الديانات السماوية على الديانات التي تبتعتها، ولم يفضل اليهود على انصار الأديان الأخرى باعتبارهم شعب الله المختار كما يزعمون. ولذلك لم يحسم القضية في تلك اللحظة وجعلها تستمر على النحو الذي ينشده ووفقا لحكاية الخاتم التي يرويها للمشاهدين والقراء في مسرحية التسامح «ناتان الحكيم»:

«كان للأب الملك ثلاثة أبناء، يكن لهم الحب والاحترام بنفس المستوى، ولم يرغب أن يفضل أحدهم على أخوته الآخرين في الميراث، وخاصة ما يتعلق بالخاتم الثمين الذي يملكه، والذي يمكن وارثه من الأبناء إعتلاء العرش دون منافس بعد موت أبيه حسب تقاليد المملكة.

Bernd Bothe: Glauben und Erkennen. Studie zur Religionsphilosophie Lessings. (811 Meisenheim am Glan 1972. S. 86. (بيرند بوته: «الإيمان والمعرفة. دراسة في فلسفة الدين لسنغ»، مايزنهايم

أم كلان، 1972، ص 86.)

(812 Sibylle Bauer (Hg.): Gotthold Ephraim Lessing. Darmstadt 1968. S. 80. (سبيل باور (ناشر): «غوتهولد أفرايم لسنغ». دارمشتات 1968، ص 80.)

ولذلك قرر أن يصنع خاتمين آخرين بنفس المواصفات وشكل الخاتم الأصلي إلى درجة أن الأب نفسه لم يستطع التمييز بينهما. بعدها قام بتسليم كل واحد منهم خاتمه دون علم الأخوة الآخرين، وقد وافاه الأجل بعد حين («ناتان الحكيم»، الفصل 3، المشهد 7).

يقول استاذ علم اللاهوت الألماني (كوشل): «هذا يعني، ان الله أراد من حبه لجميع أبناء خلقه أن يضع ترتيب بين الأديان المختلفة، فهي تشبه الخواتم التي لا يمكن التمييز بينها في المغزى، لأن الله جل جلاله لم يترك تسلسل هرمي أكثر للحقيقة بينهما».⁸¹³

أراد لسنغ بهذه الحكاية أن يوصل فكرة إلى الناس بالمعنى المقصود لتصرف الأب وقرار القاضي بأنه لا يمكن التمييز بين الأديان السماوية من ناحية المبدأ والإيحاء الإلهي. حيث استطاع بحجته اللاهوتية، ومن خلال حكاية الخاتم، أن يطرح بمعنى آخر نمط تفكير الارثوذكس المطالب بالحقيقة المطلقة، لأنه لم يعد مسموحا لاحد الإعتماد على الله طويلا لمجرد التمتع بالموقع المتميز ومن ثم إنشاء أحب وأفضل الأديان.

ونظرا لهذه الأهمية أراد الله جل جلاله أن يحافظ على تعددية الأديان في الوقت الذي يرفض «طغيان» أحدهما على الآخر. فقد وجد لسنغ في الإسلام هذه التعددية الدينية وفقا لتعاليمه في القرآن الكريم، والتي جسدها في التصرف المتسامح لشخصياته الإسلامية صلاح الدين وسيتا والحافي درويش في مسرحيته «ناتان الحكيم».

يقول الكاتب (باور): «لدى لسنغ تدور أحداث حكاية الخاتم حول توافق الأديان السماوية الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام بوجود الله الواحد الأحد الذي أنزلها».⁸¹⁴ ومن هنا يجب على عباد الله المؤمنين الانطلاق إلى الحوار البناء فيما بينهم ليعم السلام بين أبناء المعمورة ابتغاء مرضاة الله ومحبته، ومرضاة ومحبة عباده الصالحين.

(813) Kuschel 2004. S. 165. (كوشل 2004، ص 165).

(814) Bauer 1968. S. 346. (سييل باور 1968، ص 346).

3- ناتان الفاعل في المسرحية وليس من تدور حوله الأحداث

تكمن الأهمية الفنية في شخصية ناتان كتاجر وحكيم يهودي، وفي ذات الوقت راويا لحكاية الخواتم، لدى الكاتبين لسنغ والإيطالي (بوكاشيو) في حال كونه الفاعل والمحرك للأحداث في المسرحية بشكل عام والحكاية بشكل خاص، وليس ممن تدور حولهم الأحداث للوصول إلى حقيقة معينة في نهاية المطاف، كما يصور «واهمين» الكثير من الباحثين والمختصين في الأدب الألماني الحديث.

حيث تميز لسنغ عن غيره من الكتاب، حسب (كوشل)، بالجرأة والخبرة في عرض الرموز الدينية بأدوار متغيرة في المشاهد وبطريقة مختلفة تماما عما قدمه (بوكاشيو)، فقد جعل الحكيم ناتان يتحدث كممثل للشعب المختار الذي استقبل الوحي الأول من الله، وقصد بذلك أيضا الوحي الأخير الذي أنزل على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) النابعان من حب الله السوي لجميع خلقه، وبالتالي أصبح هناك استبدال للأديان الأخرى التي لا تقل شأنًا من الدين «المختار» و«المفضل» حسبما يدعي اليهود والنصارى.

وفي مفهوم العرض المسرحي أصبح ناتان محددًا بالعبادة الإلهية التي جعل فيها، ومن خلال حكاية الخاتم، تكون مسألة الشعب المختار غير ممكنة، حيث حاول من خلال التعليل الذكي أن يتهرب من الإجابة المباشرة على سؤال السلطان صلاح الدين الذي أراد معرفة فيما إذا كان هناك اختلاف بين الأديان. لكن ناتان استطاع دمج الحجج بذكاء في نظرية المعرفة التي تنطبق على الجميع،⁸¹⁵ وكما جاء في نص حديثه مع السلطان صلاح الدين حول التمييز بين الأديان:

ناتان: «حين لا تستند جميع الأديان على الحكايات المكتوبة أو المنقولة، فيجب أن تقبل القصة على أساس الموثوقية والإيمان وحدهما؟ أليس كذلك؟ ولكن يبقى لدى المرء الآن قليل من الشك بأية موثوقية وأي معتقد؟ بالتأكيد هذا الذي يعيننا؟ أعطتنا هذه المعتقدات الدم والحب منذ الطفولة؟ انها لم تحددنا أبدا؟ وان كان ذلك فإن خداعها كان مجديا لنا؟ كيف

(815) Kuschel 2004. S.166. (كوشل 2004، ص 166).

استطيع أن اصدق بآبائي أقل من تصديقك بآبائك، أو بالعكس؟ هل استطيع الطلب منك أن تعاقب أسلافك لكذبهم، لكي لايتعارض مع كذب اسلافي؟ أو بالعكس. هذا بالضبط ما يجري للمسيحيين. أليس كذلك؟» («ناتان الحكيم»، ف 3، م 7)

لذلك نلاحظ أن جميع الأديان السماوية تستند في نهجها إلى كتبها المقدسة والموروث من القصص، وقد إرتضى أنصار الديانات الثلاثة جميعا بالحقيقة المضمونة تاريخيا وعلى أساس «الثقة والإيمان»، وعليه فإن الناس معتنقي هذه الديانات يسرون على نفس النهج، وحتى في التقليد فهم يتبعون نفس النموذج، فكل يهودي ومسيحي ومسلم واثق تماما بموروثه. بحيث لا أحدا منهم يمتلك «الحقيقة الموضوعية» المسبقة، حسب (كوشل)، فالجميع يتصرف على أساس الموثوقية بالقصص الموروثة.

واستنادا إلى مفهوم الموثوقية فإن هناك مخاطرة من المحتمل أن تفضي إلى خيبة أمل في حياة أي من معتنقي الأديان. وبناء على هذا المفهوم فإن التباين في المراتب بين الأديان لا يحدده الله جل جلاله فقط، وإنما أيضا البنية الأساسية للمعرفة البشرية، والموثوقية والإيمان بهما، كما في تفسير لسنغ في حكاية الخاتم.⁸¹⁶

تقول الكاتبة (أولريكه زيوش)، يقودنا السؤال الذي يبحث عن الإجابة بشأن الخاتم الحقيقي، العقيدة الحقيقية، وموعظة القاضي الحكيم إلى منهج الحياة الإنسانية التي يحبها الله جل جلاله ويرضاها لعباده الصالحين للبيان يوميا حقيقة الموروث الديني والثقافي الخاص بهم، المبني على فكرة أن مثل هذه الحقيقة لايمكن أن تكون في هذا الموروث، وإنما فقط في الحياة التي يسيرها الإنسان مع هذا الموروث. ولذلك فإن الحقيقة الدينية هي ليست معرفة مسبقة، وليست كائن أو ملك لأحد، وإنما هي التي تمتلك وليدها صفات وطابع الحدث.⁸¹⁷

واستنادا لما قالته الكاتبة (مونيكا شميتر-إيمانس) فإن حكاية ناتان عاجلت جزءا من هذه القضية، الذي فيه أضحت الحقيقة واضحة للعيان، إنها بحد ذاتها التصرف، الذي

(816) Vgl. Kuschel 2004. S.166. (كوشل 2004، ص 166).

(817) Zeuch 2005. S. 197. (أولريكه زيوش 2005، ص 197).

يفتح الطريق إلى العمل الصالح، وكما ارتآه القاضي في موعظته للإخوة حملة الخواتم
الثلاثة.⁸¹⁸

4- الأهداف الإنسانية المستوحاة من حكاية الخاتم

يجمع الكتاب والمفكرون وبعض المختصون في علم اللاهوت على أن قرار الفصل في قضية الخاتم الحقيقي، العقيدة الحقيقية، لم يتخذ من خلال ما يرتأيه ممثلو أحد الأديان السماوية، ولا من خلال الإيحاء الإلهي فقط، أو من خلال الأصول والتقاليد الموروثة، وإنما من خلال الممارسة الحقيقية والنشاط الدؤوب للإنسان بما فيه خير للجميع لتحقيق الأهداف الإنسانية التي تنال مرضاة الله والناس (ناتان الحكيم، ف 3، م 7).

يقول الكاتب (نايس): «ينبغي أن تقدم هذه الممارسة الإحسان الشامل للإنسان منذ الولادة ومن خلال النشأة والتربية والمذهب والقراءة الصحية للعالم، بحيث لا يكون مكبلاً بارهاصات الإنسانية المعيبة».⁸¹⁹

ووفقاً لهذا التوصيف، يرى المرء كيف استطاع الكاتب لسنع من خلال الأسلوب السردى الذي لا يخلو من الخيال لحكاية الخاتم تحقيق العقائد الرشيدة، والمحبة العامة بين الناس، والاخوة الطبيعية بين ممثلي الأديان، بالإضافة إلى الوحدة التضامنية بين أبناء الكوكب الأخضر كهدف قيم لإنقاذ الإنسانية من ظلم الإنسان ذاته والتطلع إلى مستقبل أفضل. وإلا بالامكان أن تروى حكاية الخاتم فقط على إنها خرافة كتبت وعرضت كما هي عليه.

من الممكن أيضاً الاعتقاد بأن لسنع أراد من خلال حكاية الخاتم القول، أن هناك الكثير من المتطرفين من رجال الدين والسياسة الذين ينتمون إلى كل دين من الأديان، والذين يتطلعون إلى تحقيق مآرب شخصية سيئة على حساب هذا الدين أو ذاك. ولذلك أوكل لسنع رواية الحكاية إلى الحكيم اليهودي ناتان لتفادي الصراع بين ممثلي الأديان. فقد حاول ناتان إقناع السلطان صلاح الدين والتيان له بأن هذه المسألة لا يمكن حلها. حيث ينبغي على السلطان أن يحكم بها شخصياً.

(818) Vgl. Zeuch 2005. S. 198. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 198).

(819) Neis 1994. S. 7. (نايس 1994، ص 7).

أما ناتان فقد توصل بحكمته إلى حل للصراع الديني، مبينا بانه وظف هذه الحكمة من أجل الخير. وكشف اليهود والنصارى والمسلمون عن أنفسهم كأعضاء ينتمون إلى اسرة الإنسانية الواحدة، التي تتميز بالتسامح والإنسانية، والتي قدمت في ذات الوقت صورة عالية الجودة للمجتمع البشري المثالي، كما في الفصل الأخير لـ «ناتان الحكيم». إن الخيال السردى لمسار الإنسانية المأمولة في الحكاية يقود المرء من جنون الصراعات الدينية عبر المعرفة العقلية والتربية الذاتية إلى الحقيقة والحوار والصدقة المتبادلة وحب الناس.

وعلى هذا الأساس يلاحظ بعض المختصين في الأدب مسرحية «ناتان الحكيم»، حسب (بيرند بوتنه)، على انها ملهاة وفي نفس الوقت مأساة، لكنها تبقى جزءا من الشعر التعليمي الدرامي، وأول مسرحية حول الاعتقاد الإلهي في الأدب الألماني.⁸²⁰

5- الأب وصعوبة التمييز بين الخواتم بقصد المساواة بين الأديان

يستطيع المرء من خلال التحليل التفصيلي لحكاية الخاتم أن يكتشف جوانب مثيرة في القصة، وهي ان كل واحد من الأبناء حصل على خاتمه من أبيه ويعتقد بأنه الأصلي، وهو شخصا مفضل لدى أبيه، في الوقت الذي لا أحد منهم يعرف بأن عدم القدرة على التمييز بين الخواتم جاء ربما على أساس رغبة وإرادة الأب، وإن الأب لم يخبر أبنائه بهذه القصة.

لكنه حسب تقاليد المملكة ينبغي عليه أن يسلم الخاتم الأصلي إلى أحب أبنائه اليه قبل أن يموت لكي يعتلي العرش. على عكس ذلك، يوجد الآن ثلاثة خواتم متشابهة. الأب نفسه لا يستطيع التمييز بينها. وهذا يعني حسب (كوشل): «إما أن يكون الأب قد خدع الأبناء، أو وجود مؤامرة بين الأشقاء. كلتا الحالتين لا يمكن تصورهما! أن يكون الأب نصاب ومحتال؟ وأن يكون الأبناء خونة؟»⁸²¹

(820) Bothe 1972. S. 80. (ينظر إلى بيرند بوتنه 1972، ص 80).

(821) Kuschel 2004. S. 148. (كوشل 2004، ص 148).

فكل واحد من الأبناء يرغب أن يعرف، وعلى أساس نصيحة القاضي الحكيم، القرار النهائي بشأن الخاتم الحقيقي، والذي لا يتم إلا من خلال سعي كل واحد منهم إلى «الرفق» و«فعل الخير» و«الإخلاص لله» جل جلاله لاثبات قوة الإرث الخاص به.

وهذا الأمر ينسحب في مفهوم الحكاية على أنصار الأديان السماوية الثلاثة حسب الكاتب. وكما قال النبي محمد صلى الله عليه وسلم: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه».⁸²² تقول (أولريكه زيوش): «ان حديث القاضي لا يدور في نهاية المطاف حول القوة السحرية الكامنة بأحد الخواتم، وإنما حول عمل وتصرف الأبناء بمنعزل عن تلك القوة لتحقيق التأثيرات المرجوة».⁸²³

في المفهوم السردى التقليدي لقصة الخاتم المسيحية كان هناك حضور دائمى وملحوظ للقاضي لتأكيد الحقيقة الحصرية للدين المسيحي على حساب الأديان الأخرى، والذي لم يكن يروق للكاتب لسنع الذي استطاع بحكايته أن يتخطى هذا التقليد إلى أبعد من ذلك من ناحية المساواة بين الأديان السماوية، وذلك من خلال عرضه للقاضي الحكيم بالطريقة التي يضع فيها الأبناء/ الأديان على قدم المساواة، كما في مسرحية «ناتان الحكيم» حين ربط الأحداث بالعمل الصالح والتقرب إلى الله جل جلاله وطلب مرضاته ومرضاة الناس، رغم ان الأنانية وحب الذات قد امتلكت كل واحد من الأبناء حين أراد أن يثبت بأنه أمير البلاط، لأن الأبناء هم بالأساس مخادعين مخدوعين، خاصة بعد أن خدعوا من قبل أبيهم وأصبحوا مخادعين، حيث أفسد كل واحد منهم بسلوكه السيء القوة في الحجر الكريم الذي يمتلكه، ويدعي في ذات الوقت بأنه يمتلك الخاتم الحقيقي.

وهذا يتفق مع ما قاله القاضي للأشقاء وهو بعضهم: «أوه، لذلك أنتم الثلاثة مخادعين مخدوعين! وخواتمكم ليست حقيقية. من المحتمل أن يكون الخاتم الحقيقي قد ضاع. ومن أجل تعويض الخسارة واستردادها قام الأب بعمل ثلاثة خواتم مشابهة للخاتم الحقيقي» («ناتان الحكيم» ف 3، م 7).

Der Hadith 2008. S. 363. (822) (الحديث 2008، ص 363).

Vgl. Zeuch 2005. S. 197. (823) (زيوش 2005، ص 197).

إن كلام القاضي جعل ليس فقط التشكيك في الحقيقة واردا، وإنما التشكيك بفقدان الحقيقة أيضا. وعليه يمكن القول بأن هناك خداع مزدوج للأب، بحيث يستطيع المرء أيضا أن يحدد امكانيات هذا الخداع مرة أخرى في حكاية الخاتم، والتي تتضح في قيام الأب بإشراك أبنائه الثلاثة في قضية الخاتم الحقيقي قبل أن يموت، حين جعل كل واحد منهم يعتقد بأنه مالك الخاتم الحقيقي.

لذلك أصبح الأب مخادعا في نظر الأبناء بالسياق الفني الدرامي للحكاية حسب الكاتب حين دون في نص القصة: «و حين جلب الصائغ الخواتم إلى الأب لم يستطيع أن يميز الخاتم الحقيقي» («ناتان الحكيم» ف3، م7). يقول (كوشل)، «في هذه المرة كان الأب مخادعا تجاه جميع الأبناء، لأنه الوحيد الذي أعطى الخاتم الحقيقي إلى الصائغ لكي يحصل على ثلاثة خواتم أخرى وفقا لهذا النموذج، لكنه لم يستطع في نهاية الأمر أن يميز أي الخواتم هو الحقيقي حسب السرد الفني للرواية.

فهل من الممكن القول أن الصائغ قام بسرقة الخاتم الحقيقي وخدع الأب؟ لكن في سياق القصة لا أحد يعلم فيما إذا كان الصائغ قد سرق الخاتم وخدع الأب، وبذلك يكون الأب مخادعا مخدوعا». ويضيف (كوشل)، بأن الخاتم الحقيقي في مفهوم القصة الديني «موجودا بين الخواتم الثلاثة وإن أحد الأبناء يحمله في أصبعه» (كوشل 2004، ص 169).

لذلك فإن أصالة الخاتم تكون ظاهرة للعيان فقط من خلال الممارسة السلوكية لحامله، وحينها ستتجلى «القوة السرية» من الحجر الكريم للخاتم الحقيقي. ووفقا لهذا التفسير يمكن القول بأن لسنغ أراد من خلال الحكاية أن يؤكد للقاء والمشاهد أن الخاتم الحقيقي / الدين الحقيقي لم يفقد وإنما موجودا بين الأديان الثلاثة، لكن الأصالة / الحقيقة ما تزال مخفية على الجميع ولا تظهر إلا من خلال التنافس في العمل الصالح الذي فيه مرضاة الله والناس.

وبناء على هذا التحليل، فإن الأبعاد الإلهية والإنسانية ترتبط مع بعضها داخل باعث الحب. وهذا يعني، ينبغي أن يكون حب الناس لبعضهم البعض كحب الله للناس الذي يكون

على نفس المستوى. لذلك يجب على الإنسان أن يبحث عن الرابط بين هذه المستويات في الحجر الكريم للخاتم/ الدين الحقيقي. ولأن «القوة الإلهية» تتجسد فيها حين تكون هناك مقبولة لحاملها امام الله والناس، فلا توجد هناك علامة للاستدلال عليها بالعقل.

لذا، فإن الحجر الكريم الذي يزين الخاتم الحقيقي ليس حجرا عاديا في المفهوم الفني الروائي والديني، فمن خلاله ينمو الحب الإلهي العام لدى الإنسان ويتحدد سلوكه بهذه القوة حسب لسنغ. حيث تظهر المعجزة الإلهية للحجر في المفهوم الديني وفقا لإنبعث نعمة الله وحبه للناس («ناتان الحكيم» ف3، م7).

وعليه فإن تجنب أو مقاومة السقوط في هاوية خيبة الأمل والخيانة يمكن أن يكون فقط من خلال السلوك الإنساني المتميز بحب الله. وتأسيسا على هذه النظرية يقول (كوشل): «من الممكن أيضا أن يبنى الحب على ظلاله، لكنه يحفظ الإنسان من اليأس والشلل ويفتح له منظور الحياة، ويشجع الممارسات التي لها قيمة في الذات البشرية. أما مسألة ان الأبناء قد خدعوا من قبل الأب أم لا، فهذا الأمر يبينه السلوك في الحب» (كوشل 2004، ص 171).

فهناك مصير مشترك واحد للأديان السماوية - اليهودية والمسيحية والإسلام - تم تجسيده في مفهوم العمل الدرامي لحكاية الخاتم، والذي يكون فيه ممثلي الأديان على نفس المستوى من الحظ. ومن البديهي فإن جميع الأطفال أو الأبناء الذين لديهم أب واحد سيحضون بحبه وتعامله الحسن على قدم المساواة، بالإضافة إلى ذلك يجب أن يفهم الجميع بأنهم كأخوة ورثة لهذا الأب، ولا يوجد هناك تمييز بينهم في الترتيب، وليس بينهم من يتفوق على الآخرين، هذا التفوق الذي سيقضي الله / الأب فيه بنهاية الأمر والمبني على أساس جعل الخاتم/ الدين مقبولا من قبل الله والناس من خلال العمل الصالح (كوشل 2004، ص 171).

لذلك فإن مجرد اعطاء الخاتم من قبل الأب إلى الابن لا يكفي بأن يكون هذا الخاتم أو ذاك هو الحقيقي، وإنما المسألة محكومة بالسلوك الروحي المرتبط بالحب الغريزي لحامله. ووفقا

لهذا التحليل يمكننا الوصول إلى حقيقة، لماذا لم يخبر الأب أبناءه عن ما قام به من إجراءات بشأن قضية الخاتم وهو يرقد على فراش الموت؟ ذلك لأنه أراد كل واحد منهم أن يؤمن ويثبت بنفسه بأنه يمتلك الخاتم الحقيقي، وضمن الشروط التي تطرقنا إليها سلفاً («ناتان الحكيم» ف3، م7).

حيث يعتقد لسنغ، حسب (كوشل)، انه من خلال المشاعر الإنسانية النبيلة والإعتقاد الصادق بالله جل جلاله يمكن للقوة الإلهية أن تظهر في الحجر الكريم للخاتم، ويتجلى تأثيرها في أعمال الحب والسعي في عمل الخير. لذلك فإن «خدعة» الأب لأبناءه لم تنشأ من فكرة شريرة، وإنما جاءت من فلسفة الحياة التي انطلقت من نفس السبب لإلغاء سلم الترتيب في الحب المبني على التمايز (كوشل 2004، ص 171).

وهذا يعني، انه في السياق السردى للحكاية أصبحت مواعظ القاضي محدثة في الصوت اللغوي، والذي يشير إلى أن الطابع اللغوي الذي حدثه لسنغ في قصة الخاتم اعطى للشخصيات الفنية أهمية وقيمة خاصة لدى القارئ والمشاهد (زيوش 2005، ص 198).

يستطيع المرء أن يستنتج مما تقدم، أن محبة الناس لأي دين من الديانات السماوية المبنية على الألفة والمحبة والتسامح والتعايش السلمى تعني بالنسبة إلى لسنغ تعبيراً عن محبة الناس لله جل جلاله. ولكن هذا لا يعني انكار الإيحاء الإلهي، وإنما الاستئثار والحصريّة لأحد الأديان. وهكذا يكشف الله / الأب عن حبه لجميع الأبناء.

لذلك فإن عرض لسنغ لحكاية الخاتم لم يكن مجرد دعوة إلى خصوصية العقيدة أو الحب المجرد بين الناس، وإنما الحب الإلهي للناس من جميع الأديان (كوشل 2004، ص 171). وعليه فإن آفاق المستقبل المملوءة بالتفاؤل التي رسمها لسنغ بريشته بقيت مفتوحة لعمل الخير وإشاعة المحبة، لربما يقرر القاضي العادل/ الله جل جلاله في نهاية المطاف ويشخص من يمتلك الخاتم الحقيقي/ الدين الحقيقي حين تظهر القوة الإلهية من الحجر الكريم وتبدأ تأثيرها الإيجابي بعد «آلاف آلاف السنين».

6- لسنغ - الإسلام ووجهة النظر الجديدة لمسرحية «ناتان الحكيم»

حين نريد أن نثبت الحقيقة الدينية من خلال ما يوحى للسنغ من أفكار وهو يدون مخطوطته الشعرية الدرامية «ناتان الحكيم»، فما علينا إلا أن نتابع أولاً الأحداث الدرامية للمسرحية منذ البداية وحتى إنتهاء العرض المسرحي في آخر مشهد، في الوقت الذي ينبغي على كل واحد منا - المختصين والخبراء في الأدب والنقاد والقراء والمشاهدين - أن يطرح بعض الأسئلة المنطقية لمناقشة الحقيقة اللاهوتية للكاتب لسنغ بلا تحيز أو انفعال وطمس وإخفاء متعمد للحقائق. ومن هذه الأسئلة الآتي:

(1) هل ان مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم» مجرد حكاية أطفال، «قصة خاتم»؟ (2) أين تلتقي خيوط العمل المسرحي في النهاية؟ (3) لماذا يكون جميع ممثلي الأديان السماوية من اصول اسلامية؟ (4) ألم يكن هناك منظور ديني للممثلة العائلة في المسرحية، والذي يتفق مع هدف الكاتب في نهاية العمل؟ (5) لماذا جمع لسنغ ممثلي الأديان السماوية - اليهودية والمسيحية والإسلام - في عائلة موحدة مسلمة في آخر مشهد من المسرحية؟ (6) ما هو الدور الذي يجب أن تلعبه حركة التنوير كحركة فكرية روحية في تلك اللحظة بعواطف الناس وتفكيرهم؟

يمكن القول بأن لسنغ جعل الشخصيات الفنية للمسرحية تتحرك في ثلاث حلقات تمثل كل واحدة منها العائلة اليهودية والعائلة المسيحية والعائلة المسلمة، التي انضمت إلى بعضها في النهاية وأنشأت عائلة واحدة تكون نموذج للمجتمع الإنساني الموحد (لوري 1992، ص 227).

حيث جسد اليهودي ناتان الحالة المثالية للحكيم كما تصوره وتعرضه حركة التنوير، وان حكمته قائمة على أساس الإنفتاح في الحوار مع الآخر والقدرة على توفير الفهم العقلاني للناس الذين ضلوا الطريق بسبب سوء الفهم (غروسه 1996، ص 78). ولهذا جعل لسنغ خيوط العمل المسرحي الفرعية ومنها «حكاية الخاتم» والخيوط العامة ككل تلتقي في الفصل الأخير من مسرحية «ناتان الحكيم»، وكما مبين في العرض الآتي:

ان المتتبع للمسرحية يستطيع أن يلاحظ بأن هناك ارتفاع في الخط البياني لدور اليهودي ناتان في العمل الدرامي المسرحي، ففي الفصل الأول للمسرحية وتحديدًا في المشهد الأول نرى انه مثل دور التاجر المرابي اليهودي المهتم بسفرائه لجمع فوائد الأموال من الربا، التي يقرضها للناس في بلدان نائية غير مكترثا لما يحصل لعائلته في غيابه.

حيث يؤشر لسنغ ذلك على لسان ناتان بتركه لابنته ريشا وحيدة في خطر عندما ذهب لجمع المال في بلدان بعيدة جدا عن القدس، وكما فعلها سابقا حين ترك زوجته واطفاله السبعة خلال الحروب الصليبية وذهب لجمع المال، فقام الصليبيون باعدامهم جميعا في غيابه، حين يقول: «تبعد بابل عن القدس حوالي 200 ميل حسب معرفتي بالطريق الذي ينعطف يمينا وشمالا. بالتأكيد ان طريقة جمع الأموال باليد لا تعد تجارة مشجعة» («ناتان الحكيم»، ف1، م1). حيث يتضح من ذلك «اهتمامه بضمان البضاعة أكبر من اهتمامه بإنقاذ حياة ابنته» (فيسيلس 1979، ص 403).

لذلك قام الكاتب لسنغ بانتقاد هذا الإهمال الأبوي للتاجر المرابي اليهودي ناتان على لسان ابنته ريشا في حديثها معه وهي تصف له بحسرة معاناتها في غيابه: «كان يتوجب عليك أن تعبر الفرات ودجلة ونهر الأردن، من يعلم أي نهر بعد؟ كم مرة ارتعدت خوفا من أجلك، قبل ان تقترب مني النار! وحين اقتربت مني النار تخيلت لك غارقا في الماء...» («ناتان الحكيم»، ف1، م2).

حيث يعد ما تقدم نقدا مباشرا وصريحا من قبل الكاتب لسنغ لتجارة الربا التي يحترفها اليهود في تلك الفترة، والتي حرمها الإسلام في تعاليم دينه الحنيف، كما ترجم لسنغ عن نصوص فرنسية تشير إلى تحريم الإسلام لتجارة الربا، خاصة اذا ما أخذنا بنظر الاعتبار حياة لسنغ التي عاشها فقيرا رغم غزارة نتاجه الأدبي والفكري الذي يقول فيه: «محرم الربا مع الغرباء في دين محمد، وأمر بقوة باداء الزكاة».⁸²⁴

(824) Lessing: FU. S. 130 (s. Anm. 69). Auch Kuschel 1998. S. 85. (الترجمة الفرنسية)، ص 130. كذلك ينظر إلى كوشل 1998، ص 85).

ويستمر لسنغ بانتقاده اللاذع لتجارة الربا التي كان يمتنها اليهود ويحرمها الإسلام من خلال طريقة تفكير ناتان التي كانت تركز على امكانية الحصول على الأرباح بالتعاقب لكي تصبح ثروته كبيرة جدا (ف1، م2). حيث فضل لسنغ بأن يكون هذا الانتقاد على لسان الحافي درويش احد ابرز الشخصيات الإسلامية الزاهدة في مسرحية «ناتان الحكيم» حين جعله يخاطب ناتان بلسان المنتقد الرافض لهذه التجارة التي حرمها دينه الحنيف بالقول: «الإقتراض أفضل بكثير من التسول، والتسليف ربا ليس أفضل بكثير من السرقة» (ف2، م9).

وفي خضم أحداث الفصلين الأول والثاني من المسرحية أخذ لسنغ يؤهل شخصية ناتان الفنية إلى مرحلة ايجابية جديدة تتسم بالتسامح والتعايش السلمي والاعتراف بالآخر وحسب الخط البياني المرسوم لها من قبل الكاتب، والتي اتضحت معالمها في الفصل الثالث حين اخذ ناتان يتحرك بخطى ثابتة نحو الأهداف المرسومة له ليلعب دور اليهودي المتسامح الذي رفض الثأر لعائلته التي قتلها الصليبيون، ومثل دور افضل المسيحيين في التصرف، حسب لسنغ، حين تبني الطفلة المسيحية ريشا رغم الكارثة التي حلت بافراد عائلته السبعة على يد جيوش النصارى.

وهنا لا بد من المقارنة بين نزعة التسامح التي كان يتحلى بها التاجر اليهودي ناتان وروح التسامح في الإسلام التي كان يؤمن بها السلطان صلاح الدين بعد أن قتل الصليبيون وبلا رحمة أكثر من سبعين الف مسلم خلال الأيام الأولى من دخولهم لبيت المقدس عام 825. 1099

رغم ان التاجر اليهودي ناتان يعد من ناحية المقارنة «أفضل مسيحي» في التصرف حسب وجهة نظر لسنغ، لكنه قابل على مضض ولغاية في نفسه فارس المعبد المسيحي الذي يريد الزواج من ابنته بالتبني اليهودية ريشا بعد ان انقذها من النار وأغرم بها. يقول الكاتب (هانز

Stefan Weinfurter: Der erste Kreuzzug 1096-1099 «Gott will es». In: DAMALS, das 825
Magazin für Geschichte und Kultur 2011.
<http://www.damals.de/de/16/%C3.html?issue=156190&aid=156146&cp=1&action=show>
Details. (شتيفان فاينفورتر: الحملة الصليبية الأولى 1096-1099 «الله يريد هذا». مجلة «دامالس» للتاريخ والثقافة
2011).

فريدريش فيسيلس) «لم يهتم ناتان بثروة فارس المعبد بقدر اهتمامه باسمه. وكان ينظر إلى جديته ونواياه كفارس شاب أكثر من صلاحيته للعمل، لأنه يحتاج قوته للقضاء على منافسيه غير المرحب بهم بدون أذية بهدف الإثراء الشخصي» (فيسيلس 1979، ص 403).

في الفصل الثالث من المسرحية يرتفع الخط البياني الإيجابي لدور ناتان بعد ان خلع عنه الكاتب لسنغ رداء التاجر المرابي والبسه عباءة رجل الدين الحكيم والواعظ ذو الخبرة الواسعة، وكما ورد ذكره في الكتب المقدسة التوراة - النبي ناتان - والقرآن الكريم في سورة لقمان، وتقمص في ذات الوقت دور المؤلف المسرحي صاحب القضية لكي يثبت حقيقة الأديان السماوية وخاصة حقيقة الإسلام مدار الجدل في أوروبا في تلك الفترة، والتي ربطها لسنغ بالمواقف الإنسانية المتسامحة للقائد المسلم صلاح الدين الأيوبي حين فتح القدس عام 1187، واختياره لنزعة الخير ومساعدة الناس التي أوصى بها دينه الحنيف بدل نزعة الشر والإنتقام والثأر وجمع الغنائم من المسيحيين.

يقول الكاتب الألماني (فريدريش نيفونر)، لم يقوم لسنغ بعرض ومعالجة قضية الحوار والتسامح المصيرية في مسرحيته «ناتان الحكيم» من خلال الشخصيات اليهودية والمسيحية، وإنما من خلال الشخصيات الإسلامية وما جادت به من خلق رفيع وإتزان في التصرف وحكمة في القول والفعل الإنساني المتسامح مع الجميع حسب الموروث التاريخي لها.

فالسلطان صلاح الدين يعتبر بالنسبة له قائد مسلم متسامح ومستنير، قام بتطبيق تعاليم الإسلام بشكل صحيح، والتي قرأها لسنغ في كتب المستشرقين والقرآن الكريم (نيفونر 2000). لذلك تم في المسرحية عرض اليهودي الحكيم ناتان ذو الذكاء الخارق كتاجر مرابي وظف حكمته لتحمل المواقف تارة وللطبيعة الأخلاقية تارة أخرى (فيلهيلم غروسه 1996، ص 77)، والذي كان يقرض الناس المحتاجين مبالغ من المال مقابل فائدة، حيث يكون همه الأول جمع هذه الأرباح، في حين «أمر السلطان صلاح الدين، ووثق ذلك في وصيته، بتوزيع مبالغ كبيرة على الفقراء والمحتاجين من المسلمين واليهود والمسيحيين كصدقات لكي يعطي إنطباعاً بأن جميع الناس أخوة في حقيقة الأمر» (فولتير: «تاريخ الحروب الصليبية»، ص 81).

لذلك نلاحظ من خلال متابعتنا لأحداث المسرحية أن لسنغ جعل مسألة المال تلعب دورا سلبيا يتعلق بتجارة الربا التي يمارسها اليهودي ناتان من ناحية، والتي يجرمها الإسلام، ودورا إيجابيا مرتبط بتوزيع السلطان صلاح الدين للصدقات على الفقراء دون تمييز من ناحية أخرى، وذلك بهدف «تحقيق تعبير مشابه بصريا لمعرفة الحقيقة الدينية، لأن السعي وراء الثروة ووراء الحقيقة مسألة مرتبطة ببعضها» (هلموت غوبل 1971، ص 182).

كذلك استخدم لسنغ الحاجة إلى المال كأداة لتحقيق اللقاء بين السلطان صلاح الدين والتاجر اليهودي ناتان، وحين تحقيق اللقاء في صالة استقبال الضيوف بقصر السلطان كان ناتان يعطي اهتماما كبيرا للإعتبارات المادية المرتبطة بتجارته على حساب القيم الإنسانية (فيسيلس 1979، ص 405)، مع ملاحظة معرفة لسنغ المسبقة بممارسة اليهود لتجارة الربا التي تم التطرق إليها في أدبيات الكثير من الكتاب المهتمين بتاريخ اليهود، والتي رفضها لسنغ بشدة، الذي فضل أن يعيش فقيرا حتى مماته. ولهذا السبب نرى بأن مسرحياته تستند بقوة على الحس النقدي للمشاهد وليس على إثارة مشاعره فقط،⁸²⁶ كما في «ناتان الحكيم».

ووفقا لما تقدم جعل الكاتب لسنغ بأن يطلب السلطان صلاح الدين من اليهودي ناتان أن يبين له حقيقة الأديان السماوية بدلا من أن يقرضه المال الذي كان بأمر الحاجة إليه لإدارة شؤون الدولة، مجسدا بذلك معرفته بحرمة تجارة الربا في دين محمد (صلاة الله عليه)، حيث عمل على أن تكون هذه الحقيقة جزءا لا يتجزأ من صفات السلطان المسلم حين جسدها في أفعاله وأفكاره.

ولهذا، يقول (هورست شتاينمترز)، التزم صلاح الدين دائما بتوزيع الكثير من الصدقات كما أمر الرسول مؤمنيه بذلك. وفي أدب مسرحية «ناتان الحكيم» كان صلاح الدين يمتلك الصفات والشخصية التاريخية الحقيقية، فكان كبيرا، وبطلا، وإبنا وأخا حونا، وحاكما لطيفا، وسخيا حتى مماته، حيث مارس أخلاقياته.⁸²⁷

Edward P. Harris (Hg.): Lessing in heutiger Sicht, Beiträge zur Internationalen Lessing-Konferenz Cincinnati, Ohio 1976. Bremen und Wolfenbüttel 1977. S.166. (ادوارد هاريس (ناشر): لسنغ في منظور اليوم، مساهمات لمؤتمر لسنغ الدولي 1976. بريمن وفولفنبوتل 1977، ص 166).
Horst Steinmetz: Lessing- ein unpoetischer Dichter, Frankfurt am Main/ Bonn 1969. S. (827

وبناء على هذا التوصيف قدم لسنغ الإسلام إلى جمهور المشاهدين والقراء كدين حقيقي من خلال شخصيته الفنية ناتان الحكيم الذي أقر صراحة بالمساواة بين الأديان السماوية الثلاثة في حكاية الخاتم بعد أن أعاره الكاتب خبرته في المجالين الديني والثقافي، في الوقت الذي يرفض وبشدة رجال الدين المسيح واليهود الاعتراف بالدين الإسلامي في تلك الفترة («ناتان الحكيم»، ف4، م2).

ووفقا للخبرة والدراية المستعارة من الكاتب أخذ الحكيم اليهودي ناتان يتحدث بحرية أمام السلطان صلاح الدين عن حقيقة الأديان السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام، ردا على سؤال السلطان الآتي الموجه إليه: «أية عقيدة وأي قانون سماوي كان على الأرجح الأفضل بالنسبة إليك؟» («ناتان الحكيم»، ف3، م5) حاول ناتان أن تكون إجابته مقنعة لصلاح الدين، فأخذ يروي له بحذر قصة الخاتم، التي تعد من أهم الأجزاء الرئيسية في بناء الهيكل العام لمسرحية «ناتان الحكيم»، والتي لم يخترعها الكاتب الإيطالي (بوكاشيو)، وإنما كتبت على أساس التقليد في الأسلوب السردى الأدبي للمجموعة القصصية الشرقية العربية «الف ليلة وليلة»، حيث أراد لسنغ من خلالها وعلى لسان ناتان أن يثبت بأن اليهودية والمسيحية وكذلك الإسلام هي أديان سماوية منزلة من الله تعالى.

وهذا ما يدل عليه عدم معرفة الخاتم الأصلي من بين الخواتم الثلاثة/ الأديان الثلاثة في الحكاية. فإلى جانب اليهودية، حسب لسنغ، يوجد هناك ديانتين هي المسيحية والإسلام أوحى بهما الله مؤخرا ويجب الاعتراف بهما.

حيث يتضح رأي الكاتب بشأن المساواة بين الأديان من خلال حكاية الخاتم حين جعل الأب يصنع خاتمين جديدين - المسيحية والإسلام - مشابهة تماما للخاتم الأصلي القديم - اليهودية إلى درجة أن الأب ذاته لم يستطيع تمييز الأصلي من بين هذه الخواتم. وبذلك تحدى لسنغ كل الآراء المسيحية واليهودية السائدة في العالم المشككة بحقيقة الإسلام، ليقولها صراحة وأمام الملأ بأن الإسلام دين حقيقي منزل، وهو الدين الوحيد الذي لا ينكر وجود المعتقدات الأخرى، حيث يقول وبكل ثقة في النفس: «لا يستطيع

111-113 (هورست شتاينمتر: لسنغ - الأديب غير الشاعر. فرانكفورت أم ماين/ بون 1969، ص 111 - 113).

أن أقول شيئاً عن محتوى مسرحية «ناتان»، يكفي انه عمل درامي مثير للغاية وبجدارة، وسأفعل كل ما في وسعي لكي أكون سعيداً مع ذاتي بهذا العمل» (أعمال لسنغ، البند 2، ص 321).

وبذلك استطاع لسنغ ان يجعل التنوير كحركة عقلية وروحية تلعب دوراً عقلاًانياً في مناغاة العقل والإدراك الحسي والحركة الفكرية للناس وانعكاساتها لتوضيفها إيجابياً في فهم الحقيقة الدينية المظلمة، وكما مبين في التحليل المختصر الآتي للعرض المسرحي:

تبين السيرة الذاتية لفارس المعد في المسرحية، والذي يعد من أتباع المسيحية المتشددة، بأنه مسلم الأصل، لأنه في حقيقة الأمر التي تجلت في الفصل الأخير من مسرحية «ناتان الحكيم» ابن المسلم أسد شقيق القائد صلاح الدين الأيوبي الذي أختفى منذ فترة طويلة بعد أن تزوج من امرأة ألمانية الأصل وسافر معها إلى هناك لينجب طفلين من أصول إسلامية هما فارس المعبد الذي نشأ في أحضان المسيحية في أوروبا وريشا التي عاشت طفلة بالتبني في بيت اليهودي الحكيم ناتان. ولذلك عفى عنه صلاح الدين بعد أسره في إحدى المعارك لأنه كان قريب الشبه من شقيقه أسد.

وفي هذه اللحظة الدرامية أراد الكاتب لسنغ أن يبين بوضوح لجمهور القراء والمشاهدين والنقاد بأن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنصاره لم يكونوا طغاة مستبدين، وإنما دعاة للسلام وأداة الإنتقام من المخلدين في الدنيا الذين استعبدوا الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً (لسنغ: إنقاذ السيد كрдانيوس، ص 262).

ووفقاً للتوصيف سالف الذكر يبين الكاتب لسنغ لاحقاً بأن فارس المعبد كشاب مسلم لا يمكن أن يكون من أنصار المسيحية المتشددة. وتم تأكيد هذه الحقيقة في الفصلين الرابع والخامس من قبل الحكيم اليهودي ناتان الذي كان صديقاً حميماً لوالده المتوفي أسد ويحتفظ له ببعض الذكريات والوثائق. كذلك ريشا، البنت المسيحية التي تربت بالتبني في بيت اليهودي ناتان، تحتفظ باصولها الإسلامية، فهي بنت المسلم المتوفي أسد أيضاً.

وبذلك أراد الكاتب لسنغ الإشارة مباشرة من خلال هذه الحقائق إلى العلاقة الدينية التاريخية المتناسكة بين الأديان السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام والتدرج الزمني في ظهورها وإيجائها الإلهي، وليكون الإسلام خاتمها ومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) خاتم النبيين.

يقول الكاتب (أوتومان): «عمل لسنغ في الأرجح على أن تظهر الإنسانية الآتية في شخصية ريشا وفارس المعبد، وكثيرا ما عرض أبطاله حسب إرتباطهم». حيث نستنتج من ذلك بأن أحداث العمل الدرامي كانت تبحث منذ بدايتها في الأصول الدينية للشخصيات وما تحمله من صفات تعكس الواقع الديني لها.

ويستطرد (مان) بالقول: «ان العمل المسرحي ربح القوة الذاتية في المغزى البعيد له، ومن غير المناسب ان تسمى مسرحية شعرية، لأن لسنغ أوقف المزاج المأساوي أو روح الدعابة التي كانت تسيطر على جانب من جوانبها» (مان 1949، ص 370).

ويضيف الكاتب (أوتومان) في مؤلف آخر له بالقول، ولأن «ناتان» هو ذاته الكاتب «لسنغ»، فعليه ينبغي أن تعلن الحقيقة في نهاية العمل المسرحي. حيث استطاع «الكاتب بإتقان فني مميز أن يلطف ويصقل» العمل المسرحي «ويجعل العملية تجري بتوافق متناسق يؤدي بالنتيجة إلى حقيقة ان ريشا وفارس المعبد أشقاء، وهم أبناء أسد شقيق صلاح الدين المفضل. وعليه يبقى الحب بالنسبة لفارس المعبد كشاب مجرد التباس في الشخصية وغموض في الأحداث المسيطر عليها من خلال وضوح الرؤية في العقل والروح».⁸²⁸

إذا؛ في نهاية العمل المسرحي التحليلي «ناتان الحكيم» تم إكتشاف أن فارس المعبد وريشا من اصول إسلامية، وهما في ذات الوقت من أبرز ممثلي الديانتين المسيحية واليهودية، حيث يرجع الكاتب لسنغ هذه القصة إلى العلاقة التاريخية بين الأديان السماوية الثلاثة في الماضي والحاضر والمستقبل وكذلك إلى قصة ظهور وعلان الإسلام كدين سماوي منزل.

Otto Mann: Lessing Kommentar zu den Dichtungen und ästhetischen Schriften. (828 München 1971. S.17. (أوتومان: «تعليق لسنغ على القصائد الشعرية والمخطوطات الجمالية». ميونخ 1971، 17).

وفي مفهوم لسنغ وقناعاته الأدبية والدينية الفلسفية في مجال حوار الحضارات والأديان فإن فارس المعبد وريشا ينحدرون من اصول إسلامية، وقد تربوا في الصغر تربية يهودية ومسيحية، لكنهم اليوم يدون رغبتهم بإعتناق الإسلام طوعية والعيش بسرور ضمن عائلة مسلمة. تقول الكاتبة (سيبيل باور): «إن الحل الختامي لمسألة أن يكون الابن المسيحي وال بنت اليهودية من صلب رجل مسلم واضح تماما ومعقول وكما جاء في تعليقات القاضي بحكاية الخاتم».⁸²⁹ وهذا ما اراد لسنغ التوصل اليه في نهاية العمل المسرحي.

يمكن القول بأن لسنغ استطاع وبراعة أن يجمع كل هذه الأحداث في عمل درامي واحد للوصول وبتفكير عميق إلى مجتمع الأرواح الحرة. حيث يكشف أنصار الأديان السماوية، الذين يتقاسمون الأرض للعيش في أمم مختلفة ويقفون موقف عدائي ضد بعضهم البعض، بأنهم ينتمون إلى عائلة واحدة حسب ما عرضه الكاتب في الفصل الأخير من المسرحية.

يقول الكاتب (نايس): «إن الحداثة والآنية في مسرحية «ناتان الحكيم» لم تثبت فقط في الطلب الخيالي لتحقيق الأخوة الإنسانية العالمية، وإنما أيضا في الإشارة إلى الزمن الذي واجه فيه هذا الطلب تفشي التعصب الديني والعنصرية والأعمال الوحشية الدموية التي واجهتنا في أحداث المسرحية» (نايس 1994، ص 9).

أشارت مراجع المسرحية هنا إلى الزمن الذي نعيشه، كما جعلت آنية الموضوع واضحة للعيان. حيث أراد لسنغ في بناء الفكرة الأساسية للعمل المسرحي الإعلان عن الحوار الثقافي العقلاني العالمي كبديل عن الصراع الديني، لأن «اللقاء»، يقول (إرش بوينس)، «مع أناس من معتقدات أخرى أو بدون معتقد يقود حتما إلى الحوار».⁸³⁰ وبناء على ذلك لا يستطيع المرء أن ينكر حقيقة أن مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم» كمسرحية شعرية تبقى دائما وبلا جدال حديثة لأفكار الوجود الإنساني العالمي الحر.

(829) Sibylle Bauer: Gotthold Ephraim Lessing. Darmstadt 1968. S. 359. (سيبيل باور: «غوتهولد

إفرايم لسنغ». دارمشتات 1968، ص 359).

Erich Boyens: Glauben alle an denselben Gott? Antworten der Religionen. Stuttgart (830

1969. S. 23. (إرش بوينس: «ألا يؤمن الجميع بنفس الرب؟ إجابات الأديان». شتوتغارت 1969، ص 23).

الباب السادس

لسنغ «ناتان الحكيم» والحوار الحضاري مع الإسلام من وجهة نظر معاصرة

يعد رائد حركة التنوير الألماني غوتهولد افرام لسنغ من الرواد الأوروبيين القلائل في القرن الثامن عشر الذين اهتموا بشكل كبير بقضية الحوار الحضاري والتسامح والتعايش السلمي بين الشعوب والأمم من ديانات مختلفة ليعم السلام والأمان أرجاء المعمورة، في الوقت الذي كان رجالات الدين المتطرفين في أوروبا لا يسمعون إلا أصواتهم بعد أن اصمت آذانهم طبول الحرب المقدسة التي كانوا يقرعونها لمقاتلة المسلمين في الشرق و إبادة اليهود في الغرب. ولذلك انصب اهتمام لسنغ على الحوار الحضاري الديني بين اليهودية والمسيحية، مركزا في ذات الوقت على حوار اليهودية والمسيحية مع الإسلام الذي أخذ أشكالا مختلفة في أدبياته:

أولا: لسنغ شريك في الحوار مع الإسلام

يقول الكاتبان (أيفا انغل وكلاوس ريترهوف)، حين بين لسنغ بنهاية حكاية الخاتم في مسرحيته «ناتان الحكيم»، «انه لا يعتبر المفهوم العلمي للحقيقة الموضوعية هو المعيار الوحيد في المسائل الدينية، وإنما هناك أمور أخرى كالتقاليد، والموروث الحضاري، والتاريخ، والانتماء الاجتماعي، حينها يمكن وعلى أساس هذه الحقائق متعددة الجوانب أن ينشأ حوار مثمر بين الأديان. ويعد هذا الافتراض أمرا أساسيا لمعايير الفكر الديني التي نشأت وسط تناقص حاد في نماذج الخطابات العلمية الناشئة».⁸³¹

Eva J. Engel/ Claus Ritterhoff (Hg.): Neues zur Lessing-Forschung, Ingrid (831 Strohschneider-Kohrs Ehren am 26. August 1997. Tübingen 1998. S. 73. (أيفا انغل وكلاوس

ريتيرهوف: «الجديد في بحث لسنغ»، توبنغن 1998، ص 73).

لذلك فإن نموذج الإسلام كدين عقلاني موحى بدأ يؤتي ثماره في أوروبا من خلال كتاباته الأدبية الدينية. وهذا الأمر زاد من حماسة لسنغ للبحث في مسألة العلاقة بين العقل والوحي الإلهي، حتى إنه أوجد في عرضه للإسلام في كتاباته «إنقاذ السيد كردانيوس» و«برهاني عن العرب، بانهم خليفة نبي الله إبراهيم وليس اليهود» و«قصة القس آدم نويسر» مواءمة موضوعية في مفهوم الدين الطبيعي للربوبية والتوحيد، بعد أن عثر على هذه المواءمة في المخطوطات الدينية الفلسفية لعدد من الكتاب الألمان المنورين من بينهم المستشرق (هيرمان صمويل رايماروس) ... (هورش 2004، ص 107).

وفقا لما تقدم، يستطيع المرء أن يستنتج، أن العلاقة بين الإسلام والدين الطبيعي التي جسدت في العرض المستنير للشخصيات الإسلامية في مسرحية «ناتان الحكيم» تطرح تساؤلا مباشرا فيما إذا كان لسنغ قد أثنى على الإسلام كونه دينا طبعيا أو دينا موحى. حيث يقول الكاتبان (أيفا انغل وكلاوس ريترهوف): «لقد أجاب لسنغ على هذه المسألة بوضوح وكما تتم معالجة اكتشاف الحقيقة إعلاميا للتمكن من إكتساب المعرفة، بقوله: ليس من خلال معرفة الكتب «الميتة»، وإنما من خلال التواصل الشفوي وإعادة الحوار» (أيفا وريتزهوف 1998، ص 77).

وهذه دعوة صادقة وجادة للحوار مع المسلمين لمعرفة حقيقة الإسلام، وهي دليل على أن لسنغ كان يدعوا إلى الحوار الحضاري الجاد والصادق بين الحضارات والأمم ويشجع عليه في كتاباته، لأن ذلك يعد بالنسبة له السبيل الوحيد لمعرفة واكتشاف الآخر بشكل حقيقي الذي يتناغم مع المعرفة الذاتية التي يستقيها المرء من أمهات الكتب.

إن تأثير الثقافة الإسلامية على واحد من أشهر الكتاب والنقاد الألمان ورواد حركة التنوير الأوروبيين في القرن الثامن عشر قاد بالنتيجة إلى تبني حوار حضاري عالمي وإنساني متسامح بين الديانات الرئيسية الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام، الذي ظل محط تساؤل لقرون مضت (هورش 2004، ص 13).

حيث عبر لسنغ عن رأيه بصريح العبارة بشأن الحوار الصادق والمثمر الذي يجب أن يتم بين الأطراف المختلفة باعتباره جزءا من هذا الحوار ومن يحمل لوائه بصدق، بقوله: «ليس

التوافق في الآراء، وإنما التوافق في الأعمال الفاضلة، ما يجعل العالم أكثر سلاماً وسعادة».⁸³² والجدير بالذكر أن لسنغ قام بتجسيد قوله هذا في مسرحيته الشهيرة «ناتان الحكيم» 1779 من خلال حوار الشخصيات الفنية الممثلة للأديان السماوية، والذي يعد «تحفيزاً من قبل الكاتب وتشجيعاً للحوار الديني الحقيقي الذي تبرز فيه عبارات العقيدة والعقل».⁸³³

لذلك عدت المسرحية الشعرية «ناتان الحكيم» للكاتب لسنغ في القرن الثامن عشر ظاهرة أدبية فنية فريدة من نوعها على المسرح الألماني، والتي ما زالت منذ ذلك الحين وإلى يومنا هذا تحقق نجاحات كبيرة بحجم كاتبها وجهوده الجبارة في هذا المجال، لأن هذا العمل حمل رسالة مفتوحة وواضحة إلى انصار الأديان والمذاهب المتحاربة، فيها دعوة لتحكيم العقل والحكمة لحقن دماء الأبرياء، وكذلك كنداء للعقل في هذا العالم، الذي اضحى تتحكم بمصيره المصالح، لفتح باب الحوار العقلاني فيما بينهم دون خوف، الحوار الذي يمكن من خلاله التوصل إلى القواسم المشتركة للتفاهم بين جميع الأطراف، وكما جاء في حديث صلاح الدين مع اليهودي ناتان في المسرحية: «تعال، أيها اليهودي! - اقرب - اقرب هنا! - اقرب هنا دون خوف!» («ناتان الحكيم»).

يقول الكاتب (مان): «لم يتوقف لسنغ وإلى يومنا هذا من معالجة قضية التسامح في العالم. إن شخصية ناتان الفنية تمثل لسنغ الكاتب. ومما لا شك فيه أن جميع نتاجاته الأدبية غريبة ومميزة» (مان 1971، ص 14).

ولذلك لم تفهم مسرحية «ناتان الحكيم» على مر العصور كونها مسرحية كلاسيكية، وإنما ينظر إليها على إنها قصيدة شعرية تنويرية في سياق القواعد الدينية. إن مجموعة الأحداث بما فيها مجاميع الشخصيات، وكل المواقف المتمثلة بلقاء صلاح الدين - ناتان - فارس المعبد، وحكاية الخاتم، وقصة الحب بين ريشا وفارس المعبد وتسويتها في نهاية الأمر، والتي في

Johannes von Lüpke: Weg der Weisheit. Studie zu Lessings Theologiekritik. (832 Göttingen 1989. S. 41. (يوهانس فون لوبك: «طريق الحكمة. دراسة حول انتقادات لسنغ اللاهوتية». غوتنغن 1989، ص 41).

A. J. Vonhausen: Rolle und Individualität. Zur Funktion der Familie in Lessings (833 Dramen. Bern/ Berlin/ Paris/ Wien 1993. S. 118. (أ. جي. فونهاوزن: «الدور والشخصية. دور الأسرة في مسرحيات لسنغ»، بيرن/ برلين/ باريس/ فيينا 1993، ص 118).

نهايتها تظهر جميع الشخصيات الممثلة للأديان السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام تنتمي إلى عائلة مسلمة واحدة.

باختصار؛ إن العمل المسرحي برمته يهدف وبشكل واضح في جميع فصوله ومشاهده إلى بلورة حقائق كبيرة للوجود الإنساني الأفضل والأنبل الذي أراد الكاتب الألماني لسنغ إيصاله إلينا منذ القرن الثامن عشر. لذلك فإن النقاد والمختصين في الأدب الألماني الحديث على قناعة تامة بأن مسرحية «ناتان الحكيم» واحدة من المسرحيات المهمة التي تنتمي إلى عائلة الشعر التعليمي.⁸³⁴

إن ما يميز لسنغ عن معاصريه في كتابة المسرحية، وخاصة «ناتان الحكيم»، هو بناء أفكاره على حقيقة أن جميع الناس ينحدرون من أصل واحد وعائلة واحدة، وعليه يجب أن يتحاوروا بكل صراحة وثقة بالنفس ويصغي أحدهما إلى الآخر ويفهم ماذا يريد، وكما قال صلاح الدين المسلم إلى ناتان اليهودي: «أنا اسمعك، بين لي بإثبات ما تريد الإعتراض عليه» (ناتان الحكيم، ف3، م5).

لذلك أعطى الكثير من الناس ومن طبقات اجتماعية مختلفة إهتماما كبيرا ومميزا لمسرحية «ناتان الحكيم» مقارنة بالمسرحيات المألوفة الأخرى التي عرضت على المسارح الألمانية منذ نهاية القرن الثامن عشر والقرون اللاحقة، باعتبارها ميداناً للقاء الثقافات وحوار الأديان الذي ينشده الجميع.

ويعود هذا الإهتمام بالتأكيد إلى إرادة الكاتب وأهمية الحقائق التي تم طرحها، بالإضافة إلى السحر غير المألوف للشكل والمحتوى، والذي يتضح من خلال الحوار الصادق بين الشخصيات من أديان مختلفة، وخاصة ما دار من حديث بين صلاح الدين وناتان: «الآن يكفي تواضعا! لأن ما سمعناه دائما نتاج للفكر الجاف، ومقرف. دعنا نأتي إلى صلب الموضوع! ولكن، ولكن، بصدق، أيها اليهودي، بصدق!» (ناتان الحكيم، ف3، م5).

Paul Rabbe: Das Lessinghaus in Wolfenbüttel. Ein Literaturmuseum für einen (834 deutschen Schriftsteller des 18. Jahrhunderts. Wolfenbüttel 1978. S. 26. (باول رابه: «بيت لسنغ في فولفنبوتل. متحف الأدب لكاتب الماني في القرن الثامن عشر»، فولفنبوتل 1978، ص 26).

ومن أجل تعميق الحوار مع المسلمين واطهار أهمية الإسلام كدين عقلاني طبيعي استعمل لسنغ الكثير من الاسماء الإسلامية في مسرحيته «ناتان الحكيم» منها صلاح الدين، سيتا، الحافي درويش، اسد، ملك، المماليك، الأمير منصور، وآخرين.

حيث عمل باستمرار على أن يقدم للقراء والمشاهدين كل شيء له علاقة بعمله المسرحي لتبيان أن المشاكل السياسية والدينية العالمية المعقدة يمكن حلها بالحوار الصريح البعيد عن ممارسة الذل والإحتقار، والذي يؤدي بالنتيجة إلى تجنب الصراع وجميع انواع التصعيد والتطرف التي تشجع عليه. ونادى في ذات الوقت إلى «التسامح» و«التصالح» بين ممثلي الأديان والسياسة كخطوة أولى نحو الحوار البناء الذي يستطيع المرء من خلاله أن ينقذ البشرية من الضياع. ولهذا الغرض قال الرئيس الألماني الإتحادي الأسبق (يوهانس راو) في كلمته بال حفل التأييني لذكرى وفاة لسنغ:

«هذا هو لسنغ، بقى محبوبا جدا صورة ورمزا، والذي حتى في هذه الحالة يدعو بعد الموت أيضا إلى الاحترام والتسامح بين الأديان والثقافات» (راو 2004، ص 13).

ان الدعوة الواضحة والصريحة للحوار متعدد الأطراف من قبل الكاتب قد أطرت موضوع المسرحية ووجهة نظر ومقاصد الشخصيات الفنية، التي صاغ لسنغ حواراتها حول الله والدين دون تحيز، وصور بعض شخصياتها على انهم نبلاء والآخرين فقراء لكي لا يستثني أو يهمل أحد في حلقات الحوار ودرجات الإيمان والزهد والدعوة إلى التسامح والتعايش السلمي بين الشعوب.

وعليه فقد عرض شخصية البطريك كرمز من رموز الأصولية المسيحية في القرون الوسطى تجاه المعتقدات غير النصرانية إلى جانب الشخصيات الأخرى مثل ناتان وصلاح الدين وسيتا والحافي درويش وفارس المعبد وريشا ودايا والراهب وجميع المماليك والعبيد.

أشار لسنغ من خلال الأحداث التاريخية للمسرحية إلى المجازر الدامية التي ارتكبتها الصليبيون في القرون الوسطى بحق المسلمين واليهود لإظهار أن المصالحة القائمة ممكنة بين الأطراف المتفاوضة بعد أحداث الصراع شريطة أن تكون جميع أطراف الحوار جادة ومستعدة لإيجاد حلول جذرية للأزمات العالمية المعقدة.

وهذا يؤسس إلى فهم مشترك في تشجيع الحوار والمساهمة في المصالحة، التي تعد تعبيراً عن الأهداف السامية للكاتب لسنغ ورائد حركة الحوار الحضاري والديني الذي استطاع عرضها علانية ودون خشية على خشبة المسرح من خلال لقاء ممثلي الأديان في مسرحيته «ناتان الحكيم». ورغم كل العقبات ووجهات النظر المختلفة التي واجهها بحزم آنذاك ناضل لسنغ بجدية فاقت التصورات ومن خلال «حكاية الخاتم» ضد الأصولية الدينية والسياسية وكل اشكال التطرف الديني والسياسي.

كان لسنغ على قناعة تامة بأن الأصولية لا تدفع فقط بإتجاه مسألة الإيمان والمعتقد، وإنما تقود الأصوليين شيوعاً إلى القناعة بأنهم الوحيدين الذين يمتلكون حقيقة معنى الوجود الإنساني والمسار الذي يؤدي إلى تحقيق هذا المعنى (راو 2004، ص 12). لذلك استطاع لسنغ بحكاية الخاتم الملغزة أن يصنع للحوار الحضاري والديني نصبا تذكاريًا أدبيا في ذاكرة الزمن، الذي فيه نبذا واضحا لكل أنواع الأصولية الدينية والمذهبية والتطرف لأنها تجلب التعاسة للبشرية. وقد تحدث عن هذا الموضوع بصفته منورا مؤمنا وشريكا في حوار منفتح، بالقول:

«أنا أكره، ومن أعماق قلبي، كل الناس الذين يسعون وراء تأسيس الطوائف، لأنه ليس من الخطأ، وإنما الخطأ الطائفي، وحتى الحقيقة الطائفية يجلبان التعاسة للناس - وإذا أردت أن تفعل ذلك، فهذا العمل إذا رغبة في تأسيس الطائفة». (راو 2004، ص 12 يتبع).

يعود تحفظ لسنغ ورفضه لتأسيس الطوائف الدينية المذهبية إلى المأساة التي عانى منها المجتمع الأوروبي خلال حرب الثلاثين عاما بين الطائفتين المسيحتين الكاثوليكية والبروتستانتية، وهي سلسلة صراعات دامية أريقت بها دماء الأبرياء ومزقت أوروبا بين عامي 1618-1648، بعد أن اندلعت كحرب طائفية بين الكاثوليك والبروتستانت وانتهدت كصراع سياسي من أجل السيطرة على الدول الأخرى. لذلك عبر لسنغ بهذه التصريح عن كرهه الواضح لهذا النوع من الأصولية الدينية.

واستنادا لمغزى فهمه وموقفه الصارم هذا يجب على كل إنسان أن يقف موقفا جريئا تجاه هذا النوع من الأصولية والتطرف الديني والسياسي التي تقود في نهاية المطاف إلى العبث

بالموارد وتعطيل التنمية الإقتصادية والبشرية والتخلف الاجتماعي والعودة إلى الماضي وعدم مواكبة المدنية والتطور الحضاري.

وينبغي أن يكون قرار نضاله واضحا، كما فعل لسنغ في كتاباته ومواقفه البطولية في المناظرات مع رجالات الكنيسة، وحازما بهذا الاتجاه بمواقفه في الحياة الخاصة والعامة. ويمكن القيام بذلك من خلال الممارسة في التفكير والتصرف بهدف تحقيق المصلحة العليا للعدالة الإنسانية والتسامح والسلام والعقلانية التي من الضروري أن تسهم اليوم في خلق مناخ اجتماعي إيجابي يعزز الاحترام وقبول الآخر.

وتكمن الإمكانية في تحقيق هذا المقصد، يقول الرئيس الألماني الاتحادي (راو)، «فقط حين تظهر القوى الغربية المسيطرة على العالم مصداقية تتجاوز حدود أن ما يسعى إليه العالم الغربي هو مجرد كلام الهدف منه بناء سعادته على حساب تعاسة الآخرين» (راو 2004، ص 12 يتبع).

إن العلاقة الإنسانية بين الأمم والشعوب، التي جسدها لسنغ لأول مرة في مسرحيته «ناتان الحكيم»، تظهر للناس منظورا جديدا لحوار الحضارات والأديان الذي يتماشى مع روح العصر والقيم الإنسانية التي حملتها الرسائل السماوية وعمل بها الأنبياء والرسل.

ووفقا لمفهوم لسنغ وما جادت به قريحته يعني الحوار مع الآخر الفضول في معرفة الآخر، والحديث عن أوجه التشابه والاختلاف، وفرصة لتبادل الأفكار والتجارب، لأن من دون المعرفة المتبادلة لا يوجد تفاهم متبادل، وبدون تفاهم لا يوجد احترام متبادل وانعدام للثقة، وبدون الثقة لا يوجد سلام، وإنما خطر المواجهة فقط. وهذا يعني، يجب أن نكون مستعدين نفسيا وقادريين عقليا للتفكير في عالمي الخبرة والقناعة الغريبيين عنا دون أن نفقد وجهة نظر الآخرين الخاصة.

واستنادا لهذا المفهوم أصبح اليوم حوار الحضارات والأديان ضرورة ملحة وذو أهمية كبيرة منه قبل 250 عاما، وذلك بسبب تفاقم القضايا العالمية الحالية التي هي بحاجة ماسة إلى معالجة سريعة، حيث يمكننا الاقتداء بمبدأ لسنغ الذي اخطه لنفسه في هذه الصورة الملفتة للنظر:

«إذا كان الله جل جلاله يحمل في يمينه كل الحقيقة المغلقة، وفي شماله ما يدفع دائما إلى معرفة هذه الحقيقة، رغم إنها مظلمة دائما منذ الأزل، ويتحدث إلي ويقول: اختر! حينها اسجد له بتواضع في شماله وأقول له: أبتاه أعطني! إن الحقيقة الساطعة لك وحدك فقط لا يشاركك بها أحد» (راو 2004، ص 13).

وهذا يبين للقارئ والمشاهد أن لسنغ، كواحد من أشهر المفكرين والمنورين وكتاب المسرحية المأساة والمهابة الألمان، استطاع في مسرحيته «ناتان الحكيم» أن يربط وبطريقة مختلفة بين النظرية والتطبيق في طرح الحوار ومعالجة القضايا الدينية والسياسية المصرية العالمية العالقة. يقول الكاتب الألماني الشهير (فريدريش شيلر): «وبهذه الطريقة يعالج كاتب المأساة موضوعه عمليا، أما كاتب المهابة فيقوم دائما بمعالجة موضوعه نظريا، كذلك أيضا حين يكون لدى ذلك الكاتب (مثل لسنغ في مسرحيته «ناتان الحكيم») صبغة في معالجة المادة النظرية والعملية»⁸³⁵ في آن واحد وبطريقة مختلفة.

استطاع لسنغ بخبرته المعهودة وبأسلوب جديد ومبسط أن يناقش وبإنفتاح كل العقائد الدينية في الماضي والحاضر، والتي بين فيها من خلال أطاريح علمية رصينة ملاحظاته النقدية النابعة من تجاربه الخاصة في هذا المجال، إلى جانب إنتاج حلقات نقدية لاذعة يخشاها الجميع تتناول المسائل المثيرة للجدل في الأوساط الدينية والأدبية.

حيث يقرأ الجميع اليوم هذا النقد بسرور عظيم واستفادة كبيرة ليتعلموا منه كيف يكون الحوار بين الأطراف، وكما يعرض دائما للملأ في مسرحيته «ناتان الحكيم». لذلك يجب على المرء أن يتعلم ويدرك أهمية الحوار على وجه السرعة، ليس فقط من أجل القبول وتحقيق العدالة، وإنما من أجل مصلحتنا أيضا. ونستخلص من ذلك العبر على أن لا يكون الحوار بين الأديان والثقافات مفاجئا، حينها سيكون مفيدا وذو نتائج كبيرة، خاصة إذا كان من شأنه أن يعزز المعرفة بالآخر، ويقوم وجهات النظر، ويرفع من شأن المصلحة العامة والفائدة المتبادلة التي تقود بالنتيجة إلى تعاون مثمر عظيم.

Schiller: Werke. Nationalausgabe. Bd. 20. Hrsg. von Benno von Wies. Weimar: (835 Böhlaus 1962. S.445 f. (فريدريش شيلر: الأعمال. الطبعة الوطنية. المجلد 20، الناشر بينو فون فيز، فايمار/ بوهلاو 1962. ص 445 يتبع).

ووفقا لذلك لا يسمح للمرء أن يكون كسولا ومتقاعسا في النظر إلى ما وراء حدود الدين والثقافة لإيجاد المصلحة المشتركة، والتي نستطيع البناء عليها باستمرار لنكسر سوية سلسلة التعصب السلبي التي كبلت الجميع. لقد استطاع لسنغ بمعرفته الفذة وخبرته العظيمة أن يطرح، وبالمعنى الحقيقي على خشبة المسرح وأمام جمهور المشاهدين والقراء، كل ما من شأنه أن يقوم الحوار الثقافي والديني المراد تحقيقه على أرض الواقع، مبينا إمكانية أن يتعايش الناس من ديانات ومذاهب مختلفة سلميا ويتعامل مع بعضهم البعض باحترام. يقول (راو):

«لقد حملت مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم» رسالة واضحة مفادها: يمكن للناس من ديانات مختلفة - النصارى، واليهود، والمسلمين - العيش معا على قدم المساواة، وهذا شيء جيد للجميع» (راو 2004، ص 5).

بناء على ما تقدم، يمكن للمرء أن يستقرأ ويتعلم الكثير فيما يتعلق بالقيم الإنسانية والتعايش السلمي والحوار الحضاري والديني من القصيدة الدرامية التعليمية «ناتان الحكيم» للكاتب لسنغ، والتي تبين في معظم مشاهداتها ان هناك سلطان مسلم يمتلك من الحكمة والعقل ما يؤهله أن يكون قدوة للآخرين، ويمكن للمسيحي أن يكون نبلا حين يغادر الفكر الاصولي الذي عشعش في مخيلته لفترة من الزمن، مضمنا إياها المطالبة بأن يكون الشعب على مستوى عال من الوعي والتعليم المستنير الذي يزوده بالمعرفة الدقيقة فيما يتعلق بالامور الدينية والإنسانية.

والسبب في ذلك أشياء كثيرة تطوق الإنسان من جميع الجهات منها التحرر من الأهواء، وأن يكون الإنسان واضحا وهادئا دائما، وينظر حوله، ويرى في أكثر من مكان أن الأمور أكثر عشوائية من حال كونها من صناعة القدر، وأن تضحك كثيرا حول التناقضات من أن تغضب أو تبكي من الشر.

عمل لسنغ جاهدا على أن تكون طريقة عرض الحوار بين الاطراف واضحة وسلسلة ومبسطة وتخاطب كل العقول الخيرة التي تريد لهذا العالم أن يعيش بأمن وأمان، وفي المكان الذي يستطيع به المتحاورون الاستماع إلى بعضهم البعض وفهم وجهة نظر الآخر بكل

هدوء ودون تشنج أو غضب. وهذا ما جسده لسنغ في حوار صلاح الدين مع اليهودي ناتان:

«حسنًا! اعرض لي وجهة نظرك، ودعني اسمع الأسباب، كي أتأمل بها مع نفسي ولن تترك للزمن. دعني أعرف الخيار الذي يحدد هذه الأسباب - ويكون ذلك مفهوما من خلال الثقة». («ناتان الحكيم»، ف 3، م 5)

لذلك، يمكن أن ينظر إلى حوار الحضارات والأديان والمذاهب على أنه مفهوم حقيقيا قويا جدا يشمل جميع مصالح الناس من أديان مختلفة. ويمكن أن يكون مصطلح «الوحدة في التنوع» مفتاح لهذا المفهوم، حيث تعد «الوحدة» مبدأ مشتركا عظيما وبارزا في سياق الحوار بين الأطراف الذي أشار إليه لسنغ في مسرحيته «ناتان الحكيم».

فبعد الفهم الذاتي للمجتمع البرجوازي، يقول (راو)، أخذ لسنغ ينظر إلى الواجب السياسي والأدبي بنفس المنظار. ولذلك تسير الثقافة والسياسة بنفس الموازاة في أعماله الأدبية والدينية الفلسفية، ذلك لأنه عمل على معالجة المشاكل الاجتماعية والسياسية من خلال النص الأدبي، واستطاع ان يعرض مشاكل الفرد مع النظام على خشبة المسرح.

حيث كان على قناعة تامة بأن قوة مصطلح «الوحدة في التنوع» بالإمكان أن تنشأ من التعايش السلمي بين المكونات من أديان وثقافات مختلفة، وكما هو الحال في المانيا اليوم. ويجب ألا تبني العلاقة الاجتماعية والسياسية والدينية ومصلحة مجموعة من الناس أو مجتمع مختلف في الدين والثقافة على حساب الآخرين بالشكل الذي ينمي نزعة العداة بينهم (راو 2004، ص 4 يتبع).

ويمكن للمرء أن يتسائل بالقول، بأنه من الصعب التعايش في هذا التنوع لأن الناس ينحدرون من خلفيات مختلفة، فهناك من لديه خلفية دينية مختلفة، ومنهم من لديه خلفية ثقافية مختلفة، وآخرون لديهم انتماءات دينية وقناعات تختلف عن الآخرين، خاصة إذا كانوا يحملون أشياء تعد بالنسبة لهم حقيقية وصحيحة، كذلك يعمل البعض أشياء يجدها آخرون غير مفهومة في الوسط الاجتماعي.

ورداً على هذا التساؤل قام لسنغ بمعالجة هذه المسألة بمهنية عالية وبشكل صحيح وبناء من خلال ما شاهدناه في العرض المسرحي لـ «ناتان الحكيم». فمن ناحية جعل فارس المعبد المسيحي يقوم بإنقاذ ريشا المتبناة من قبل اليهودي ناتان رغم أنه ليس لديه فكرة عن أصلها، وهذا هو في رأيه واجب فارس المعبد بعد أن قام السلطان صلاح الدين بإطلاق سراحه رغم كل ظروف الحرب القائمة.

ناتان: من أنقذ ابنتي ريشا؟ من؟

دايا: فارس المعبد حملها من بين الدخان واللهب. (ناتان الحكيم، ف1، م1)

من ناحية أخرى جعل لسنغ التاجر اليهودي ناتان يقف إلى جانب السلطان صلاح الدين في ضائقته المالية حين عرض عليه المساعدة قبل أن يطلب منه ذلك، خاتماً بالقول: «أتمنى أن يساعد بعضنا البعض» (ناتان الحكيم، ف3، م7). وبذلك يؤكد لسنغ على ضرورة التضامن الروحي والتعاون بين الأفراد من ديانات وثقافات مختلفة، والتي يمهدها الحوار الصادق والبناء النابع من الذات الإنسانية المؤمنة بتعاليم الكتب السماوية المنزلة من أجل تنظيم حياة الناس والإلتزام بتقوى الله جل جلاله.

وعليه فقد قام لسنغ برسم صورة للإسرة الفاضلة (الحلم) التي تعانق فيها اليهودي والمسيحي والمسلم بعد حوار اتسم بالصراحة والشفافية واحترام الآخر وعدم مصادرة رأيه أو التحايل والتآمر عليه. حيث حاول من خلال هذا العرض أن يبين للقارئ والمشهد مدى أهمية وقوة التنوع الاجتماعي في المجتمعات الجمعية التي لا ينظر فيها للإنسان على أساس عرقه أو دينه أو مذهبه وإنما على أساس نتاجه العلمي والثقافي خدمة للصالح العام، والذي يعطي إمكانية في نجاح مشروع الحوار الجاد.

لذلك كتب الأديب الألماني (فريدريش شليغل)، 1772-1829، تعليقا على ما جاء في مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم» جاء فيه: «من يفهم مسرحية «ناتان الحكيم» بشكل صحيح، يعرف جيدا من يكون لسنغ».⁸³⁶

F.Schlegel (1772-1829) beeinflusst das Lessing-Bild der Romantik nachhaltig mit (836 seiner Charakteristik „Über Lessing“ im „Lyceum der schönen Künste. Ersten Bandes „Zweiter Teil. Berlin 1797“ (فريدريش شليغل: استدامة تأثير صورة لسنغ على أدب الرومانسية. «حول لسنغ».

البند 1، برلين 1797).

وهذا يعني ان لسنغ لم يكن ذلك المسيحي المتشدد أو المسلم المتطرف، وإنما كان ذلك الإنسان ورجل الدين الذي يحترم كل الديانات السماوية، وقاتل بحيادية من اجل السلام والتسامح ضد التعصب، ومن اجل الحوار الجاد بين الناس من ديانات وثقافات مختلفة ضد العنصرية والتطرف واحتقار الفرد. حيث عالج في هذا الإطار الكثير من وجهات النظر المختلفة في مسر حياته ونصوصه الأدبية الفلسفية، وعليه يقول لسنغ:

«في الكتب التعليمية ممكن أن يميز المرء كل الأنواع. ولكن من ناحية أخرى، حين يقوم عبقرى بجمع المقاصد العليا وبحجم أكبر في كتاب أو في نفس الكتب التعليمية، حينها سينسى المرء كتاب التعليم، ويبحث فيما إذا قد بلغ تلك المقاصد» (عن كتاب شليغل 1797).

مما لا شك فيه، ان واحدة من هذه المقاصد العليا في مسرحية «ناتان الحكيم» للكاتب المسرحي الشهير لسنغ تنسحب على الحوار بين الثقافات، وتتوافق مع المبدأ المشترك الأعلى والفكرة العليا التي تعالج مسألة التصاهر بين الثقافات المختلفة.

وهذا يعني بالنسبة للحوار مشاركة الثقافات في الحوار المتبادل مع بعضها، في الوقت الذي يقوم اطراف الحوار المكلفين وبكل سرور بوضع الخصائص المختلفة لثقافتهم تجاه بعضها البعض أو مقارنتها أو المحافظة عليها، ولا ينبغي على أحد من المشاركين أن يشعر اطلاقاً بأن ثقافته وضعت خلف الثقافات الأخرى، وعلى أن لا يقلل البحث عن المبدأ المشترك من قوة الثقافة، وإنما يدعمها ويعطيها قوة أكبر.

وبذلك يمكن في نفس الوقت اكتشاف مبدأ مشترك جديد من شأنه أن يربط الثقافات المختلفة مع بعضها. وهذه هي «الوحدة في التنوع» التي يستطيع المرء أن يجدها في مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم». يقول (شليغل):

«ينبغي على المرء بشكل عام أن يعطي الفكرة التي تقودها مسرحية «ناتان الحكيم» بأي شكل من الأشكال إلى وحدة التنوع» (شليغل 1797).

لكن الغرب لم يفهم وحدة الشعوب إلا من زاوية مصلحة الحضارة التكنولوجية. حيث بدأت الدعوة إلى المادية ونظام العولمة في العالم قبل فترة بعيدة من الاستكشافات الجغرافية الغربية في الشرق الأدنى والحرب العالمية الأولى. يقول الكاتب (أرش بوينس): «أن الغرب تحرك عن غير قصد دائما مع الرغبة إلى إقامة مجتمع عالمي موحد يكون محدد من قبل التكنولوجيا وامكانياتها. وهكذا بدأ التطلع الغربي إلى الوحدة بقصد هيمنة الحضارة التكنولوجية على كل الثقافات في العالم، والتي ظهرت بعد الثورة الصناعية في أوروبا على إنها «ابنة الحضارة المسيحية» ووريثتها الشرعية» (بوينس 1969، ص 11).

وقد اقيمت هذه الفكرة، للاسف الشديد يقول (بوينس)، على ركائز التناقضات بين طبقة الفقراء، التي دافع عنها لسنغ، وطبقة الأغنياء، وبين المجتمعات الفقيرة والنامية والمجتمعات المتقدمة للغاية، حيث لم يعد هناك إهتمام أو تفكير بالمصالح المشتركة والعدالة العامة. فبدل العمل على تعزيز الحوار والتفاهم بين الشعوب والأمم تمت إدامة وتقوية الصراع بينهما. وهكذا أصبح انصار الديانات، وخاصة المسلمين، في مواجهة أمام مسألة مساهمتهم وواجبهم تجاه هذا الغزو الثقافي من أجل المحافظة على حضارتهم (بوينس 1969، ص 11).

حيث فهم الإسلام نمط واسلوب حضارة التكنولوجيا الغربية على إنها تحديا دينيا - ثقافيا وتهديدا مباشرا لمحو الهوية الإسلامية، الذي طالما صرحت به المسيحية في بداية عهدها، منطلقة من رغبتها في السيطرة على العالم بطرق مختلفة منها الغزو الثقافي والعسكري.⁸³⁷

ولهذا السبب «صمم لسنغ في مسرحية الحوار «ناتان الحكيم» لقاء ثقافي أجنبي مع الشرق لإضفاء حالة التوافق بين الأديان، بحيث لم تغلق روح حركة التنوير الحدود الأوروبية أمام مثيلتها الشرقية».⁸³⁸ فرغم وجود الصراع والعمل على ديمومته كانت هناك ميول

E. Arnold: Die ersten Christen. Brief an Diognet 2. Berlin 1926. S. 113. Vgl. dazu (837 auch Boyens 1969. S. 11. (أ. آرنولد: المسيحيون الاوائل. رسالة إلى ديوغنت. برلين 1926، ص 113. كذلك بوينس 1969، ص 11).

Charis Goer u. Michael Hofmann: Der Deutschen Morgenland – Bilder des Orients in der (838 deutschen Literatur und Kultur von 1770 bis 1850. München 2008. S. 37. (جارس غور وميشال هوفمان: الشرق الألماني - صور من الشرق في الأدب والثقافة الألمانية من 1770 إلى 1850. ميونخ 2008، ص 37).

ورغبة لدى المجتمعات نحو التقدم والتطور وعدم الجنوح والاستسلام لإرادة الهيمنة والاستعباد، ودون أن تسمح للآخرين بانتهاك معتقداتها (المصدر السابق).

تولدت القناعة لدى الكثير من المفكرين والكتاب بأن الحضارة التكنولوجية زادت من حدة القضايا والمشاكل المحلية والعالمية وجعلتها أكثر تعقيدا وتناقضا، بحيث أصبح حلها مستحيلا. ولكن مع ذلك يرى البعض ومنهم لسنغ بأن هناك امكانية للحل، وذلك حين يعمل الجميع بإرادة صلبة على إيجاد حلا توافيقا لقضية وحدة الأديان، وبذلك يتم تحقيق فكرة المجتمع العالمي المشترك، حسب لسنغ، الذي «يتوحد فيه اليهودي والمسيحي والمسلم» («ناتان الحكيم» ف1، م1)، في الوقت الذي يؤكد العقلاء على عدم إمكانية تحقيق هدف لسنغ بهذه السهولة في مجتمع غارق في الفوضى وعدم الاستقرار.

لذلك يجب العمل بحيادية أولا من أجل تحقيق الاستقرار العالمي، وعلى أن لا يبقى المرء متأرجحا بقراراته في «تحقيق وحدة الإنسانية التي يجب أن يلتزم بها اليهودي والمسيحي والمسلم والبوذي والهندوسي وغيرهم لخدمة ما هو آت في الحاضر والمستقبل وليس ما سبق في الماضي، وأن لا يحلم بالأفكار البالية المعادة التي تدعو إلى التطرف والعنصرية، وإنما أن يكون جزءا لا يتجزء من مجتمع عالمي ودين عالمي تكون فروعهما المعتقدات التاريخية» (بوينس 1969، ص 11). ولأن جميع الأديان تؤمن بنفس الرب، لذلك يجب على كل واحد منها سماع رأي الآخرين والاعتراف به في نهاية المطاف، وعليه يجب أن يكون على أقل تقدير الحد الأدنى من آرائهم قابل للتبادل.

وفقا لهذا المفهوم، يقول (بوينس)، يجب أن تسود العدالة بشكل مطلق في العالم. وحين لا يتم الاستهزاء بها، والجميع يصير على سريانها، فمن الممكن أن تكون مسألة العدالة المعيار «الذي يستطيع المرء من خلاله أن يقيس كل الأديان السماوية» (بوينس 1969، ص 16). وهذا ينطبق تماما على وجهة نظر السيد المسيح التي أكد فيها على العدالة والمحبة تجاه كل الشعوب ومن مختلف الديانات (Matthäus 25, 31 ff.).

وبناء على هذا التوصيف جعل لسنغ الحل يجري بهذا الاتجاه في حكاية الخاتم مستندا على نصوص التوراة والانجيل والقرآن في معلوماته وإثراء خبرته الأدبية والدينية لإيصال فكرته إلى الجمهور من خلال مشروعه الدرامي «ناتان الحكيم».

جسد لسنغ هذا المفهوم في بيان الرأي الذي صدر عن القاضي وهو يعرض الأبناء المتخاصمين حول الخاتم الحقيقي بقوله: «ربما فقد الخاتم الحقيقي!». بهذه الجملة أشار الكاتب عن قصد إلى استحالة التوحيد الخالصة. فكان ندائه المباشر إلى انصار الديانات السماوية للدخول برغبة في تنافس حر خالي من الأحكام المسبقة وتحت رعاية الوداعة، والتسامح القلبي، والإحسان، والتفاني القلبي الصادق إلى الله بهدف بلوغ الحقيقة (ناتان الحكيم، ف3، م7). وبذلك، يقول (بوينس)، «أراد لسنغ أن يجعل من العدالة مبدأ يسمو على كل الأديان الموجودة ويوجهها» (بوينس 1969، ص 16).

من المهم التذكير هنا انه ليس لسنغ فقط، كرائد لحركة التنوير، اهتم بموضوع الحوار الحضاري وخصص له مساحة كبيرة في مؤلفاته الأدبية، وإنما كانت هناك شخصيات بارزة من الأدباء المنورين الذين ارتفعت اصواتهم لمؤازرة لسنغ في هذا التوجه أمثال (غوته، وهيردر، وفيلاند) الذين اعتبروا موضوع الحوار مبدأ إنسانيا عالي المستوى. لهذا نستطيع القول بأن الأدب الكلاسيكي الألماني كان بحد ذاته حوارا ثقافيا كبيرا من خلال المؤلفات الكثيرة لكتابه الذين كان لهم اتصالا حقيقيا مع الثقافات الأجنبية الأخرى وخاصة مع الثقافة الإسلامية.

وينتمي لهذا الحوار الكثير من الكتاب الألمان كما اسلفنا من ابرزهم الكاتب الشهير (غوته) الذي عرف بحواره مع الشاعر الفارسي (حافظ) في مؤلفه «ديوان الغرب - الشرق» عام 1819، وهو حوار بين الثقافتين المسيحية الغربية والإسلامية الشرقية. والكاتب (فريدريش شلر) في مؤلفه «توراندوت» عام 1802 الذي يعود تاريخه إلى حكاية فارسية لأميرة صينية. كذلك الكاتب (هاينريش هاينه) في مسرحيته التراجيدية «المنصور» عام 1823 التي تناول فيها الصراع بين المسيحية والإسلام في اسبانيا.

ويسير الكاتب (فريدريش روكيرتس) على خطى معاصريه في مؤلفاته عن آداب الشرق الكبيرة ومثيالاتها في أوروبا التي يعدها الباحثون نقل للموروث الثقافي بين الشرق والغرب (غور/ هوفمان 2008، ص 14-29).

إن دراسة أدب الثقافات الأجنبية شكل حافزا قويا لدى الكثير من المنورين الأوروبيين إلى درجة إنهم أخذوا المواد المثيرة للإهتمام والغامضة في الأدب الشرقي وعملوا على معالجتها في آدابهم، حيث رأى العديد من الأدباء الألمان امكانية حل الأضطرابات والفتن والكرهية بين الناس من ديانات ومذاهب مختلفة بل ووجوب التغلب عليها.

يقول الرئيس الألماني الأسبق (راو): «يجب على الناس أن يتذكروا بأنه رغم الاختلاف بالتفاصيل فإن الأديان مشتركة، وكذلك الإيهان بالله كخالق وبخطته للخلق، وتبني مبدأ التفكير والعمل المستنير المقترن بوجود الله جل جلاله الذي يحضى باحترام كل الأديان بطرق مختلفة» (راو 2004، ص 5). لذا فإن ما قدمه لسنغ للبشرية في مجال الحوار والتعايش السلمي والعلاقات المشتركة وطنيا ودوليا تجسد في مسرحيته «ناتان الحكيم». يقول (راو):

«حاول لسنغ أن يظهر في مسرحيته «ناتان الحكيم» إلى أي مدى يمكن للعالم أن يكون إنسانيا، حين يعيش الناس وفقا لهذه المبادئ». (راو 2004، ص 5)

فرغم أن الأوروبيين قد أدركوا بعقلانية، يضيف الرئيس الإتحادي (راو)، «كيف تكون الصراعات الحربية قاسية ومرعبة، خاصة حين تتم قيادتها تحت شعار المطالبة بالحقيقة المطلقة، تبقى اليوم المبادئ الإنسانية المشتركة لمسرحية لسنغ «ناتان الحكيم» ليس لها بديل عالميا وكذلك غير مقبولة» (راو 2004، ص 5)، ذلك لأن بعض المختصين في الأدب والمخرجين اليوم يفضلون أن يروا المسرحية على خشبة المسرح كعرض مجرد بدلا من أن يتم التعامل بجدية مع أفكار الكاتب السامية (فولفغانغ البرشت 1992، ص 152)، في الوقت الذي تتم الإشادة بموقف «لسنغ كأب راع للتعايش السلمي، ويمكن ترجمة مسرحيته كرد على الصراع في الشرق الأوسط».⁸³⁹ وفي هذه الحالة فإننا نتحمل جميعا

Gerhard Stadelmaier: Lessing auf der Bühne – Ein Klassiker im Theateralltag (839 (1968-1974), Tübingen 1980. S. 104. Es zitiert von Dieter Westecker: Lessings «Antwort»

المسؤولية التاريخية تجاه الإنسانية، خاصة إذا كنا لاندع فكرة لسنغ في الحوار تسير باتجاهها الصحيح. لكنه يجب الاعتراف هنا بجهود بعض كتاب العصر الحديث الألمان أمثال (كوشل) و(شمل) و(راو) و(هورش) و(نيفونر)، التي تعد حالة استثنائية في يومنا هذا، والذين اثروا مكتبة لسنغ بما هو جديد عن حوارهم مع الإسلام في حين يخيم الصمت على المختصين في الأدب الألماني الحديث.

ثانياً: لسنغ والإسلام في حوار على خشبة مسرح المخرج الألماني اليوم

عندما نقول ان مفهوم الحوار يعني: حديث طرف مع الطرف الآخر والاستماع اليه بهدوء. وحين تصبح فكرة لسنغ في حكاية الخاتم حقيقة واقعة في تفكير الناس وسلوكياتهم، ويفهم الجميع ممثلي الأديان السماوية الثلاثة ناتان وصلاح الدين وفارس المعبد على إنهم مقدمين كبار للحوار بين الأديان والثقافات، حينها يمكن للمرء ممارسة مبدأ الحوار بين الثقافات دون خوف أو تردد.

ولكن حسب ما يجري في العالم من أحداث مأساوية يندى لها جبين الإنسانية فإن الحوار الثقافي والديني المحلي والعالمي قد جرد اليوم من معناه الحقيقي وأصبح شكلياً أكثر مما هو ممارسة إنسانية حقيقية يعول عليها (البرشت 1992، ص 152).

ذلك لأن ما يجري من ممارسات على خشبة مسرح المخرج الألماني اليوم، خاصة في عملية إخراج مسرحية «ناتان الحكيم» للكاتب الكبير لسنغ، يترك علامات استفهام كثيرة وكبيرة ويفهم في سلسلة طويلة من النوايا الإقتصادية والسياسية والدينية الهدف منها اجراء مناظرات شكلية مع الآخر، خاصة مع المسلمين، والتي لا تمت بصلة للواقع الذي نحياه. فرغم ذلك يحاول الشرفاء في هذا الكون محاكاة الواقع الصعب من اجل تحقيق حوار سياسي ثقافي مثمر. يقول الكاتب (البرشت):

auf Nahost-Konflikt. Nathan der Weise in Düsseldorf. In: Düsseldorfer Nachrichten, 15.7.1975 (Rezension zu einer Inszenierung Ulrich Brechts, Bühne: Thomas Richter-Forgách, Premiere: 13.7.1975). (جيرهارد شتاديلمير: «لسنغ على خشبة المسرح - كلاسيكي على مسرح الحياة». (1968-1974)، توبنغن 1980، ص 104.)

«بدأت عروض لسنغ المسرحية بعد الحرب العالمية الثانية بعودة عرض مسرحية «ناتان الحكيم» كردة فعل تظاهرة ضد أحداث الـ 12 سنة الماضية، التي حملت في طياتها كل العلامات المناهضة للتنوير». (البرشت 1992، ص 152)

ان آيديولوجية الرفض، وتظاهرة التسامح، فيما يتعلق بالعقائدية والاثنية، ورسالة التسامح، وليس آخرها شخصية الحكيم اليهودي، التي تضمنتها مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم»، كانت بالنسبة للكاتب (فولفغانغ البرشت) الأشياء التي يجب على المرء أن يحییها على خشبة المسرح بكل اعجاب وامتنان بعد أن افتقدها لسنوات عديدة. حيث استطاع الممثلان اليهوديان (أرنست دويش) من المانيا الغربية و(فولفغانغ هاينز) من المانيا الشرقية، اللذان عادا من المنفى بعد الحرب، ومن خلال انجازاتهم في التمثيل والإنسانية في دور ناتان الحكيم أن يتجولا بين الجمهور في غرب وشرق المانيا كسفراء لإنسانية لسنغ المستتيرة في الكثير من عمليات الإخراج والعروض الدرامية لمسرحية «ناتان الحكيم» التي شهدتها تلك الفترة (البرشت 1992، ص 152 يتبع).

حيث تبقى نزعة التصالح في هذا الإنجاز المسرحي ومظاهرة لسنغ للتسامح مع الآخر كمثال لألمانيا أفضل، تدفع باتجاه النسيان وعدم التفكير بمآسي الماضي التي تثير مشاعر الجمهور. ولكن المخرج المسرحي اليهودي (ارفن بيسكاتور) العائد من المنفى عمل في إخراج مسرحية «ناتان الحكيم» عام 1952 في مدينة ماربورغ، مسقط رأسه، على امكانية إعادة صياغة المسرحية بشكل كامل كتنوير في مفهوم الدعوة إلى معرفة الذات وإعادة التفكير.

ولم يفهم (بيسكاتور) طريقة إخراجهِ في إطار المسرح الملتزم، وبالتالي لم يتطرق كثيرا إلى حكاية الخاتم مدعاة للحوار والتسامح وإنما غطى في عرضه فقط مقتل عائلة ناتان مع ابنائه السبعة على يد المسيحيين بهدف تسليط الضوء على الأعداد 70 - 700 - 7000 - 700000 من ضحايا الهولوكوست (البرشت 1992، ص 153)، وبذلك خرجت المسرحية عن مسارها الصحيح الذي رسمه الكاتب لسنغ. وعليه يقول الناقد المسرحي (ايغون فيتا) نقلا عن (البرشت) معقبا:

«أخذ الجمهور يشعر بالتقطعات في العرض المسرحي، التي مزقت الحوار بين الشخصيات، وهذا لا يعد إخفاقا في العرض، وإنما سببه الشلل في الإخراج غير المعتاد اطلاقا، الذي لا ينتهي بالتصفيق للمخرج بيسكاتور وممثليه» (البرشت 1992، ص 153).

تقول الكاتبة (هورش) انه ليس بالإمكان اليوم الحديث عن ما تتضمنه مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم» من مفاهيم وقيم إنسانية في مجال الحوار والتسامح بدون التطرق إلى أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 وما ترتب عليها من نتائج، ذلك لأن الهجمات الارهابية أعطت فرصة للطعن في رسالة التسامح التي حملتها المسرحية وامكانية إعادة فهم الأديان من جديد (هورش 2004، ص 103 يتبع).

فاليوم، يقول (كوشل)، تكاد تكون معدومة في الأدب الألماني المبادرات الحقيقية للدعوة إلى الحوار الثقافي والديني الجاد كما كانت عليها في فترة حركة التنوير، حيث يحاول بعض المختصين في المسرح بالوقت الحاضر عرض بعض المسرحيات التعليمية باللغة الألمانية وفي إطار المناخ السياسي العالمي. أما الآخرون من المخرجين فيعكسون لنا في عروضهم المسرحية المشاكل العالمية الضاغطة وبطريقة تؤدي إلى إذكاء «صراع الحضارات» بشكل واضح (كوشل 2004، ص 11)، وكما حدث في شهر كانون الأول عام 2003 على خشبة مسرح دار الأوبرا الألمانية - برلين في عرض ادومينيو Idomeneo للمخرج (هانس نوينفيلس). والذي تم حذفه من قائمة العروض المسرحية التي قدمت في الايام 5 و8 و15 و18 من شهر تشرين الثاني 2006، ذلك بعد أن قامت دار الأوبرا في برلين بتاريخ 26 ايلول 2006 برفع عرض موزارت المسرحي Idomeneo من قائمة العروض المسرحية بسبب الاحتجاجات الشعبية الغاضبة ضد العرض والخوف من التهديدات الإرهابية.

والجدير بالذكر ان في الإخراج المسرحي الموسيقي لـ Idomeneo يتم عرض الأنبياء محمد (صلاة الله عليه)، وعيسى وموسى عليهم السلام كمجرمين، حيث تتم محاكمتهم وقطع رؤوسهم على خشبة المسرح.⁸⁴⁰ وهذا بحد ذاته تجاوز صارخ على حرية العقيدة

Vgl. Hans Neuenfels «Idomeneo»-Inszenierung in der «Deutschen Oper» im (840 Dezember 2003 und am 5., 8., 15. und 18. November 2006, nachdem die «Idomeneo»-Aufführung in der Deutschen Oper vom 26. September 2006 verschoben wurde..

واستخفاف بالقيم الروحية للإنسان سواء كان يهوديا أو مسيحيا أو مسلما. ولذلك يأمل الكثيرون اليوم بأن تكون مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم» النموذج الذي يجب أن يحتذى به في الأدب الألماني لإعطاء صورة أكثر إيجابية لحوار الحضارات والأديان. حيث لا توجد مسرحية ثانية في الأدب الألماني بأكمله، يقول (كوشل)، تتناول بجرأة الصراع الأزلي بين اليهودية والمسيحية والإسلام، وتقدم انموذجا حيا للمصالحة الحقيقية بين اليهودي والمسيحي والمسلم، وكما فعلها لسنغ بقوة في عصر التنوير (كوشل 2004، ص 12).

وعليه لا بد من انتقاد عدم وجود أدب مسرحي ألماني في السنوات الأخيرة الماضية يتناول قضية التسامح والمصالحة والوفاق بين أتباع الديانات الثلاثة الكبرى. يقول (كوشل) مقيما:

«فقط في مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم: يتم الحديث عن التقاليد والثقافات الثلاث في صراعها الأزلي وتسامحها. فليس لدينا نص كبير آخر في الأدب الألماني يتناول العلاقة بين اليهود والمسيح والمسلمين» (كوشل 2004، ص 13).

تقول الكاتبة الألمانية (سيلفيا هورش)، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 حدثت ردة فعل متناقضة لدى النقاد تجاه موضوع دعوة مسرحية «ناتان الحكيم» إلى الحوار العام بين الثقافات والتسامح. ففي الوقت الذي فهم بعض نقاد الأدب مشروع المسرحية التسامحي في إطار التعبير المجازي «مع ذلك ورغم ذلك» الخالي من التكلف، رأى آخرون دحضه من زاوية الهجمات الإرهابية، والذين بنوا افكارهم وتجاربهم على خلفية أحداث الحربين العالميتين الأولى والثانية، والحرب الأهلية في البلقان، والصراع في الشرق الأوسط، وليس آخرها على خلفية الصراع الدولي ضد الإرهاب الإسلامي، الذي قاد إلى تدمير بلدين اسلاميين هما أفغانستان والعراق، تبعهما سوريا وليبيا واليمن، ليم فرض قضية حقوق الإنسان وحوار الحضارات طبقا للأفكار الغربية. ولهذا السبب من الممكن أن تفهم مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم» برسالتها للتسامح الإنساني والدعوة إلى الحوار على إنها مجرد نوع من انواع الوهم وضرب من الخيال (هورش 2004، ص 103)، أو كما قال المخرج المسرحي (دانييل كالس):

نوينفيلس: اخراج Idomeneo في الأوبرا الألمانية - برلين 2003 و 2006.

«بيئة التسامح واسعة جدا، ولكن في المقابل ليس هناك ملائمة لأن تعيش، وهذه هي
المأساة».⁸⁴¹

لذلك ينبغي على المرء اليوم أن يرى توظيف التحليل الفني لحكاية الخاتم في مسرحية «ناتان الحكيم» لخدمة اعلان التسامح والحوار بين الثقافات. ولكن من الملاحظ في الوقت الحاضر أيضا ان كل مختص من المختصين في أدب لسنغ يقوم بتحليل مسرحية «ناتان الحكيم» من وجهة نظره الشخصية، وكأنه لا أحد مسؤول عن التحديات والإنتهاكات التي تتعرض لها الإنسانية في العالم. حيث يعمل البعض على اضعاف معنى فكرة المسرحية، أما آخرون فيرغبون بتفعيل أفكارها العقلانية والمستنيرة من خلال الدعوة إلى التسامح والحوار الشامل (البرشت 1992، ص 152).

لذلك ينبغي علينا جميعا أن نفهم ونحلل ونعرض بشكل ايجابي أفكار مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم» وفي ذات الوقت نعمل على تطويرها بشكل افضل بإتجاه الدفاع عن الإنسانية، وأن نتجاهل الشيء السيء، خاصة إذا كان هدفنا الرغبة في تحقيق العدالة والسلام والحوار الحضاري الناجع في بيئتنا العالمية.

ولم يكن لسنغ غافلا عن ما سيحدث لتتاجه الأدبي الدرامي وانه ليس هناك من سيفهمه بشكل صحيح على خشبة المسرح في المستقبل بعد رحيلة إلى دنيا الخلود، لذا فقد دون تلك الخشية في رسالته الموجهة بتاريخ 6 / 9 / 1778 إلى (أليزا رايماروس) ابنة المستشرق الألماني (هيرمان صمويل رايماروس): «لابد لي أن افهم فيما اذا ستكون هناك رغبة نوعا ما بالوعظ دون عائق على منبري القديم المتمثل بالمسرح» (توماس دريسلر 1996، ص 339).

لذلك فهتمت الكاتبة (أنجيليكا أوفرات)، المختصة في علوم اللغة والأدب الألماني، شخصية ناتان على إنها شخصية جمالية للمصالحة وليس دليل على الممارسة الحقيقية للتصالح. حيث

Daniel Call, der Regisseur der Nathan- Inszenierung in Rostock, in einem Interview: (841 «Frauen sind bessere Männer», in der Ostsee- Zeitung vom 11.10.2001. S. 14. Zitiert von Horsch 2004. S. 103.. (دانيال كال، مخرج مسرحية «ناتان الحكيم» في مدينة روستوك / ألمانيا).

تعد الأخلاق في الاحترام المتبادل والإقدام على ممارسة الأعمال الخيرية التي عرضت على مستوى المسرحية لم تكن ممكنة على مستوى الممارسة العامة. كذلك الإرشادات الفعلية الملموسة لإنهاء الحروب الصليبية لم تفض إلى ظهور عائلة جديدة تهتم بمسألة التسامح والحوار متعدد الأطراف.⁸⁴²

ويرى الداعية الإسلامي (نافيد كرمانى) أن مشروع المصالحة والتصالح من أجل التسامح والحوار بين ثقافات الأديان المختلفة للأديب الألماني لسنغ لم يجد اليوم الكثير من الأذان الصاغية، لأن المصلحة في الوقت الحاضر أصبحت في تفاخر هؤلاء الذين لم يجاربوا خصوصهم السياسيين فقط، وإنما نصبوا العداء لكل الثقافات أيضا.⁸⁴³

لذلك انتقد لسنغ في مسرحيته «ناتان الحكيم» بشكل مباشر وحاسم المسيحية ونظام الكنيسة آنذاك وكذلك الثقافة الغربية المسيحية، عادا اليهود والمسلمين ممن يتصفون بالاعتدال انموذجا للتنوير والتسامح. وهذه المسرحية التعليمية، تقول (هورش)، قدم لسنغ «النظير الإيجابي لثقافته» المسيحية. وكان انتقاده للمسيحية لاذعا جدا، رغم ان صورة وفهم ناتان في الماضي وتقييمهما في الحاضر أصبح مغاير جذريا لدى الرأي العام الأوروبي المسيطر بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، مع ملاحظة ان الوضع الحالي الذي ابتعد كثيرا عن منطلقات الحوار أصبح أكثر قساوة ومأساوية (هورش 2004، ص 104).

فرغم الأحداث التي تشير إلى مساهمة الغرب في خلق الفوضى في العالم وتنميط منطلقات الحوار الحضاري والديني بين الشعوب، لأنهم يمتلكون موازين القوى الراجحة، «أصبح البحث عن التطرف والتعصب في الجانب الإسلامي»، تقول (هورش)، «أما التسامح ذو الوعي الجماعي فيعد ومنذ فترة طويلة جزءا لا يتجزأ من الثقافة الغربية» (هورش 2004، ص 104).

(842) Angelika Overath: Toleranz. S. 30. a. Horsch 2004. S. 103. (أنجليكا أفرات:

«التسامح»، ص 30. كذلك هورش 2004، ص 103.)

(843) Navid Kermani: Toleranz. S. 36. Vgl. dazu auch Horsch 2004. S. 103. (نافيد كرمانى:

«التسامح»، ص 36. كذلك هورش 2004، ص 103.)

وعليه دافع لسنغ في كتاباته عن اليهود المعتدلين الذين تعرضوا للإضطهاد والنفي من قبل المسيحيين في أوروبا. أما الإسلام فكان بالنسبة له، كمنور ورائد لحركة التنوير، دين تنويري عقلائي، ذلك لأن الدين الإسلامي كان قد غير حياة العرب الوثنية إلى حياة أفضل وحارب انصاره من أجل التسامح والعدالة الاجتماعية، في الوقت الذي رفضت الكنيسة كل هذه الأسس الإسلامية (لسنغ: ناتان الحكيم).

لذا فإن الصراعات والحروب في الشرق الأدنى ستكون أكثر دموية، ذلك لأن الحوار الديني المنشود الذي نادى به لسنغ لم يعد ممكنا. وعليه يجب أن يكون اليوم الإخراج والعرض لمسرحية لسنغ «ناتان الحكيم»، خاصة ما يتعلق منه بالأديان، غير منحازا وموجها المناهضة للتطرف والعنصرية لكل الثقافات، وأن يمارس فيه النقد البناء لتعبيد الطريق إلى حوار صحيح وبناء (البرشت 1992، ص 152). ويستطيع المختصون في المسرح تحقيق ولو شيئا قليلا مما كان يتمناه لسنغ في هذا المجال من خلال الاستمرار بإعادة عرض مسرحية «ناتان الحكيم» دون تحريف أو تحيز، حسب ما قال بحسه الأخلاقي الديني:

«يمكننا القول من وجهة نظر درامية، بأن نبارك لمسرحنا، حين تكون هناك امكانية لبقاء مثل هذه المسرحية (ناتان الحكيم) على خشبة المسرح ويتم اعادتها باستمرار».⁸⁴⁴

إن الدارس والمهتم بأدب لسنغ يعرف تماما بأنه وقف بكل حزم ووضوح ضد كل أشكال الظلم والقهر الاجتماعي والاستغلال وإذلال الناس من قبل الطبقات الدينية والسياسية المتطرفة. فهو يخشى من أن يساء استخدام أفكار هذه المسرحية «ناتان الحكيم» من أجل تحقيق مصالح دينية - سياسية واقتصادية بالشكل الذي يؤدي إلى انحرافها عن مسارها الإنساني الصحيح.

وقد حدث ما كان يخشاه لسنغ حين ألبست شخصية ناتان القبعة والرداء الغربي على خشبة المسرح بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001،⁸⁴⁵ وبذلك حاول مخرجو المسرحية

Goethes sämtliche Werke: Jubiläumsausgabe in 40 Bänden, hrsg. von Eduard von (844 der Hellen. Stuttgart/ Berlin 1902-07. Bd. 36. S. 190. (غوته: «أعماله كاملة»، احتفالية الطبعة 40 من

مجلداته/ الناشر إدوارد فون دير هيلين، شتوتغارت / برلين، 1902-1907، البند 36، ص 190.)

Vgl. Claus Peymanns Nathan der Weise-Inszenierung im Berliner Ensemble ab (845

2002 (ينظر إلى كلاوس بايمان/ اخراج مسرحية «ناتان الحكيم» على خشبة مسرح برشت في برلين 2002).

أن يسرقوا روح التسامح العقلاني لأفكارها لتحقيق، على حساب ذلك، أهداف سياسية ومنع التقارب والحوار بين الشرق والغرب (هورش 2004، ص 104). يقول الداعية الإسلامي (نافيد كرماني) مفندا:

«ان مصطلح التسامح الذي جاء به المفكر الألماني لسنغ تم استيعابه تماما من قبل الطبقة البرجوازية العادية وكذلك الكنيسة لاحقا، الأمر الذي أفقده الواعز النقدي للطبقة الحاكمة». (نافيد كرماني، التسامح، ص 35)

ويستطرد (كرماني) منتقدا، حسب (هورش)، إن طرق الإخراج الحالية لمسرحية «ناتان الحكيم» قد جردت مفهوم التسامح من محتواه (هورش 2004، ص 104)، وأخذت تعكس فقط المشاكل التاريخية التي تهدف إلى كسب ود واستعطاف الجمهور لمصلحة دين أو طائفة معينة من خلال عرضها على خشبة المسرح، والتي وضعت طرق الإخراج تحت وطأة أقلام النقد. فاليوم تعرض مسرحية «ناتان الحكيم» على خشبة مسرح Berliner Ensemble في برلين على النقيض من افكار لسنغ التي تدعوا إلى التسامح والحوار، حيث لم يفهم المشاهد منها شيئا سوى التذكير بقضية محرقة اليهود ومعاناتهم بعيدا عن قضية التسامح والحوار.

كذلك يلاحظ المشاهد والمتابع لشؤون المسرح العالمي إن طريقة اخراج (كلاوس بايمان) لمسرحية «ناتان الحكيم» على خشبة مسرح Berliner Ensemble في برلين تعد ردة فعل عفوية على أحداث 11 سبتمبر 2001، على الرغم من ان ردة الفعل هذه تبقى غير مبررة بسبب فشل العرض المسرحي في مواجهة الأحداث القمعية والتنكيل الذي اصاب بعض البلدان الإسلامية على يد الغرب قبل وبعد هذه الأحداث، والذي جعل من الصعب إيجاد تعريف واضح لمسألة الإرهاب الدولي في حينه حسب الكاتبة الألمانية (هورش).

حيث تم في العرض التقييمي المعمق للإخراج إنتقاد معالجة مسألة الحوار بين الثقافات ومناقشة القضايا الدولية بشكل عام نتيجة المشاكل الفنية في التمثيل والتشويه التي صاحبت الأفكار الفاشلة للعرض المسرحي (هورش 2004، ص 104).

تقول (هورش): «ما جرى على خشبة المسرح اشبه بالخراقة». وهذه الحقيقة تجلت في الموضوع النقدي للعرض المسرحي في صحيفة زورشر الجديدة التي أكدت على ان المرء لم ير على خشبة المسرح سوى اشخاص متبرجين راقصين كالدرويش سائق الدراجة الهوائية، والأمير الغاضب فارس المعبد، وريشا التي تجري محجلة كالأطفال.

أما صلاح الدين، الذي وصفه لسنغ بالفتاح الفاضل المتسامح، فقد جرد من كل صفاته في عرض المخرج (كلاوس بايمان)، فهو يدور كالمبتهج المبارك الجميل المزدان بلحية طويلة (هورش 2004، ص 104)، وكانه «شخصية كاريكاتيرية لحاكم شاحب الوجه في رداء ازرق».⁸⁴⁶ ويضيف الكاتب (البرشت) على ما تقدم من قول: «بالإضافة إلى ذلك سخر كلاوس بايمان بطريقة الإخراج في مدينة بوخم عام 1981 من خلال الإصرار على العرض الفني الفاشل إلى اليوم لحكاية ناتان حين نقل تقاليد التراثية بذكاء وعلى النقيض إلى كوميديا جادة تشير بوضوح إلى التعصب اليومي» (البرشت 1992، ص 153).

الملاحظ ان المخرج الألماني (كلاوس بايمان) تعامل بطريقة اخراجه لمسرحية «ناتان الحكيم» مع قضية محلية تاريخية واحدة متجاهلا كل القضايا الدولية الإنسانية التي تمت معالجتها مجتمعة وب عقلانية من قبل لسنغ في هذا العمل الدرامي الذي حمل رسالة الحوار إلى العالم.

وهذا يعني ان المخرج (بايمان) حاول أن يتعد كثيرا عن الهدف المنشود للمؤلف، والذي يشير إلى التسامح والحوار بين الثقافات. وبالتالي فإن طريقة إخراج مسرحية «ناتان الحكيم» تجري اليوم على النقيض من افكار لسنغ. وهذا بحد ذاته يعد خيانة للأمانة الفكرية التي استودعها الكاتب بالآخرين.

ففي الوقت الذي ينبغي على المرء أن ينسى الجرائم التي ارتكبت ضد الإنسانية في الماضي والتاريخ الدموي للأجيال السابقة ويحاول البدء بالمصالحة من خلال الحوار المطلوب والضروري بين الثقافات والأديان يعمل (كلاوس بايمان)، وعن طريق اخراجه لمسرحية «ناتان الحكيم»، على تذكير جمهور المشاهدين بمحرقة اليهود في المانيا فقط، وكما في مقطع الحوار الآتي: «لا تفعل شيئا! اليهودي حرق» («ناتان الحكيم»، ف4، م2).

Wengierek: Flugzeuge im Bauch des Theaters, (o.S.). Zitiert von Horsch 2004. S. (846

104. (فغيريك: «افراشات في معدة المسرح». مقتبس من هورش 2004، ص 104).

لذلك ينبغي على كل من يريد القيام بإخراج مسرحية «ناتان الحكيم» أن يمتلك الثقة في المحافظة على الأمانة الفكرية للكاتب لسنع التي استودعها به، لأن المسرحية لن تتعامل فقط مع مشاعر الناس من المسيحيين واليهود والمسلمين وإنما تنتقد في مضمونها كل مآسي الشعوب وعلى مختلف دياناتها وتدعوا إلى المصالحة الإنسانية والحوار البناء وتقدم حلا جذريا للقضايا الراهنة من خلال حوار الثقافات المفتوح وليس من خلال تصعيد الصراع واذكاء العداء بين الأطراف حسب ما قاله المخرج المسرحي الألماني (بايان) الذي ركز على جانب واحد في إخراجه للمسرحية واخفى إلى حد ما كل القيم الإنسانية الأخرى التي حملتها. يقول (بايان):

«إن أحداث المسرحية تدور حول اليهودي الذي شهد محرقة الشخصية. مات أبنائه السبعة بعد أن أحرقوا في إحدى المذابح. ولم يسع ناتان للانتقام أو الثأر، وإنما حكم عقله في مواجهته ذلك. وما زاد فوق العقل لديه هو الصنف. هذه هي الرسالة التي يمكن أن تنقلها مسرحية «ناتان الحكيم» الساطعة في هذا الزمن المظلم. أعتقد أنه على المرء اليوم أن يطالب بذلك ويدعو إليه لكي نسمع كل الأذان».⁸⁴⁷

إن طريقة إخراج (بايان) للمسرحية لا تطرح موضوعا للحوار يمكن أن يكون نواة يستفاد منه الجيل الجديد في إطار العلاقات العامة والتعايش السلمي بين الشعوب والامم من ديانات وثقافات ومذاهب مختلفة كما هو الحال في المانيا، وإنما حصر المشاهد في زاوية التفكير والتذكير بالمآسي التاريخية التي ارتكبت بحق الشعوب لكسب تعاطفه لجهة معينة فقط، متجاهلا بذلك الرسالة الإنسانية الحقيقية لكاتب المسرحية. ففي العرض المسرحي الحالي يظهر ناتان كشخصية يهودية فقيرة في زي غربي تمتاز بالحكمة والموعظة الحسنة، وذلك بعد أن خسر سبعة من أبنائه في هجوم للمسيحيين على اليهود.

تقول (هورش): «يظهر المسلمون أثناء العرض المسرحي كشخصيات شرقية خرافية بحيث يوحي مشهد الإسلام إلى العنف. ويظهر هناك عنصران أساسيان من صورة

Peymann, Claus: Artikel über seine Nathan der Weise-Inszenierung im Berliner Ensemble, ab 2002. 11.2007. (كلاوس بايان: مقال حول إخراجه لمسرحية ناتان الحكيم على خشبة مسرح برشت في برلين منذ عام 2002 إلى 2007).

الإسلام القديم في الزي الجديد للشخصيات الإسلامية وهما: اللاعقلانية والعنف»، (هورش 2004، ص 105).

لذلك يجب أن يتعامل الإخراج اليوم مع موضوع المسرحية ككل وبطريقة مهنية تتناسب وقضية الحوار العالمي والتعايش السلمي بين الشخصيات الفنية التي تمثل الديانات المختلفة دون أن يتم اختصار النص المسرحي وتوجيهه حسب الاهواء الشخصية للمخرج وبالطريقة التي تشوه وجهة نظر الكاتب. وعليه يقول الداعية (كرماني):

«على الرغم من أن لسنغ كتب ضد التعصب الغربي، فإن بايمان جعل التسامح غربيا في إخراجهِ للمسرحية. ولم يكن يحمل رسالة تسامح واحدة من الرسائل التي اختارها لسنغ، ... كل الشخصيات الفنية ظهرت بزينا الشرقي، إلا واحدة كانت ترتدي الزي الغربي حسب رغبة المخرج كلاوس بايمان. فمن الممكن أن نطلق تسمية «الحكيم ناتان» على مسرحية «ناتان الحكيم»، وستكون هذه تسمية للعنصرية التي اسس لها المخرج بايمان بدون وعي». (عن هورش 2004، ص 105)

يقول الكاتب (فونكه) في كتابه «خيبة الأمل»، نقلا عن (هورش)، انه وبعد ان جعل التسامح غربيا لم يسمح (بايمان) إلا بظهور شخصا واحدا فقط على خشبة المسرح يمتاز بالعقلانية، تمثل في شخصية ناتان، ذلك الرجل الصغير الرمادي ذو المعرفة الواسعة وممن يعرف الظلام الميؤوس منه في العالم، والذي عرف من خلال حكاية الخاتم.⁸⁴⁸

وعلى الرغم من أن الحكيم ناتان ذو العقل المستنير في مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم» كان من اصول شرقية، لكنه ظهر في الإخراج المسرحي لبايمان على انه أوروبي ودخل المسرح في زي غربي. وهذا يعني أن المخرج بايمان لم يأخذ بنظر الاعتبار الهدف الرئيسي لكاتب المسرحية لسنغ، وكذلك التقليد التاريخي والمبدأ ولغة المسرح في القرن الثامن عشر التي من خلالها يستطيع المرء ايصال فكرة العرض المسرحي إلى المتلقي وعلى اساس وجهة نظر الكاتب كخبير أو مختص في مجال المسرح الوطني الألماني وليس على أساس ما يدور في خلدان المخرج.⁸⁴⁹

848. Funke: Der illusionslose, (o.S.). Zitiert von Horsch 2004. S. 105. (فونكه: «خيبة الأمل».

اقتبس من هورش 2004، ص 105.)

849. Horsch 2004. S. 104f. (هورش 2004، ص 104 يتبع.)

يقول (هانس يورغن)، «وكذلك في إعادة النظر بالكمال الشكلي للمسرحيات الدينية، يجب ان تكون مسرحية «ناتان الحكيم» اسمى بكثير، في الوقت الذي تحتقر وتذم بشكل كامل المطالب والمعطيات والشخصيات الأكثر اعتدالا».⁸⁵⁰

كان (بايمان) قد تجاوز في اخراجه لمسرحية «ناتان الحكيم» العلاقة بين الإيوان بالمسرح والشارع في إطار العرض المسرحي التاريخي، الذي أصبح على أساس مبدئين، كما يقول الكاتب (ريتشارد سينيت) في كتابه «استبداد العلاقة الحميمة»:

«إن الشخصية الفنية ينظر لها على إنها مجرد دمية واللغة تفهم كعلامة وليست رمز. المبدأ الاول: ينظر جمهور المتفرجين إلى ملابس الشخصيات على انها وسيلة للزينة والاصطلاح، في الوقت الذي يبدو فيه الجسد كدمية ولا يعبر عن وجود كائن حي. المبدأ الثاني: إن اللغة تبدو بالنسبة للشخصيات للتعريف فقط، والتي تعتبر بالنسبة للمتلقى ولذاتها مستقلة عن الظروف الخارجية والشخص المتحدث».⁸⁵¹

إن رداء الشخصيات الفنية في مسرحية «ناتان الحكيم» لا يتناسب اليوم مع العرض المسرحي التاريخي في إطار هذين المبدئين، وبذلك «يكون السلوك الايجابي للشخصيات تجاه الآخر معدوما من خلال الوضع المادي والاجتماعي لخصائصها المحددة»⁸⁵² من قبل المخرج.

إن اخراج (بايمان) للمسرحية بتاريخ 15 / 11 / 2007، والذي ركز على العلاقة التاريخية بين المسيحية واليهودية، طغت عليه وجهات النظر الشخصية للمخرج وليست معتقدات الكاتب لسنغ. لقد عمل (بايمان) على اضعاف مواضيع حوار الثقافات والاخوة والتسامح وصلة القرابة الإنسانية بين الناس الذين ينحدرون من ديانات مختلفة، وكأنها غير قابلة

Hans-Jürgen Gaycken: Gotthold Ephraim Lessing. Kritik seiner Werke in Aufklärung (850 und Romantik. Frankfurt am Main/ Bern 1980, S. 17. (هانس - يورغن غايكين: غوتهولد افرام لسنغ.

تقد أعماله في عصر التنوير والرومانسية. فرانكفورت أم ماين / بيرن 1980، ص 17.)

Richard Sennett: Verfall und Ende des öffentlichen Lebens. Die Tyrannei der (851 Intimität. Frankfurt am Main 1986. S. 93. (ريتشارد سينيت: سقوط ونهاية الحياة العامة. استبداد العلاقة

الحميمة. فرانكفورت أم ماين 1986، ص 93.)

Ebd. (852 ينظر إلى المصدر السابق.)

للتحقيق.⁸⁵³ حيث عمل المخرج موضوع البحث على ان يكون اليهودي ناتان محط احتقار انصار الديانات الأخرى وخاصة انصار الديانة المسيحية. وهذا العمل يتنافى تماما مع رسالة التسامح بين الاديان السماوية التي جسدها لسنغ في مسرحيته «ناتان الحكيم».

إن العرض المسرحي الذي واصل (بايمان) إخراجه في برلين عام 2007 فصاعدا يظهر بشكل جلي ذنب الألمان المسيحيين وإحتقارهم لليهود على الرغم من أن هذه العلاقة قد تطورت كثيرا بشكل إيجابي في الخمسين سنة الأخيرة. وهذا يعني إن العرض المسرحي لا يطرح قضية آنية تحتاج إلى حل سريع أو معالجة، في حين هناك قضايا مصيرية كثيرة في جميع قارات العالم تهدد البشرية جمعاء بالدمار بحاجة إلى عرض ومعالجة جذرية. بالإضافة إلى ذلك اتخذ (بايمان) من حديث ناتان مع فارس المعبود وسيلة لتذكير جمهور المشاهدين بمحرقة اليهود «Holocaust»، وجعل ناتان يقول بسخرية: «يجب أن يحرق اليهود»، وكأن اليهود اليوم في الغرب يظلمون وتتم مطاردتهم ويحرقون كما كان حالهم في القرون الوسطى، في الوقت الذي يتعانق المسيحيون والمسلمون ويقبل بعضهم البعض على حساب هذه المأساة، حسبما يصوره (بايمان) في العرض المسرحي.⁸⁵⁴

من المعروف انه من غير الممكن في زمن لسنغ أن يتم عرض شخصية يهودية مثل ناتان كقدوة على خشبة المسرح، حيث «تعد جريمة عرض شخصية يهودية جيدة مقابل شخصية مسيحية سيئة». ولكن من وجهة النظر المعاصرة تمثل شخصية ناتان الإيجابية ثقافة اليهود الخاصة بهم، على الرغم من انه قد اعترف ضمنا بالديانات السماوية في مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم»، وكان من الواجب عليه أن يجيب على سؤال السلطان صلاح الدين بشأن «افضل الاديان»، في حين يظهر البطيريك في العرض المسرحي كمسيحي متعصب، لكنه «لا يمثل الغرب المستير، وإنما كان رمزا للتعصب في العصور الوسطى القديمة. إن العنف الغربي كان في الماضي»، تقول هورث، «ولا يوجد في زمن العرض الحالي للمسرحية ما يشير إلى ممارسة العنف كاداة سياسية تستعمل من قبل الدول الغربية الرائدة» تجاه أنصار الديانات الأخرى. وتقف الشخصيات المسلمة على خشبة المسرح بصفاتها الشكلية التي

(853) Vgl. Albrecht 1992. S.152ff. (ينظر إلى البرشت 1992، ص 152 يتبع).

(854) Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

تتناقض مع شخصية ناتان الحكيم والشخصيات الأخرى، فهم يرتدون ملابس كرنفالية ساذجة، وهذا ليس فقط في العرض المسرحي للمخرج (بايمان) وإنما في العروض المسرحية لمخرجين آخرين أيضا.⁸⁵⁵

يرى الكاتب (جير هارد شتاديلماير) في كتابه «لسنغ على خشبة المسرح» بأن الحوار الممتع بين السلطان صلاح الدين وشقيقته سيتا على خشبة مسرح ساربروكن كان «جريئا» وليس «استفزازيا» للمحارم.⁸⁵⁶ ويرى (كوشل) أيضا هذه الظاهرة في جميع العروض المسرحية في المانيا عدا العرض المسرحي في مدينة بادن-بادن، حيث يكتب قائلا:

إن إخراج معظم العروض المسرحية لـ«ناتان الحكيم» على خشبة المسارح الألمانية لم تخرج بأوبريت واضح للعيان بما يخص شخصية السلطان صلاح الدين، وإنما زودته بقبعة ورداء كما يظهر الأمير في حكايات الخرافة. أما في حالة الجدل فإن شخصية صلاح الدين المسلم للكاتب لسنغ لم تظهر بشكلها الطبيعي في إخراج العروض المسرحية إلا في حالات نادرة.

ولذلك ذكرت الناقدة للعرض المسرحي في مدينة دريسدن إنها لم تشاهد على خشبة المسرح سلطان راجح العقل. ويعد إخراج مسرحية «ناتان الحكيم» من قبل بيتر لودي على خشبة مسرح بادن-بادن قد تجاوز هذه المشكلة عن طريق ثروة من المعرفة ومراعاة الحساسية». ⁸⁵⁷

ووفقا لهذا النقد، يجب أن تلعب الشخصيات الفنية على خشبة المسرح دورا بارزا ومميزا لإعطاء المشاهد فكرة منطقية ومعقولة لا تقبل الشك والتأويل عن التقاليد الاجتماعية والمعتقدات وصفات الشخصيات التاريخية آنذاك. ويعد هذا الأمر بمثابة قانون يؤخذ بنظر الاعتبار في إخراج أي عرض مسرحية «ناتان الحكيم» في زمن لسنغ، ذلك لأن الملابس التي كان يرتديها الناس في جميع المناسبات بالقرن السابع عشر كانت نفس الملابس التي كانوا يرتدونها في منتصف القرن الثامن عشر في حياتهم العامة وفي التمثيل على خشبة

(855) Vgl. Horsch 2004. S. 105f. (ينظر إلى هورش 2004، ص 105 يتبع).

(856) Stadelmaier 1980. S. 105. (ينظر إلى شتاديلماير 1980، ص 105).

(857) Kuschel 2004. S. 17. (كوشل 2004، ص 17).

المسرح، بحيث يرتدي المرء في المناسبات المختلفة الملابس التي تبين مكانته الاجتماعية بين الآخرين، وعليه يجب ان تكون الملابس معروفة ومألوفة للملأ.⁸⁵⁸

ولكن هذه الاسس، تقول الكاتبة (هورش)، للأسف لم تؤخذ بعين الاعتبار من قبل المخرج (بايمان) حين تعاطيه مع إخراج العروض المسرحية لـ «ناتان الحكيم» بالآونة الأخيرة في برلين. وبهذه الطريقة تم إزدراء الإسلام على عكس ما كتب لسنغ، بل وأحبطت أيضا رسالة التسامح التي تحملها المسرحية.⁸⁵⁹

إن ما يخص الحقيقة الموضوعية بشكل مباشر والافق المستقبلية الضيقة لمسرحية لسنغ «ناتان الحكيم» أضحي واضحا للعيان في النقد الأدبي العلمي لصحيفة «زوددويشه تسايتونغ» وكما ذكره الكاتب (البرشت) في كتابه «التنوير بعد لسنغ»:

«عمل المخرج بايمان بحرفية على استبعاد شخصية ناتان من العناق الذي حصل بين جميع الاطراف في المشهد الختامي للمسرحية. فبدل عرض النهاية السعيدة في إطار مفهوم لسنغ الدرامي لحكاية الخاتم كإنتصار للتفكير الأفضل، هبط بايمان في الاخراج المسرحي إلى أوبريت البهجة السعيد في مجتمع الرفاهية الحديثة».⁸⁶⁰

لذلك لم تظهر نية وتأثير الكاتب لسنغ في العروض المسرحية التي قدمها (بايمان)، الذي حاول تجاهل قضية حوار الحضارات، اذا ما أخذنا بنظر الاعتبار إن لسنغ هو أول من وضع الأساس المناسب للقاء وحوار عقلايين بين ممثلي الأديان السماوية المختلفة في مسرحيته «ناتان الحكيم».

ولهذا آتخذت المسرحية كنموذج للحوار الحضاري المنشود يذكر في الاجتماعات الدولية والثقافية التي تعقد في المانيا. تقول الكاتبة (هورش)، «إشتد الحديث حول مضمون وأهمية التسامح وحوار الحضارات بعد أحداث نيويورك الإرهابية، ودائما ما يتم التطرق في هذه النقاشات المحتمدة إلى ما كتبه لسنغ، فمنهم من ينتقده ومنهم من يوافقه الرأي».⁸⁶¹

(858) Vgl. Sennett 1986. S. 95. (ينظر إلى سينيت 1986، ص 95).

(859) Vgl. Horsch 2004. S. 105f. (ينظر إلى هورش 2004، 105 يتبع).

(860) Albrecht 1992. S. 153. (ينظر إلى البرشت 1992، ص 153).

(861) Horsch 2004. S. 106. (ينظر إلى هورش 2004، ص 106).

ولذلك يجب أن يعرض موضوع الحوار الديني ولقاء الأديان في مسرحية «ناتان الحكيم» بشكل ايجابي خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001 من اجل تشجيع حوار الحضارات بشكل عام، يقول (كوشل)، لأن «الهجمات الإرهابية في الولايات المتحدة الأمريكية قد أدينت فوراً من قبل غالبية المسلمين، والإرهاب بين المسلمين عامة يعد تشويه للإسلام».⁸⁶²

كذلك يحث الله تعالى في القرآن الكريم على درء السيئة بالحسنة كما في قوله تعالى: والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويذكرون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار (سورة الرعد، الاية 22)، ويجب تذكير الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، كما في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (سورة النحل / الاية 125). والشيء الاهم الذي أكد الله عليه ورسوله الكريم ويقتبس منه المسلمون دائماً في المناسبات الدينية هو قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة/ الاية 256).

ولهذه الاسباب مجتمعة يجب ألا تعرض مسرحية «ناتان الحكيم» ويتم إخراجها بشكل متطرف وتحول افكارها إلى افكار غير قابلة للتحقيق، وإنما بالشكل الذي يخدم الحوار الحضاري والتقارب بين الشرق والغرب في الحاضر والمستقبل، وكما يقول الرئيس الألماني الأسبق يوهانس راو:

«لا يستطيع المرء اليوم أن يتحدث عن حقوق الإنسان والأديان السماوية دون القاء نظرة على الإسلام. لقد تحدثت عن الهجمات الارهابية في بلدان كثيرة من العالم. ففي الوقت الذي تستخدم العقيدة الإسلامية كشرعية، هناك الكثير من المسلمين وعلماء المسلمين يرفضون الهجمات الإرهابية لأنها تتعارض مع الإسلام».⁸⁶³

(862) Kuschel 2004, S. 17. (ينظر إلى كوشل 2004، ص 17).

(863) Rau 2004. S. 6. (ينظر إلى يوهانس راو 2004، ص 6).

ثالثاً: لسنغ؛ الحوار مع الإسلام والتحدي الصعب

ترك لسنغ وراءه مثالا حيا للحوار والتسامح يحتذى به في كل زمان ومكان، تجسد في الشكل الفني الأدبي لمسرحيته «ناتان الحكيم»، حيث تظهر روحه الكبيرة النقية في هذا النظم الشعري الجميل، الذي يتجاوز كافة الخبرات في التفكير بالطبيعة البشرية، لذلك فإن «حكاية الخاتم» تفسر دائما من قبل الناس بالإتجاه الصحيح بسبب دعوتها الصادقة إلى الحوار الحضاري الإنساني الشامل بين الأديان والثقافات، وعليه يجب ان يكون قرار الحوار الحقيقي اليوم وفي المستقبل من خلال التصرف الجاد والعمل الحقيقي المفعم بالثقة والتفائل من قبل جميع الاطراف وخاصة الفاعلة منها.⁸⁶⁴

بحيث يكون مبدأ التسامح هو المعيار لحقيقة الأديان، وتكون هناك إمكانية لإيجاد حلول وسط مع هذا أو ذلك الدين استنادا إلى الفكرة التي طرحها لسنغ في مسرحيته «ناتان الحكيم»، ذلك لأن التضييق الواضح والعزلة في الدين والسياسة لا يشجع على تنمية التعايش السلمي بين الناس والمجتمعات من ديانات مختلفة.⁸⁶⁵

ووفقا لما تقدم يقول الكاتب (بوينس): «يجب علينا اليوم مواصلة الحوار نتيجة لضغط الدعوات الرامية إلى وحدة العالم، والرغبة في الحوار والشراكة، والمساعدة في التنمية، والمساهمة في العدالة الاجتماعية والاقتصادية في هذا العالم».⁸⁶⁶

ويجب ألا يكون الحوار بمنعزل عن الإخلاص للهوية الشخصية وحق الحفاظ على هذه الهوية، ولكن في نفس الوقت يجب أن يكون للمرء استعداد لفهم أفضل وقبول للآخرين في دينه وثقافته وعقليته، وكما عرضه لسنغ في مسرحية التسامح «ناتان الحكيم» من خلال حديث السلطان صلاح الدين مع اليهودي ناتان، بقوله: «الآن، القاضي؟ أردت أن استمع لما يقوله القاضي على لسانك ... تكلم! رائع! رائع!» (ناتان الحكيم، ف3، م7).

(864) Vgl. Boyens 1969. S. 15ff. (ينظر إلى بوينس 1969، ص 15 يتبع.)

(865) Vgl. Albrecht 1992. S. 151. (ينظر إلى البرشت 1992، ص 151.)

(866) Boyens 1969. S. 15. (بوينس 1969، ص 15.)

حيث ينبغي التأكيد على المشتركات وإمكانية شرح وتوضيح المتناقضات بحيث لا ينظر إليها على أنها جدل منقطع. فعلى أساس هذا الفهم لآلية الحوار الناجع فتح لسنغ الباب أمام حوار منفتح بين الثقافات المختلفة في إطار صلة الدم بين الناس وأصل الأديان السماوية، وللتأكيد كذلك على عدم وجود أسبقية لسيادة الكنيسة المسيحية على الديانات الأخرى في تلك الفترة حسب مسرحيته «ناتان الحكيم».

وفقا لذلك، فإن الحوار بين الثقافات يمثل لحد هذه اللحظة تحديا سياسيا ودينيا وثقافيا يؤثر ويهدد بشكل مباشر جميع العقائد الدينية. وهذا التحدي أصبح معروفا في القارة الباردة تحت مصطلح «العلمانية» التي قادت أنصارها في الصدام مع السلطة الأوروبية الدينية السياسية السابقة، والتي انتهت بتأسيس الدولة المدنية في أوروبا والفصل بين السلطتين الدينية والسياسية.⁸⁶⁷

إن هذه المسألة تعني بالنسبة للمجتمعات الإسلامية تهديدا واضحا لثقافتها وعاداتها وتقاليدها بسبب ما خلفه الاستعمار في مناطقها، والمعايير المزودة للغرب في التعاطي مع القضايا العربية والإسلامية المصرية، ودعم أنظمة إقطاعية استبدادية في هذه البلدان تعمل على استعباد السكان وإذلالهم ونهب خيراتهم. ولذلك لا يمكن بهذه السهولة تنمية وتشجيع الاستعداد للحوار الثقافي والديني في السابق واستمرار الحالة إلى الوقت الحاضر.

إن انعدام الثقة والخوف من الغرب ما زال يسيطر على عقول الشعوب الإسلامية على الرغم من أن أنصار الحضارة الحديثة - الرأسمالية والعولمة - وقفوا ضد إرادة الغرب لاسباب تتعلق بالمصالح السياسية والاقتصادية مع الثقافات الأخرى.⁸⁶⁸ وفي هذا السياق، تعد دراسة لسنغ للثقافات من خلال حوار مع الإسلام ذات أهمية كبيرة، فمن خلال حوار

Vgl. Boyens 1969. S. 27ff. (867) (ينظر إلى بوينس 1969، ص 27 يتبع).

Vgl. «Der Westen und die islamische Welt – Eine muslimische Position», ist ein (868 Teil des Sonderprogramms «Europäisch-islamischer Kulturendialog» des Auswärtigen Amtes, Berlin. Herausgegeben von Institut für Auslandsbeziehungen (ifa), Stuttgart im Rahmen des Ifa-Forums «Dialog und Verständigung». Stuttgart 2004. S. 23ff. (ينظر الى:

«الغرب والعالم الإسلامي - موقف المسلمين»، جزء من برنامج خاص بـ «الحوار الثقافي الأوروبي الإسلامي» من وزارة الخارجية الألمانية في برلين. الصادر عن معهد العلاقات الخارجية (إيفا)، شتوتغارت في إطار منتدى إيفا «الحوار والتفاهم المتبادل». شتوتغارت عام 2004. ص 23 يتبع).

الأديان وقف لسنغ ضد الذين عملوا على تشويه صورة الإسلام في المجتمع الأوروبي، حيث جسد موقفه في حديث صلاح الدين مع رجل المعبد، الذي قال: «إذا، حين لا تضن إنني سيء... فإننا سنكون نصف متفقين؟» (ناتان الحكيم، ف4، م4).

يمكن للمرء أن يذهب أبعد من ذلك في نظرتة إلى متطلبات الحوار، لأن مجتمع وثقافة التصنيع العالمية قد تمددت لتغلف جسد الكرة الأرضية، بحيث جلبت معها وضع تاريخي جديد لم تألفه المجتمعات والثقافات الأخرى. يقول (بوينس): «إن ثقافة التصنيع العالمية وضعت نفسها كبنية فائقة فوق كل الثقافات التي مصدرها الأديان السماوية». وعليه فقد طالت هذه الثقافة كل إنسان، «ولم تغير وعيه فحسب، وإنما أثرت أيضا على التكوينة البنيوية لوعيه». ويعني ذلك، استنادا إلى تجربة الكنيسة المسيحية الأوروبية، «إنهيارا للإنسان مع ماضيه الثقافي وتدميرا للتقاليد الدينية».⁸⁶⁹

ويرى المرء في العالم الإسلامي إن هذه الحضارة بنيت أو مشتقة من المسيحية، حيث تعد حضارة حديثة ومتطورة للديانة المسيحية، والتي يريد الغرب من خلالها السيطرة على الثقافات الأخرى، بهدف تغيير معتقدات وعادات الشعوب وتوحيدها لخدمة مصلحته. وبذلك لا يستطيع الدين أن يلعب دورا معينا في حياة الناس.

إن هذا التحول له وقع كبير ومؤثر على المسلمين الذين لا يتقبلون هذه الحضارة بسهولة بسبب عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية والدينية التي توارثتها الأجيال.⁸⁷⁰ لذلك فإن هذه الحضارة الحديثة - حضارة التصنيع والتقنيات - ينظر لها من قبل المجتمعات غير المسيحية على أنها وليدة للحضارة المسيحية الدينية.⁸⁷¹

إن افكار حضارة التصنيع كانت قد نمت بشكل متوازي مع افكار حركة التنوير الأوروبية، بحيث لم يتم الشعور بها ولفترة طويلة في اللاهوت المسيحي، ومن ثم بدأ النظر إليها على إنها تحد عقائدي مباشر، واطلق عليها تسمية «العلمانية» وتمت مواجهتها.⁸⁷²

Boyens 1969. S. 27. (869 ينظر إلى بوينس 1969، ص 27).

Vgl. Der Westen und die islamische Welt. Stuttgart 2004. S. 23-89. (870 ينظر إلى «الغرب

والعالم الإسلامي»، شتوتغارت 2004، ص 23-89).

Boyens 1969. S. 27ff. (871 ينظر إلى بوينس 1969، ص 27 يتبع).

Vgl. Boyens 1969. S. 25ff. (872 ينظر إلى بوينس 1969، ص 25 يتبع).

كما أعتبرت العلمانية، في بادئ الأمر، من قبل السلطة الدينية في أوروبا على أنها تهديدا للشعب. وينظر لها اليوم في العالم الإسلامي على أنها تهديدا ثقافيا موجها ضد عاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم وكذلك دينهم. لذا لا يرغب المسلمون باستقبال هذه الحضارة العالمية بدون محددات ثقافية تحمي هويتهم. وهذا لا يعني أن ليس لديهم الثقة بالنفس ويحولون دون التطور والحداثة، وإنما بسبب أن الأهداف والمصالح الغربية في العالم الإسلامي تختلف عما يفكر به المسلمون وما يقوله المسيحيون:

«نحن نمضي إلى أمام أفضل من الذين يعتنقون الديانات الأخرى، التي تتعرض للهجوم بنفس المستوى الذي تعرضت له المسيحية، شهداء على تبعية الإنسان لله وحلفاء في السعي لتحقيق الكمال».⁸⁷³

بالتالي، فإن تحليل العلاقة بين الكاتب الألماني لسنغ والإسلام يعد مساهمة مفيدة في النقاش الثقافي الدائر حاليا. وبناء على هذه المعطيات، ينبغي على الباحثين والمختصين في شؤون المسرح ليس فقط تحديث أفكار مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم»، إذا ما أرادوا أخذ التغيرات الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية العميقة بين القرنين الثامن عشر والحادي والعشرون بنظر الاعتبار، وإنما الاستفادة من أفكار لسنغ بالطريقة التي تخدم قدر الإمكان الحوار الحالي بين الثقافات، ولكن ليس بالطريقة التي تعرض فيها المسرحية حاليا،⁸⁷⁴ كذلك القدرة على انتقاد التطرف والمحافظة على حق كل الأديان في العدالة والتسامح، والسلام والحرية، وفي الديمقراطية والحداثة، خاصة إذا كان الغرب يرى في العلمانية وسيلة ممكنة لم تكن متخيلة للحرية والقوة والديمقراطية والحداثة والحياة الحرة الكريمة لكل الشعوب في العالم.⁸⁷⁵

وعليه فقد أصبحت صورة الإسلام التي عرضها لسنغ في أعماله الأدبية والفلسفية مثل - «إنقاذ السيد كردانيوس»، و«برهاني عن العرب، بانهم خليفة نبي الله إبراهيم وليس

P. Löffler: in: Ev. Missionszeitschrift, Heft 4, Nov.1966. S.216. Auch Boyens 1969. S. (873

28). (بوينس 1969، ص 28).

Vgl. Albrecht 1992. S.152ff. (874) (ينظر إلى البرشت 1992، ص 152 يتبع).

Vgl. Der Westen und die islamische Welt. Stuttgart 2004. S. 23-89. (875) (ينظر إلى: «الغرب

والعالم الإسلامي»، شتوتغارت 2004، ص 23-89).

اليهود»، ومسرحياته «فاطمة» و«ناتان الحكيم» - ذات أهمية كبيرة بالنسبة للغرب ومحط جدل ونقاش، ذلك لأن المصطلح الأدبي العلمي لحركة التنوير أصبح متداولاً بين الطبقات الاجتماعية الأوروبية المختلفة.

يقول الكاتب الألماني (هانس كونغ) المختص في علم اللاهوت: «ان الإنسانية والثقة أمست تمثل المواقف الأساسية في الحياة وفي روح «القاعدة الذهبية» للحوار، لأنه بدون إنسانية وثقة لا توجد هناك قاعدة مشتركة للتواصل بين الثقافات كجهود فكرية مشتركة للشركاء في التفكير والحوار».⁸⁷⁶

إن مسألة التقوى والعلمانية تظهر صعوبة حقيقية في مجال الحوار الثقافي، كما هو الحال بقدرة رجال الدين في إيصال رسالتهم إلى الناس في عالم علماني. فإذا كان كل شيء ممكن للإنسان في المستقبل، وكل شيء مخطط بشكل أفضل، عليه «يجب على رجال كل الأديان ألا يندفعوا فقط من قضية كيفية تغيير خطابهم الديني لإنسان تغيرت بنية الوعي لديه، وإنما عليهم القيام بمهمة ضخمة»⁸⁷⁷، يقول (بوينس)، تتجسد بمواجهة التحدي المباشر والحوار مع المبدأ العالمي للعلمانية والديمقراطية.

ولهذا السبب يجب على رجال الدين المسلمين البحث في وجهة نظر العلمانيين والتركيز على تحديث خطابهم الديني بلغة العالم والثقافة العلمانية التي يتعامل معها ويفهمها الجيل الجديد. إن هذه المسألة ومسألة عدم وضوح الغرب تجاه حوار الثقافات تجعل المسلمين غير جادين بالتفكير في موضوع الحوار، لأن الظروف التاريخية الخاصة وما أنتجت الأديان لا تسمح ببساطة نقل ما افرزته ثقافة إلى ثقافات أخرى.⁸⁷⁸

يقول الكاتب (البرشت): إن «صعوبة أن تصل مسرحية «ناتان الحكيم» الشعرية إلى مرحلة الكمال في عرضها اليوم كمسرحية تنوير عقلاني وفكري تكمن في خطتها الإلهية العقلانية المستقيمة المقدسة التي تعكس أهداف أسطورتها وفن تأليفها المسرحي للإرتقاء ببهجة

Hans Küng: Der Islam. Geschichte, Gegenwart, Zukunft. München 2004. S.778. (876

(هانس كونغ: «الإسلام. الماضي والحاضر والمستقبل»، ميونخ 2004، ص 778).

Boyens 1969. S. 28. (ينظر إلى بوينس 1969، ص 28).

Ebd. S. 28. (ينظر إلى المصدر السابق).

التوافق والتصالح في هذه المسرحية الفكاهية الفكرية التي نشاهدها على خشبة المسرح». وإن الحاجة إلى التخشين في العرض المسرحي ينبغي أن يكون من خلال وسائط المسرح وما يقترن بذلك خارج إطار المسرح - مثل «المصير الشخصي لليهود المعاصرين للكاتب والضحايا الآخرين - من أجل إثارة الرسالة التي تحملها المسرحية إلى جمهور المشاهدين اليوم».⁸⁷⁹

لذلك، ينبغي على المرء أن يبحث في الموروث الأدبي للكاتب الألماني لسنغ حين يريد أن يتعامل بأمانة وبشكل كامل مع الموضوع العالمي لحوار الثقافات. لقد أقر لسنغ بالإسلام ثقافيا ودينيا، كما فعل الكاتب (غوته)، ولم يتعامل معه بإزدراء. وباعتباره شريك جاد في الحوار، فقد أثنى لسنغ على الإنجازات الثقافية والعلمية للمسلمين. وفي مخطوطته النقدية، الفلسفية الدينية «إنقاذ السيد كردانيوس» أشار لسنغ بوضوح إلى الإسلام وجمع في النهاية حقائق عن التاريخ والدين الإسلامي ضمنها إلى مسرحيته «ناتان الحكيم» تستند على معرفة صحيحة ودقيقة وحكم عادل يتجاوز كل الاحكام والتحيزات التي ترفض الحوار الجاد مع الإسلام كدين وثقافة.⁸⁸⁰

ووفقا لهذا التوصيف يجد الغرب والعالم الإسلامي اليوم أنفسهم أمام فترة إنفراج غاية في الدقة والحساسية لإعادة صياغة العلاقات الدولية بين الغرب والعالم العربي الإسلامي من جديد، والذي يتطلب قيام رجال الدين والعلمانيين المسيح بصياغة أفكار تنسجم والحاجة الملحة للحوار الثقافي مع الإسلام. يقول الكاتب الألماني (هانس كونغ)، لذلك ينبغي على المرء، «بالنظر إلى التهديد القاتل للإنسانية جمعاء، ألا يبنينا سدودا جديدة من الكراهية والانتقام والعداوة، وإنما من الأفضل إزالة أسوار التحيزات حجر بعد حجر، والتي بها تبنى جسور الحوار، الجسور المؤدية إلى الإسلام».

وعلى المرء أيضا أن يقر «بضبابية التناقضات وامتزاجها التوافقي الذي يؤسس للثقة المتبادلة بالنفس بموضوعية وانصاف ومعرفة لما يفرق عن ما يوحد».⁸⁸¹

(879) Albrecht 1992. S.153. (البرشت 1992. ص 153).

(880) Vgl. Rettung des Hier. Cardanus. (ينظر إلى لسنغ: «إنقاذ السيد كردانيوس»).

(881) Vgl. Küng 2004. S. 20. (ينظر إلى هانس كونغ 2004، ص 20).

ووفقا لهذا الطرح، يمكن للمرء بناء جسور أكثر متانة لحوار ثقافي حقيقي بين الغرب والعالم الإسلامي تتفق مع أفكار الكاتب لسنغ. ويمكن تحقيق ذلك حين يتعامل الغرب والمسلمين مع مشروع الحوار الحقيقي بجدية، وعلى أن تؤخذ مصلحة كلا المتحاورين بنظر الاعتبار. يقول الكاتب (بوينس):

«يتطلب الحوار مع اصحاب المعتقدات الأخرى أن يكون الأطراف جادين بالفعل، وأن يكونوا مستعدين بشكل واضح للنقاش والاستماع إلى ما يقوله الآخر، والاعتراف بالحقيقة الواردة فيه».⁸⁸²

مع كل هذا وذاك، يبقى نجاح الحوار الثقافي العالمي وكذلك الديني بين الغرب والشرق الإسلامي مشكوك فيه بسبب تضارب المصالح السياسية والإقتصادية للمتخاصمين في الوقت الراهن. منطقيا، يمكن أن يتناول مبدأ الحوار الثقافي بين المسيحية والإسلام الدمار الذي خلفته حروب الغرب الدموية والصراعات كقوة ضاربة في المنطقة، وكذلك ما خلفته الحروب الأهلية من خراب في العالم الإسلامي.

ولهذا السبب، ليست هناك إمكانية أن يتقبل أطراف الصراع دور الساعين إلى الحوار الحضاري، لأن أهدافهم ومصالحهم السياسية والإقتصادية لا تتفق مع آمال رواد الحوار الحضاري المعتدلين وشعوبهم التي تدعوا دائما للتسامح والسلام.⁸⁸³

وهذا يعني، إن التشابك المستمر للمصالح السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية أدى إلى إعاقة وتصعيب الحوار الحضاري منذ قرون، لذلك لا يستطيع الخبراء المعنيين بالحوار الثقافي إعطاء ضمانات لتأمين حوار حضاري ناجح مبني على الثقة المتبادلة في المستقبل، لأن المصالحة الدولية بين الفرقاء السياسيين وبين الأعداء والمتنافسين تختلف تماما عن تقارب الأديان الثقافي العالمي.

وعليه فإن العلمانيين الغربيين، الذين يحكمون أوروبا اليوم بعد فصل الدولة عن الدين، لا يستطيعون التحدث كمؤمنين، وكذلك لم يكونوا في وضع يسمح لهم القبول بدور

(882) Vgl. Boyens 1969. S. 21f. (ينظر إلى بوينس 1969، ص 21 يتبع.)

(883) Vgl. Der Westen und die islamische Welt. Stuttgart 2004. S. 23-89. (ينظر إلى «الغرب

والعالم الإسلامي» شتوتغارت 2004، ص 23-89.)

المتحاورين من رجال الدين. فهم لا يؤمنون بأن يكون الحوار الثقافي - الديني الحل الجذري للصراعات السياسية في العالم الإسلامي، خاصة في المنطقة العربية. لكنهم يرجعون إلى الدين لاستخدامه كغطاء لدعم وتحقيق مصالحهم.⁸⁸⁴ يقول (هانس كونغ):

«إن السياسة الحربية المعلنة في أفغانستان والعراق والإلتزام أحادي الجانب في فلسطين بالإضافة إلى خسارة الولايات المتحدة لمصداقيتها الأخلاقية في جميع أنحاء العالم جعل الحوار الحضاري والديني أكثر إلحاحاً».⁸⁸⁵

من هنا تبرز الحاجة إلى مهنية حقيقية غير منحازة في التعامل مع أفكار لسنغ على خشبة المسرح لتلبية متطلبات التسامح، ولكن ليس كما يخرج اليوم (بايمان) مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم»، والذي حاول من خلال عمل مشاهد على نطاق أوسع أن يشير، يقول (فولفغانغ البرشت)، إلى استحالة متطلبات التسامح للكاتب لسنغ وإلى استياءه للعروض التي قدمت على مر (200) عاما من عمر المسرحية.

ففي الوقت الذي يجري احتفال عائلي على خشبة المسرح في المشهد الأخير يدع المخرج (بايمان) اليهودي ناتان ينسحب ببطء من خلال ممر يخترق الجمهور وعلامات خيبة الأمل الواضحة تغطي محياه ليدخل إلى غرفة خلف الجمهور ويختفي هناك. وهذا التصرف يتنافى مع صفات شخصية ناتان الكبيرة التي عرضها لسنغ في مسرحيته «ناتان الحكيم».⁸⁸⁶

إن الحوار الحقيقي بين الثقافات والأديان لا يمكن أن يكون الموضوع الرئيسي للسياسيين، إنما هو واجب رئيسي لرجال الدين المسيحيين واليهود والمسلمين. وهذا يعني أن الحوارات والاجتماعات الثقافية والدينية يجب يتبناها علماء الأديان المختلفة ذاتهم، لكي يكون دور السياسيين والمثقفين عاملا مساعدا وداعما لهم في هذا المجال.⁸⁸⁷

(884) Vgl. Küng 2004. S. 21ff. (ينظر إلى هانس كونغ 2004، ص 21 يتبع).

(885) Küng 2004. S. 21. (ينظر إلى المصدر السابق، ص 21).

(886) Vgl. Albrecht 1992. S.154. (البرشت 1992، ص 154).

(887) Vgl. Küng 2004. S. 783. (ينظر إلى هانس كونغ 2004، ص 783).

والدليل على ذلك، أن لسنغ استطاع أن ينجح في إدارة الحوار الديني في مسرحية «ناتان الحكيم» لعدة أسباب من أبرزها أنه نشأ من عائلة دينية، وهذه الخبرة في مجال الدين والأدب ساعدته في عرض اللقاء والحوار الديني بين أنصار الأديان السماوية بشكل دقيق ومتزن وفقاً لرؤيته الخاصة، كما الفه القارئ والمشاهد للمسرحية. ووفقاً لذلك، يجب في بادئ الأمر تشخيص مشاكل الحوار الثقافي قبل البدء بمناقشة مبدئه الخاص بتنفيذ النقاش الذي بحاجة ماسة اليوم للإبتكار.⁸⁸⁸

يقول الكاتب (بوينس): «حين تكون هذه اللقاءات شائعة في حياتنا اليومية، يتطور التعاون والصداقة والتضامن»⁸⁸⁹ ولذلك ينبغي أن تكون للمثقفين الغربيين والمسلمين مساهمة منجزة في هذا الحوار. حيث أوضح المحلل النفسي الألماني (هورست-ايرهارد رشتري) في حوار أجرته معه مجلة دير شبيغل أون لاين في 8/2/2006 الآتي:

«نتمنى أن تظهر الآن مهمة المثقفين، لكي يربطنا عالم واحد من القيم الإنسانية، الذي يجعل ثقافة السلام العالمية ممكنة عن طريق التضامن العالمي فقط وليس من خلال انتصار واحد على الآخر».⁸⁹⁰

لذلك ينبغي على أي من السلطات الوطنية والدولية والدينية والأدبية والسياسية المساهمة بنشاط في المناقشات لضمان مستقبل للبشرية يسوده التسامح والسلام، وعلى جميع الأطراف الإرتقاء في الحوار إلى أعلى مستوى من الحضارة والثقافة، ويكون لها موقف واضح من التصعيد الحربي.⁸⁹¹ وهذا الأمر يلفت عناية اطراف الحوار للاستفادة والتعلم أكثر من المشاكل والكوارث الإنسانية التي تضرب العالم باستمرار، وفقاً لما أشار إليه (هورست-ايرهارد رشتري) في الحوار الصحفي:

(888) Vgl. Der Westen und die islamische Welt. Stuttgart 2004. S. 23-89. (ينظر إلى «الغرب والعالم الإسلامي» شتوتغارت 2004، ص 23-89).
(889) Boyens 1969. S. 22. (بوينس 1969، ص 22).
(890) Der Spiegel Online: Interview mit Horst-Eberhard Richter, 08.02. 2006.. مجلة دير شبيغل أون لاين، حوار مع هورست-ايرهارد رشتري في 8/2/2006. <http://www.spiegel.de/politik/deutschland>.
(891) Vgl. Küng 2004. S. 776ff. (ينظر إلى هانس كونغ 2004، ص 776 يتبع).

«يجب أن تكون حرب العراق درسا مفيدا للجميع. حيث ينبغي علينا أن لا نستسلم لوهم جورج بوش. ان الامر ليس القدرة على التهادي في شتم الآخرين وتجريحهم، وإنما مساعدة الاغلبية العقلانية في مواجهة الأحداث غير السلمية. يجب علينا احترام الهوية الثقافية للبلدان الإسلامية».⁸⁹²

ان النقاش الثقافي مع أطراف الحوار من رجال الدين يجب أن يكون على اساس المواجهة مع انظمتهم الثقافية والدينية برمتها، «ويكون الصدق»، يقول (بوينس)، «شرط أساسي في الحوار، بما في ذلك الاستعداد المتواضع للإعتراف بالخطأ». وينبغي أن تسود نغمت الاصوات عميقة الحنان والعاطفة كلام وأحاديث الإيذان للمشاركين في الحوار الثقافي.

ويجب على كل مسيحي المشاركة بثقة في الحوار، ولفت عناية «كل طرف من الأطراف إلى حوار الله مع الناس، والتأثر به، لكي يسمع ما أنزل ربنا على السيد المسيح للرد عليه».⁸⁹³ ومن أجل ضمان مشاركة حقيقية ومثمرة في الحوار الحضاري يجب على المسلمين أيضا إصلاح بيتهم الديني لتوحيد أنفسهم وخطابهم، وبما يساهم في انهاء الصراعات بين الطوائف الدينية التي كانت مثلتها سائدة في أوروبا في العصور المظلمة.⁸⁹⁴

يمكن الاستنتاج مما تقدم، أن مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم» التي كتبت في القرن الثامن عشر، نجحت إلى حد ما في معالجة حدة التوترات بين المسيحيين والمسلمين واليهود، لأن هناك رغبة وحاجة ملحة اليوم للحوار في المناخ السياسي العالمي.⁸⁹⁵ إن التجربة في صعوبة وعدم إمكانية التسامح العملي، خصوصا في المجال الاجتماعي والسياسي، تلقي بظلالها اليوم على كل عمليات الإخراج لمسرحية «ناتان الحكيم».

وينطبق هذا الكلام على الحقبة الزمنية داخل الحدود الإدارية لجمهورية المانيا الاتحادية. وذلك ما يزيد الاشارات الضمنية لمشاكل الشرق الاوسط. ان تحفظات صناع المسرح

Der Spiegel Online: Interview mit Horst-Eberhard Richter, 08.02. 2006. (892 مجلة دير شبيغل

أون لاين، حوار مع هورست-ايرهارد رشتير في 8/2/2006).

Boyens 1969. S. 22. (بوينس 1969، ص 22.) (893

Vgl. Küng 2004. S. 776ff. (ينظر إلى هانس كونغ 2004، ص 776 يتبع.) (894

Vgl. Kuschel 2004. S. 9. (ينظر إلى كوشل 2004، ص 9.) (895

الألماني على التفائل العقلاني للكاتب لسنغ في حالة «ناتان» يعد رفضاً للعقيدة الدينية، مع ملاحظة ان العالم الحديث يتفق مع العقل أكثر من أي وقت مضى. يقول الكاتب (فولفغانغ البرشت)، حاول المخرج (هانز غونتر) أن يشرح بوضوح براهين المسرحية في عرضه المسرحي بمدينة شتوتغارت عام 1982 ويجعل من قصة الحب بين ريشا وفارس المعبد قوة تتجاوز الحدود الدينية، وتأذن لهم بقضاء أمسية حب معا، وختمها بنشيد جميل وأزياء تاريخية.⁸⁹⁶

ووفقا لما تقدم، فإنه من الصعب أن نشاهد تقارير تتحدث عن نجاح الاخراج المسرحي لمسرحية «ناتان الحكيم» على خشبة المسرح الألماني، يقول (البرشت)، ان هذا النقد للتفكير أحادي الجانب وغير المحدود والتأكيد على أهمية التفكير الحوارى المنطقي وتجنب المواجهة الحادة في الحوار يجب أن يوضع في مقارنة على سبيل المثال مع دور الحكيم ناتان في مسرحية لسنغ «ناتان الحكيم». واستنادا للتقارير، فإن النقد للإخراج المسرحي قد تمت تغطيته، وصاحب ذلك التاكيد على الجانب الكوميدي للمسرحية. فقط في النهاية، التي اخرج فيها (بايمان) الحكيم ناتان من حلقة التجمع العائلي، تظهر هناك رغبة للمخرج في إيصال غذاء فكري لجمهور المشاهدين مغاير لفكرة الكاتب لسنغ.⁸⁹⁷

يمكن أن يتحقق لقاء ممثلي الأديان المختلفة والمذاهب، كما عرضه لسنغ في مسرحيته «ناتان الحكيم»، فقط حين يتم النظر إلى الغموض وعبء مسؤولية الوجود الإنساني بشكل جدي. وعليه لا يمكن للمرء كبح أي إنسان فكريا وثقافيا، وإنما العمل على دراسة عقيدة المشارك في الحوار التي تمكنه من تقديم الحجج في النقاش. «وهذا الامر ينسحب على الثقافات»، يقول (بوينس)، «التي تأثرت بحضارة التكنولوجيا الحديثة وحلت محلها ثقافات جديدة».

ويمكن تقليص الاحكام المسبقة والتحييزات والفهم التاريخي الخاطيء لهذا الطرف وتجنبها من خلال زرع الثقة الحقيقية بمعتقد الآخر والمشاركة في حياته، بحيث يختفي الشعور بالتفوق على مر الزمن. لذلك ينبغي أن لا يفهم النقاش الثقافي من قبل البعض على انه

(896). S.154. Albrecht 1992. (ينظر إلى البرشت 1992، ص 154).

(897). Ebd. (ينظر إلى المصدر السابق).

«موقف أخلاقي للمسيحيين تجاه أتباع الديانات الأخرى»، يضيف (بوينس)، ويجب أن يكون الحوار بين الثقافات دون استثناء، ومهمة عامة لرجال الدين والمثقفين والسياسيين لكل الاتجاهات الدينية.

وينبغي على الجميع، أن يكون لهم هدف واحد، والبحث بجدية عن امكانيات تحقيقه. وبذلك يجب على رجال الدين أن يكونوا مستعدين تماما للمساهمة الحرة والطوعية في اللقاءات والمشاركة في الحوارات.⁸⁹⁸ يقول (بوينس):

«في الحوار نجد إنسانيتنا المشتركة، وكرامتها وكيوننة فضلها، ونحقق المصلحة المشتركة المتقدمة ونجلبها إلى التعبير الإنساني. فالحوار يفتح امكانية المساهمة المشتركة في الأنماط الجديدة للحياة العامة والخدمات».⁸⁹⁹

إن السلطان المسلم صلاح الدين الأيوبي الذي خلد التاريخ انتصاراته الكثيرة والكبيرة حسب الموروث الثقافي الغربي، والذي أختير من قبل لسنغ ممثلا للإسلام في مسرحيته «ناتان الحكيم»، جعل المسلمين والمسيحيين واليهود يعيشون بسلام في القدس، يقول (أمين معلوف)، استنادا إلى شعار الإسلام «الدين لله والارض للناس جميعا»، حيث كان يوزع الصدقات على جميع الرعية بغض النظر عن ديناتهم.⁹⁰⁰

يقول (هورست - ايرهارد رشت) «إن المجتمعات الإسلامية تعترف اليوم بالفقر المدقع وفجوة التخلف في التنمية، ولهذا السبب تحتاج إلى دعم وشراكة على قدم المساواة، وهذا أمر مهم بالنسبة للمسلمين شريطة الاعتراف به على قدم المساواة والتقدير أيضا».⁹⁰¹

والأمر الأهم في ذلك، يقول (هانس كونغ)، «أن لا يتعامل الغرب مع جانب مسلم على اساس انه معتدل على حساب المسلمين الآخرين بإعتبار إنهم أشرار، كما في الصراع المحتدم

(898) Vgl. Boyens 1969. S. 22,23. (بوينس 1969، ص 22 يتبع.)

(899) Boyens 1969. S. 23. (بوينس 1969، ص 23.)

(900) Vgl. Maalouf 2004. S. 213ff. (ينظر إلى أمين معلوف 2004، ص 213 يتبع.)

(901) Der Spiegel: Interview mit Richter 2006. (مجلة ديرشبيغل أون لاين، حوار مع هورست - ايرهارد

رشت في 8/2/2006.)

في العراق الذي طبلت له ادارة بوش بشكل تعسفي».⁹⁰² ومن هذا المنطلق، يجب على الغرب دعم الدول الإسلامية بإصلاحات سياسية واجتماعية دون غرض سري حقيقي بدلا من الحرب الجارية في الشرق الأدنى، بالإضافة إلى عدم تصعيد المواجهة بين الغرب والعالم الإسلامي بكل الوسائل المتاحة.

إن العدوانية الإندفاعية للغرب تشجع فقط على التصعيد الدولي للعنف والعدوانية خاصة بين المسيحيين والمسلمين.⁹⁰³ يقول (هورست - ابرهارد رشت):

«بصفتي محلل نفسي لا أستطيع أن أقمع شكوكي فيما يتعلق بقضية الرسوم الكاريكاتيرية المثارة الآن، فالكل يعلم بأن الدين يلعب دور الهوية المركزية لدى المسلمين، وإن إعادة نشر الرسوم الكاريكاتيرية بشكل واسع، التي تظهر (الرسول) محمد (صلى الله عليه وسلم) كأرهابي يحمل قبلة، يفهم من قبل المسلمين على أنه تحد ومثار للسخرية».⁹⁰⁴

لا بد من الإشارة هنا إلى بعض المفارقات التي تؤثر على طبيعة الحوار الثقافي ونتائجه، منها إقامة منتديات ثقافية في أوروبا لما يسمى بحوار الحضارات بين العلمانيين والخصوم السياسيين الغربيين والمسلمين بمنعزل عن رجال الدين. وهذا يعني انه يتم تمثيل الأديان من قبل العلمانيين والرأسماليين، وبسبب الغموض في التمثيل والمصالح السياسية والاقتصادية يفتقر الحوار الثقافي إلى الثقة بين أطراف النقاش. ووفقا لذلك يقول (هانس كونغ)، «لا يستطيع المرء تحقيق السلام المطلوب بين الأمم بدون إجراء بحث معمق للأديان واخذ المشاركة الدينية في الحوار بنظر الاعتبار».⁹⁰⁵

إن الحوار الحضاري بين الأديان والثقافات يهدف إلى إيجاد المعايير والقيم الإنسانية المشتركة التي يمكن أن تكون مقبولة من قبل جميع الأطراف، والتي بموجبها يمكن لجميع أتباع الديانات السماوية وغيرهم العيش جنبا إلى جنب بسلام.

(902) Küng 2004. S. 21. (هانس كونغ 2004، ص 21).

(903) Vgl. Der Westen und die islamische Welt. Stuttgart 2004. S. 23-89. (ينظر إلى «الغرب

والعالم الإسلامي» شتوتغارت 2004، ص 23-89).

(904) Der Spiegel: Interview mit Richter 2006. (مجلة ديرشبيغل أون لاين، حوار مع هورست - ابرهارد

رشت في 8/2/2006).

(905) Vgl. Küng 2004. S. 779-783. (هانس كونغ 2004، ص 779-783).

واستنادا لما تقدم، كتب استاذ علم اللاهوت الألماني (هانس كونغ) في مؤلفه «الإسلام، الماضي والحاضر والمستقبل» شعارا جاء فيه:

«لا سلام بين الأمم بدون سلام بين الأديان،
ولا سلام بين الأديان بدون سلام بين الأمم،
لا حوار بين الأديان بدون معايير أخلاقية عالمية،
لا بقاء لعالمنا بدون أخلاقيات عالمية مدعومة من قبل المتدينين وغير المتدينين!»⁹⁰⁶

(906). KÜNG 2004. S.783 (هانس كونغ 2004، ص 783).

الخاتمة

تبرز أهمية هذه العمل «لسنغ والعالم العربي الإسلامي» في ذكر آيات من القرآن، التي تقدم القرآن كمصدر «للدين العقلاني»، حيث استطاع المؤلف (الدكتور زاحم محمد الشمري) أن يستند أيضا على ما قاله الأديب الألماني لسنغ: انه باستطاعة الإنسان من خلال قراءته للقرآن أن «يعرف الله» و«يكون فاضلا» و«يتعلم العقلانية».

إنني أقيم بتقدير عالٍ هذا الإنجاز. لقد اطلع المؤلف باجتهاد كبير على المئات من المصادر واعد صهرها في تركيب جديد، حدث من خلاله النتاج الأدبي الألماني للقرن الثامن عشر ليضعه في مرآة الحاضر، ويكشف الغموض الذي كان يعتري الموروث الأدبي للكاتب لسنغ، ويدمر الصور العدائية بتقييم نقدي استنادا إلى تلك المصادر. ... ان قناة الكتابة للمؤلف تظهر متشابهة بشكل ملحوظ في بعض العبارات مع إيقاع القرآن لأسلوب الكاتب غوته.

سأرحب بصدور الكتاب باللغة العربية، رغم ان انفا سي تكاد تحتبس وانا اقترح ذلك، لانني لا اعلم كم سيكون حجم ردود الافعال.

أ. د. (هايل) هلموت ليتن

استاذ الأدب الألماني/ جامعة روستوك/ ألمانيا

مدير مركز البحوث العالمي للعلوم الثقافية/ فيينا

2010 / 6 / 10

إن من يكتب عملاً في هذه الفترة عن موضوع «لسنغ والإسلام» سيدخل في حقل البحث الذي تنقصه الإثباتات بنفس المعيار من ناحية البحث العلمي الأدبي، كما أكد ذلك المؤلف (الدكتور زاحم محمد الشمري) في مقدمة كتابه «لسنغ والعالم العربي الإسلامي»، حيث لم يقدم الباحثون في أدب لسنغ سوى توظيف هامشي للإسلام ليست له قيمة تذكر، رغم الصراع المحتدم للمواقف الدينية والدينية السياسية، وكذلك مشروع التسامح و(الحوار) للكاتب لسنغ.

إن هناك أهمية متزايدة بشكل عام وتطلع لمعالجة الظواهر والمشاكل بالغة التعقيد من خلال المجال الأدبي العلمي الذي لم يملأ «المانيا والإسلام»، والذي فيه دعوة إلى رجال الدين الكاثوليك والدين الإسلامي والعلوم الإسلامية ليكتشفوا عمل لسنغ كانعكاس للمشاكل الاجتماعية والثقافية والسياسية، واتخاذ مسرحته «ناتان الحكيم» كقدوة في الحوار العام والموقف المتنور المتسامح تجاه الإسلام في الحياة العامة.

لقد أخذ هذا العمل على عاتقه مهمة استثنائية في عرض الدراسات التي اختصت في دراسة لسنغ العلمية الأدبية للإسلام المشار إليها في المراجع المذكورة ... وبذلك أنجز المؤلف «عملاً ريادياً» يعد أكثر من مشروع مبتكر، أخذ من تاريخ البحث الحديث رهن المعضلة الأساسية في طريقة استخدام المادة الأدبية والأسلوب التربوي لمعالجة المشاكل ذات العلاقة.

واستناداً إلى مرفق المصادر التي استند عليها المؤلف في إنجاز هذا العمل الريادي العلمي الأدبي، ونظراً لإمكانية الابتكار العلمي الأدبي لهذه الدراسة، التي خطت بريشة دبلوماسي عراقي مختص بالأدب الألماني، فأنني أقدم هذا العمل بتقدير عالٍ.

الاستاذ الدكتور أندريا بولاشك

أستاذة الأدب الألماني / جامعة هومبولدت في برلين

2010 / 5 / 16

Literaturverzeichnis . المصادر

Abkürzungen . المختصرات

- 1) Lessing FÜ G. E. Lessing: Übersetzungen aus dem Französischen Friedrichs des Großen und Voltaires. Hrsg. v. E. Schmidt. Berlin 1882.
- 2) Lessing GW Gotthold Ephraim Lessing: Gesammelte Werke, in 10 Bänden. Hrsg. v. Paul Rilla, Berlin 1954-1958.
- 3) Lessing NdW G. E. Lessing: Nathan der Weise (1779). Ein dramatisches Gedicht in fünf Aufzügen. Anmerkungen von Peter von Düffel, Stuttgart 2000.
- 4) Lessing SS G. E. Lessing: Sämtliche Schriften, in 23 Bänden, hrsg. v. Karl Lachmann und Friedrich Muckner. Stuttgart 1886-1924.
- 5) Lessing W Gotthold Ephraim Lessing: Werke, in 8 Bänden, hrsg. v. Herbert G. Göpfert, München 1970-1979.
- 6) Lessing WB Gotthold Ephraim Lessing: Werke und Briefe in zwölf Bänden. Hrsg. von W. Barner, Frankfurt a. M. 1989-2001.
- 7) Voltaire BW Voltaire - Friedrich der Große: Aus dem Briefwechsel. Hrsg., vorgestellt u. übersetzt v. H. Pleschinski. Zürich 1992.

Primärliteratur المراجع

- 1) [1001 Nacht] Erzählungen aus den Tausendundein Nächte. Vollständige deutsche Ausgabe in sechs Bänden. Zum ersten Mal nach dem arabischen Urtext der Calcuttaer Ausgabe vom Jahre 1839 übersetzt u. übertragen v. Enno Littmann. Leipzig 1966.
- 2) [1001 Nacht] Geschichten aus Tausendundeiner Nacht. Aus dem Arabischen übersetzt von Max Henning. Nachwort von Wiebke Walther. Leipzig 1980.
- 3) [1001 Nacht] Geschichten aus Tausendundeiner Nacht. Aus dem Arabischen übersetzt von Max Henning. Nachwort von Herbert Melzig. Leipzig 1964 [Ausg. 1965].
- 4) [1001 Nacht] Alf Laila wa-Laila, IV. Bände. Kairo 2004.

- 5) Alfonsi, Petrus: Die Kunst, vernünftig zu leben [Disciplina Clericalis]. Dargestellt und aus dem Lateinischen übertragen von Eberhard Hermes. Zürich und Stuttgart 1970.
- 6) Boccaccio, Giovanni: Das 3. Dekameron. Übers. von Karl Witte. Bd. 1. Leipzig 1859.
- 7) Das Buch vom Reich. Das zweite Buch Samuel. Übersetzt u. verlegt v. Karl Gutbrod. Stuttgart 1958.
- 8) Der Hadith: Urkunde der islamischen Tradition. Ausgew. u. übers. v. Adel Theodor Khoury. Gütersloh 2008.
- 9) Der Koran: arabisch-deutsch/ übers. von Max Henning. Bearb. und hrsg. von Murad Wilfried Hofmann. Kreuzlingen/München/ Hugendubel 2001.
- 10) Goethe, Johann Wolfgang: Sämtliche Werke. Jubiläumsausgabe, Bd. 36. Stuttgart 1902-07.
- 11) Harsdörffer, Georg Ph.: Nathan und Jotham - Geistliche und weltliche Lehrgeschichte. Neudruck der Ausgabe, Nürnberg 1659. Hrsg. u. eingeleitet v. Guillaume van Gemert, Bd. I. Frankfurt am Main 1991.
- 12) Harsdörffer, Georg Ph.: Nathan und Jotham - Geistliche und weltliche Lehrgeschichte. Neudruck der Ausgabe, Nürnberg 1659. Hrsg. v. Guillaume van Gemert, Bd. II. Frankfurt am Main 1991.
- 13) Ibn Verga, R. Salomon: Das Buch Schevet Jehuda. Übersetzt von M. Wiener. Hannover 1856 (Neudruck 1924).
- 14) Leibniz, Gottfried Wilhelm: Die Theodizee von der Güte Gottes, der Einheit des Menschen und dem Ursprung des Übels, hrsg. u. übers. V. Herbert Herring. Frankfurt a. M. 1965.
- 15) [Lessing, Gotthold Ephraim] Gotthold Ephraim Lessing (1729 bis 1781), Ausstellung im Lessinghaus. Hrsg. v. Herzog August Bibliothek Wolfenbüttel. Braunschweig 1981.
- 16) [Lessing, Gotthold Ephraim] Lessings Briefe in einem Band. Hrsg. von dem nationalen Forschungs- und Denkstätten der klassischen deutschen Literatur in Weimar. Berlin und Weimar 1983.

- 17) Lessing, Gotthold Ephraim: Emilia Galotti, 1773.
- 18) Lessing, Gotthold Ephraim: ‚Nathan der Weise‘. Ein dramatisches Gedicht in fünf Aufzügen, hrsg. v. Joseph Kiermeier-Debre. München 1997.
- 19) Lessing, Gotthold Ephraim: Briefe, die neueste Literatur betreffend. Leipzig 1987.
- 20) Lessing, Gotthold Ephraim: Erziehung des Menschengeschlechts (1780). Hrsg. v. Joseph Kiermeier-Debe. München 1997.
- 21) Lessing, Gotthold Ephraim: Gesammelte Werke - Epigramme und Epigrammtheorie, Lieder und Oden, Fabeln und Schriften zur Fabel, Fragmentarische Lehrgedichte, Bd. 1. Berlin 1981.
- 22) Lessing, Gotthold Ephraim: Nathan der Weise, 1779.
- 23) Lessing, Gotthold Ephraim: Nathan der Weise. Ein dramatisches Gedicht in fünf Aufzügen 1779 mit einem Nachwort von Willhelm Grenzmann. Paderborn 1963.
- 24) Lessing, Gotthold Ephraim: Nathan der Weise. Ein dramatisches Gedicht in fünf Aufzügen. Leipzig 1880.
- 25) Lessing, Gotthold Ephraim: Nathan der Weise. Ein dramatisches Gedicht in fünf Aufzügen. Stuttgart 1997.
- 26) Lessing, Gotthold Ephraim: Nathan der Weise. Ein dramatisches Gedicht, mit Erläuterungen, Wilhelm Goldmann Verlag. München 1997.
- 27) Lessing, Gotthold Ephraim: Nathan der Weise. Erläuterungen und Dokumente. Hrsg. v. Peter von Düffel. Stuttgart 1972.
- 28) Lessing, Gotthold Ephraim: Werke in fünf Bänden, Nathan der Weise, Theologischen und philosophische Schriften, Bd. 2. München 1978.
- 29) Lessing, Gotthold Ephraim: Werke in fünf Bänden, Sinngedichte, Lieder, Fabeln Erzählungen, Abhandlungen über die Fabel, Dramenfragmente, Aus den Nachlaß, Bd. 5. München 1978.
- 30) Lessing, Gotthold Ephraim: Werke. Dichtung, Bd. 1. München 1994.

- 31) Lessing, Gotthold Ephraim: Werke. Gedichte. Fabeln. Dramen. Hrsg. v. Kurt Wölfel, Bd. 1. Frankfurt am Main 1967.
- 32) Lessing, Gotthold Ephraim: Werke, Kritische Schriften, Theologische Schriften, Bd. 1. München 1995.
- 33) Lessing, Gotthold Ephraim: Werke. Schriften I, Schriften zur Poetik, Dramaturgie und Literaturkritik. Hrsg. v. Kurt Wölfel, Bd. 2. Frankfurt am Main 1967.
- 34) Lessing, Gotthold Ephraim: Werke. Schriften II, Antiquarische Schriften, Theologische und philosophische Schriften. Hrsg. v. Kurt Wölfel, Bd. 3. Frankfurt am Main 1967.
- 35) Lessing, Gotthold Ephraim: Werke. Vermischte Schriften, Bd. 3. München 1995.
- 36) Lessing, Gotthold Ephraim: Werke. Dramen, Kritisch durchgesehene und erläuterte Ausgabe. Hrsg. v. Georg Witkowski, Bd. 2. Leipzig und Wien 1911.
- 37) Lessing, Gotthold Ephraim: Werke. Gedichte und Dramen, Kritisch durchgesehene und erläuterte Ausgabe. Hrsg. v. Georg Witkowski, Bd. 1. Leipzig und Wien 1911.
- 38) Lessing, Gotthold Ephraim: Werke. Hamburgische Dramaturgie, Kritisch durchgesehene und erläuterte Ausgabe. Hrsg. v. Georg Witkowski, Bd. 5. Leipzig und Wien 1966.
- 39) Lessing, Gotthold Ephraim: Werke. Laokoon Dramaturgie, Kritisch durchgesehene und erläuterte Ausgabe. Hrsg. v. Georg Witkowski, Bd. 4. Leipzig/ Wien/ Berlin 1966.
- 40) Lessing, Gotthold Ephraim: Werke. Theologische Schriften. Kritisch durchgesehene und erläuterte Ausgabe. Hrsg. v. Georg Witkowski, Bd. 7. Leipzig und Wien 1911.
- 41) Lessing, Gotthold Ephraim: Werke. Über den Briefen antiquarischen Inhalts. Kritisch durchgesehene und erläuterte Ausgabe. Hrsg. v. Georg Witkowski, Bd. 6. Leipzig und Wien 1968-1969.

42) Mendelssohn, Moses: Gesammelte Schriften, hrsg. v. Ismar Elbogen, Bd. VIII. Frankfurt am Main 1985-1998.

43) Neue-Welt-Übersetzung der Heiligen Schrift, übersetzt nach der revidierten englischen Wiedergabe von 1970 unter getreuer Berücksichtigung der hebräischen, aramäischen und griechischen Ursprache, herausgegeben v. Watchtower Bible and Tract Society of New York, Inc. New York 1971.

44) Neue-Welt-Übersetzung der Heiligen Schrift, übersetzt nach der revidierten englischen Wiedergabe 1984 unter getreuer Berücksichtigung der hebräischen, aramäischen und griechischen Ursprache, revidiert 1986.

45) Die Bibel. Nach der Übersetzung Martin Luthers. Stuttgart 1985.

46) Reiske, Johann Jacob: Prodidagmata ad Hagji Chalifa librum memorialem rerum a Muhammedanis gestarum exhibentia introductionem generalem in historiam sic dictam orientalem [verf. 1747]. In: J. B. Koehler: Abulfedae tabulae Syriae. Lipsiae 1766.

47) Sa'di, Muslih al-Din: Der Rosengarten. Nach der Übersetzung von K. H. Graf, neu bearbeitet v. D. Bellmann. Bremen 1982.

48) Schlegel, Friedrich (1772-1829): beeinflusst das Lessing-Bild der Romantik nachhaltig mit seiner Charakteristik „Über Lessing“ im Lyceum der schönen Künste. Ersten Bandes Zweiter Teil. Berlin 1797.

49) Schultze, Harald: Lessings Toleranzbegriff. Eine theologische Studie. Göttingen 1969.

50) Tyros, Wilhelm von: Historia rerum in partibus transmarinis gestarum, in: Recueil des Historiens des Croisades, Occid I/1-2, Paris 1844, Übersetzung aus: W.Wulf (Hg.), Geschichtliche Quellenhefte, Heft 3. Wieder abgedruckt in R. Mokrosch, H. Walz, Kirchen und Theologiegeschichte in Quellen, Bd II. Neukirchen 1979.

51) Wieland, Christoph Martin: Geschichte des Weisen Danischmend 1775.

52) Wieland, Christoph Martin: Sämtliche Werke. Hrsg. v. Hans Radspieler u. Neu-Ulm, Band 8. Hamburg 1984.

53) Wies, Benno von: Schillers Werke. Nationalausgabe. Bd. 20. Weimar/ Böhlau 1962.

Forschungsliteratur . المصادر البحثية

- 1) Al-Asali, Bassam: Salah-ad-Din al-Aiyubi. Kairo 1986.
- 2) Albert, Claudia: Der melancholische Bürger, Ausbildung bürgerlicher Deutungsmuster im Trauerspiel Diderots und Lessing. Frankfurt am Main/ Berlin 1983.
- 3) Albrecht, Wolfgang (Hg.): Aufklärung nach Lessing. Beiträge zur gemeinsamen Tagung der Lessing Society und des Lessing-Museums Kamenz aus Anlaß seines 60 jährigen Bestehens. Kamenz 1992.
- 4) Albrecht, Wolfgang: Streitbarkeit und Menschlichkeit. Studien zur literarischen Aufklärung Lessings. Stuttgart 1993.
- 5) Allison, Henry E.: Lessing and the Enlightenment. His Philosophy of Religion and Ist Relation to Eighteenth-Century Thought. Michigan 1966.
- 6) Al-Qalamawi, Zuheir: Alf Laila wa-Laila. Kairo 1976.
- 7) Al-Samarai, Abdul-eljabar M.: Tathir Alf Laila wa-Laila a la-al-Adab al-Aurobi. Bagdad 1982.
- 8) Al-Tabatabaiy, Mohammed Hussein: Qusas al- Anbiya. Beirut 2002.
- 9) Al-Taher, Ali Gewad: Awni Karoumi wal-Masrah al-Shabi. Kairo 2002.
- 10) Althaus, Thomas: Das Uneigentliche ist das Eigentliche. Metaphorische Darstellung in der Prosa bei Lessing und Lichtenberg. Münster 1991.
- 11) Améry, Jean: Lessingscher Geist und die Welt von heute. Rede zur Eröffnung des Wolfenbütteler Lessinghauses am 15. April 1978.
- 12) Wolfenbüttel 1978. Arnold, E.: Die ersten Christen. Brief an Diognet 2. Berlin 1926.
- 13) Awad, Muhammad Munis Ahmad: al-Hurub assalibiya: al-alaaqat bain s-sarq wal garb fil-qarnain 12-13 m. Kairo 1999 - 2000.
- 14) Bahr, Ehrhard: Was ist Aufklärung? Thesen und Definitionen. Stuttgart 1964. Bibliographisch ergänzte Ausgabe 1996.

- 15) Bauer, Franz: Gotthold Ephraim Lessing. Das Erwachen des bürgerlichen Geistes. Berlin 1910.
- 16) Bauer, Sibylle: Gotthold Ephraim Lessing. Darmstadt 1968.
- 17) Berger, Arnold: Lessings gesellschaftliche Stellung. Darmstadt und Leipzig 1929.
- 18) Biedermann, Flodoard Freiherrn von: Gotthold Ephraim Lessings Gespräche. Berlin 1923.
- 19) Biegel, Gerd: Lessing in Braunschweig und Wolfenbüttel, Braunschweig 1997.
- 20) Birus, Hendrik: Poetische Namensgebung zur Bedeutung der Namen in Lessings „Nathan der Weise“. Göttingen 1978.
- 21) Bobzin, Hartmut: Mohammed. München 2000.
- 22) Bohnen, Klaus: Geist und Buchstabe. Zum Prinzip des kritischen Verfahrens in Lessings literaturästhetischen und Theologischen Schriften. Köln 1974.
- 23) Bohnen, Klaus: Lessings Nathan der Weise. Darmstadt 1984.
- 24) Bollacher, Martin: Lessing; Vernunft und Geschichte, Untersuchungen zum Problem religiöser Aufklärung in den Spätschriften, Tübingen 1978.
- 25) Bolliger, Max: Die Geschichte des weisen Nathan. Freiburg im Breisgau 2004.
- 26) Bothe, Bernd: Glauben und Erkennen - Studie zur Religionsphilosophische Lessing. Meisenheim am Glan 1972.
- 27) Boyens, Erich: Glauben alle an denselben Gott? Antworten der Religionen. Stuttgart 1969.
- 28) Braun, Julius W.: Lessing im Urteile seiner Zeitgenossen, 1747-1781, in 3 Bänden. Berlin 1884-1897.
- 29) Briegleb, Klaus: Lessings Anfänge 1742-1746. Zur Grundlegung kritischer Sprachdemokratie. Frankfurt am Main 1971.

- 30) Brock-Sulzer, Elisabeth: Gotthold Ephraim Lessing. Hannover 1967.
- 31) Bühler, Arnold: Der Kreuzzug Friedrich Barbarossas (1187-1190). Bericht eines Augenzeugen. Stuttgart 2002.
- 32) Call, Daniel: Frauen sind bessere Männer. Interview mit Daniel Call, dem Regisseur der Nathan-Aufführung in Rostock, in der OstseeZeitung vom 11.10.2001.
- 33) Chodowiecki, Daniel: Gotthold Ephraim Lessings Sinngedichte. Berlin 1980.
- 34) Claus, Madeleine: Lessing und die Franzosen. Höflichkeit - Laster - Witz, Rheinfelden 1983.
- 35) Cyranka, Daniel: Lessing im Reinkarnationsdiskurs. Eine Untersuchung zu Kontext und Wirkung von G. E. Lessings Texten zur Seelenwanderung. Göttingen 2005.
- 36) Daniel, Norman: Islam and the West and the Making of an Image. Oxford 1960.
- 37) Daunicht, Richard: Lessing im Gespräch, Berichte und Urteile von Freunden und Zeitgenossen. München 1971.
- 38) Demetz, Peter (Hg.): Gotthold Ephraim Lessing, Nathan der Weise, vollständiger Text und Dokumentation. Frankfurt am Main und Berlin 1966.
- 39) Deneke, Otto: Lessing und die Possen 1754. Heidelberg 1923.
- 40) Desch, Joachim: Taktische und praktische Toleranz. Lessings Haltung zur Wahrheit des Glaubens. In: Lessing und die Toleranz. Hrsg. Peter Freimark. Detroit 1986.
- 41) Deschner, Günther: Saladins Söhne. Die Kurden - das betrogene Volk. München 1983.
- 42) Dreßler, Thomas: Dramaturgie der Menschheit - Lessing. Weimar 1996.
- 43) Drews, Wolfgang: Gotthold Ephraim Lessing in Selbstzeugnissen und Bilddokumenten. Hamburg 1962.

- 44) Droese, Detlef: Lessing und die Sprache. Zürich 1968.
- 45) Düffel, Peter von: Erläuterungen und Dokumente. G.E. Lessing, Nathan der Weise. Stuttgart 1972.
- 46) Düffel, Peter von: Gotthold Ephraim Lessing, Nathan der Weise. Stuttgart 1989.
- 47) Düntzer, Heinrich: Lessings Leben. Leipzig 1882.
- 48) Düntzer, Heinrich: Lessings Nathan der Weise. Leipzig 1894.
- 49) Durzak, Manfred: Poesie und Ratio: Vier Lessing-Studien. Homburg 1970.
- 50) Durzak, Manfred: Zu Gotthold Ephraim Lessing. Poesie im bürgerlichen Zeitalter. Stuttgart 1984.
- 51) Dvoretzky, Edward: Lessing Dokumente zur Wirkungsgeschichte 1755-1968, in 2 Bänden. Göppingen 1971-1972.
- 52) Dvoretzky, Edward: Lessing Heute. Beiträge zur Wirkungsgeschichte. Stuttgart 1981.
- 53) Eckardt, Jo-Jacqueline: Lessing's Nathan the Wise and the Critice: 1779-1991. Columbia/ USA 1993.
- 54) Eitel, Wolfgang: Die romanische Novelle. Darmstadt 1977.
- 55) Endreß, Gerhard: Einführung in die islamische Geschichte. München 1982.
- 56) Engel, Eva J./ Ritterhoff, Claus (Hg.): Neues zur Lessing-Forschung, Ingrid Strohschneider-Kohrs Ehren am 26. August 1997. Tübingen 1998.
- 57) Eppelsheimer, Hanns W.: Handbuch der Weltliteratur - von den Anfängen bis zur Gegenwart. Frankfurt a. Main 1960.
- 58) Ernst, Adolf Wilhelm: Lessings Leben und Werke. Stuttgart 1903.
- 59) Ess, J. van: Theologie und Gesellschaft im 2. und 3. Jahrhundert Hidschra. Eine Geschichte des religiösen Denkens im frühen Islam. Berlin/ New York 1992.

- 60) Fischer, Barbara: Nathans Ende? Von Lessing bis Tabori: Zur deutsch-jüdischen Rezeption von ‚Nathan der Weise‘. Göttingen 2000.
- 61) Fischer, Rund: G. E. Lessing als Reformator der deutschen Literatur. Stuttgart und Berlin 1904.
- 62) Fittbogen, Goofried: Die Religion Lessings. Leipzig 1923.
- 63) Flottau, Heiko: Die Scharia regelt alles, SZ. 9./10. Dezember 2006.
- 64) Fratzke, Dieter: Lessings Lebensweg in musealen Bildern. Kamenz 1994.
- 65) Freimark, Peter: Lessing und die Toleranz. Vorträge der vierten internationalen Konferenz der Lessings Society in Hamburg vom 27. bis 29. Juni 1985, Sonderband zum Lessing Yearbook. München 1986.
- 66) Frembgen, J.: Derwische. Gelebter Sufismus. Köln 1993.
- 67) Freund, Gerhard: Erkenntliche Wahrheit. Anregungen Lessings zum Dialog zwischen Christen und Juden. In: Lessing und die Toleranz. Hrsg. v. Peter Freimark. Detroit 1986.
- 68) Freund, Gerhard: Theologie im Widerspruch. Die Lessing-Goeze-Kontroverse. Stuttgart/ Berlin/ Köln 1989.
- 69) Gabrieli, Francesco: Die Kreuzzüge aus arabischer Sicht. Augsburg 1999.
- 70) Gastrow, Paul: War Lessing ein ‚frommer‘ Mann? Gießen 1904.
- 71) Gaycken, Hans-Jürgen: Gotthold Ephraim Lessing. Kritik seiner Werke in Aufklärung und Romantik. Frankfurt am Main/ Bern 1980.
- 72) Gent, Werner: Weltanschauung. Eine systematische und problemgesellschaftliche Untersuchung. Erläutert am Beispiel der Weltanschauung Lessings. Darmstadt 1931.
- 73) Göbel, Helmut: Bild und Sprache bei Lessing. München 1971.
- 74) Göbel, Helmut: Lessings Nathan. Der Autor, der Text, seine Umwelt, seine Folgen. Berlin 1993.
- 75) Goer, Charis/ Hofmann, Michael (Hg.): Der Deutschen Morgenland, Bilder des Orients in der deutschen Literatur und Kultur von 1770 bis 1850. München 2008.

- 76) Große, Wilhelm: Stundenblätter - Lessings ‚Nathan‘ und die Literatur der Aufklärung. Stuttgart/ München/ Düsseldorf/ Leipzig 1996.
- 77) Guhrauer, G. E.: Gotthold Ephraim Lessing. Sein Leben und seine Werke, in 2 Bänden. Berlin 1880-1882.
- 78) Gustafson, Susan E.: Absent Mothers und Orphaned Fathers, Narcissism und Abjection in Lessing's Aesthetic und Dramatic Production. Detroit 1995.
- 79) Guthke, Karl S.: Lessings Horizonte, Grenzen und Grenzenlosigkeit der Toleranz. Göttingen 2003.
- 80) Haas, Friederike de: Weiblichkeitsentwürfe und Frauen im Werk Lessings - Aufklärung und Gegenaufklärung bis 1800. Kamenz 1997.
- 81) Haas, Hans: Das Bild Mohammeds im Wandel der Zeiten. Berlin 1916.
Haffner, H.: Eine Studie über G. E. Lessing. Köln 1878.
- 82) Harris, Edward P. (Hg.): Lessing in heutiger Sicht. Beiträge zur Internationalen Lessing-Konferenz Cincinnati, Ohio 1976. Bremen und Wolfenbüttel 1977.
- 83) Harth, Dietrich: Gotthold Ephraim Lessing, oder die Paradoxien der Selbsterkenntnis. München 1993.
- 84) Hasselbeck, Otto: Illusion und Fiktion. Lessing Beitrag zur poetologischen Diskussion über das Verhältnis von Kunst und Wirklichkeit. München 1979.
- 85) Hasselberg, Felir: Eine Lessing-Reliquie aus Gleims Freundschaftstempel. Berlin. Friedenau 1919.
- 86) Hawari, Emma: Johnson's und Lessing's Dramatic Critical Theories und Practice with a Consideration of Lessing's Affinities with Johnson. Bern/ Berlin/ Frankfurt am Main/ New York/ Paris/ Wien 1991.
- 87) Heftrich, Eckhard: Lessings Aufklärung zu den theologisch-philosophischen Spätschriften. Frankfurt am Main 1978.
- 88) Helbig, Louis Ferdinand (Hg.): Gotthold Ephraim Lessing. Die Erziehung des Menschengeschlechts, Historisch-kritische Edition mit Urteilen Lessings und seiner Zeitgenossen, Einleitung, Entstehungsgeschichte und Kommentar. Bern/ Frankfurt am Main 1980.

- 89) Hildebrandt, Dieter: Lessing, Biographie einer Emanzipation. München/ Wien 1979.
- 90) Hillen, Gerd: Lessing Chronik, Daten zu Leben und Werk. München. Wien 1979.
- 91) Hoensbroech, Marion Gräfin: Die List der Kritik. Lessings kritische Schriften und Dramen. München 1976.
- 92) Homann, Renate: Selbstreflexion der Literatur. Studien zu Dramen G. E. Lessing und H. von Kleist. München 1986.
- 93) Horsch, Silvia: Rationalität und Toleranz. Lessings Auseinandersetzung mit dem Islam. Würzburg 2004.
- 94) Huntington, Samuel P.: Der Kampf der Kulturen, The Clash of Civilizations. Die Neugestaltung der Weltpolitik im 21. Jahrhundert. München 1997.
- 95) Hüskens-Hasselbeck, Karin: Stil und Kritik. Dialogische Argumentation in Lessings philosophischen Schriften. München 1978.
- 96) Ibn al- thir, al- Kamel: al- Kulafa al- Fatimeen, Bd 2. Kairo 1971.
- 97) Ibn-Saddad, K. Baha- ad- Din: Sirat. Sala-h-ad-Din al- Aijubi al- musammat bin- Nawadir assul. Tanijja wal- man. Hasin al- jusufijja. Kairo 1903. Irwin, Robert: Die Welt von Tausendundeiner Nacht. Aus dem Englischen übersetzt und für den deutschen Leser ergänzt von Wiebke Walther. Frankfurt am Main/ Leipzig 1997.
- 98) Jacobi, Eckart: Lessings Weltanschauung. Berlin 1932.
- 99) Jacobs, Jürgen: LESSING. Eine Einführung. München und Zürich 1986.
- 100) Jaeckle, Erwin: Baumeister der unsichtbaren Kirche. Lessing, Adam Müller, Carus. Stuttgart 1977.
- 101) Jäger, Ludwig: Gotthold Ephraim Lessing ‚Nathan der Weise‘. Salzburg 1984.
- 102) Jäger, Oskar: Die Religion Lessings, Schillers und Goethes. Leipzig 1928.

- 103) Jaspert, Nikolas: Die Kreuzzüge. Darmstadt 2003.
- 104) Jens, Walter: In Sachen Lessings. Vorträge und Essays. Stuttgart 1931.
- 105) Jens, Walter: Lessing und die Antike. Rede zur Eröffnung der 15. Tagung der Mommsen-Gesellschaft in der Herzog-August-Bibliothek Wolfenbüttel am 16. Mai 1978. Wolfenbüttel 1978.
- 106) Joachim Jungius Gesellschaft der Wissenschaften (Hg.): Lessing und die Zeit der Aufklärung. Göttingen 1968. S. 154.
- 107) Joachimi-Dege, M.: Lessings Religion. München 1911.
- 108) Keller, Ernst: Kritische Intelligenz. G. E. Lessing - F. Schlegel - L. Börne - Studie zu ihren literaturkritischen Werken. Bern/ Frankfurt am Main 1976.
- 109) Kessler, Ulrike: Richard I. Löwenherz. König, Ritter, Abenteurer. Köln 1995.
- 110) Kiesel, Helmuth: Problem der Begründung der Toleranz im 18. Jh. In: Festgabe für Ernst Walter Zeeden, hrsg. v. Horst Rabe. Münster/ Aschendorff 1976. S. 370-385.
- 111) Kinder, Hermann: Atlas zur Weltgeschichte von Anfängen bis zur Gegenwart. München 1970.
- 112) Knodt, Eva M.: ‚Negative Philosophie‘ und dialogische Kritik. Zur Struktur poetischer Theorie bei Lessing und Herder. Tübingen 1988.
- 113) Kobayashi, Ekiko: Lessings Anfänge - die frühen Lustspiele im Kontext der Zeit. Bochum/Freiburg 2003.
- 114) Kofink, Heinrich: Lessings Anschauung über die Unsterblichkeit und Seelenwanderung. Strassburg 1912.
- 115) Kommerell, Max: Lessing und Aristoteles. Untersuchung über die Theorie der Tragödie. Darmstadt 1960.
- 116) König, Dominik von: ‚Natürlichkeit und Wirklichkeit. Studie zu Lessings, Nathan de Weise‘. Bonn 1976.

- 117) Konzelmann, Gerhard: Die Araber und ihr Traum vom Großarabischen Reich. München 1974.
- 118) Kreft, Jürgen: Theorie und Praxis der intentionalistischen Interpretation. Brecht-Lessing-Max Brod-Werner Jansen. Frankfurt am Main 2006.
- 119) Kröger, Wolfgang: Das Publikum als Richter. Lessing und die ‚kleineren Respondenten‘ im Fragmentstreit. Nendeln/ Liechtenstein 1979.
- 120) Küng, Hans: Der Islam. Geschichte, Gegenwart, Zukunft. München 2004.
- 121) Kuschel, Karl-Josef: Jud, Christ und Muselmann vereinigt. Lessings ‚Nathan der Weise‘. Düsseldorf 2004.
- 122) Kuschel, Karl-Josef: Vom Streit zum Wettstreit der Religionen. Lessing und die Herausforderung des Islam. Düsseldorf 1998.
- 123) Lach, Roman: Lessings Skandale. Tübingen 2005.
- 124) Lampport, F. J.: Lessing and the Drama. Oxford 1981.
- 125) Läßle, Alfred: Report der Kirchengeschichte. München 1968.
- 126) Laufen, Rudolf: Gotthold Ephraim Lessings Religionstheologie - eine bleibende Herausforderung. Anregungen für ein fächerverbindendes Unterrichtsprojekt, besonders an katholischen Schulen in freier Trägerschaft. Aachen 2006.
- 127) Leeb, Thomas: Toleranz. Texte zur Theorie und politischen Praxis. Stuttgart 1987.
- 128) Lehmann, August: Lessings Sprache. Braunschweig 1875.
- 129) Liebmann, Hans W.: Lessing und die mittelalterliche Philosophie. Studien zur wissenschaftlichen Rezeptions- und Arbeitsweise Lessings und seiner Zeit. Stuttgart 1931.
- 130) Lorey, Christoph: Lessings Familienbild im Wechselbereich von Gesellschaft und Individuum. Bonn/ Berlin 1992.
- 131) Löwisch, Dieter-Jürgen: Gotthold Ephraim Lessing. Interpretation zur Anthropologie. Münster 1970.

132) Ludendorff, Mathilde: Lessings Geisteskampf und Lebensschicksal. München 1937.

133) Lüpke, Johannes von: Weg der Weisheit. Studie zu Lessings Theologiekritik. Göttingen 1989.

134) Maalouf, Amin: Der Heilige Krieg der Barbaren. Die Kreuzzüge aus der Sicht der Araber. München 2004.

135) Mann, Otto: Lessing-Kommentar zu den Dichtungen und ästhetischen Schriften. München 1971.

136) Mann, Otto und Mann, Rotraut Straube-Mann: Lessing Kommentar zu den Dichtungen und ästhetischen Schriften, in 2 Bänden. München 1971.

137) Mann, Otto: Lessing, Sein und Leistung. Hamburg 1949.

138) Mauser, Wolfram: Streitkultur. Strategien des Überzeugens im Werk Lessings. Tübingen 1993.

139) May, Kurt: Lessings und Herders kunsttheoretische Gedanken in ihrem Zusammenhang. Berlin 1923.

140) Mayer, Hans Eberhard: Geschichte der Kreuzzüge. Stuttgart 2000.

141) Mehring, Franz: Die Lessing-Legende. Eine Rettung von Franz Mehring. Stuttgart 1893.

142) Mehring, Franz: Die Lessing-Legende. Mit einer Einleitung von Rainer Gruenter. Frankfurt am Main/ Berlin/ Wien 1972.

143) Menzel, Gerhard W.: Wolfenbütteler Jahre. Eine Erzählung um Lessing. Halle/ Leipzig 1980.

144) Metzger, Michael M.: Lessing und the Language of Comedy. Paris 1966.

145) Metzger, Willi: Die Entwicklung von Lessings Briefe. Eine Analyse der gestaltbildenden seelischen Verfassungen. Gießen 1926.

146) Michelsen, Peter: Der unruhige Bürger. Studien zu Lessing und zur Literatur des achtzehnten Jahrhunderts. Würzburg 1990.

- 147) Milger, Peter: Die Kreuzzüge, Kriege im Namen Gottes. Freiburg 1992.
- 148) Möbius, Thomas: Erläuterung zu Gotthold Ephraim Lessing ‚Nathan der Weise‘. Hollfeld 2005.
- 149) Möhring, Hannes: Saladin und der Dritte Kreuzzug. Aiyubische Strategie und Diplomatie im Vergleich vornehmlich der arabischen mit den lateinischen Quellen. Wiesbaden 1980.
- 150) Mommsen, Katharina: Goethe und der Islam. Stuttgart 1964.
- 151) Mommsen, Katharina: Goethe und die arabische Welt. Frankfurt a. M. 1988.
- 152) Moore, Evelyn K.: The Passion of Rhetoric. Lessing's Theory of Argument und the German Enlightenment. Netherland 1993.
- 153) Müller, Paul: Untersuchungen zum Problem der Freimaurerei bei Lessing, Herder und Fichte. Bern 1965.
- 154) Müller-Krüger, Th. (Hg.): In sechs Kontinen-ten. Stuttgart 1964.
- 155) Muncker, Franz: Lessings persönliches und literarisches Verhältnis zu Klopstock. Frankfurt a. M. 1880.
- 156) Nauk, Polska Akademia: Lessing und Probleme der deutschen und der politischen Aufklärung. Poland 1983.
- 157) Neis, Edgar: Klassische Dramen und Erzählungen aus heutiger Sicht. Hollfeld 1994.
- 158) Neuhaus-Koch, Ariane: G. E. Lessing. Die Sozialstrukturen in seinen Dramen. Bonn 1977.
- 159) Niewöhner, Friedrich: ‚Veritas sive Varietas‘ Lessings Toleranzparabel und das Buch von den drei Betrügern. Heidelberg 1988.
- 160) Nölle, Volker: Subjektivität und Wirklichkeit in Lessings dramatischem und theologischem Werk. Berlin 1977.
- 161) Nuri, Duraid Abdalqadir: Sijasat. Salahaddin al-Ajjubi fi bilad Misr we-s-Sam wa-l-Gazira. Bagdad. 1976.

- 162) Oehlka, Waldemar: Lessing und seine Zeit, in 2 Bänden. München 1919.
- 163) Otto, Uwe: Lessings Verhältnis zur französischen Darstellungstheorie. Frankfurt am Main/ Bern 1976.
- 164) Pătrăscanu, Johan Vasile: Lessings Übersetzungen aus dem Französischen. Berlin 1929.
- 165) Pelster, Theodor: Lektüreschlüssel. G.E. Lessing ‚Nathan der Weise‘. Stuttgart 2005.
- 166) Pelters, Wilm: Lessings Standort. Sinndeutung der Geschichte als Kern seines Denkens. Heidelberg 1972.
- 167) Peter, Klaus: Studie der Aufklärung. Moral und Politik bei Lessing, Novalis und Friedrich Schlegel. Wiesbaden 1980.
- 168) Peterson, Julius: Lessingfeier. Zur Erinnerung an den 200 jährigen Geburtstag. Berlin 1929.
- 169) Pfeil, Victoria: Lessing und die Schauspielkunst. Ein Beitrag zur Geschichte der unmittelbaren Bühnenanweisung. Darmstadt 1924.
- 170) Polaschegg, Andrea: Der andere Orientalismus - Regeln deutschmorgenländischer Imagination im 19. Jahrhundert. Berlin/ New York 2005.
- 171) Pracht-Fitzell, Ilse: Blendung und Wandlung. Lessings Dramen in psychologischer Sicht. Berlin/ Wien/ Paris/ New York 1993.
- 172) Prutti, Brigitte: Bild und Körper. Weibliche Präsenz und Geschlechterbeziehungen in Lessings Dramen. Würzburg 1996.
- 173) Quapp, Erwin: Lessings Theologie statt Jacobis ‚Spinozismus‘. Eine Interpretation der „Erziehung des Menschengeschlechts“ auf der Grundlage der Formel „hen ego kai pan“. Bern/ Berlin/ Frankfurt am Main 1992.
- 174) Rabbe, Paul: Das Lessinghaus in Wolfenbüttel. Ein Literaturmuseum für einen deutschen Schriftsteller des 18. Jahrhunderts. Wolfenbüttel 1978.
- 175) Raschdau, Christine: Die Aktualität der Vergangenheit. Zur gesellschaftlichen Relevanz der Lessing-Rezeption im 18. Jahrhundert und Heute. Harnstein 1979.

176) Rau, Johannes: Religionsfreiheit heute. Zum Verhältnis von Staat und Religion in Deutschland: Rede beim Festakt zum 275. Geburtstag von Gotthold Ephraim Lessing in der Herzog- August- Bibliothek zu Wolfenbüttel am 22. Januar 2004. Berlin 2004.

177) Reemtsma, Jan Philipp: Lessing in Hamburg 1766-1770. München 2007.

178) Reifendberg, Bernd: Lessing und die Bibliothek. Wiesbaden 1995. Ricklef, Jürgen: Lessings Theorie vom Lachen und Weinen. Jena 1907.

179) Riedel, Volker: Lessing und die römische Literatur. Weimar 1976.

180) Rilla, Paul: Lessing und sein Zeitalter. München 1973.

181) Ritzel, Wolfgang: Gotthold Ephraim Lessing. Stuttgart/ Berlin/ Köln/ Mainz 1966.

182) Roch, Herbert: Der Junge Lessing. Briefe, Gedichte, Schriften. Berlin 1948.

183) Röhrs, Friedrich Otto Wilhelm: Narrative Strukturen in Lessings Dramen. Eine strukturalistische Studie. Hamburg 1980.

184) Rölleke, Heinz: Gotthold Ephraim Lessing Fabeln. Abhandlungen über die Fabel. Stuttgart 1987.

185) Ruthven, Malise: Der Islam. Eine kurze Einführung. Stuttgart 2000.

186) Sadji, Amadou Booker: Lessing und das französische Theater. Stuttgart 1982.

187) Santini, von Lea Ritter: Eine Reise der Aufklärung. Lessing in Italien 1775. Braunschweig 1993.

188) Sauer, August: Joachim Wilhelm von Brawe, der Schüler Lessings. Straßburg/ Trübner 1878.

189) Schalabi, Iman: Die Verwendung der Analysekategorien ‚Fragen‘ und, ‚Argumentieren‘ bei der Interpretation von Lessings Ringparabel in seinem Werk, ‚Nathan der Weise‘ - Eine interdisziplinäre Studie. Hamburg 2002.

190) Schilson, Arno: ‚... auf meiner alten Kanzel, dem Theater‘. Über Religion und Theater bei Gotthold Ephraim Lessing. Göttingen 1997.

191) Schilson, Arno: Geschichte im Horizont der Vorsehung. G. E. Lessing Beitrag zu einer Theologie der Geschichte. Mainz 1974.

192) Schimmel, Annemarie: Meine Seele ist eine Frau. Das Weibliche im Islam. München 1995.

193) Schmidt, Erich: Goezes Streitschriften gegen Lessing. Stuttgart 1893.

194) Schmidt, Erich: Lessing. Geschichte seines Lebens und seiner Schriften, Bd. II. Berlin 1892.

195) Schmidt, Jutta Gädeke: Lessings Philotas, Ästhetisches Experiment mit satirischer Wirkungsabsicht. New York/ Frankfurt am Main/ Paris 1988.

196) Schneider, Heinrich: Lessing. zwölf biographische Studien mit vier Tafeln. München 1951.

197) Schneider, Johannes: Lessings Stellung zur Theologie. Amsterdam 1953.

198) Scholz, Hannelore: Widersprüche im bürgerlichen Frauenbild. Zur ästhetischen Reflexion und politischen Praxis bei Lessing, Friedrich Schlegel und Schiller. Weinheim 1992.

199) Scholz, Piotr O.: Die Sehnsucht nach Tausendundeiner Nacht. Begegnung von Orient und Okzident. Stuttgart 2002.

200) Schröder, Jürgen: Gotthold Ephraim Lessing. Sprache und Drama. München 1972.

201) Schultze, Harald: Lessings Toleranzbegriff. Eine Theologische Studie. Göttingen 1969.

202) Schulz, Ursula: Lessing auf der Bühne. Chronik der Theateraufführungen 1748-1789. Bremen und Wolfenbüttel 1977.

203) Scott, Ridley: ‚Königreich der Himmel‘- Filmvorstellung. Berlin 2005.

204) Scott-Prelorenz, Alison: <Kein kleiner Raub, ein solch Geschöpf>.

<Nathan der Weise> und die Judenfrage. In: Lessing und die Toleranz. Hrsg. v. Peter Freimark. Detroit 1986.

205) Sedding, Gerhard: Lektürehilfen Gotthold Ephraim Lessing ‚Nathan der Weise‘. Düsseldorf 1996.

206) Sedylkow, Efraim von: Degel Machneh Efrajim. Dessau 1808.

207) Seelgen, Theodor: Lessings jambische Dramenfragmente. Berlin 1930.

208) Seidel, Siegfried: Gotthold Ephraim Lessing. Eine Einführung in sein Leben 1729-1781. Berlin 1963.

209) Selbert, Thomas: Der Tagesspiegel, 15. September 2006 / 62 Jahrgang / NR. 19 312.

210) Sennett, Richard: Verfall und Ende des öffentlichen Lebens. Die Tyrannei der Intimität. Frankfurt am Main 1986.

211) Sichelschmidt, Gustav: Lessing. Der Mann und sein Werk. Düsseldorf 1989. Smend, Rudolf (Hg.): Lessings Nachlassfragmente zum Alten Testament. Göttingen 1979.

212) Specht, Rolf: Die Rhetorik in Lessings ‚Anti-Goeze‘. Ein Beitrag zur Phänomenologie der Polemik. Bern/ Frankfurt am Main/ New York 1986.

213) Stadelmaier, Gerhard: Lessing auf der Bühne. Ein Klassiker im Theateralltag (1968-1974). Tübingen 1980.

214) Steinmetz, Horst: Lessing - ein unpoetischer Dichter. Frankfurt am Main/ Bonn 1969.

215) Stiftung Christliche Medien: Das Johannes-Evangelium. Der Hintergrund zur Passion Christi. Sonderausgabe zum Film »Die Passion Christi« von Mel Gibson. Holzgerlingen 2004.

216) Strauß, David Friedrich: Lessings ‚Nathan der Weise‘. Berlin 1864. Strodthmann, Adolf: G. E. Lessing. Ein Lebensbild. Berlin 1878.

217) Strohschneider-Kohrs, Ingrid: Vernunft als Weisheit. Studie zum späteren Lessing. Tübingen 1991.

- 218) Sturges, Beate: Lessing als Wegbereiter der Emanzipation der Frau. New York: 1989.
- 219) Suesse-Fiedler, Sigrid: Lessings ‚Nathan der Weise‘ und sein Leser. Eine wirkungsästhetische Studie. Stuttgart 1980.
- 220) Talal, Aida: Saladin Aijubi. Amman 1996.
- 221) Tegtmeier, Christian: Gotthold Ephraim Lessing und der Braunschweig'sche Pfarrerstand. Wolfenbüttel 2007.
- 222) Thielicke, Helmut: Offenbarung, Vernunft und Existenz. Studien zur Religionsphilosophie Lessing. Gütersloh 1957.
- 223) Thielicke, Helmut: Vernunft und Existenz bei Lessing. Das unbedingte in der Geschichte. Göttingen. 1981.
- 224) Thorau, Peter: Die Kreuzzüge. München 2005.
- 225) Tibi, Bassam: Kreuzzug und Dihad. München/ Bertelsmann 1999.
- 226) Träger, Claus: Lessing - Kritik und Historizität. Berlin 1981.
- 227) Unger, Rudolf: Von Nathan zu Faust. Basel 1916.
- 228) Vonhausen, Astrid J.: Rolle und Individualität. Zur Funktion der Familie in Lessings Dramen. Bern/ Berlin/ Paris/ Wien 1993.
- 229) Wagner, Albert Malte: Lessing. Das Erwachen des deutschen Geistes. Leipzig/ Berlin 1931.
- 230) Waldburg-Zeil, Alois Graf von: Der Westen und die islamische Welt. Stuttgart 2004.
- 231) Walther, Wiebke: Tausendundeine Nacht. Eine Einführung. München und Zürich 1987.
- 232) Wehrli, Beatrice: Kommunikative Wahrheitsfindung. Zur Funktion der Sprache in Lessings Dramen. Tübingen 1983.
- 233) Weil, Gustav: Die Märchen aus 1001 Nacht - Mit den Illustrationen der Ausgabe von 1865, ausgewählt von Sabine Appol. Köln 2006.

- 234) Werder, Karl: Lessings Nathan. Berlin 1892.
- 235) Werner, Hans-Georg (Hg.): Lessing-Konferenz, in 2 Bänden. Halle (Saale) 1980.
- 236) Werner, Hans-Georg: Bausteine zu einer Wirkungsgeschichte. Gotthold Ephraim Lessing. Berlin und Weimar 1984.
- 237) Wessels, Hans-Friedrich: Lessings ‚Nathan der Weise‘. Seine Wirkungsgeschichte bis zum Ende der Goethezeit. Königstein 1979.
- 238) Wolf, Gerhard: ‚Die Ehre hat mich nie gesucht‘. Lessing in Berlin; Gedichte, Stücke, kritische Schriften, Briefe. Frankfurt am Main 1986.
- 239) Wollschläger, Hans: Die bewaffneten Wallfahrten gegen Jerusalem. Geschichte der Kreuzzüge. Göttingen 2003.
- 240) Zeuch, Ulrike: Lessings Grenzen. Wiesbaden 2005.
- 241) Zingg, Peter Ulrich: Lessing und Theater Voltaires. Turbenthal 1966.
- 242) Žmegač, Viktor: Kleine Geschichte der deutschen Literatur von den Anfängen bis zur Gegenwart. Wiesbaden 2004.

Lexika und Wörterbücher المعاجم والقواميس

- 1) DUDEN ‚Fremdwörterbuch‘, Bd. 5. Bearbeitet von Wolfgang Müller. Mannheim/ Wien/ Zürich 1982.
- 2) Fanous, Wadie: Das Deutsche Lexikon - Deutsch - Arabisch. Revidiert von Murad Kamil. Kairo 1963.
- 3) Hughes, Thomas Patrick: Lexikon des Islam. München 2000.
- 4) Lexikon für Theologie und Kirche. Thomaschristen bis Žytomyr. Hrsg. v. Walter Kasper, in 10 Bänden. Freiburg/ Basel/ Rom/ Wien 1993/2001.
- 5) Schregle, Götz: Deutsch- Arabisches Wörterbuch. Wiesbaden 1974.
- 6) The Encyclopaedia of Islam. New Edition in 11 Bänden. Leiden/ London 1960.

Elektronische Quellen المصادر الالكترونية

- 7) Lessing, Gotthold Ephraim(: Nathan der Weise. 2004. <http://www.martinschlu.de/kulturgeschichte/mittelalter/spaetmittelalter/kreuzzug.htm>
- 8) Al-Tabatabaiy, Mohammed Hussein: Almezan fi Tafseer Alkoran, 2000. <http://www.holyquran.net/cgi-bin/almizan.pl?ch=31&vr=20&sp=0&sv=0>
- 9) Arafh, Salah-aldin Ibrahim Abu: „Luqman.. Abd Habashi, am Nabi azeem!“. 2003 und 2005. <http://alassrar.com/sub.asp?page1=study1&field=studies&id=46>
- 10) Bertelsmann: Universallexikon, 1995. <http://www.internetloge.de/arstzei/Issufi.htm>.
- 11) Der Kalif Harun Al-Raschid we- Albaramika. 2006. http://www.islammemo.cc/historydb/one_news.asp?IDnews=394 http://seenjeem.maktoob.com/question?category_id=181&level=L2&question_id=20874
- 12) Der Spiegel Online: Interview mit Herrn Horst-Eberhard Richter, 08.02. 2006. <http://www.spiegel.de/politik/deutschland/0,1518,399575,00.html>
- 13) Farag, Kaled Kamis: Arabische Frauen, 2006. <http://www.angelfire.com/ok3/nesa/>
- 14) Friedrich-Ebert-Stiftung: Vielfalt in der Einheit - Einheit in der Vielfalt - Tage der arabischen Welt in Berlin vom 17-19 September 2006. <http://www.fes.de/international/nahost/pdf/FESFlyerArabWeltdeut.pdf>
- 15) Geistige Nahrung: Dein Diskussionsforum. Mohammed in der Thora namentlich erwähnt. 2008. <http://www.geistigenahrung.org/ftopic8842.html>
- 16) Guist, Erich: Islam und Aufklärung, 2004. http://www.dmkberlin.de/download/diverses/Islam_und_Aufklaerung.pdf
- 17) Hannak, Kristine: Zuspitzung des Toleranzgedankens zu Karl-Josef Kuschels Analyse von Lessings «Nathan der Weise», 2004. http://www.literaturkritik.de/public/rezension.php?rez_id=7399&ausgabe=200409
- 18) Horsch, Silvia: Lessing, der Islam und die Toleranz, 2004. http://www.al-sakina.de/inhalt/artikel/lessing_islam/lessing_islam.html

- 19) Horsch, Silvia: Lessing, der Islam und die Toleranz, 2003. http://www.dmk-berlin.de/dmk_vortraege/LessingIslamToleranz.PDF
- 20) Horsch, Silvia: Lessing, der Islam und die Toleranz. „Toleranz - ein brauchbarer Begriff im interreligiösen Dialog?“ 2004. <http://www.muslimliga.de/archiv/shorsch.html>
- 21) Huber, Wolfgang: Das Verhältnis zum Islam, Toleranz und Religionsfreiheit, 2008. <http://islam.de/9753.php>
- 22) Krzeminski, Adam: Sowohl Voltaire als auch Lessing, 2007. <http://www.perlentaucher.de/artikel/3757.html>
- 23) Kuschel, Karl-Josef: Lessings »Nathan der Weise« als Grundlage einer Friedenserziehung heute, 2002. <http://www.sufi-tariqah.de/tarchiv/kuschel.html>
- 24) Lehmann, Kardinal: Christen und Muslime im Dialog, 2001. <http://www.moschee-schluechtern.de/christen/index.htm>
- 25) NDR-Forum: Islam, Demokratie und „Dialog“, 2004. http://www.moscheeschluechtern.de/texte/raddatz/NDR_041222.htm
- 26) Niewöhner, Friedrich: Der ferne Islam und das nahe Christentum - Gedanken nach Lessings Ringparabel, 2002. <http://db.swr.de/upload/manuskriptdienst/aula/au0420021001.rtf>
- 27) Peymann, Claus: Artikel über seine „Nathan der Weise“ - Inszenierung im Berliner Ensemble, ab 2002. http://www.berliner-ensemble.de/index_spielplan1.htm 11.2007
- 28) Pinkernell, Gert: Französische Literatur, 2002. <http://www.frankreich-experte.de/fr/6/lit/voltaire.html> 2002
- 29) Raddatz, Hans-Perter: Antisemitismus im (Gegenwarts-) Islam: Europa im Konflikt zwischen Toleranz und Ideologie. 2006. <http://www.hagalil.com/archiv/2006/07/islam.htm>
- 30) Raddatz, Hans-Perter: Der Islam, die Frau und der Teufel. 2008. <http://www.moschee-schluechtern.de/texte/raddatz/frauen.htm>
- 31) Raddatz, Hans-Perter: Der Mythos vom toleranten Islam, 2002. <http://www.>

moschee-schluechtern.de/texte/raddatz/toleranzmythos.htm

32) Raddatz, Hans-Perter: Dialog mit Saladin. Lessings „Nathan“ und die Toleranz, 2001. <http://www.moschee-schluechtern.de/texte/raddatz/nathan.htm>

33) Raddatz, Hans-Perter: Islamischer Terror und Demokratie, 2001. <http://www.moschee-schluechtern.de/texte/raddatz/terrorunddemokratie.htm>

34) Raddatz, Hans-Perter: Wer beleidigt Allah? 2001. <http://www.jf-archiv.de/archiv01/151yy45.htm>

35) Salman, Wlyd: Zum Geburtstag des Propheten Mohammed, 2006. <http://www.adabatfal.com/arabic/modules.php?name=News&file=article&sid=759>

36) Schimmel, Annemarie: Den Orient verstehen lernen, Plädoyer für eine Annäherung. Jena 2001. <http://www2.uni-jena.de/journal/schlaglicht/essay.htm>

37) Schmitt, Axel: Die Gärstoffe der Toleranz, Karl S. Guthke et altera beleuchten Lessings Horizonte und deren Bedeutung, 2003. http://www.literaturkritik.de/public/rezension.php?rez_id=6155

عن المؤلف

الدكتور زاحم محمد الشهيلي - الشمري

باحث أكاديمي ودبلوماسي عراقي، ولد في العراق سنة 1967، تخرج من الدراسة الاعدادية في بغداد عام 1987، دخل كلية اللغات - جامعة بغداد سنة 1988 وحصل على شهادة البكالوريوس عام 1993 والماجستير في اللغة الألمانية وآدابها عام 2001، ثم درس مفردات العمل الدبلوماسي وأمن البعثة في المعهد الدبلوماسي المصري ومعهد الدراسات الإستراتيجية في القاهرة عام 2004. انتقل الى ألمانيا أواخر عام 2004، ودرس في معهد غوته في برلين بداية عام 2005، بدأ دراسة الدكتوراه في جامعة روستوك بألمانيا منتصف عام 2005، انتقل بعدها الى جامعة هومبولدت في برلين ليحصل على شهادة الدكتوراه في الادب الألماني الحديث سنة 2010.

من اشهر مؤلفاته في اللغة الألمانية كتاب Lessing und der Islam الذي صدر عام 2011 عن دار النشر الألمانية Hans Schiller في برلين ومدينة توبنغن، منشور على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، وله العديد من المحاضرات والبحوث والدراسات والمقالات المنشورة باللغة العربية في مجالات السياسة والأدب والثقافة وعلم الاجتماع وحوار الحضارات نشرت بعض منها في صحف ومجلات ومواقع الكترونية عراقية وعربية وعالمية. وهناك مؤلفات اخرى قيد الانجاز باللغتين الألمانية والعربية.

المحتويات

7	تمهيد
9	المقدمة
	الباب الأول
27	معرفة لسنغ بالحضارة الإسلامية
28	أولاً: الإسلام في أدب الإستشراق و أدب حركة التنوير الأوروبية
36	ثانياً: قضية التسامح ولسنغ «المحمدي» ذو الحادي عشر ربيعاً
40	ثالثاً: لسنغ ومراجع الإستشراق
64	رابعاً: لسنغ - فولتير والإسلام
	الباب الثاني
77	الإسلام في أعمال لسنغ الأدبية
77	أولاً: المخطوطة الأدبية النقدية الدينية الفلسفية «إنقاذ السيد كردانيوس»
96	ثانياً: لسنغ والإسلام كدين طبيعي
104	ثالثاً: مسرحية لسنغ التراجيدية «فاطمة» 1759
104	1. نشأة مأساة «فاطمة»
110	2. مسار أحداث العمل المسرحي «فاطمة»
112	3. الدافع لكتابة مأساة «فاطمة»
122	4. مأساة «فاطمة» في مقارنة مع مسرحيات فولتير «ماريامنه» و «زاره» و «محمد»
129	5. مأساة «فاطمة» وعلاقة لسنغ - يوهان غلايم
133	رابعاً: «برهاني أن العرب، وليس اليهود، هم من النسل الحقيقي لنبي الله ابراهيم» 1771-1777
139	خامساً: لسنغ وألوهية السيد المسيح في الإسلام: قصة القس آدم نويسر

الباب الثالث

قراءات لسنغ عن الإسلام: قضية التسامح ومشروع مسرحيته

- 155 «ناتان الحكيم» 1779
- 156 أولاً: «تأريخ الحروب الصليبية» لـ فولتير
- 165 ثانياً: «تأريخ صلاح الدين سلطان مصر وسورية» لـ مارين
- 175 ثالثاً: صلاح الدين: الإنسان والحاكم المسلم
- 185 رابعاً: لعبة الشطرنج في مسرحية «ناتان الحكيم» وأثرها في الموروث الإسلامي
- 189 خامساً: لسنغ - الثناء والنقد
- سادساً: الإسلام والعلاقات الأسرية بين المسلمين والمسيحيين في نظر
- 193 لسنغ «ناتان الحكيم»
- 194 1. مشروع زواج أشقاء صلاح الدين وريتشارد قلب الاسد
2. مشروع خطوبة بنت القيصر الألماني فريدريش بارباروسا لنجل
- 202 السلطان صلاح الدين
3. قصة زواج أسد شقيق صلاح الدين من الألمانية شتاوفن فون فلنك في
- 203 «ناتان الحكيم»
- 205 4. رابطة الأخوة بين الناس

الباب الرابع

- 221 اختيار لسنغ للشخصيات الفنية الإسلامية في مسرحيته «ناتان الحكيم»
- 223 أولاً: سيتا - الأميرة والمرأة المسلمة
- 224 1. الدور المزدوج للأميرة سيتا
- 226 2. المكانة الاجتماعية للأميرة سيتا وحقوق المرأة وواجباتها في الإسلام
- 229 3. الأميرة سيتا وصورة المرأة المسلمة المعتمدة في الأدب الأوروبي
- 231 4. الأميرة سيتا ومصادر تسميتها

- 233 5. دور الأميرة سيتا كرمز للمرأة المسلمة الفاضلة
- 236 6. الأميرة سيتا - الثناء على السيد المسيح وانتقاد المسيحيين
- 245 ثانياً: شخصية الحافي درويش والخلفية الأدبية التي استند عليها لسنغ
- 245 1. معنى اسم الحافي درويش
- 246 2. الحافي درويش - مذهب الصوفية ونظرية الفيلسوف الهولندي شينوتزا
- 249 3. الحافي درويش كشخصية كوميدية ومفتاح لحدث العمل المسرحي
- 252 4. الحافي درويش في عمل الكاتب الألماني فيلاند «قصة دانشمند الحكيم»
- 254 5. لسنغ وقصة بشر الحافي الشخصية التاريخية الإسلامية
- 257 6. زُهد الدراويش في كتاب «وادي الزهور الفارسي» للمستشرق آدم أولياروس
- 260 7. الحافي درويش في مقارنة مع الراهب في مسرحية «ناتان الحكيم»
- 264 ثالثاً: التقاليد الإسلامية الشرقية في شخصية اليهودي ناتان
- 264 1. التقليد التاريخي لتسمية «الحكيم» في الأدب العربي
- 265 2. التقليد التاريخي لتسمية «ناتان» في التوراة القديمة والقرآن

الباب الخامس

الخلفيات الأدبية الشرقية لقصة الخاتم الرمزية للكاتب الألماني

- 277 **لسنغ ولقاء الثقافات**
- 278 أولاً: تأثير «الف ليلة وليلة» على المجاميع القصصية الأوروبية
1. «الف ليلة وليلة» والمجموعة القصصية Disciplina Clericalis
- 278 للكاتب الإسباني الفونسي
- 287 2. «الف ليلة وليلة» والمجموعة القصصية «ديكامرون» للكاتب الإيطالي بوكاشيو ...
- 291 3. «ألف ليلة وليلة» وأصل المجموعة القصصية «ديكامرون» للكاتب بوكاشيو
- 299 4. «الف ليلة وليلة» في مقارنة مع «ديكامرون»
- 301 ثانياً: التقاليد اليهودية في حكاية الخاتم

304		حكاية رابي ابن فرجا كأقدم المصادر لقصة الخاتم
305		ثالثاً: التقاليد الإسلامية في قصة الخاتم
306		1. حكاية اللؤلؤة المفقودة كأقدم نموذج لحكاية الخاتم
309		2. حقيقة حكاية الخاتم في القرآن
323		3. أول من اخترع قصة الخاتم
327		رابعاً: تحليل حكاية الخاتم في مسرحية «ناتان الحكيم»
327		1. الأسلوب السردى
330		2. محبة الله لجميع خلقه ودياناته
333		3. ناتان الفاعل في المسرحية وليس من تدور حوله الأحداث كما يقال ...
335		4. الأهداف الإنسانية المستوحاة من حكاية الخاتم
336		5. الأب وصعوبة التمييز بين الخواتم بقصد المساواة بين الأديان
341		6. لسنغ - الإسلام ووجهة النظر الجديدة لمسرحية «ناتان الحكيم»
		الباب السادس

لسنغ «ناتان الحكيم» والحوار الحضاري مع الإسلام من وجهة نظر

351		تأريخية معاصرة
351		أولاً: لسنغ شريك في الحوار مع الإسلام
367		ثانياً: لسنغ والإسلام في حوار على خشبة مسرح المخرج الألماني اليوم
383		ثالثاً: لسنغ - الحوار مع الإسلام والتحدي الصعب
397		الخاتمة
399		المصادر
425		عن المؤلف